مكتبة الأسرة ٢٠١٢

الثقافة العلمية

الطب المصرى القديم

ANCIENT EGYPTIAN MEDICINE

جون إف. نَن

ترجمة أ.د. عمرو شريف

د. عادل وديع فلسطين



الطب المصرى القديم

ANCENT EGYPTIAN MEDICINE

جون إف . نَن

ترجمة

د. عمرو شريف

د. عادل وديع فلسطين



٢٠١٢

نن، جون إف
الطب المصرى القديم = Ancient Egyptian Medicine/ جون إف نن؛ ترجمة عمرو شريف، عادل وديع فلسطين. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢.
٤٣٢ص ؛ ٢٤سم (ثقافة علمية)
تدمك ١ـ ٢٩٤ـ ٢٠٧ـ ٩٧٧ـ ٩٧٨
١ـ الطب القديم.
٢ـ مصر القديمة. تاريخ.
أ ـ شريف ، عمرو (مترجم).
ب ـ فلسطين ، عادل وديع (مترجم مشارك).
ج ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٢/١١٤١٠
I.S.B.N 978- 977- 207-294-1 ديوى ٦١٠.٩

توطئة

مشروع له تاريخ

مشروع «القراءة للجميع» أى حلم توفير مكتبة لكل أسرة، سمعنا به أول مرة من رائدنا الكبير الراحل توفيق الحكيم.

وكان قد عبر عن ذلك فى حوار أجراه معه الكاتب الصحفى منير عامر فى مجلة «صباح الخير» مطلع ستينيات القرن الماضى، أى قبل خمسين عامًا من الآن.

كان الحكيم إذًا هو صاحب الحلم، وليس بوسع أحد آخر، أن يدعى غير ذلك.

وهو، جريًا على عادته الخلاقة فى مباشرة الأحلام، تمنى أن يأتى اليوم الذى يرى فيه جموعًا من الحمير النظيفة المطهمة، وهى تجر عربات الكارو الخشبية الصغيرة، تجوب الشوارع، وتتخذ مواقعها عند نواصى ميادين المحروسة، وباحات المدارس والجامعات، وهى محملة بالكتب الرائعة والميسورة، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من حاملات الخضر وحبات الفاكهة.

ثم رحل الحكيم مكتفيا بحلمه.

وفى ثمانينيات القرن الماضى عاود شاعرنا الكبير الراحل صلاح عبد الصبور التذكير بهذا الحلم القديم، وفى التسعينيات من نفس القرن، تولى الدكتور سمير سرحان تنفيذه تحت رعاية السيدة زوجة الرئيس السابق. هكذا حظى المشروع بدعم مالى كبير، ساهمت فيه، ضمن من ساهم، جهات حكومية عدة، وخلال عقدين كاملين صدرت عنه مجموعة هائلة من الكتب، بينها مؤلفات ثمينة يجب أن نشكر كل من قاموا باختيارها، إلا أنه، للحقيقة ليس غير، حفل بكتب أخرى مراعاة لخاطر البعض، وترضية للآخر، ثم إن المشروع أنعش الكثير من متطلبات دور النشر، بل اصطنع بعضها أحيانًا.

وبعد ثورة ٢٥ يناير والتغيرات التى طرأت توقفت كل الجهات الداعمة لهذا المشروع الثقافى عن الوفاء بأى دعم كانت تحمست له عبر عقدين ماضيين، سواء كانت هذه الجهات من هنا، أو كانت من هناك.

ولم يكن أمام اللجنة إلا مضاعفة التدقيق فى كل عنوان تختار، وسيطر هاجس الإمكانات المحدودة التى أخبرتنا بها الهيئة فى كل آن.

والآن لم يبق إلا أن نقول بأن هذه اللجنة كانت وضعت لنفسها معيارًا موجزًا: جودة الكتاب أولاً، ومدى تلبيته، أولاً أيضًا، لاحتياج قارئ شغوف بأن يعرف، ويستمتع، وأن ينمى إحساسه بالبشر، وبالعالم الذى يعيش فيه.

واللجنة لم تحد عن هذا المعيار أبدًا، لم تشغل نفسها لا بكاتب، ولا بدار نشر، ولا بأى نوع من أنواع الترضية أو الإنعاش، إن لم يكن بسبب التربية الحسنة، فهو بسبب من ضيق ذات اليد.

لقد انشغلنا طيلة الوقت بهذا القارئ الذى انشغل به قديمًا، مولانا الحكيم.

لا نزعم، طبعًا، أن اختياراتنا هى الأمثل، فاختيار كتاب تظنه جيدًا يعنى أنك تركت آخر هو الأفضل دائمًا، وهى مشكلة لن يكون لها من حل أبدًا. لماذا؟

لأنه ليس هناك أكثر من الكتب الرائعة، ميراث البشرية العظيم، والباقى.

رئيس اللجنة

إبراهيم أصلان

المحتويات

تقديم

حديث عاشق

د. عمرو شريف

شرعتُ قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011 فى كتابة مدخل هذا التقديم، فقلت:

وقـفَ الخلقُ ينظرون جميعًا ... كيف أبنى قواعدَ المجدِ وحدى
وبناةُ الأهـرام فى سالفِ الدهر ... كفونى الـكـلامَ عند التحدى
أنا تاجُ العلاءِ فى مفرقِ الدهر ... ودراتُـــــه فـرائـدُ عِـقـدى
إن مجدى فى الأُولياتِ عريقٌ ... من له مثل أولياتى ومجدى

هل هذه ترانيم شاعر عظيم، عاشق لوطنه وتاريخه[1]...

ترانيم تحمل من المبالغة ما يحمل الشعر... وما يسيطر على العشاق...؟

أم أنها إقرار بحقيقة اتفق عليها المؤرخون والدارسون؟

وحتى لو كانت حقيقة... ألا يعنى التغنى بها نوعًا من الحنين للماضى (نُستالجيا Nostalgia)...؟

وهل ذِكْرُنا للماضى نوعٌ من السلوى، نعوض به ما نحن فيه من حاضر متخلف، لا يُقارَن بما مضى، ولا يبشر بمستقبل نستعيد فيه أمجادَنا...؟

أليس هذا التذكر والتغنى «خَمْرًا» يُغَيِّبنا عن مرارات الحاضر، و«خِمَارًا» نُسْدِله على واقعنا ومستقبلنا...؟

(1) الأبيات لشاعر النيل حافظ إبراهيم من قصيدة بعنوان «مصر تتحدث عن نفسها»، وتغنت بها كوكب الشرق أم كلثوم.

وهل كل ذكر للماضى «خمرٌ» و«خِمَار»...؟

هل يستطيع «**ماضى كماضينا**» أن يُساهم فى بزوغ «**مستقبل مشرق**» من بين غياهب «**حاضر كحاضرنا**»...؟

***

إن تأمل الماضى ليس دائمًا «خمرٌ» و«خِمار»...

إذا كان هيرودوت يرى أن «مصر هبة النيل»... فأنا أرى أن «**مصر هبة المصريين**»...

نحن أبناء الماضى، والماضى نفسه ابن... إنه ابن لإنسان «خط» التاريخ بيده، بمداد من عرقه ودمه... أو قل «نحت» واقعه بأظافر بللها العَرَقُ والدم...

إذا كان الماضى هو تاريخ الأمة... ويعكس شخصية الأمة... **فإنه يعكس سمات أبناء هذه الأمة**... تلك السمات التى تشكل قدراته التى يتعامل بها مع زمانه...

إن الشعب الذى تَفَجَّرت على يديه مفاهيم «**الحق**» و«**الحرية**» و«**الجمال**»، الشعب الذى **وُلد على يديه** «**الضمير**»، هو الشعب الذى خط صفحات التاريخ المصرى القديم... إنه نفس الشعب الذى ظل يحيا على نفس البقعة من الأرض، ويتنفس تحت نفس السماء، طوال سبعة آلاف سنة، أو يزيد...

***

إن للحضارات دورات...؛ ميلادٌ وطفولة...، ثم فتوةٌ وقوة...، ثم رجولةٌ وحكمة...، ثم هرَمٌ وأُفول يعقبه موت.. أو أُفول يعقبه بعثٌ جديد...

إن التاريخ يبين لنا فى أى المسارين سارت الحضارة المصرية...

يرى المتأملُ للتاريخ المصرى القديم بدايةَ مخاضه فى عصر ما قبل الأسرات... ثم نموه خلال المملكة القديمة... ثم ضعفًا وأفولًا ساد عصر الاضمحلال الأول... ثم تنفض الأمة عن كاهلها الضعف لتبزغ المملكة الوسطى... ثم يعقبها عصر الاضمحلال الثانى... ثم تسطع المملكة الحديثة... ثم تُوهن هجمات النوبيين والليبيين والفرس من عضد الأمة... حتى جاء الغزو اليونانى ـ الرومانى، الذى مَثَّل ظاهرة نادرة فى تاريخ

البشرية ... فيها يتشح الغازى بوشاح حضارة غريمة... فيتأثر به، ويتبع ديانته، وينطق بلغته... **لقد عصفت المصرية بخُيَلاء اليونان والرومان... حتى إذا دخلت المسيحية مصر، فقد تمصرت المسيحية، ولم تتمسح مصر**...

أما دخول الإسلام مصر، فقد تمخض عن نسيج فريد، ساهم فى خيوطه كلٌّ من الدين الإسلامى والحضارة المصرية، نسيج ما زال قائمًا حتى الآن... فالإسلام فوق هذه الأرض احتفظ بجوهره... وتخلَّى عما حمله المسلمون معهم من جزيرة العرب من عادات البداوة... لقد قابل الإسلام فى مصر ضميرًا مطابقًا لتعاليمه، ضميرٌ وُلد هنا، وترعرع هنا، قبل أن تنتشر ثمراته فى العالم أجمع... وفى المقابل، فإن المتأمل لمصر بعد دخول الإسلام، يدرك أنها لم تعد مصر الفرعونية، ولا شىء قريب منها.

***

إن مُعَلمنا، «التاريخ»، يخبرنا ـ فيما عرضتُ من تاريخ مصر ـ أن المحن والنكبات ـ إذا صحت العزائم ـ يمكن أن تنفرج عن فجر وَضَّاء، ينبلج فيه نور الحضارة.

والتاريخ الإسلامى، يحمل لنا نفس الرسالة.. فالمُطالع لما أصاب بغداد من دمار على يد المغول ما كان يتصور أن تقوم للمسلمين أو لدين الإسلام قائمةٌ بعدها. كذلك فالمُطالع لحال المصريين خلال فترات حكم المماليك والعثمانيين، يراها ليالى حَالكة الظلام، طويلة ثقيلة، حتى إن الناس فى بعض المجاعات أكلوا لحوم الكلاب والقطط النافقة، وما كان يُتصور أيضًا أن تخرج من هذا الركام مصرُ الفتية فى عصر محمد على.

هذا، وقد عاصر جيلنا نكبة حرب 1967، حين كاد اليأس أن يُردينا، وبدا النصر واستعادة الكرامة أبعد من أن نفكر فيه، ناهيك عن أن تناله أيدينا. ثم كان لنا أن تذوقنا العزة وشربنا منها حتى الامتلاء بعد انقضاء ست سنوات فقط. وبعد أن كان العدو الغادر يعايرنا بحرب الأيام الستة (فى عام 1967) صرنا نفاخر بانتصارنا عليه فى حرب الساعات الست فى عام 1973، تلك الحرب التى خاضتها مصر لتحرير أرضها رغمًا عن إرادة القوتين العظميين فى ذلك الوقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

***

يقول د. جمال حمدان فى كتابه «شخصية مصر»:

«إن نكاح الإنسان المصرى وطبيعة مصر (أرضها ونيلها) هو الذى أنجب هذه الحضارة، التى تمثلت فى العديد من الإنجازات:

أولها... الضمير

وثانيها... الدين

وثالثها... الهندسة والفن

ورابعها... الطب والتحنيط

وخامسها ... الفتوحات»

ألم يصف الرسول الكريم ﷺ رجال مصر بأنهم «خير أجناد الأرض»...

انظر إلى تعليق «جون نن» مؤلف هذا الكتاب الذى نقدمه لك، حول دور العنصر البشرى فى بناء حضارة المصريين:

«لقد امتلك المصريون أهم أسباب التقدم، وهى نظام الإدارة المُحْكَم وموهبة الاختراع، بجانب مهاراتهم التقنية التطبيقية... إن الشعب الذى استطاع أن يبنى الأهرامات فى الألفية الثالثة قبل الميلاد، جدير بأن تكون له الريادة فى عالم الطب...».

***

القارئ الكريم...

كتبت الفقرات السابقة كمدخل لمقدمة الكتاب، قبل قيام شعب مصر بثورته العظيمة الفريدة فى الخامس والعشرين من يناير 2011... وكان هدفى أن أُبَيِّن لشباب هذه الأمة أصالة معدنه، وأنه قادر على بناء مستقبله، إذا نزع عنه ثياب اليأس والإحباط، فى حاضر صارت فيه أمتنا كمريض يحتضر ليس له مُداوٍ، أو كقشة فى إعصار يتفنن الخونة والانتهازيون فى الاستفادة من كل تَرَنُّح لها، لقد أكلوا كل اللحم، وامتصوا كل الدم، ولم يتركوا إلا عظامًا نخرها السوس.

أُصدقك القول ـ القارئ الكريم ـ كنت أريد أن أَبث فى شباب الأمةِ «الأملَ»، وأنا فاقدٌ له... كنت أحاول أن أنفخ فى الرماد ـ وأنا مقطوع النَّفَس ـ عسى أن تلقى زفراتى بقايا

من جذوة نار، فتشرع فى التوهج... كنت كمن يريد أن يملأ القربة الخاوية ـ المليئة بالثقوب ـ بالماء، وقد تعكر منهله وأَسِنَ منبعه... بل وجفت معظم ينابيعه.

وهل تصلح انتفاضات الطائر الذبيح لأن تمد جسد الأمة الواهن، الذى أشرف على الموت، بالصحة والعافية؟!

***

وفجأة ... انشق الظلامُ وبزغ الفجرُ وسطعت الشمسُ... أزاحت الأمة عن كاهلها أحجارًا بل جبالًا ثقيلة... تأججت جذوة متقدة كامنة تحت الرماد... تخلصت الأمة من قيودها وأدرانها وزبانيتها...

قامت أعظم ثورات التاريخ والجغرافيا... ثورة قادنا فيها الشباب... شباب امتلك الحلم، وامتلك ناصية التغيير...

شباب لم يعصف به اليأس والإحباط، الذى أصابنا بالشلل، أو كاد...

لقد صارَ المُعلِّمُ تلميذًا وصارَ التلميذُ مُعَلِّمًا

ولكونِى أستاذًا جامعيًّا، فأنا أدرك جيدًا أن أروع ما يُسعد المعلم أن يجد أن تلميذه قد صار أستاذًا، له ... وللآخرين.

لقد أعلن كلٌّ من الرئيس الأمريكى أوباما، ورئيس الوزراء البريطانى كاميرون (فور نجاح الثورة) أنهما ينويان أن يُدَرِّسا الثورة المصرية لطلبتهما فى المدارس والجامعات، حتى يصير الشباب الأمريكى والبريطانى كالشباب المصرى.

وربما يكون من أجمل ما جاء فى وصف ثورة المصريين، قول بيرلسكونى (رئيس وزراء إيطاليا): **لا شىء جديد تحت الشمس، إنهم المصريون يعيدون كتابة التاريخ... كالعادة.**

نفضت عنى (إلى غير رجعة) مشاعر كئيبة، وشرعت فى استئناف كتابة تقديم الكتاب، وقد حرصت على إثبات ما سبق أن دونته قبل الثورة، وحرصت على إثبات دوافعى التى قرأتها، ومشاعرى التى عرضتها عليك... فى السطور السابقة.

***

وحتى نستكمل الفائدة من الكتاب، رأينا أن نطرح خطوطًا عريضة عن رحلة الطب فى مصر عبر التاريخ، حتى لا يتصور القارئ أن إبداع الطب المصرى القديم كان ومضة فى ظلام. لذلك نعالج فيما تبقى من المقدمة موضوعات أربعة:

أولًا: الطب عند المصريين القدماء.

ثانيًا: الطب العربى الإسلامى.

ثالثًا: الطب فى مصر فى العصر الحديث.

رابعًا: تعريف بالكتاب والكاتب.

أولًا: الطب عند المصريين القدماء

هذا هو موضوع الكتاب، وستجد فى فصوله ما يشبع نهمك، وقد اخترت أن أثبت فى هذه المقدمة بعض ما يُظهر المستوى الرفيع الذى وصل إليه الطب فى مصر القديمة، من الناحية العلمية والفنية، وأيضًا من الناحية الإنسانية والحضارية.

عندما تريد أمة فى العصر الحديث أن تباهى بعظمتها ومدى تحضرها، فإنها تطرح الأدلة على **تمسكها بميثاق حقوق الإنسان**، وأحيانًا يتندر البعض بقصص وأمثلة تبين مراعاة الإنسان الغربى **لحقوق الحيوان أيضًا**. وقد أدهشنى أثناء مطالعتى الكتاب الذى نحن بصدده، أن أجد **مفاهيم رائعة تضع الحضارة المصرية القديمة فى مقدمة الحضارات الإنسانية القديمة والمعاصرة**، وقد اخترت أن أبدأ بعرض اهتمام المصريين بالرعاية الطبية للحيوان! فمن يكون شديد الاهتمام بالحيوان فلا شك أن اهتمامه بالإنسان أشد.

نقرأ فى الفصل الخامس من الكتاب، كيف تم **علاج قط مريض وقط آخر لسعه عقرب!**. بدأ العلاج بالوصفات التى تُستخدم لعلاج إنسان يعانى من نفس المشكلة، ويُشفَع ذلك بأدعية ورقى وتعازيم موجهة مباشرة للإله رع. وهناك أسلوب خاص لوضع القط المصاب تحت رعاية الآلهة؛ يبدأ بإطلاق اسم ربة القطط «باستت» على القط المصاب، أما الرأس فيكون تحت رعاية الإله رع نفسه، وهذا هو نفس الأسلوب الذى كان يُتَّبع مع الإنسان المريض.

وليس هناك أدل على احترام المصرى القديم للحيوانات من اختيار حيوان معين، ليعبر عن كل صفة من **صفات الإله**، ثم إنزال هذا الحيوان منزلة التقديس، ومن هذه الحيوانات القطةُ والبقرةُ واللَّبُؤَةُ وأنثى التمساح.

هل لاحظت أن المصرى القديم فى اختياره للحيوانات المقدسة كان يختار إناث الحيوانات؟ إن ذلك يرجع بلا شك إلى تقدير المصريين **لدور الإناث فى عملية خلق الحياة** (الحمل والولادة).

ومما تباهى به الدول المتقدمة فى مجال الصحة، الاهتمام بمبادئ **الصحة العامة**. ولم يَفُت ذلك المصريين القدماء، فها نحن نراهم ينادون بالاغتسال فى الصباح والمساء، وبغسل الأيدى قبل تناول الطعام.

ومن أهم جوانب الافتخار الحضارى، حِرْص المصرى على **حماية البيئة**. وقد أدهشنى أن نجد على جدران المقابر إقرارًا من المصرى القديم أمام الآلهة، عند الحساب فى الحياة الأخرى، بأنه لم يُلقِ قاذورات فى النيل، أى أنه لم يشارك فى تلويث البيئة، ويعتبر ذلك واجبًا مقدسًا.

أما عن سبق الطب المصرى القديم على جميع الحضارات، فنستشهد عليه بما جاء فى الكتاب من أن **أول طبيب فى التاريخ** كان «هسى رع Hesy - rh» من الأسرة الثالثة منذ عام 2650 ق.م، فقد كان طبيبًا للملك زوسر، وكان معاصرًا للعظيم إمحتب مهندس هرم سقارة المدرج.

كذلك كانت «بس شت peseshet» **أول طبيبة ورئيسة للطبيبات فى التاريخ**؛ إذ ترجع إلى الأسرة الخامسة (2494 ـ 2345 ق.م)، أى تسبق إليزابيث أندرسون (أول طبيبة بريطانية) بأكثر من أربعة آلاف سنة، كما يقول مؤلف الكتاب.

أما **أول صيدلى** عرفه التاريخ فكان «با ـ هرى ـ بدجت pa - hery - pedjet»، الذى عاصر فترة من حكم رمسيس الثانى (1279 ـ 1212 ق.م).

وتعرض بردية إدوين سميث، التى **تتعرض للإصابات وعلاجها**، مفاهيم طبية راقية، وتتبع أسلوب التفكير العلمى، بالرغم من أن زمن تدوينها الأول يرجع إلى المملكة القديمة (2686 ـ 2181 ق.م).

ونرى فى النقوش القديمة فى إحدى مقابر الأسرة العشرين (1186ـ 1069 ق.م) بعضًا من إجراءات وتمرينات **العلاج الطبيعى**، التى تتفق تمامًا مع تلك المتبعة فى عصرنا الحديث.

ومن المثير أيضًا أن الطب المصرى **قد خصص ممرضات ليقمن برعاية الأطفال**، وكن يُعرفن باسم «ممرضات البلل»، لتميزهن عن الممرضات الأخريات.

لقد أعطى هذا السبقُ والتميز الطبيبَ المصرى القديم **سُمعة وصيتًا عالميين**، وأصبح يُنظر إليه بالتقدير والاحترام فى الدول المجاورة. ففى المراجع الأكادية أن رمسيس الثانى بعث بطبيب معروف يدعى باريامانحو، **بناءً على طلب البلاط الحيثى** «من أجل تحضير الأعشاب لأجل كارنتا ملك أراضى تارهنتاس». أما الطبيب «نب إمن» من المملكة الحديثة، فقد وُجد مصورًا وهو يتلقى الهدايا مقابل الخدمات التى قام بها **لأمير من سوريا**.

وفى **ملحمة الأوديسا**، نجد هيلين تتعاطى عقارًا لعلاج الألم والحزن، وهذا العقار أعطته لها بولى دامنا ابنة تون المصرى، فيقول هوميروس على لسانها:

«فى هذا المكان (مصر) نجد الأرض الطبية تعطى الدواء الكثير؛ منه المفيد ومنه الضار، وهناك كل رجل يُعتبر طبيبًا، ويعرف عن الطب ما يفوق معرفة كل البشر».

ويصف **هيرودوت** كيف طلب الملك الفارسى سيروس الثانى من أحمس الثانى أن يُرسل إليه أكبر الأطباء المتخصصين فى طب العيون. وكان **هيرودوت يردد أن فى أرض مصر تجد بين كل رجلين طبيبًا.**

كل ذلك جعل مصر مزارًا ومقصدًا **لمن أراد من اليونانيين تعلم الطب**؛ مما شارك كرافد أساسى **فى تشكيل مدرسة الطب اليونانى**.

هذه خطوط عريضة نعرضها فى هذا التقديم، كدليل على عظمة الحضارة المصرية بشكل عام، وتقدم الطب المصرى القديم بشكل خاص. **أما التفاصيل فتجدها** فى كل صفحة من صفحات الكتاب.

ثانيًا: الطب العربى الإسلامى[1]

الطب العربى هو مجموع المعارف الطبية التى اكتسبها العرب فى المراحل المبكرة من التاريخ الإسلامى (40 – 247هـ = 661 ـ 861م)، وكانت غالبيتها **من مصادر يونانية** أضيفت إليها معارف طبية من **فارس والهند وبيزنطة**، إضافة إلى ما توارثوه **من طب البادية**. وقد انصهرت كل تلك المعارف فى بوتقة واحدة على أيدى أناس من أصول مختلفة عربية وغير عربية، وينتمون أيضًا إلى ديانات مختلفة، جمعت بينهم **اللغة العربية** التى صارت اللغة المشتركة بين الأقوام التى تتألف منها **الدولة الإسلامية**، والتى اتسعت حدودها من الأندلس وشمال أفريقيا غربًا مرورًا بمناطق الوسط (مصر والشام) حتى أقصى الشرق فى بلاد فارس والهند.

ولم تكتفِ الدولة الفتية بترجمة تلك المعارف إلى العربية، وهى اللغة السائدة فى الدولة مترامية الأطراف، بل استوعبوها وقننوها وأضافوا إليها وتوسعوا فيها، وشارك فى ذلك الجهد علماء عرب وغير عرب، مسلمون وغير مسلمين، جيلًا وراء جيل، **وزادوا عليها من خبراتهم الشخصية**. ولم يقتصر التأثير الطاغى لما حققوه على الدولة الإسلامية، بل تعداها إلى الأمم المجاورة فى أوروبا وآسيا، **ودام ذلك التأثير قرابة ألف عام** (610 ـ 1610م)، وهى الفترة التى كانت فيها أوروبا، بل وكل أمم العالم فى سبات علمى وحضارى عميق.

وقد ساهم الطب العربى فى رفع المستوى الصحى للجماهير، لا على المستوى العلاجى فحسب، وإنما فى **الصحة العامة والطب الوقائى** أيضًا. واستمر ذلك التأثير حتى بداية الانحطاط الذى تزامن مع التدهور السياسى الذى أَلَمَّ بالدولة الإسلامية. وبظهور عصر النهضة العلمية فى أوروبا فى بواكير القرن السابع عشر، ظهرت تباشير الطب الحديث، وحل محل الطب العربى فى كل أنحاء العالم بما فيها العالم الإسلامى.

وصل الطب العربى إلى **أقصى ذُراه بين القرنين التاسع والحادى عشر الميلاديين**، وتبوأ الأطباء والصيادلة والعلماء مكانة رفيعة واحترامًا كبيرًا فى المجتمع الإسلامى،

(1) هذا الجزء عن كتاب (تاريخ الجراحة عبر العصور القديمة) تأليف الدكتور أيمن توفيق، أستاذ جراحة الأطفال بجامعة الأزهر ـ الناشر الهيئة العامة للكتاب، 2008.

وكان الخلفاء وحكام الولايات الإسلامية المترامية الأطراف يشجعونهم ويجزلون لهم العطاء.

ويمكن تقسيم المراحل التى مر بها الطب العربى بعد صدر الإسلام إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، وكان على رأس تلك اللغات السريانية واليونانية، ثم الهندية على نطاق محدود، واستمرت أثناء القرنين السابع والثامن الميلاديين.

المرحلة الثانية: مرحلة المساهمة الأصيلة، حيث بدأ الأطباء العرب فى كتابة فصول جديدة فى الطب، ودامت تلك الفترة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر الميلاديين.

المرحلة الثالثة: وهى **مرحلة التدهور والاضمحلال**، حيث توقف الطب، كما تجمدت سائر فروع العلم وتدهورت أحوالها.

ولا شك أن تأسيس «**بيت الحكمة**» كان من الأسباب الرئيسية وراء ازدهار الطب العربى. ففى العصر العباسى الأول، بزغت ظاهرة جديدة على ساحة الثقافة الإسلامية، وهى إقبال الخلفاء العباسيين على تأسيس المكتبات، ومنها «بيت الحكمة» الذى أسسه **هارون الرشيد**، ونما فى عهد ابنه **المأمون** سنة 214 هـ (830م) إلى مركز حقيقى للثقافة. فمنذ توليه المُلك، شرع المأمون فى البحث عن **مخطوطات أعمال قدامى الإغريق** من فلاسفة وعلماء وترجمتها إلى العربية. ولتحقيق ذلك ألزم المأمون حكام البلاد المفتوحة بتسليم ما لديهم من كتب كبديل عن دفع الجزية، وقد حدث ذلك عندما انتصر على الروم انتصاره الكبير عام 830م، وعندما هادن صاحب جزيرة قبرص، وأرسل إليه يطلب خزانة الكتب اليونانية التى كان يحتفظ بها فى مخازن مغلقة، فأرسلها له.

ويذكر ابن النديم فى «فهرسته» أسماء 57 مترجمًا فى بيت الحكمة، وكان الخليفة المأمون **يدفع لهم وزن ما يترجمونه ذهبًا**. ومن بين المترجمين النابهين فى تلك الفترة جرجيس بن بختيشوع وحفيده جبريل، ويوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحق، الذين أحسن الخلفاء المسلمون معاملتهم وأَجَلُّوا من شأنهم، **وفى ذلك برهان على أن الآخر**

لا يمثل بالنسبة للحضارة الإسلامية مصدرًا للحساسية، بقدر ما يشكل رافدًا يشارك فى نهضة الدولة.

وكان **حنين بن إسحق** (194 ـ 264هـ) أشهر عقلية طبية فى بيت الحكمة، وهو عربى من مسيحيى الحيرة فى جنوب العراق. وكان مترجمًا موهوبًا، بدأ نشاطه فى الترجمة فى سن السابعة عشرة، وأنتج فى حياته كمًّا كبيرًا من الكتب. فقد ترجم كل كتب الطب الإغريقية تقريبًا، شاملة كتب أبقراط، ونصف كتب أرسطو وتعليقاته، وكثيرًا من كتب الرياضيات، كما ترجم التوراة. وذكر قبل أن يموت بعشرة أعوام أنه ترجم من أعمال جالينوس وحدها 95 ترجمة سريانية و34 ترجمة عربية.

وفى هذا السياق، لا يفوتنا أن نذكر الطبيب وعالم الرياضيات «**ثابت بن قرة**»، الذى عمل **(ومعه ابنه سنان)** مع **ابن حنين بن إسحق**، وصار طبيبًا شهيرًا فى بغداد، ومديرًا لعدد من مستشفياتها، وطبيبًا خاصًا لثلاثة خلفاء عباسيين متعاقبين.

وفى حوالى عام 880م، حين رحل **أبو بكر الرازى**، لأول مرة، إلى بغداد، وجد فيها كل كتب الطب القديمة منقحة ومترجمة إلى اللغة العربية، وإلى جانبها تآليف طبية صنفها الأطباء العرب، كالكندى والكنانى ويوحنا بن ماسويه وثابت بن قرة وحنين بن إسحق. وهنا برز إبداع الرازى، فدفع بالطب خطوات واسعة إلى الأمام، خطوات مصيرية فى تاريخ الطب العربى، تمامًا كما كانت خطوات أبقراط فى تاريخ الطب الإغريقى، فهما متشابهان فى كثير من الوجوه.

وفى أعقاب مرحلة الترجمة، بدأ **عهد المساهمة العربية الأصيلة**، حين شرع الأطباء العرب فى كتابة فصول جديدة فى الطب، بدأها أبو بكر الرازى ثم ابن سينا ثم ابن النفيس وغيرهم من أطباء العرب المبدعين، كما كتبوا شروحهم ونقدهم للأعمال اليونانية.

وفى الوقت الذى كانت فيه حركة الترجمة ثم التأليف ماضية على قدم وساق، شرع العرب فى تنظيم مهنة الطب، حتى رفعوها من حرفة متواضعة إلى **مهنة علمية راقية**. وكانوا أول من أضاف الرسوم التوضيحية إلى كتاباتهم الطبية، كما طوروا علم الكيمياء وتطبيقاته فى الطب، وحسنوا من وسائل تحضير الدواء. كما أنشأوا عددًا كبيرًا من البيمارستانات (المستشفيات) وكانوا ينفقون عليها بسخاء. كما كَلَّف الخليفة المقتدر

طبيبه الخاص سنان بن ثابت بن قرة بامتحان كل من يود ممارسة الطب ومنحهم إجازة بذلك، وكان ذلك فى القرن العاشر الميلادى، وبذلك يرجع الفضل إلى العرب فى أنهم نقلوا الخدمة الطبية إلى العامة بعد أن كانت موجهة إلى الخاصة.

تَعرُّف أوروبا على الطب العربى وكتبه

بدأ تعرف أوروبا على الطب العربى فى وقت مبكر جدًا، ففى عام 742م أرسل هارون الرشيد وفوده، التى ضمت أشهر الأطباء وأفضل الجراحين، إلى شارلمان الإمبراطور الرومانى، كما استمر الاتصال بين العالم الإسلامى وأوروبا عن طريق التجارة عبر القوافل.

وفى القرن العاشر الميلادى، وجدت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية فى صقلية وجنوب إيطاليا مركزًا هامًا لها، يأتى فى أهميته بعد الأندلس، بسبب ما كان للعرب من نشاط حضارى متميز فى صقلية، وما كان من روابط متعددة بين صقلية وجنوب إيطاليا وبين أفريقيا العربية. واشتهر فى هذا المجال قسطنطين الأفريقى (المتوفى سنة 1087م)، وأيوجنيوس البالرمى (حوالى منتصف القرن الثانى عشر)، وأيضًا فرج بن سالم اليهودى الذى ترجم كتاب «الحاوى» للرازى سنة 1279م.

غير أن أسبانيا تعتبر دون أدنى شك أهم المعابر التى انتقلت منها حضارة الإسلام إلى الغرب الأوروبى، وذلك بحكم موقعها وبوصفها مركزًا ضخمًا من المراكز التى ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية. وكان لحركة الترجمة عن العربية عدة مراكز، أشهرها فى برشلونة وطرزونة وليون وبمبلونة، فضلًا عن طليطلة التى اهتم كبير أساقفتها، ريموند، بالترجمة.

وكانت طليطلة فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى مدينة مزدهرة تقع فى قلب البلاد الأندلسية، وقد وصل إليها قسم كبير من أربعمائة ألف مجلد نُهبت من قرطبة فى النصف الأول من القرن الحادى عشر، وقد استولى ألفونسو السادس ملك قشتالة عام 1085م على المدينة وعلى ما فيها من المخطوطات العلمية.

ومنذ وقت مبكر، عكف المترجمون على ترجمة كثير من مؤلفات المسلمين وكتبهم

إلى اللاتينية، وكان لليهود من أهل أسبانيا، أمثال دومونيكوس جونديسالفى وبطرس ألفونسى وحنا الأشبيلى وإبراهيم بن عزرا، دور كبير ومؤثر فى الترجمة. كما نزح إلى أسبانيا كثير من طلاب العلم من مختلف بلاد الغرب الأوروبى للتزود بمعارف العرب ونقلها إلى اللاتينية، ومن هؤلاء أديلارد الإنجليزى وهرمان من كارنثيا وغيرهم. كذلك اشتهر فى النصف الأول من القرن الثانى عشر روبرت ألشسترى (المتوفى سنة 1144م)، والذى ترجم كثيرًا من المؤلفات العربية فى الطب والرياضيات والفلك وغيرها إلى اللاتينية، كما ترجم القرآن الكريم لأول مرة إلى اللاتينية. أما النصف الأخير من القرن الثانى عشر، فقد توجته فى الترجمة جهود جيرارد ألكريمونى، الذى بقى فى طليطلة مدة عشرين عامًا ترجم خلالها عن العربية الكتب الطبية اليونانية لأبقراط وجالينوس، وكتاب المجسطى لبطليموس (فى الفلك) وأكثر من 80 مخطوطة من كنوز الفكر العربى، ومات عام 1178م.

وفى القرن الثالث عشر، نزح إلى الأندلس ألفريد الإنجليزى ومايكل سكوت الإسكتلندى، وهرمان الألمانى، بحثًا عن كنوز الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى لترجمتها إلى اللاتينية. وظلت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية على أشدها حتى القرن السادس عشر. وقد أعيدت ترجمة عدة كتب مرة ثانية، ككتابى «القانون» لابن سينا و«زاد المسافرين» لابن الجزار، وكتب أخرى للرازى ولابن رشد.

وفى مراكز العلم الأوروبية، لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء إلا ومد يديه إلى الكنوز العربية يغرف منها وينهل، رغبة منه فى الارتقاء إلى مستوى علوم عصره. ولم يكن هناك كتاب واحد، من بين الكتب التى صدرت فى أوروبا آنذاك إلا وامتلأت صفحاته باقتباسات مباشرة من المخطوطات العربية المترجمة، وظهر فيه تأثيرها واضحًا كل الوضوح، ليس فقط فى كلماته العربية المترجمة بل فى محتواه وأفكاره.

وإذا كان الأطباء العرب قد تعرفوا إلى طب الإغريق وترجموه واستوعبوه، ثم أنتجوا موسوعاتهم الخاصة بهم على أساسه، بعد أن نظموه وبوّبوه، وخلّصوه من الشوائب والخزعبلات، وأضافوا إليه من تجاربهم وخبراتهم السريرية ما جعله مواكبًا للعصر، فهو بهذا يستحق أن يُطلق عليه «الطب العربى الإسلامى»، وليس مجرد الطب

الإغريقى المُعَرَّب. وكما كانت الثقافة اليونانية منهلًا للعرب، أصبحت الثقافة العربية منهلًا للأوروبيين المتعطشين للعلم والمعرفة وأساسًا لعلم الطب الأوروبى، ولكن مع اختلاف مهم، وهو أن هذه البذور الفكرية المترجمة احتفظت بطابعها العربى ولكن باللغة اللاتينية. ولذا فإن النتيجة حتى هذه المرحلة كانت **علم شفاء عربيًا مترجمًا**، ولم تكن نمو «علم شفاء» أوروبى، مقارنة بنمو طب عربى من الفكر الإغريقى منذ عهد الرازى.

ترجم الأوروبيون إذًا نوعين من الكتب العربية: **الموسوعات العربية الخالصة** مثل «القانون» لابن سينا و«الحاوى» و«المنصورى» للرازى و«الكتاب الملكى» لعلى بن العباس و«التصريف» للزهراوى. والنوع الثانى هو **تراجم لأعمال أطباء الإغريق** من أمثال أبقراط وجالينوس وغيرهما.

وعلى الرغم من أن التراجم العربية من المخطوطات اليونانية كانت أحسن من الأصول ترتيبًا وتقديمًا وتفصيلًا، بحيث أصبح الاتصال المباشر بالمؤلفين اليونانيين غير ذى فائدة كبيرة، إلا أن الأوروبيين أبوا إلا أن **يعودوا إلى الأصول الإغريقية للكتب** ويترجموها إلى اللاتينية، خاصة بعد أن وصل إلى أوروبا الرهبان الفارون من القسطنطينية، بعد استيلاء العثمانيين عليها، حاملين معهم مخطوطاتهم القديمة، أو ما بقى منها بعدما ضاع جزء كبير منها على مر مئات السنين. وهكذا بدل الأوروبيون بالكنوز المترجمة عن العربية بنصوصًا قديمة معقدة، فيها الكثير من التكرار والكثير من الأخطاء. إلى جانب هذا، فقد كانت الترجمات عن اليونانية، فى بادئ الأمر أكثر ركاكة وتعقيدًا من الترجمات الأولى عن العربية. وخرجت آثار كل من روفوس وبولس وسلسوس مترجمة إلى اللاتينية حاوية تفاصيل قديمة عفا عليها الدهر.

ونستطيع بسهولة أن نقارن مدى إقبال الأطباء الأوروبيين على نوعى المراجع الطبية التى صارت متاحة أمامهم، فقد **تكرر طبع الموسوعات العربية** بمعدلات تفوق كثيرًا طبعات كتب أبقراط وجالينوس. فعلى سبيل المثال، نجد أن **كتاب «القانون»** لابن سينا، كان من الكتب الأولى التى اعتمد عليها الغرب بشكل كبير فى بدء نهضته، فقد ظهر «القانون» فى ميلانو فى شهر فبراير من عام 1473م، وبعد مرور سنتين طُبع للمرة الثانية، وظهرت فى الوقت نفسه تعليقات وشروح على الكتاب بقلم كاتب إيطالى. بل إن طبعة

ثالثة للقانون ظهرت قبل أن تُطبع أولى مخطوطات جالينوس. وحتى عام 1500م كانت هناك ست عشرة طبعة من «القانون» مقابل طبعة واحدة لجالينوس. وفى القرن الذى تلاه زاد عدد طبعات «القانون» فبلغت العشرين، وصدرت الطبعة تلو الأخرى حتى النصف الأول من القرن السابع عشر. وبهذا يكون كتاب ابن سينا أكثر كتاب طبى درسه طلاب المعرفة فى تاريخ العلم، وأما شروحه والتعليقات عليه فلا يحصيها عد. وفى إثر «القانون» جاءت الطبعات الأولى لكتب «المنصورى» و«الحاوى» للرازى، و«الكليات» لابن رشد و«إيساجوجى» لحنين بن إسحق و«الكتاب الملكى» أو «كمال الصناعة الطبية» لعلى بن العباس.

وقد احتلت **الأسماء العربية** مقامًا علميًا كبيرًا، فلجأ بعض الأطباء الإيطاليين إلى تأليف كتب نسبوها إلى مؤلفين عرب، بغية رفع شأن هذه الكتب وتسويقها. فنسب أحدهم كتابًا وضعه فى علم الأقرباذين (الصيدلة) إلى طبيب عربى زعموا أنه كان تلميذًا لابن سينا فى بغداد وسموه ماسويه الصغير. كما نسب كيميائى مجهول من علماء القرن الثالث عشر كتابه إلى جابر بن حيان، أشهر علماء العرب فى الكيمياء الذى كان اسمه بمثابة سلطة تفرض نفسها على الجميع. كذلك استُخدمت أسماء طائرة الشهرة كابن سينا والرازى والزهراوى وغيرهم ونُسبت إليهم ـ ابن سينا خاصة ـ كتبًا فى الخيمياء (وهو تحويل المعادن إلى ذهب)، وهو الذى كان من ألد أعدائها.

وقد كانت شهرة الأطباء الأوروبيين فى القرن الخامس عشر ووثوق المرضى بهم تعتمد فى المقام الأول على **عمق تأثرهم بمشاهير أطباء العرب**، ومدى الالتزام بتطبيق تعاليمهم العملية على أسرّة المرضى. وهكذا استُخدمت أسماء العلماء العرب المشهورين لكسب رضا أصحاب السلطة والمعاصرين الذين انبهروا بعلوم العرب وكتبهم.

وظل الأمر على حاله فى عصر النهضة الأوروبية، وبقى الوضع جامدًا حتى **تباشير العصر الحديث** عندما وهن تأثير الكنيسة على الفكر الأوروبى. فقد كان معظم رجال العلم الأوروبيين يتبعون رجال الكهنوت ويتقيدون بأوامر الكنيسة، بعكس الأطباء والعلماء العرب الذين كانوا يقفون أحرارًا فى الحياة، غير مقيدين إلا بقيود الحقيقة والعلم. وفى القرن السادس عشر، دب فى الطب الغربى فجأة شعور بالخجل من تقليده

للطب العربى وبقائه قرونًا طويلة نسخة ممسوخة منه. وكانت أول حركة مسرحية معبرة عن هذا العداء السافر الجديد هى واقعة **إحراق كتب ابن سينا وجالينوس** علنًا فى ساحة مدينة بازل السويسرية، فهذه الواقعة، التى قام بها باراسلسوس كانت رمزًا للتفكير المستقل الجديد.

وبالطبع لم يَعن هذا اختفاء التراث العربى من رؤوس العلماء ورفوف المكاتب وجيوب الأطباء، بل **ظل محافظًا على مكانته**، يسرق منه السارقون. فميخائيل سرفيتوس مثلًا نسب لنفسه اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، هذا الاكتشاف العربى لابن النفيس. وفى عام 1545م، انتحل سيلفيوس أستاذ التشريح، تعليقًا خاصًا بابن النفيس أيضًا. كما تعلم أندرياس فيزاليوس اللغة العربية، وهو البلجيكى الأصل الملقب «بأبى علم التشريح وأبى الطب الغربى على الإطلاق»، وبذل الجهد الكبير فى ترجمة ثانية لمؤلف «المنصورى» للرازى وإخراجه فى لاتينية صحيحة، ونُشر كتاب «الحاوى» الضخم والكثير التكاليف خمس مرات فى الحقبة الواقعة ما بين 1486 و 1542، هذا عدا الأقسام العديدة منه التى نُشرت منفصلة مرات ومرات. وطُبعت رسالة الرازى فى «الجدرى والحصبة» فى الفترة ما بين 1489 و 1866ما ينيف على الأربعين مرة، وهى التى نالت إعجاب ألف سنة، وما تزال تعتبر كلاسيكية حتى أيامنا هذه.

وقد فرضت معظم **الجامعات الأوروبية** تدريس عدد كبير من الكتب العربية المترجمة. ففى جامعات باريس وكولون وغيرها كانت دراسة كتاب «زاد المسافر» لابن الجزار مفروضة على طلاب الطب لمئات السنين، حتى القرن السادس عشر، بالإضافة إلى كتب كل من «إيساجوجى» لحنين و«المنصورى» للرازى و«التيسير» لابن زهر، و«الكليات» لابن رشد و«القانون» لابن سينا. وبقيت مؤلفات ابن سينا فى مناهج الدراسة حتى ابتداء القرن السابع عشر، فى كل من جامعتى توبنجن وفرانكفورت الألمانيتين. وإذا كان كتاب «الحاوى» للرازى من أوائل الكتب التى طُبعت عند اختراع الطباعة فى عصر النهضة، فقد أدى الإقبال عليه إلى تكرار طبعه باللاتينية عدة مرات بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، بسبب انتشاره واتخاذه محورًا لتدريس الطب فى **الجامعات الأوروبية** حتى القرن التاسع عشر. وبرغم الغضب الذى حل فى أوروبا على العرب بشكل نهائى والإجحاف الذى لحق بهم، فقد ظلت آثارهم الفكرية العلمية، خاصة فى طب

العيون، على تأثيرها حتى **القرن التاسع عشر**. وهكذا أصبحت تجارب العرب العظيمة واكتشافاتهم واختراعاتهم جزءًا ثابتًا من علم الشفاء العالمى الحديث.

وحاليًا، تمتلئ مكتبات الجامعات الأوروبية والأمريكية بالآلاف من **المخطوطات العربية الطبية وغير الطبية**، تنتظر من يحققها ويكشف عنها السُتُر. وقد تسببت الحرب العالمية الثانية فى فقدان وضياع العديد من المخطوطات العربية التى اختفت كلية أو انتقلت ملكية معظمها إلى المتاحف والمكتبات والمجموعات الخاصة الأمريكية. ولا يُنتظر فى ظل المناخ العالمى الحالى أن يبذل علماء الغرب جهدًا **لتحقيق تلك المخطوطات ونشرها نشرًا علميًا**. والحق أننا كعرب لا يجب أن نقف مكتوفى الأيدى ونترك علماء الغرب يقبرون نفائسنا فى غياهب متاحفهم ومكتباتهم، ويتعين علينا أن نبدأ بأنفسنا وبمخطوطاتنا التى تزخر بها متاحفنا، وهو أمر يحتاج إلى جهد ومال قد لا يتوفر إلا لدى جهات قوية مثل الجامعة العربية، والحكومات العربية المختلفة، ومؤسسات المجتمع المدنى الثرية.

ثالثًا: الطب فى مصر فى العصر الحديث

بدخول القرن الرابع عشر الميلادى، توقف تقدم علم الطب عند العرب كما تجمدت سائر فروع العلم، ثم بدأت أحوالها فى التدهور. وبالرغم من ذلك، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنه أثناء حكم العثمانيين لمصر (بدأ عام 1517) كان **البيمارستان المنصورى** يمثل مستشفى تعليميًا كبيرًا يضم مختلف تخصصات الطب، وكان لكل تخصص شيخ أو نقيب يمثل مرجعًا أعلى ويتمتع بكفاءة علمية وأخلاقية، فكان هناك **شيخ الجراحين وشيخ الكحالين** وهكذا.. ولم يكن أحد من الأطباء يمارس عمله إلا بعد موافقة شيخ التخصص. وفى بعض المسائل القضائية ذات الطابع الجنائى كان يستعان بالأطباء لتشخيص بعض الحالات؛ مما أوجد نوعًا من **الطب الشرعى** الذى يؤخذ فيه برأى الطبيب.. كما شهد العصر طائفة من الأطباء الذين تمكنوا من العلم وحرصوا على تعليم تلاميذهم أصوله وقواعده، وعلى اقتناء الكتب الطبية فى شتى الموضوعات. وممن اشتهر بوضع المصنفات الطبية فى القرن السابع عشر عبد الرءوف المناوى الذى كان

له اهتمام خاص بعلم التشريح، والشيخ شهاب الدين القليوبى الذى تناول فى مؤلفاته الأمراض وطرق علاجها.

كما أثبتت الدراسات الحديثة أن بعض **النساء المصريات فى هذا العصر** بلغن منزلة كبيرة فى تحصيل العلوم، وتولى المناصب العلمية المهمة، كالسيدة نفيسة بنت الشيخ «أبو الحسن البكرى الصديقى» والتى أخذ عنها بعض العلماء، وكذلك بنت العالم الطبيب أحمد بن سراج الدين الملقب بشهاب الدين، رئيس أطباء زمانه، والتى شهد المؤرخون أنها من فرط علمها بالطب **صارت رئيسًا لأكبر مستشفيات مصر** آنذاك وهى البيمارستان المنصورى.

وفى سنة 1835، أصدر لين (Lane) كتابه الشهير **«أخلاق وعادات المصرى الحديث»** وفيه تحدث عن تدهور الأحوال الصحية، بعد قرون من الحكم العثمانى وحكم المماليك، وقال: «إن الغالبية العظمى ممن يمارسون الطب هم من طائفة الحلاقين، ويتسمون بالجهل الشديد بالمهنة التى يمتهنونها وتنقصهم الخبرات بها، وعند المرض يتجاهلهم المصريون ويضعون ثقتهم فى العناية الإلهية والسحر».

وبدأت مقدمات النهضة فى سنة 1805، حين عين السلطان العثمانى **محمد على واليًا على مصر**، التى كانت فى حال يرثى لها من الفوضى. ومن أجل **إعادة تنظيم الدولة على أسس عصرية**، استقدم محمد على الأجانب من كل الجنسيات كمعلمين ومهندسين وأطباء وحرفيين مهرة، كما أرسل سنة 1826 بعثة إلى أوروبا مكونة من 44 طالبًا من مصريين وأتراك وأرمن، واتجه اثنان منهم إلى دراسة الطب، و11 لدراسة النظم العسكرية، ودرس الباقون الزراعة والمعمار والطباعة على الحجر وغيرها من العلوم، وهى البعثة التى كان رفاعة رافع الطهطاوى واعظها. وفى الفترة من 1827 إلى 1833، أُرسل ستون طالبًا آخرين إلى فرنسا، معظمهم من أبناء الفلاحين، درس اثنا عشر منهم الطب والجراحة والصيدلة.

وكانت إعادة **تنظيم الجيش على النمط الفرنسى** من أهم أهداف محمد على، وكان الجيش المصرى مكونًا من 150ألف جندى، احتاجوا للرعاية الطبية. ولتحقيق ذلك، عين محمد على سنة 1824 **الطبيب الفرنسى أنطوان بارتيليمى كلوت** طبيبًا للجيش برتبة كولونيل بعقد مدته خمس سنوات، كما عين ما يقرب من 150 ضابطًا معظمهم

إيطاليين وفرنسيين كأطباء وصيادلة، ثم أنشأ إدارة طبية عسكرية عين على رأسها كلوت بك سنة 1825. وأنشأ كلوت بك مصلحة الصحة ومصلحة الحجر الصحى وعددًا من المستشفيات فى الإسكندرية ورشيد ودمياط والعريش والقصير وعواصم المديريات، كما أنشأ **مستشفى مركزيًا عامًّا فى أبو زعبل**.

اقترح كلوت بك على الحكومة المصرية أن تنشئ **مدرسة للطب** لتخريج أطباء مصريين وتعيينهم كضباط صحيين فى الجيش. وكانت فكرة كلوت بك الأساسية هى تمصير الطب، خاصة بعد أن رأى النتائج الطبية التى حصل عليها المبعوثون. تفنن **ضباط الجيش والبحرية الأتراك** فى وضع العراقيل أمام المشروع، ولم يؤيده إلا محمد على شخصيًّا.

وإضافة **للاعتراضات السياسية**، ظهرت عقبتان جوهريتان كادتا تقضيان على المشروع. **أولاهما الجهل اللغوى المزدوج**، أى جهل الطلبة باللغة الفرنسية وجهل الأساتذة باللغة العربية، وتم تذليل هذه العقبة بتعيين **مترجمين بين الطلبة والأساتذة**، فصار الدرس يُلقى بالفرنسية ثم يُملَى بالعربية على الطلبة فيكتبونه فى كراساتهم. وكان المترجمون الأوائل من الشوام الذين لا يجيدون العربية الفصحى، فيترجمون من الفرنسية إلى العامية، وكان الطلبة لا يفهمون المحاضرات إلا إذا ترجمت إلى الفصحى التى يجيدونها؛ لأنهم درسوا جميعًا فى الأزهر، مما حتم وجود مشايخ تترجم العامية إلى الفصحى، ولكن كان فى ذلك مضيعة كبيرة للوقت. فكان أن تقرر **ترجمة المراجع الأجنبية إلى الفصحى**، وتم ذلك على يد أوائل الخريجين وعلى يد رجال قلم الترجمة الذى تولى رئاسته رفاعة الطهطاوى. ثم جعل كلوت بك **تعلم اللغة الفرنسية** إجباريًّا على جميع طلبة الطب.

وثانى العقبات كانت **تدريس علم التشريح**، حيث كان ذلك يتنافى، حسب مفاهيم المجتمع وقتها، مع تعاليم الإسلام التى تقضى باحترام الموتى. إلا أن كلوت بك طفق يحاور العلماء (المعارضين بشدة) ويجادلهم، حتى أعطى الشيخ حسن العطار موافقته بإباحة تشريح جثث الموتى، فاقتنع الطلاب وهدأوا، بل واشتد اهتمامهم بالتشريح حتى صار البعض منهم يأخذ أعضاء بشرية إلى منازلهم ليشرحوها.

وبعد تذليل كل العقبات، افتتحت **مدرسة الطب بمستشفى أبو زعبل** فى عام 1827، فانضم إليها مائة طالب اختيروا من بين طلاب الأزهر، وكانت الحكومة تدفع لهم مرتبات شهرية لنفقتهم الخاصة. وقد سارت مدرسة الطب **على نهج مدرسة باريس الطبية** وكتبها

ونظامها المكون من ست سنوات، وكانت المراجع كلها فرنسية. غير أنه سرعان ما تشكلت لجنة شرعت فى ترجمة المراجع الطبية الكبيرة، وبلغت جملة ما تمت ترجمته أثناء فترة إشراف كلوت بك على التعليم الطبى فى مصر 52 مرجعًا طبيًّا (ذُكر فى مرجع آخر أن العدد هو 86 كتابًا)، ولم يُترجم مثل هذا القدر فى أى أمة من أمم الشرق. كما أصبح للمدرسة متحف للتاريخ الطبيعى ومكتبة غنية بالكتب التى أهداها إليها أساتذة باريس ومونبيلييه.

وبعد ست سنوات، بدأت المدرسة فى تخريج الأطباء بأعداد تغطى احتياجات الجيش، وأُرسل اثنا عشر طبيبًا من النابهين إلى باريس لاستكمال تخصصهم، وقد أقاموا الدليل على براعتهم فى امتحان باللغة الفرنسية أمام الأكاديمية الطبية الباريسية، فحصلوا على معادلة لشهادتهم من جامعة الطب فى باريس. وقد بقى الأطباء فى فرنسا نحوًا من تسع سنوات لاستكمال دراساتهم العليا، ولم يكن منصب الأستاذية فى مدرسة «أبو زعبل» يؤول إلا لمن كان حاصلًا على أعلى الدرجات العلمية، وقضى خمس سنوات مساعدًا لأحد الأساتذة الكبار فى فرنسا. وبذلك انتقلت مصر من علاج العصور الوسطى المسمى بعلم الرُّكَّة إلى العلاج بوسائل العلم الحديث.

وفى سنة 1838، أُفتتحت مدرسة القابلات لتعليم فنون التوليد، تحت إشراف سيدة فرنسية، وكانت المدرسة الأولى من نوعها فى الشرق. وكانت الدراسة فيها خمس سنوات، وألحق محمد على بها عددًا من الجوارى كتلميذات، وكانت غالبيتهن من الحبشيات والسودانيات، وفيما بعد أعتقهن.

وفى سنة 1837، انتقلت مدرسة الطب إلى القصر العينى، الذى كان قصرًا كبيرًا بناه حوالى سنة 1466 أحمد بن العينى، وهو حفيد السلطان خوشقدم.

وفى عام 1863، عُين الجراح الشهير محمد على البقلى باشا ناظرًا لمدرسة الطب، واستمر مديرًا لها لمدة ستة عشر عامًا، كانت أزهى عصور المدرسة. وبلغ عدد الطلاب فى عهده مائة طالب، وكان التعليم كله باللغة العربية، وكان المدرسون العشرون كلهم مصريين (إلا واحدًا)، ونشطت فى عهده البعثات إلى أوروبا، وتُرجم العديد من المراجع إلى العربية. كما أصدرت المدرسة أول مجلة طبية عرفتها مصر باسم «اليعسوب».

وفى عام 1898 تم تغيير لغة التدريس بالمدرسة إلى اللغة الإنجليزية، وفى عام 1905 تم

معادلة شهادة التخرج من المدرسة بالشهادات البريطانية، مع السماح للأطباء المصريين بالتقدم لنيل درجة زمالة الكليات الملكية البريطانية للباطنيين والجراحين.

وفى مارس 1926، تم تحويل مدرسة الطب إلى كلية جامعية. وفى عام 1929 أُنتخب على باشا إبراهيم كأول عميد مصرى للكلية ومدير للمستشفى، وقد قام بنهضة كبيرة وأقدم على إصلاحات مؤثرة.

وقد ساهمت كلية طب القصر العينى فى تزويد الجامعات التى أنشئت بعدها بأعضاء هيئة التدريس وتدريب أطبائها. بدأ ذلك بجامعة فاروق (الإسكندرية) سنة 1942، ثم جامعة إبراهيم باشا الكبير (عين شمس) سنة 1947، فأسيوط سنة 1960، والمنصورة وطنطا سنة 1962، والزقازيق سنة 1970. واستمر تزايد كليات الطب فى الجامعات المختلفة حتى بلغت عشرين كلية حتى الآن.

القارئ الكريم...

إن نظرة متأملة ترينا دورة مدهشة للطب، من مصر وإليها. فإذا كان الضمير الإنسانى قد بزغ فى مصر القديمة، كما يقول عبقرى المصريات العظيم برستيد، فيمكن القول إن الطب ـ كعلم يتجاوز السحر والفولكلور ـ قد وُلد على أيدى المصريين القدماء. وعندما بلغ الطب المصرى عنفوانه وشدته فاض على الطب اليونانى من خلال عدة قنوات، أهمها مدرسة الإسكندرية. وعندما تقهقر شأن الطب فى مصر، تقدم الطب اليونانى خطوات واسعة قطع فيها شوطًا لا بأس به، ثم أصابه هو أيضًا الاضمحلال، وبقيت كتابات عظماء الأطباء الأغريق أمثال جالينوس وأبقراط فى أيدى أقوام (اليونانيين والرومانيين) لا يدركون قيمتها. ثم جاء العرب والمسلمون ونقلوا هذه المعارف إلى لغتهم، وطوروها وأضافوا إليها الكثير والكثير.

ويدور الزمان دورته، وتبدأ إرهاصات النهضة الأوروبية، فقامت حركة ترجمة كبيرة للعلوم المختلفة (خاصة العلوم الطبية) من العربية إلى اللاتينية. وفى هذه الخطوة لم يكن الغرب يسترد علوم أجداده اليونانيين والرومانيين، بقدر ما كان ينهل من نبع الحضارة العربية الإسلامية الصافى طِبًّا تصاغرت أمامه تراجم الأوروبيين المباشرة عن اللغة اليونانية لكتابات جالينوس وأبقراط.

ويدخل الطب العربى فى طور أفول، **ويصل فى مصر إلى درك مفزع**، لم ينقذها منه إلا **نهضة مصر الحديثة** على يد محمد على، **فأدت أوروبا بعضًا من دَيْنها لمصر**، عندما أنشأ كلوت بك مدرسة الطب وأرسل البعثات إلى أوروبا، واستقدم الأوروبيين للمساهمة فى تعليم شباب مصر، **وبذل المصريون الجهد الكبير حتى وصلوا إلى مرتبة عالمية**.

هل توقفت الدودة عند ذلك الحد؟... لا ...

لقد جاء دور مصر الحديثة لتساهم مرة ثالثة **(بعد الطب المصرى القديم - والطب العربى الإسلامى)** فى تقدم الطب، **وكان ذلك على ثلاثة محاور:**

المحور الأول: الطب داخل مصر

تقدمت الرعاية الطبية فى مصر فى العقود الأخيرة بخطوات واسعة؛ **فبلغ عدد الأطباء المصريين** طبقًا لإحصائيات عام 2011 **أكثر من مائتى ألف طبيب، بمعدل طبيب لكل 425 نسمة** من إجمالى سكان مصر، وهو فى حدود **المعدل العالمى المطلوب** للممارسة الآمنة للطب **(طبيب لكل 400 - 500 شخص).**

وقد تجاوز عدد **الإخصائيين والاستشاريين** (الحاصلين على الدكتوراه والماجستير ودبلوم التخصص) **85 ألف طبيب**. ومن الأرقام ذات الدلالة **أن عدد الطبيبات** من إجمالى المائتى ألف طبيب يبلغ **73 ألف طبيبة. أما عدد أبناء مصر من الأطباء والطبيبات** الذين يبذلون علمهم خارج حدود مصر فيتراوح **بين أربعين وخمسين ألف طبيب وطبيبة**[(1)].

ولم يقف عطاء كليات الطب المصرية عند تعليم أبناء مصر فقط، **بل امتد إلى أبناء دول العالم العربى والإسلامى ودول آسيا وأفريقيا. وإذا أخذنا كلية الطب بجامعة عين شمس كمثال**، وجدنا تبعًا لإحصائيات عام 2011 **أن عدد الطلبة غير المصريين** فيها

(1) تبعًا لأرقام الحاسب الآلى لنقابة الأطباء المصرية فى 20/ 4 / 2011، بلغ إجمالى عدد الأطباء الإخصائيين والاستشاريين فى مصر 94143، وعدد الممارسين (غير المتخصصين) 128937، وعدد الأطباء الرجال 141591، وعدد الطبيبات 81489. وقد قمت (بناء على رأى النقابة) بخصم ٪10 من هذه الأرقام مقابل وفيات الأطباء فى الفترة السابقة.

وبالرغم من أن عدد المرضى لكل طبيب ينافس المعدلات العالمية، فلا شك أن هناك بعض العوائق التى تواجه إيصال الخدمة الطبية للمرضى بالمستوى اللائق.

يبلغون حوالى ألف طالب نصفهم من الماليزيين والنيجيريين، وهذا العدد يبلغ حوالى ٪12 من طلبة الكلية البالغ قرابة 9500 طالب فى جميع سنوات الدراسة بالكلية.

وإذا كانت هذه الأرقام تعكس **تميزيًا كميًّا** فى الخدمات الطبية فى مصر الحديثة، **فإن ذلك يصحبه تميزًا كيفيًّا** فى الكثير من المجالات الطبية، نستشهد على ذلك بمجال يعكس تفوقًا علميًّا وتقنيًّا كبيرًا، وهو جراحات **زراعة الأعضاء** خاصة زراعة الكلى والكبد، فمصر تُعتبر من أكبر مراكز هذا التخصص فى المنطقة. وقد جعل هذا التميز الكمى والكيفى من مصر مركزًا للسياحة العلاجية، يقصدها طالبوا الرعاية الطبية من الدول المحيطة على مدار العام.

المحور الثانى: تجاه الدول العربية

يدرك كل منصف ما قام به الأطباء المصريون من جهود كبيرة فى مجال الطب فى الدول العربية شرقها وغربها، وكان ذلك **فى مجالى العلاج والتعليم**. فلا تكاد تجد أسرة عربية لم يتلقى أحد أفرادها علاجًا على يدى طبيب مصرى، ولا تكاد تجد طبيبًا عربيًّا لم يتلق تعليمه الطبى الأساسى وبعضًا من تعليمه المتخصص على يدى أستاذ مصرى، سواء حَصَّل ذلك فى مصر أو فى بلده، فقد كان لأساتذة الطب المصريين الفضل فى إنشاء معظم كليات الطب فى جميع الدول العربية.

المحور الثالث: تجاه العالم الغربى

توجه الأطباء المصريون فى العصر الحديث إلى الغرب لتحصيل آخر ما توصلت إليه علوم الطب فى العالم، وما زال الكثير من هؤلاء يعودون إلى وطنهم لينقلوا إليه ما حصلوه من علوم الطب.

وقد أظهر عدد كبير من الأطباء المصريين نبوغًا أثناء دراستهم فى الغرب، مما حدا الدول الغربية إلى تقديم التسهيلات لهم من أجل القيام بأبحاثهم والمساهمة فى المنظومة العلاجية فى تلك البلاد، حتى صار الكثيرون من هؤلاء جزءًا من نسيج تلك المجتمعات لا تستغنى عنه.

ومن أجل أن نستشهد على دعوانا تلك، ينبغى أن نقف مع بعض الإحصاءات وبعض الأمثلة:

تبعًا لإحصاء **الاتحاد العربى الأمريكى الطبى الوطنى NAAMA** عام 2010، يبلغ عدد الأطباء العرب العاملين **بالولايات المتحدة 15000** طبيب (يمثلون 1.5٪ من أطباء الولايات المتحدة) ثلثهم من مصر (5000) طبيب.

وتبعًا لإحصائية صادرة عن **جامعة الدول العربية** (عام 2005) فإن 34٪ من الأطباء الحاصلين على الزمالات البريطانية (المعادلة للدكتوراه) **والعاملين فى بريطانيا** من أصل عربى، منهم 10٪ من المصريين.

وتبعًا لإحصاء **الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء** (عام 2010) فإن أكثر من 2600 من العلماء والخبراء المصريين يشغلون **أرقى المناصب العلمية خارج مصر**، فى الطب والهندسة وعلوم الفلك والفضاء والأحياء الدقيقة والليزر والحاسبات الإلكترونية والعلوم الإنسانية. ومن هؤلاء المتفوقين، توجد فى العالم الغربى الأعداد الآتية: الولايات المتحدة 844 ـ ألمانيا 344 ـ كندا 196 منهم 8 عمداء كليات ـ إنجلترا 142 ـ فرنسا 132ـ النمسا 131 ـ سويسرا 107 ـ هولندا 86، وغيرهم فى إيطاليا واليونان.

وإذا اخترنا أن نضرب بعض الأمثلة لهؤلاء النبغاء والمتميزين، فلا شك أن مثالنا الأول سيكون **الدكتور أحمد زويل** الحاصل على جائزة نوبل فى الكيمياء (منفردًا) عام 1999، وهو يشغل منصب أستاذ الفيزياء فى هيئة التكنولوجيا بكاليفورنيا (جامعة كالتك). وقد حصل على أكثر من خمسين درجة علمية وجائزة عالمية. وقد وُصف بأنه جاليليو عالم الفيمتو؛ إذ مكن البشرية لأول مرة من رصد حركة الذرات داخل الجزيئات الكيميائية. وبالرغم من أنه ليس طبيبًا، فإن استخدامه لأحدث ابتكاراته (آلة التصوير التى تستخدم تقنية الليزر) فى تصوير دقائق التفاعلات داخل الخلايا الحية، قد يرشحه لجائزة نوبل أخرى فى الطب، كما يتوقع البعض.

ومثله أيضًا (كعالم فيزياء مهتم بالعلوم الطبية) **الدكتور مصطفى السيد**، الذى يرأس مركز أطياف الليزر بمعهد جورجيا للعلوم والتكنولوجيا، وقد كرمه البيت الأبيض الأمريكى ومنحه وسام العلوم لإنجازاته فى مجال التكنولوجيا الدقيقة «النانو»، وتطبيقه لهذه التكنولوجيا باستخدام جزيئات الذهب فى علاج السرطان.

ومن أشهر الأسماء فى مجال الطب النفسى فى الولايات المتحدة (وإن كان يعيش فى القاهرة) الدكتور أحمد عكاشة، أستاذ الطب النفسى فى كلية الطب بجامعة عين شمس.فقد شغل منصب رئيس الجمعية العالمية للطب النفسى (2002 ـ 2005)، وهو نائب رئيس الأكاديمية العالمية للطب النفسى السلوكى والعلاج النفسى بكلورادو. ورئيس اتحاد الأطباء النفسيين العرب

وفى مجال الجراحة، تُباهى مصر بابنها سير مجدى يعقوب، أستاذ جراحة القلب بكلية إمبريال بلندن، والذى كان عضوًا فى أول فريق إنجليزى نجح فى زراعة القلب وزراعة الرئتين. وينظر إليه باعتباره الجراح الذى أجرى أكبر عدد من عمليات نقل الأعضاء من العالم. وقد حاز العديد من الجوائز العالمية، ومنحته ملكة إنجلترا لقب سير Sir تقديرًا لجهوده وعرفانًا بفضله.

ونختم استشهاداتنا بإحدى بنات مصر العظيمات، **الدكتورة رشيقة الريدى** أستاذة علم المناعة بجامعة القاهرة وإحدى أشهر خمس عالمات فى هذا المجال فى العالم. وقد حصلت على جائزة اليونسكو فى العلوم عام 2010، لمساهمتها الكبيرة من أجل التوصل إلى لقاح ضد البلهارسيا، والذى سيستفيد منه أكثر من 200 مليون إنسان فى العالم، كما ذكرت اللجنة المانحة للجائزة.

ونختم رحلتنا مع الطب فى مصر فى العصر الحديث بأمنية، أمنية بأن نرى ثورة الخامس والعشرين من يناير وقد دفعت بالطب المصرى خطوات كبيرة للأمام تمكنه من المشاركة فى بلوغ مصرنا العظيمة المرتبة التى تستحقها.

رابعًا: تعريف بالكتاب والكاتب

يُعتبر كتاب «الطب المصرى القديم Ancient Egyptian Medicine» لمؤلفه الدكتور «جون ف. نن John F.Nunn» الذى نقدم له، أحد أهم خمسة كتب عن مصر القديمة.

والمؤلف «د. جون نن» كان يعمل قبل تقاعده رئيسًا لقسم التخدير فى مركز الأبحاث الإكلينيكية التابع لمجلس الأبحاث الطبية البريطانى، وهو عضو بجمعية استكشاف مصر، وأحد أكبر علماء المصريات المعاصرين، وله عدد من الكتب والأبحاث عن مصر القديمة، وأنفق من عمره عشرين عامًا فى دراسة الطب المصرى القديم. ومن ثَمَّ يُعتبر

جون نن رجلًا فريدًا فى جيله، جمع بين التخصص فى الطب والتخصص فى المصريات، فكان هو الرجل المناسب ليخرج لنا هذا السفر القيم الممتع.

وقد اعتمد المؤلف على البرديات الطبية وترجمها من لغاتها الأصلية القديمة (الهيراطيقية والهيروغليفية) وقارن ترجماته بالترجمات السابقة. كما جمع المعلومات عن الطب المصرى القديم من مصادرها الأصلية الأخرى، كالمومياوات والهياكل العظمية والتماثيل والنقوش والرسوم.

وفى هذه الرحلة الممتعة، **يشعر القارئ كأنه يحيا مع الطبيب المصرى القديم**؛ كأنه يراه وهو يفحص المريض ويجمع البيانات ويُعمل عقله وصولًا إلى تشخيص المرض، ومقارنًا ومختارًا بين طرق العلاج المتاحة. ويستطيع القارئ ذو الثقافة الطبية أن يستشعر ـ من خلال عرض جون نن ـ أوجه الشبه الكثيرة بين الطب المصرى القديم وبين الطب المعاصر، خاصة فى مجال الإصابات.

وفى خضم المعلومات الغزيرة، لا يفوت المؤلف أن يحملنا معه إلى **عالم الكهانة والسحر**، الذى كان قريب الصلة بالطب عند المصريين القدماء، فينقل لنا العديد من الرُّقى والتعازيم التى كان الأطباء والكهنة والسحرة المصريون يستعينون بها فى العلاج.

وينبغى أن نسجل هنا موقفًا يستشعره المهتمون بالطب المصرى القديم عندما يطالعون الدراسات الغربية فى هذا المجال. **إن الباحثين والكتاب الغربيين يتخلون عن حيادهم العلمى عند مقارنة الطب المصرى بالطب اليونانى ـ الرومانى**، فنجدهم يقللون من مدى تأثر اليونانيين بالطب المصرى، بل ويعقدون مقارنات غير عادلة بين مدرستين من الطب يفصل بينهما ألف أو ألفين سنة!! وسنقف فى عرضنا للكتاب عند أمثلة عديدة نستشهد بها على رأينا هذا. وإذا كان الباحثون الغربيون يتفاوتون فى درجة تعصبهم للحضارة اليونانية ـ الرومانية، التى هى أصل حضارتهم الغربية، فإن جون نن يُعتبر من أقلهم ميلًا عن الحيادية.

وقبل أن نختم هذه المقدمة بسرد سريع لفصول الكتاب، ينبغى أن **نتوجه بالشكر للأستاذ بسام الشماع** المتخصص فى الحضارة المصرية، فبالإضافة إلى أنه صاحب الاقتراح بترجمة هذا الكتاب الصعب، فقد ساعد المترجمين على فهم الكثير من المصطلحات المصرية القديمة.

كما لا يفوتنا أن نتقدم للمهندس عادل المعلم صاحب مكتبة الشروق الدولية بالشكر لاهتمامه بإخراج هذا الكتاب ليكون إضافة للمكتبة العربية، غير مبالٍ بما تكبده من وقت وجهد ومال.

ويشتمل الكتاب على عشرة فصول ومقدمة وملحقين[1].

وتهتم **المقدمة** بعرض الصعوبات التى تواجه الباحثين فى علم المصريات بصفة عامة وفى الطب المصرى القديم بصفة خاصة. كما يقدم المؤلف الشكر لكل من أعانه على تأليف الكتاب.

وفى الفصل الأول «**مصر هبة النيل**»، يقوم المؤلف بجولة مع جغرافية وادى النيل، ومع التاريخ المصرى القديم، ثم يستعرض إنتاج الغذاء والوضع الغذائى فى مصر. ويعرفنا المؤلف فى آخر الفصل إلى الإنسان المصرى القديم وسماته وأبجديته.

ويعرض الفصل الثانى «**البرديات الطبية**» التى تمثل المصدر الرئيسى للمعلومات عن الطب المصرى القديم. وقد قام المؤلف بتعريفنا إلى كل بردية؛ مصدرها، لغتها، تاريخها، بنائها، محتواها.

ويبهرنا الفصل الثالث «**العلوم الطبية الأساسية عند المصريين القدماء**»؛ إذ نجد فيه أن الطب المصرى القديم قد اعتمد على العلوم الطبية الأساسية (التشريح، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم طبائع الأمراض) تمامًا مثل الطب الحديث. وإذا كنا نلاحظ تفاوتًا كبيرًا فى تفاصيل هذه العلوم بين زماننا وزمن القدماء، فإن تصوراتهم كانت تتسم بالتفكير العلمى فى هذا الزمن الضارب فى القدم.

ويعرض الفصل الرابع «**أمراض مصر القديمة**» مصادر المعرفة عن أمراض مصر القديمة، ثم يقسم هذه الأمراض إلى مجموعات؛ تارة بناء على أسباب المرض (الطفيليات، البكتريا، الفيروسات، التشوهات، السرطان، الاضطرابات الغذائية والغدد الصماء)، وتارة تبعًا لأجهزة الجسم وأعضائه التى تصيبها الأمراض.

ويبين لنا الفصل الخامس «**السحر والدين فى الطب المصرى القديم**» دور هذه القوى

(1) يحتوى الكتاب الأصلى على أربعة ملاحق، رأينا إسقاط اثنين منها لشدة تخصصها، وعدم أهميتها حتى للقارئ المتخصص.

الغيبية فى المنظومة العلاجية المصرية القديمة، ومدى العلاقة بين مهام كل من الطبيب والساحر والكاهن.

ويهتم الفصل السادس «المعالجون»، بدور الأطباء فى المجتمع المصرى القديم، ويستعرض عددًا من أعلامهم، وطريقة تدريبهم. كما يستعرض الخدمات الطبية المعاونة كالصيدلة والتمريض والطب الطبيعى و...

ويركز الفصل السابع **«العلاج الدوائى»** على العلاج بالعقاقير، فيعرض علينا طرق تحضير وتعاطى الدواء، وتحديد الجرعة. ثم يعرض المؤلف دستور الأدوية المصرى القديم (الفارماكوبيا)، وما يحتوى عليه من أدوية من أصول معدنية وحيوانية ونباتية. ثم يدرس مجموعات الأدوية المختلفة تبعًا لمفعولها واستخداماتها.

والفصل الثامن **«الجراحة والإصابات والحيوانات الخطرة»** فصل مدهش، نلمس فيه تشابهًا كبيرًا فى منهج تناول المصريين القدماء للإصابات ولدغ الثعابين ولسع العقارب مع المنهج العلمى المتبع فى العصر الحديث، سواء فى أسلوب عرض وفحص المريض، أو فى خطوات علاجه.

ويهتم الفصل التاسع **«أفرع الطب المتخصصة»** بأمراض النساء والتوليد، ونرى فيه الكثير من المفاهيم الطبية المعاصرة؛ كاختبارات قياس الخصوبة، واختبارات الحمل، ووسائل منع الحمل، ومشاكل ما بعد الولادة، وتقييم وعلاج الأطفال حديثى الولادة. ثم يعرض علينا بعض الفروع الأخرى؛ كأمراض العيون، وأمراض الأسنان.

وخصص المؤلف الفصل العاشر **كخاتمة**، ركز فيها على مناقب الطب اليونانى! بدلًا من أن تكون تعليقًا على الطب المصرى القديم، لذلك أعطينا هذا الفصل اسم **«الخاتمة.. ثم ماذا بعد؟»**. ونرى فى ذلك العرض تعصبًا للحضارة الإغريقية على حساب الحضارة المصرية القديمة.

لذلك نختم هذا التقديم بجملة عبر بها العالِم الفيلسوف اليونانى أفلاطون عن انبهاره بما شاهده فى مصر، حين زارها فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، قال:

«نحن الإغريق نقف كالأقزام إذا ما قورِنَّا بالحضارة المصرية».

كلمة افتتاحية

يشيع الاعتقاد على نطاق واسع فى الغرب بأن الممارسات الطبية كما نعرفها فى عصرنا الحاضر ترجع أصولها إلى **الطب الإغريقى الرومانى**. وهناك عوامل عديدة حفظت مدرسة «أبقراط» و«جالينوس» وغيرهما من أطباء الإغريق، حتى إن قدرًا كبيرًا من كتاباتهم بقيت سليمة ونافعة على مدى العصور بلغات متداولة. كذلك تتوافر لنا تصويرات واضحة لإجراءات علاجية قاموا بها، كما بقيت أيضًا أدوات ومعدات جراحية كثيرة من مخلفات الإمبراطورية الرومانية بحالة ممتازة. كل ذلك يُمَكِّننا من وضع تصور واضح وجيد لما كانت عليه مهنة الطب فى المراحل المبكرة للإمبراطورية الرومانية.

وفى المقابل، نجد أن إدراكنا لما كان عليه **الطب فى عصور مصر القديمة** تعوقه صعوبات كثيرة لا تنطبق على الحقبة الإغريقية الرومانية. من ذلك أن **المخطوطات المصرية** بقيت بردياتها مستعصية على الباحثين، بعد أن توقف الاتصال بلغتها منذ المراحل المبكرة لدخول المسيحية مصر حتى عام 1822؛ عندما تمكن شامبليون من كشف غموض اللغة الهيروغليفية فى أعقاب المحاولات التمهيدية التى قام بها كل من إيكربلاد (1802)، وتوماس يونج (1819). وإلى يومنا هذا ما زلنا نفتقر إلى إدراك طريقة المصريين القدماء فى التحدث بهذه اللغة، وإلى معرفة ما تعنيه العديد من كلماتها التى ما زال يكتنفها الغموض.

بالإضافة إلى ذلك، فإن المعارف الطبية التى بقيت من الأزمنة الفرعونية (بعد أن

تمكننا من قراءتها) تقل كثيرًا عمَّا بقى من أيام اليونان والرومان، ولا يتوفر مما رواه المرضى عن معاناتهم وتجاربهم سوى قدر ضئيل. إن ذلك لا يُقارن بكتابات سلسوس، وبلايني، والوصف التفصيلي لبعض الجراحات كجراحة أُجريت لنزع دوالى الساقين عند ماريوس، أو يوميات إيلياس أريستيدس. كذلك لم يتبقَّ شيء من الأدوات الطبية التى كان يستخدمها المصريون القدماء قبل الحقبة الرومانية، ولم يبق سوى قدر ضئيل من التصاوير التى تمثل الإجراءات العلاجية.

وإذا كان الباحثون يعانون من صعوبة الانتقاء من الكم الوفير من المادة الطبية التى وصلتنا من العصر الرومانى، نجد أن مشكلة البحث فى الطب الفرعونى تتمثل فى صعوبة تفسير القدر الضئيل الذى تبقى منه. ولعل جانب السبق الكبير عند دراسة الطب الفرعونى هو ما تحقق من المحافظة المدهشة على الجسد الإنسانى ذاته، عن طريق فن التحنيط؛ مما سمح بدراسة الكثير من الأمراض.

وهناك صعوبات أخرى تواجه دراسة الطب الفرعونى، **تتمثل فى الامتداد الزمنى الكبير للحضارة المصرية**؛ فقد كانت الدولة القديمة سابقة لعصر «أبقراط» بقرون تعادل ما يفصلنا عنه الآن. كذلك نعيش الآن زمنًا تتطور فيه الممارسات الطبية بسرعة هائلة تتزايد مع الزمن، حتى صار ما حققه الطب من تقدم خلال القرن الماضى يفوق بكثير ما حققه فيما بين عصور الفراعنة والعصر الفيكتورى[1]؛ مما يزيد من صعوبات الإدراك والفهم الدقيق لطب مصر القديمة.

ولا شك أن العزلة الجغرافية والتاريخية التى تُميز حياة المصريين القدماء وانقطاع لغتهم، مع الروعة التى تتصف بها آثارهم، يدفع للاعتقاد بأن مصر كانت مستودعًا **للمعارف الخفية والغامضة، خاصة فى مجال الغيب وما وراء الطبيعة**، وقد بذل العاشقون لعلم المصريات محاولات صادقة ومستميتة من أجل استجلاء هذه الأسرار والغوامض. وتمتد هذه المفاهيم إلى مجال الطب، حيث تكثر المزاعم التى يُحتمل عدم صدقها، سواء كانت تقوم على الاستنتاج والاستقراء، أو التفسير المفرط فى الخيال لما هو مدون فى البرديات. وكثيرًا ما تحظى مثل هذه التصورات والمزاعم بالانتشار والذيوع؛ مما يؤدى إلى المزيد من التصورات التى تُبعد كثيرًا عن الحقيقة. والواقع أنه **ليست هناك حاجة إلى**

(1) الفترة التى حكمت فيها الملكة فيكتوريا إنجلترا، بلغت 64 عامًا (1837 ـ 1901م) ـ (المترجم).

المبالغة فيما كان لدى المصريين القدماء من مهارة طبية؛ فالذى توصلوا إليه على مدى الثلاثة آلاف عام السابقة لعصر المسيحية كان يتصف بالعظمة والامتياز، ويتناسب مع إنجازاتهم فى كثير من المجالات الأخرى التى طرقوها.

ومن الصعوبات التى اعترضتنا عند تأليف هذا الكتاب، **إدراكنا لاتساع مجال المعرفة التخصصية لدى من يشتاقون إلى قراءته**، وهؤلاء من بينهم أطباء وعلماء فى الأحياء، ومؤرخون للطب، وعلماء فى المصريات. وفى المقابل، فإن غير هؤلاء من القُرَّاء قد لا يكونون على دراية بأىٍّ من هذه المجالات، أى يفتقرون إلى المعلومات الأساسية اللازمة لفهم الموضوع، ومع ذلك فقد حرصتُ على أن أجعل مادة الكتاب فى متناول الجميع.

هذا، ولا يتسنى التعرف إلى الطب الفرعونى وإدراك حقائقه دون التمكن من فهم **معانى الكلمات الواردة باللغة المصرية**. والكلمات التى يتعذر ترجمتها ـ مع الوثوق بقيمة هذه الترجمة ـ كثيرة؛ مما اضطرنى إلى الإتيان ببعض المصطلحات الطبية كما وردت. ولكى أتجنب تشويه النصوص، لجأت إلى الإتيان بنطق الكلمات المصرية تبعًا لنطق المتحدثين بالإنجليزية، مدركًا أن التوافق التام أمر متعذر تمامًا؛ إذ لا نعرف كيف كان المصريون ينطقون بها[1].

وعلى كل من يكتب عن الطب المصرى القديم أن يكون مدركًا **للجهود التى بذلها من سبقوه، معطيًا لهم ما يستحقونه من التقدير، ذلك لما يتصف به هذا المجال** المتعدد فى فروعه وتخصصاته وغموضه من الاتساع.

ولم يكن لهذا البحث أن يخرج إلى الوجود لولا **العون الهائل الذى تلقيته من مصادر متعددة**، يأتى فى مقدمتها ما أدين به للراحل السيد سيريل سبول، والسيدة كارول أندروز، اللذين أخذا على مدى ربع قرن يبذلان جهدًا كبيرًا ومثمرًا فى تدريس اللغة المصرية لواحد من الأطباء المتخصصين وتوجيهه نحو دراسة برديات الطب، ولم يكن ممكنًا أن يتاح لأحد خير من هذين المُعلمين. كما أذكر بكل تقدير العون الذى لا حد له، والذى

(1) أضفنا مع بعض الكلمات المصرية القديمة النطق باللغة العربية إذا كان يختلف عن النطق بالإنجليزية، وكان أقرب إلى المصرية القديمة. مثال ذلك كلمة «Ankh»، فالمصريون القدماء كانوا ينطقونها «عنخ» إذ كانوا ينطقون حرف العين، أما بالإنجليزية فتنطق «أنخ» ـ (المترجم).

تلقيته من هيئة المتحف البريطانى (خاصة من السيدة كارول أندروز، والدكتور ستيفن كويرك، والدكتور رالف جاكسون، والدكتور ريتشارد باركنسون والدكتور جون تيلور) والذى تضمن إمدادى بمعلومات كانت جديدة علىَّ، ولم يكن لى أن أحصل عليها.

كما يذكر المؤلف فى هذه الافتتاحية أنه لم يكن ليستطيع ترجمة «بردية بروكلين» فى موضوع لدغة الثعبان لولا معاونة البروفيسور دافيد واريل الأستاذ بجامعة أوكسفورد[1].

ويستمر المؤلف فى الإقرار بفضل من عاونوه، سواء بالإمداد بالمعلومات أو بالمراجعة اللغوية، آتيًا فى سياق ذلك بأسماء كثيرة لا نظن أنها تهم القارئ العربى أو أنها معروفة له. ثم فى النهاية **يشكر زوجته العزيزة** لكونها «احتملت فى صبر ودون تذمر، عبء الحياة مع زوج منشغل وغارق إلى أذنيه فى محاولة تأليف كتاب».

---

(1) وفى مجال الجهود التى تُبذل لترجمة البرديات، نذكر **إدوين سميث** صاحب البردية المعروفة باسمه، وهو أمريكى (1822 ـ 1906م) يهوى جمع التحف الأثرية والآثار القديمة، اشترى أثناء عمله فى أسوان عام 1862م أوراق بردى من تاجر يدعى مصطفى أغا، تحوى أول رسالة علمية عرفها البشر وأول بحث فى الجراحة يتضمن 48 نوعًا من الإصابات، وترجع هذه الرسالة إلى 1900 ـ 1600 ق.م، وتقوم على علم الطب عند قدماء المصريين كما كان قبل ذلك بألف سنة. وعندما توفى إدوين سميث قامت ابنته بتسليم البردية للجمعية التاريخية بمدينة نيويورك. وفى سنة 1920م، كُلف **عالم المصريات الشهير جيمس بريستيد** بترجمتها، وأتم ذلك عام 1930م، وهى الآن محفوظة فى الأكاديمية الطبية بمدينة نيويورك. وقد نقلها للعربية **العالم الطبيب الأديب الدكتور محمد كامل حسين أستاذ جراحة العظام** وأوردها فى كتابه «متنوعات» الذى نشرته دار المعارف المصرية فى أواسط القرن العشرين ـ (المترجم).

الفصل الأول

مصر هبة النيل

The land of The Nile

- جغرافية وادى النيل
- جولة مع التاريخ المصرى القديم
- الغذاء فى مصر القديمة
  - إنتاج الغذاء
  - الوضع الغذائى
- الإنسان المصرى القديم
  - البنية الجثمانية (الجسدية)
  - الملابس
  - متوسط الأعمار
- اللغة والكتابة المصرية القديمة
- بيئة مناسبة لقيام منظومة طبية



نشأ الطب المصرى فى بيئة فريدة متميزة، فجغرافية مصر تختلف عن نظيرتها فى أى بلد فى العالم، كما تنفرد مصر بأحداث تاريخية وثقافية أفرزت منظومة طبية معقدة بدأت منذ أشرق فجر الألفية الثالثة قبل الميلاد.

جغرافية وادى النيل

ظلت **حدود مصر ثابتة عبر التاريخ** ـ من الشلال الأول على نهر النيل حتى البحر المتوسط ـ وهى نفس الحدود السياسية الحالية (شكل 1:1). وتحيط **الصحراء** بالوادى الضيق من الشرق والغرب، فكانت **الدرع الواقى لمصر** ضد هجمات الأعداء طوال الألفية الثالثة والثانية قبل الميلاد؛ مما أتاح لمصر تركيز جهودها العسكرية الدفاعية فى الجهة الجنوبية والبوابة الشرقية التى تربطها بآسيا، كما احتاجت لدفاعات قليلة غربًا قبالة ليبيا. وقد كانت هذه **الأوضاع الجغرافية الآمنة** سببًا فى الاستقرار الاجتماعى والسياسى، الذى ساعد بدوره على تنمية الهوية القومية والاعتزاز بالذات، وقد صورت الآثار الفرعونية الشعوب الأجنبية التى حاولت دخول مصر على هيئة جثث، أو أسرى، أو وهم صاغرون يقدمون الجزية.

وكان **نهر النيل** هو المؤثر الجغرافى الثانى الذى شكل حياة المصريين. فبعد انحسار حشائش السافانا (وما فيها من حياة برية) التى انتشرت فى العصر النيوليسى[1]، هاجم الجفاف الصحارى المصرية، وأصبحت الأمطار وحدها لا تكفى لنمو النباتات، فظهرت أهمية النهر الذى أمد البلاد بفيض من المياه والطمى الذى تراكم مكونًا الأراضى الخصبة على ضفاف النيل. ونظرًا لصعوبة نقل مياه النهر إلى المرتفعات المحيطة به، أصبحت الأراضى الزراعية شريطًا ضيقًا، يتسع قليلًا عندما يرتفع مستوى الماء وقت الفيضان السنوى.

ويحدث **الفيضان السنوى لنهر النيل** نتيجة الأمطار الصيفية فوق إثيوبيا، فيتبعها زيادة منسوب المياه فى النيل الأزرق ونهر عطبرة، خلال أشهر مايو ويونيو ويوليو من كل

(1) منذ حوالى 8000 سنة ـ (المترجم).

عام. وقبل بناء السدود والقناطر، كانت مياه الفيضان تصل إلى مصر أثناء أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر، فيرتفع مستوى النهر عن مستواه حوالى تسعة أمتار عند أسوان وسبعة عند القاهرة التى تبعد 980 كم عن أسوان شمالًا. وعندما تنحسر المياه بعد انتهاء موسم الفيضان تضيع معالم الرقعة الزراعية، ويلزم إعادة ترسيم الأراضى وتقسيمها، وكان لهذا دوره فى استنفار وتطور علوم الحساب والهندسة عند المصريين القدماء[1].

وكان **لمستوى الفيضان أهمية خاصة**، فالفيضان العالى يُغرق القرى ويهدد حياة البشر ومنازلهم، وكذلك الماشية وغيرها. أما إذا جاء الفيضان متواضعًا فإنه لا يكفى حاجة الزراعة، وينتج عن ذلك قلة المحصول.

ولأهمية معرفة مستوى الفيضان، **أقام المصريون القدماء مقاييس للنيل**، مصنوعة من الحجر ومنقوش عليها الخطوط الدالة على مستوى النهر، وما زال البعض منها قائمًا حتى الآن. وقد انتهت الآثار الضارة الناتجة عن تذبذب مستوى الفيضان ـ سواء بالزيادة أو النقصان ـ بعد إقامة **خزان أسوان والسد العالى** والعديد من القناطر على طول النهر حتى شمال مدينة القاهرة.

نتيجة لهذه العوامل، **تنقسم الأراضى فى مصر إلى نوعين**؛ التربة السوداء (الزراعية)، والتربة الحمراء (الصحراء)[2]. والنوع الأول، هو تلك الأراضى الموجودة على ضفتى النهر والتى كان يغمرها الفيضان السنوى، وتتلاشى هذه المناطق الزراعية حيثما تحد الصحراء الصخرية ضفتى النهر، بينما تتسع حتى عرض 15 كم فى مناطق أخرى، حيث تبتعد هذه المناطق الجبلية عن مسار النهر. وتوجد التربة الزراعية أيضًا فى منطقتين أخريين (شكل 1:1)، الأولى تقع **حول ترعة بحر يوسف**، التى تخرج من النيل غربًا شمال مدينة أسيوط، وتسير محاذية لمجرى النهر مسافة 170 كم، ثم تتجه غربًا لتصب فى بحيرة الفيوم (قارون)، وهذه المنطقة الزراعية تُعتبر من أقدم مناطق الاستيطان البشرى للمصريين

(1) تعتبر إعادة تقسيم الأراضى بين الملاك والمزارعين أيام الفراعنة هى بداية علم الهندسة؛ حيث يتم رسم المربعات والمستطيلات والمثلثات. وقد انتقلت هذه الخبرة الهندسية إلى اليونان عن طريق الفلاسفة الذين عاشوا فى الإسكندرية، مثل إقليدس وتلميذه أرشميدس ـ (المترجم).

(2) هذه معلومات المؤلف عن أنواع التربة فى مصر. أما خبراء الأراضى فى مصر فيقسمونها إلى ثلاثة أنواع: التربة السوداء، والتربة الحمراء (هذان النوعان صالحان للزراعة) ثم التربة الصفراء التى هى الصحراء غير الصالحة للزراعة ـ (المترجم).

قبل بداية التاريخ الفرعونى. أما المنطقة الأخرى فهى **دلتا نهر النيل**، التى يصل عرضها شمالًا 250 كم، وطولها 150 كم من الجنوب إلى الشمال. وهذه الدلتا تتفرع فيها العديد من الترع والقنوات.

وكانت **مساحة الأراضى المزروعة** فى عصر ما قبل الأسرات تقدر بحوالى 16.000 كم² (4 مليون فدان) يعيش عليها ما بين 100.000 ـ 200.000 نسمة، بينما لم تزد هذه البقعة الزراعية عن 23.000 كم² (5.570.000 فدان) قبيل بناء السد العالى، يعيش عليها أكثر من 36 مليون نسمة[1].



(شكل 1 : 1)
خريطة لمصر توضح المواقع المذكورة فى الكتاب

وكان **لنهر النيل دور مهم كوسيلة للنقل**. فكانت المراكب تسير من الشمال إلى الجنوب ضد تيار الماء بمساعدة الرياح باستخدام القِلَاع، وتسير بالعكس نحو الشمال مع التيار مطوية القلاع[2]. وإذا كانت سرعة هذه المراكب الشراعية بطيئة، إلا أنها لا تحتاج لجهد بشرى ملحوظ لتنقل أثقالًا كبيرة للغاية، مثل مسلة من الجرانيت ـ كتلة

(1) تبعًا لحسابات عام 2009، تبلغ مساحة الأرض المزروعة فى مصر 8.780.000 فدان، ويبلغ عدد السكان تبعًا لحسابات عام 2011 حوالى 87 مليون نسمة. (الجهاز المركزى للتنظيم والإحصاء) ـ (المترجم).

(2) هذا النمط من الملاحة النهرية سمة مميزة لنهر النيل، ولا يتكرر إلا فى بعض الأنهار القليلة فى الهند والصين، وفى هذه الأنهار يمنع جريان المياه شديدة الاندفاع استغلالها فى النقل ـ (المترجم).

واحدة ـ من محاجر أسوان حتى المعابد فى شمال الصعيد. وفى فصل الفيضان عندما تغمر المياه ضفتى النيل، يزداد عرضه؛ فيسهل بواسطة المراكب نقل أحجار طرة (شرق النيل) إلى غربه لبناء الأهرامات، ويكون هذا فى وقت الفيضان عندما يتوقف الفلاح المصرى عن العمل فى أرضه ويتفرغ للنقل والبناء.

وكان نتيجة اعتماد المصرى القديم على النيل كوسيلة أساسية ومريحة للنقل، أن تأخر استخدام **الوسائل الأخرى (البرية)** لهذا الغرض. ولم يدخل **الحصان** كوسيلة مهمة للنقل إلا مع الهكسوس (الأسرة الخامسة عشرة ـ 1650 ـ 1550 ق.م)، كذلك لم يكن هناك طرق ممهدة لربط شمال البلاد بجنوبها بسبب إعاقة مشروعات الرى كالقنوات والجسور[1].

جولة مع التاريخ المصرى القديم

تشير الآثار التى تركها المصريون القدماء إلى أن **الإنسان المصرى عاش فى الزمن الباليوليستى**[2] منذ 200.000 عام، وكان يعمل بالصيد البرى وصيد الأسماك وجمع الحبوب والثمار. وقد اُكتشفت عام 1923م فى كوم أمبو بقايا مستعمرات بشرية ترجع إلى العصر الميزوليستى (منذ 10.000 عام) على هيئة صوامع وطواحين غلال وأماكن لتخزين روث البهائم، كما وُجدت الشواهد التى تبين أن طعامهم كان يشتمل على الأسماك والقواقع، بالإضافة إلى الأعشاب والبقول.

ومع نهاية الألفية السادسة قبل الميلاد، ظهرت **معالم العصر النيوليستى** فى أماكن متعددة فى مصر، خاصة فى منطقة الفيوم (شكل 1 ـ 1)، تمثلت فى **امتهان المصريين حرفة الزراعة** مع معرفة طرق تخزين الحبوب، هذا بجانب الصيد البرى والنهرى، وجمع الحبوب والثمار. ومن أهم المحاصيل التى كانت تُزرع الشعير، والقمح البرى (إيمر) الذى ظل بمثابة المحصول الرئيسى حتى نهاية هذه الحقبة، ثم بدأت زراعة وطحن القمح المعروف الآن.

ومع اكتشاف بعض الملاعق والمغارف التى ترجع إلى هذه الفترة الموغلة فى القدم، يمكن أن نقول إنهم قد توصلوا لعمل نوع من العصيدة. كما أنهم استخدموا الشعير لإنتاج

(1) لا شك أن غمر مياه الفيضان للأرض على جانبى النيل كل عام كان هو العائق الأساسى أمام تعبيد طرق تربط الجنوب بالشمال ـ (المترجم).

(2) يمتد منذ 2.6 مليون سنة وحتى عشرة آلاف سنة مضت.

نوع من البيرة بعد نقعه وغليه أو بعد تخميره، وقد تناولوا مشروبه مثل الشاى فى أيامنا. ويرى المؤلف من كل ما سبق أن أسلاف المصريين القدماء كانوا يحظون بغذاء جيد متوازن.

وقد قاموا بتربية الدواجن والماشية والماعز والخنازير، كما استأنسوا الكلاب.

وقد عرفوا صناعة الفخار مبكرًا، ثم اكتُشف النحاس فى الألفية الخامسة قبل الميلاد، كما تدل آثار مقابر البرارى، وتوالى التقدم التكنولوجى فى تصنيعه. كما تطور فى الألفية الرابعة قبل الميلاد استخدام أحجار السيليكا والكوارتز.

وبخصوص **الطب فى هذه الأزمنة القديمة**، فمعلوماتنا عنه ضئيلة، باستثناء ما عرفناه مما عُثر عليه من هياكل عظمية وبقايا آدمية.

ويُعتبر إنسان البدارى (5000 – 4000 ق.م) ونقادة 1، 2 (4000 – 3100 ق.م) فى العصر النيوليستى (ملحق A) هو أصل الحضارة الفرعونية القديمة، ويسبق بداية التاريخ الفرعونى والأسرات، وتُعرف هذه الفترة بـ«**عصر ما قبل الأسرات**».

ويبدأ التاريخ الفرعونى المُدَوَّن بالأسرة الأولى، التى قام أول ملوكها نارمر (مينا) بتوحيد القطرين (الشمالى والجنوبى)، وتوج نفسه ملكًا، ووضع فوق رأسه تاج القطرين (3100 ق.م). وتشمل فترة **الأسر البدائية (الأسرتين الأولى والثانية**، 3100 ـ 2686 ق.م)، وخلالها كانت الدولة بقطريها ـ فى أغلب الأوقات ـ تحت سيطرة مركزية من الدلتا إلى أسوان. **ويُعتبر ظهور الكتابة** هو بداية عصر الأسرات، وقد ظلت معظم المفردات الهيروغليفية كما هى حتى عهد البطالمة.

وبدأ **استخدام البرونز** مع نهاية الأسرة الثانية، وقد تم اكتشاف وعاءين من البرونز فى مقبرة الملك خاسى خم (2700 ق.م).

وجاءت الأسرة الثالثة ومعها الملك «زوسر» الذى شيد **أول بناء حجرى ضخم فى** العالم، وهو الهرم المدرج بسقارة. كما عاصره أول طبيب عرفته البشرية وهو «**هسى رع**» (انظر: الفصل السادس). أما المهندس العظيم «**أمحتب**» **فقد كان من أقرب خاصة الملك زوسر، وقد خُلد فيما بعد كإله الشفاء.**

أما عن **التجارة**، فقد بدأت خلال الأسرة الثانية خاصة مع لبنان، وظهرت السفن البحرية أثناء الأسرة الرابعة. وقد قام المصريون باستيراد الأخشاب وبعض العقاقير.

ويُطلق اسم **الدولة القديمة على الأسرات من الثالثة إلى السادسة**[1] (2686 ـ 2181 ق.م)، وتتميز بإنجازات ملحوظة. فبناء **أهرامات الجيزة** يشهد على تقدم ومستوى رفيع من الأداء فى علوم الهندسة والفلك، وصناعة الصخور وتشكيلها، وكذلك النقل والإدارة والنظام. ومع بداية الدولة القديمة، وصلت الهيروغليفية إلى مستوى عالٍ، فتركت لنا كتابات متميزة لها صفة كهنوتية وجنائزية وعقائدية.

ومن ناحية أخرى، فإن معظم **طرق إعداد الطعام** التى ستتناولها على الصفحات القادمة ظهرت وتم تسجيلها خلال الدولة القديمة.

وقد بلغ **تعداد السكان** فى ذلك الحين ما بين مليون ومليون ونصف نسمة.

وبالنسبة للطب، ينتمى نصف الأطباء المعروفين فى العصر الفرعونى للدولة القديمة، وكانت التخصصات فى المجالات الطبية المختلفة قد بلغت درجة عالية من التقدم. ويعتقد الكثيرون أن بعضًا من البرديات الطبية، خاصة بردية **«إدوين سميث»**، قد خُطت فى هذا الوقت (انظر: الفصل الثانى)، ولكن لم يتبق منها غير بعض النسخ التى كتبت فى مرحلة لاحقة.

وكانت الكتابات الطبية الأولى تحتوى على **قدر من السحر أقل** مما جاء فى الفترات اللاحقة. ولا شك أن الأداء الفنى والهندسى المبهر، وكذلك **التفوق الطبى** الملحوظ فى الدولة القديمة كان لهما الأثر العظيم فى **ثقة المصريين القدماء بقدراتهم**، وخاصة قدرة الملك على توجيه مصايرهم، والاعتقاد بأن من شيد الأهرامات **لا يستعصى** عليه شىء. لذلك أقيمت فى عصر الدولة القديمة، فى الجيزة وسقارة، مقابر لكبار رجال الدولة حول هرم الفرعون الذى كانوا فى خدمته.

وربما يعكس التحول لأعمال السحر فى علاج الأمراض فى حقبة لاحقة، تدهور **الثقة فى البشر وفى قدرة الملك الفرعون**. وليس من قبيل المصادفة أن جاء ذكر أسماء جميع ملوك الأسرة الخامسة على أنهم أبناء رع تمسكًا بمنزلتهم، كما شُيدت أهراماتهم أصغر من سابقتها. ومع نهاية هذه الأسرة أشارت نقوش هرم أوناس إلى تسلط السحر على حياة المصريين آنذاك.

وكان يُعتقد أن **جميع ما يُنقش على جدران المقابر يصير بقوة السحر** حقيقة فى

(1) يعتبر بعض المؤرخين أن المملكة القديمة تبدأ بالأسرة الرابعة، ومن ثم تمتد فترة الأسر البدائية لتشمل الثلاث أسرات الأولى ـ (المترجم).

العالم الآخر؛ لذلك كانت النقوش تعبر عن القوة والسلطة التى يتمناها الميت فى الحياة الأخرى. وقد انعكس ذلك على جميع جوانب حياة المصريين، كرحلات الصيد، وإنتاج الأطعمة، وإدارة البلاد، والطب.

ثم بدأت عظمة الدولة القديمة فى الانهيار، ودخلت الدولة **عصر الاضمحلال الأول**[1] (2181 ـ 2040 ق.م). تبع ذلك انتعاش السلطة المركزية واستقرار الدولة، فيما يعرف **بالدولة الوسطى** (2040 ـ 1795 ق.م)، وفيها ارتفع شأن اللغة الهيروغليفية، وإلى تلك الفترة ترجع النسخ الباقية من برديتى كاهون والرامسيوم الطبيتين.

ثم جاءت **فترة الاضمحلال الثانية**، حينما تهاوت سلطة الدولة. فى هذه الفترة جاء **الهكسوس من فلسطين**، وحكموا البلاد قرابة مائة عام. وفى هذه الآونة مات الفرعون **«سكنن رع»** أثناء دفاعه عن مصر، وتم تحنيط جثته التى حفظت لنا نموذجًا فريدًا لآثار جروح أسلحة ذلك الزمن (انظر: شكل 8: 6).

ثم استعادت مصر قوتها بظهور **المملكة الحديثة** ما بين عامى 1550 ـ 1069 ق.م، والتى شملت الأسرات من الثامنة عشرة إلى العشرين. وكانت مصر فى تلك الفترة قوة عالمية ، **وخاضت المعارك خارج حدودها**، وأشهرها موقعتى «مجدو»[2] أثناء حكم تحتمس الثالث، و«قادش»[3] أيام حكم رمسيس الثانى.

وأثناء المملكة الحديثة، توقف الفراعنة عن بناء الأهرامات، **وشيدوا مقابرهم بوادى الملوك فى طيبة (الأقصر)**.

وقد بلغ تعداد المصريين خلال المملكة الحديثة حوالى ثلاثة ملايين نسمة، ووصل إلى أربعة ملايين نسمة فى نهاية الأسرة العشرين.

وقد أمدنا اكتشاف قرى العمال وجباناتهم ومقابرهم فى دير المدينة بمعلومات

(1) هناك بعض الاختلاف بين تواريخ الكاتب وبين المراجع الأخرى عن أحداث مصر الفرعونية ـ (المترجم).

(2) كانت موقعة مجدو أول حملة عسكرية يقودها الملك العسكرى العبقرى «تحتمس الثالث» فى عام 1482 ق.م. وكانت المعركة ضد تحالف أسيوى مكون من 330 أميرًا بفيالقهم القوية، بدأوا فى التمرد على هيمنة مصر والانتقاص من هيبتها أثناء حكم حتشبسوت. وقد حاصر تحتمس الثالث مدينة مجدو لمدة ستة أشهر، وأسقطها وحَصَّل الكثير جدًا من الغنائم. وأصبحت مجدو علامة فارقة فى تاريخ العسكرية ـ (المترجم).

(3) بدأ رمسيس الثانى حملته الشهيرة على الحيثيين (بلاد الشام) عام 1275ق.م. وكانت قادش أشهر معارك الحملة، وقد حارب رمسيس الثانى وحده فى جزءٍ من المعركة، لذلك اعتبرها انتصارًا شخصيًا له. وقد انتهت الحملة باتفاقية سلام بين رمسيس الثانى وملك الحيثيين عام 1259 ق.م. ليكوِّنا معًا قوة تستطيع إيقاف الخطر الداهم الجديد: الآشوريين ـ (المترجم).

مهمة عن نمط حياتهم وأطعمتهم، خاصة مقبرة «خا» رئيس العمال، التى وجدت كاملة وتحتوى على مقتنيات تخص هذا الحِرَفى الماهر.

وترجع النسخ التى عثر عليها لأهم البرديات الطبية إلى المملكة الحديثة.

ومن فراعنة المملكة الحديثة، كان **إخناتون** (أمنحتب الرابع، 1352 ـ 1336 ق.م)، الذى جاء **بعقيدة التوحيد** المخالفة لعبادة آمون، وأقام عاصمة جديدة لمملكته فى تل العمارنة، فعُرفت هذه المرحلة بفترة العمارنة. وقد اتخذت الفنون فى عهد إخناتون نهجًا طبيعيًّا (واقعيًّا) غير تقليدى[1]، اختلفت به عن الطابع التقليدى (الكلاسيكى) للفنون المصرية القديمة.

وبعد إخناتون جاء **توت عنخ آمون الذى أعاد الديانة التقليدية** (عبادة آمون) للبلاد، وعاد معها الطابع التقليدى للفنون. وقد ظلت مقبرته سليمة لم تطلها أيادى اللصوص ونابشو القبور، حتى تم اكتشافها فى العصر الحديث. والمقبرة تحوى العديد من المقتنيات المهمة من الناحية الطبية، مثل النباتات الطبية.

ويُعتقد أن **اليهود** عاشوا فى مصر أثناء المملكة الحديثة، وأن الفرعون «مرنبتاح ابن رمسيس الثانى»[2] (1213 ـ 1203 ق.م) هو الفرعون الذى جاء ذكره فى التوارة؛ أى فرعون خروج اليهود من مصر.

وخلال المملكة الحديثة عُرفت أحجار الشهب، كما استورد البعض الحديد، ولكن لم تنتشر الصناعات الحديدية إلا خلال الأسرة 27.

بعد انتهاء المملكة الحديثة، مرت مصر بفترة أخرى ضعفت خلالها الدولة، وتعرضت البلاد للغزو الأجنبى، وامتدت **فترة الاضمحلال الثالثة** من الأسرة 21 إلى الأسرة 25 (1069 ـ 656 ق.م)، وفيها وقعت مصر تحت حكم **الدولتين الليبية ثم النوبية**. وفى عامى 671، 667 ق.م، اجتاح **الآشوريون** مصر واحتلوا طيبة، وأقاموا بسماتيك حاكمًا على الوجه البحرى تحت إمرتهم، ثم لُقب ببسماتيك الأول بعد أن أصبح ملكًا على مصر كلها، وأسس الأسرة 26 الصاوية (664 ـ 525 ق.م)، التى أحيت مظاهر الحضارة المصرية القديمة، واستعاد بسماتيك العظمة والمجد لمصر.

(1) أثار هذا النمط من الفن تساؤلات حول حقيقة مرض إخناتون، نعرضها فى الفصل الرابع.
(2) هناك جدل حول فرعون موسى، ويرى المترجم (د. عادل فلسطين) ـ فى دراسة خاصة به ـ أن هذا الفرعون هو أمنحتب الثانى.

وخلال هذه المرحلة، توجهت مصر للخارج، وأقامت علاقات متعددة مع التجار والعمال اليونانيين، وسمحت لهم بإقامة مدينة فى شمال الدلتا عند «نيوكراتوس Naucratis».

وفى نهاية حكم بسماتيك الأول، سقطت الإمبراطورية الآشورية على يد **البابليين**، فتحررت البلاد حتى عام 525 ق.م. ثم استعاد الآشوريون قوتهم وهاجموا مصر، وهزم **قمبيز الفارسى** بسماتيك الثالث وأسس الأسرة السابعة والعشرين الفارسية، ولكن حكمهم لم يدم هذه المرة طويلًا، فقد انتهى فجأة عام 332 ق.م، عندما بدأ **الغزو المقدونى بقيادة الإسكندر الأكبر**. وقد تقلد **رئيس الأطباء المصرى** «ودجا ـ هور ـ رسنت» مركزًا مرموقًا فى عهد قمبيز وخليفته داريوس الأول.

وكان الطب اليونانى قد أصبح قادرًا على أن ينافس الطب المصرى، وأقيمت مدارس الطب اليونانية على مستوى عالٍ فى كل من كروتون وسيرين وكندس. أما **مدرسة «أبقراط» الطبية** فقد لمعت فى مدينة كوس فيما بين عامى 430 و330 ق.م. وكانت **زيارة هيرودوت التاريخية لمصر** حوالى عام 450 ق.م، وأتاح له وجوده فى مصر الفرصة لدراسة العلاقة بين الطب الفرعونى والفارسى واليونانى ومدى التطابق بينهما. كما كتب عن الطب الفرعونى خلال الأسرة السابعة والعشرين، وأشار إلى المنافسة بين الطب الفرعونى والطب اليونانى.

ويوضح الفصل العاشر عظمة مدرسة الطب فى الإسكندرية، ودورها فى التواصل بين الطب المصرى القديم وطب البطالمة والرومان، والطب القبطى.

وقد كتب ديودورس سيكيولس عن مصر أثناء زيارته لها فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وقدر تعداد المصريين آنذاك بسبعة ملايين نسمة.

الغذاء فى مصر القديمة

إنتاج الغذاء

أدت جغرافية مصر واعتدال المناخ وجودة الطقس، والتوازن بين تعداد السكان والمساحة المزروعة من الأراضى فى مصر القديمة **إلى عدم وجود مشاكل فى إنتاج الغذاء، طالما كان فيضان النيل معقولًا**.

ويُقسّم العام عند قدماء المصريين إلى 12 **شهرًا**، و 3 **فصول** بكل منها 4 أشهر. ويبدأ العام باستيقاظ (ظهور) النجم (سيريوس) نجم الكلب[1] قبل شروق الشمس، ويعلن هذا الحدث مجيء **فصل الفيضان «أخت akhet»** الذى يمتد من شهر يوليو إلى أكتوبر. وعندما ينحسر الفيضان، يعاد تقسيم الحقول وتهيئتها للزراعة، ويبدأ الحرث ثم إلقاء البذور ومتابعة النبات خلال أشهر نوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير، وهى تمثل **فصل البزوغ «بيريت peret»**، ثم يأتى **فصل الحصاد «شمو shmu»** خلال أشهر مارس وأبريل ومايو ويونيو.



(شكل 1 : 2)
أرغفة من مقبرة «خا» فى دير المدينة الأسرة الثامنة عشرة، المتحف المصرى.

وكان **الشعير والقمح الجبلى** يمثلان محصولى الحبوب الرئيسيين، أما **قمح الدقيق** فقد عُرف فى فترة متأخرة. **وكان رغيف الخبز** «تى te» هو المصدر الرئيسى للكربوهيدرات، وكان يُصنع بأشكال ومذاقات متعددة. وتظهر فى (شكل1: 2) مائدة فوقها أرغفة الخبز التى عُثر عليها فى مقبرة «خا» من الأسرة الثامنة عشرة.

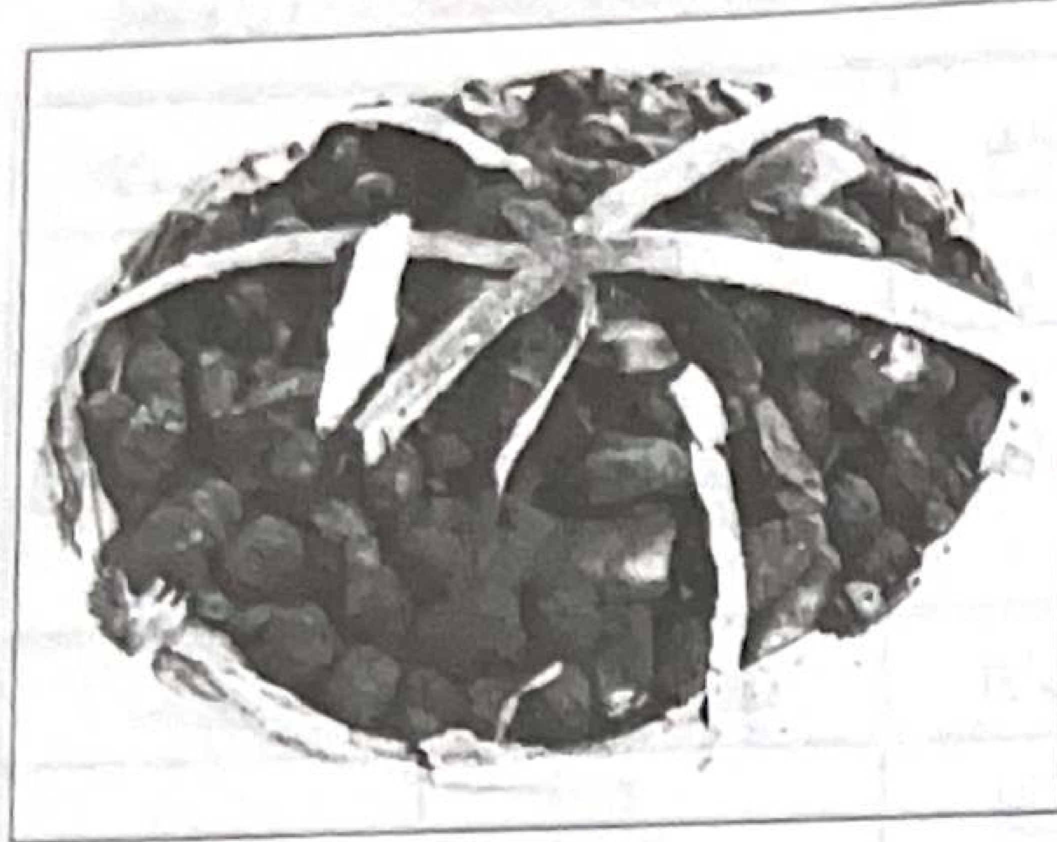
ولصناعة البيرة (الجعة) henqet، كانت أرغفة خبز الشعير تُنقع فى الماء ويتم تخميرها ثم تُصفى. وتقوم الخميرة بتحويل الحبوب البقولية إلى مواد غذائية ذات فوائد مختلفة، وقد يكون التخمر مصدرًا لمادة التراسيكلين[2] الموجودة فى بعض الأطعمة (انظر: الفصل السابع). وكان لشراب البيرة أهمية خاصة؛ لذلك نجد فى معظم المقابر صلوات وأمنيات للمتوفى بالآلاف من أرغفة الخبز وشراب البيرة، والكتابة على حجر «تجى تجى Tjetji» تبين ذلك:

«عطايا الملك وأوزيريس إله الموتى وكذلك الإله أبيدوس المعتلى عروشه، لكل المقبورين فى وادى الموت الغربى:

نصلى من أجلهم، أن يعطيهم الإله ألف رغيف، وألف وعاء بيرة وألف قطعة من لحوم البقر، وألف طائر، وألف إناء من المرمر وأردية الكتان، وألفًا من كل ما هو جميل ونقى».

(1) نجم الكلب: الشعرى اليمانية ـ (المترجم).
(2) مادة التراسيكلين توقف نمو البكتيريا (مضاد حيوى) ـ (المترجم).

وكان الأنــواع المختلفة من **الخضراوات** تُزرع على نطاق واسع (جدول 1 ـ 1) كما كانت هناك وفرة فى **الفاكهة** (جدول 1 ـ 2)، وقد عُثر على الرُّمان فى مقبرة «خا» (شكل 1: 3). وكان يتم تخمير العنب لإنتاج **النبيذ** (إيرب irep)، وتُبرز الكثير من رسوم المقابر زراعة حقول العنب وعملية جنيه واستخراج العصير. وكان التسمم الكحولى (تخ tekh) معروفًا، وتم تسجيله فى آثار الفراعنة.



(شكل 1 : 3)
ثمر الرمان من مقبرة «خا» ـ دير المدينة الأسرة الثامنة عشرة، المتحف المصرى.

وكانت **الأعشاب والبهارات** تُستخدم بقدر بسيط فى الحياة اليومية، والكثير منها كان يُستخدم فى الأغراض الطبية (جدول 1 ـ 3).

وكانت الزيوت النباتية تُنتَج من حبوب نبات الكتان وبندق أشجار المورنجا، وكان زيت المورجان يُستعمل بالإضافة إلى الطهى فى أغراض طبية. وكانت التحلية تعتمد على البلح والعسل. ورغم أنه كانت هناك مناحل، فقد ظل **عسل النحل** سلعة غالية الثمن، ونتج عن قلة تناوله ندرة إصابة المصريين القدماء بتسوس الأسنان (انظر: الفصل التاسع).

والمنتجات الحيوانية العديدة كانت من نصيب عِلْية القوم من المصريين، فكانت أرجل العجل تُعتبر وجبات ينالها المحظوظون، وكانت **الماشية** تُربى على مجال واسع. وتُظهر رسومات ونقوش المقابر والتماثيل الفرعونية عمليات حصر لقطعان الماشية، وتبدأ «قصة الأخوين»[1] بمشاهد حظائر الماشية. وتوجد أيضًا لوحة تُظهر نقل العجول وذبحها، وهى لشخص اسمه (رخ كاو)، وصف بأنه «يعرف الكثير عن الثيران» وأن لديه المهارة فى التعامل مع الحيوانات. وكانت هذه الماشية ضمن الهبات الموعودة للميت.

(1) قصة ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة، وهى تجمع بين الواقع والأسطورة. وتدور القصة حول زوجة أنوبيس (الأخ الأكبر) التى توقع بينه وبين باتا (الأخ الأصغر الملتزم) بعد أن رفض أن يستجيب لغوايتها. وتهدف القصة إلى إظهار ما ينبغى أن يقابل الوفاء والخيانة من ثواب وعقاب ـ (المترجم).

(جدول 1 - 1) الخضراوات والنباتات البرية والمستنقعية المستخدمة عند الفراعنة(*)

الاسم الشائع	الاسم الفرعونى	بداية تناولها كطعام	الاستعمال الطبى
الفول	إيريت	الأسرة الخامسة	عديدة
الكرنب	غير معلوم	الأسرة التاسعة عشرة	؟
الكرفس	ماتت	الرومان	عديدة
الحمص	هير بروبك	الأسرة العشرون	لا يوجد
الخس	أبو	المملكة القديمة	يُستخدم نوع آخر[1]
الخيار	بن دت	المملكة الحديثة	لا يوجد
	شس بت		أحيانًا
الثوم	خى تن؟	المملكة الحديثة	يُستخدم نوع آخر
الكرات	ياكت	الأسرة العشرون	أحيانًا
العدس	عارشان	ما قبل الأسرات	مستبعد
الشمام	شى سبت	غير معلوم	أحيانًا
البصل	هدجو	الأسرة الخامسة	عديدة
البسلة	تى هوا	الأسرة الثانية عشرة	عديدة
الفجل	غير معلوم	الأسرة الثانية عشرة	؟
نباتات برية			
الفول المصرى	نى هب		لا يوجد
البردى	مى هيت		أحيانًا
السعادى	جى يو	قبل الأسرات	عديدة
اللوتس الأبيض	سى شن	المملكة القديمة	أحيانًا

(*) بداية استعمال هذه الخضراوات والنباتات البرية كغذاء يعتمد على البرديات والآثار، والاستخدام الطبى يعتمد على ظهور هذه الأسماء فى المراجع الطبية (الموسوعة VI، 1959).

(1) النوع المستخدم طبيًا هو «أفت / آناى» وهو الخس الجبلى (Lactuca virosa).

(جدول 1 - 2) الفاكهة فى حياة الفراعنة (*)

الاسم الشائع	الاسم الفرعونى	بداية تناولها كطعام	الاستعمال الطبى
التفاح	ديب إيه	الأسرة التاسعة عشرة	غير معلوم
الخروب	دجا ريت	الأسرة الثانية عشرة	عديدة
البلح	بى نر	قبل الأسرات	عديدة
الدوم	ماما كوكو	قبل الأسرات	غير معلوم
التين	داب	الأسرة الثانية	أحيانًا
العنب	ياريت	الأسرة الثالثة	عديدة[1]
المستحلب	نبيبس	الأسرة الثالثة	أحيانًا
الزيتون[2]	دجى ديت	الأسرة الثامنة عشرة	غير معلوم
البرسيا	شاوا بو	الأسرة الثالثة	؟
الكمثرى	غير معلوم	الأسرة الثامنة عشرة	غير معلوم
الرمان	إن همن	الأسرة الثانية عشرة	أحيانًا
الجميز	نى هت	قبل الأسرات	عديدة
البطيخ	بدو ـ كا	المملكة الحديثة	أحيانًا

(*) بداية استعمال هذه الفاكهة كغذاء يعتمد على البرديات والآثار، والاستخدام الطبى يعتمد على ظهور هذه الأسماء فى المراجع الطبية (الموسوعة VI، 1959).

(1) أُستعمل النبيذ على نطاق واسع كمادة حاملة للأدوية.

(2) سُجل وجود بذور الزيتون مع نهاية المملكة الوسطى، ربما الأسرة 13، فى ممفيس.

(جدول 1 – 3) البهارات والأعشاب عند الفراعنة(*)

الاسم الشائع	الاسم الفرعونى	بداية تناولها كطعام	الاستعمال الطبى
اليانسون	إن ست؟	العصر البلينى	عديدة[1]
القرفة	تى شيبس	الأسرة العشرون	عديدة [2]
الكونيزا	إنك؟ [3]	غير مؤكد	عديدة[3]
كزبرة	شاو	الأسرة الثامنة عشرة[4]	عديدة
الكمون	تب نن	الأسرة الثامنة عشرة[2، 4]	عديدة
الشبت	إم ست	الأسرة الثامنة عشرة[4]	أحيانًا
الحلبة	هيبايت؟	غير معلوم	عديدة
القرطم	كاتا؟	غير معلوم	لا يوجد
الزعتر	إنك؟	غير معلوم [4]	عديدة

(*) بداية استعمال هذه البهارات والأعشاب فى الغذاء يعتمد على البرديات والآثار، والاستخدام الطبى يعتمد على ظهور هذه الأسماء فى المراجع الطبية (الموسوعة VI، 1959).

(1) هذا الاحتمال مبنى على أساس أن كلمة «إن ست» تعنى اليانسون، وما زال ذلك فى حاجة إلى تأكيد.

(2) قدمها رمسيس الثالث للآلهة فى مناسبات عدة، ولكنها ذكرت قبل ذلك فى مراجع غير طبية.

(3) الاستعمال الطبى هنا جاء على أساس أن كلمة «إنك» تعنى الكونيزا، التى لا يمكن التأكد من ترجمتها.

(4) وجدت فى معدة توت عنخ آمون.

وكان للَّبن قيمة كبيرة كطعام، وكان يُستخدم كأحد المكونات المهمة للدواء. وقد وُجدت رسومات لأطفال وأشخاص بالغين ملكيين يرضعون من ضروع الأبقار مباشرة.

وتوصف الأغنام والماعز والخنازير **بالماشية الصغيرة** «أويت»، وكانت الأغنام تُمثل رموزًا لبعض الآلهة، وكانت تُربى فى قطعان كبيرة، وإن كان ليس هناك ما يؤكد أن **لحوم الغنم** كانت محببة كطعام عند المصريين القدماء، أو أنها كانت تُستخدم كعطايا. وفى القرن الأول قبل الميلاد كتب «ديودورس» عن قيمة الأغنام كمصدر للصوف واللبن والجبن، ولم يذكر شيئًا عن لحومها.

وبينما سجل هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد أن **الخنزير** كان يُعتبر غير نظيف، توجد شواهد على أن لحم الخنزير كان يؤكل طوال فترة الأسرات فى مصر، وقد عُثر على عظام الخنازير وخاصة الجماجم ضمن المخلفات فى دير المدينة. كما كانت الخنازير تُذكر فى قوائم الجرد (كممتلكات نم تى نخت التى استولى عليها من فلاح فقير فى قصة الفلاح الفصيح)[1] فى المملكة الوسطى. كذلك ضمت قوائم المستحضرات الدوائية بعضًا من منتجات الخنزير.

كذلك كان يتم صيد العديد من أجناس **الحيوانات البرية**، وكانت لحوم البعض منها تؤكل.

أما هِبَات **الطيور** المصورة فى المقابر، فغالبًا ما تشير للبط (إبد). ورمز الخوف فى الهيروغليفية هو بطة أو إوزة مُكَتَّفة توطئة لوضعها بالفرن. وقد وُجد فى مقبرة «خا» بعض من البط المجهز داخل جرة للطبخ والبعض الآخر تم تسويته (شكل 1: 4). كما وُجدت كل **مراحل تربية الدواجن** وإعدادها للطعام مرسومة على جدران المقابر، وهذه تشمل (تزغيط) الإوز والكركى وإطعامها بالحَب، ثم نتف ريشها، وكذلك مسحها بالزيت

(1) ترجع أحداث القصة إلى عهد الملك خيتى، أحد ملوك أهناس فى نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد. وبطل القصة أحد سكان حقل الملح (وادى النطرون)، وكان هذا الفلاح يسافر من حين لآخر لمصر لبيع محصول أرضه محملًا على حمير، وفى مرة اعترضه «نم تى نخت» - وهو أحد الموظفين - واغتصب ممتلكاته؛ فذهب الفلاح يشكو أمره إلى «رنزى» رئيس «نم تى نخت»، وأمر الملك بعد أن علم بالأمر بألَّا يُبت فى هذا الأمر حتى يكرر الفلاح شكواه عدة مرات. وهذا ما كان، فقد ألقى هذا الفلاح تسع خطب رائعة ببلاغة وأسلوب نادر؛ فأمر الملك بإحضار هذا المغتصب وأحصيت أملاكه (بينها خنازير)، وقد أعيد لهذا الفلاح كل ما أُغتصب منه. (مصر القديمة - سليم حسن، الجزء 17) - (المترجم).

وطهيها وتناولها. وفى أحد الرسوم يحمل أحد الأطباء البط كهبة للميت (شكل 6: 7). كما نرى اصطياد الطيور البرية باستخدام الشباك أو برميها بسهام من القش، ويرجع أكل طائر السلوى إلى الدولة القديمة.

أما عن تربية الدجاج المنزلى فهى ضعيفة التوثيق، حيث لم يُعثر إلا مرة واحدة (الأسرة الثامنة عشرة) على عظامها وبيضها. وربما لم تتم تربية الدجاج على نطاق واسع إلا فى عصر البطالمة. وعلى العموم هناك ما يدعم أن للطيور مكانة كبيرة بين الأطعمة.





(شكل 1 : 4)

جرة بداخلها بط مطهى.. من مقبرة «خا» ـ دير المدينة الأسرة الثامنة عشرة. المتحف المصرى.

ويذخر نهر النيل **بالأسماك**، وتوجد العديد من النقوش والرسوم التى توضح طرق صيدها المختلفة؛ إما بالسنارة أو بالرماح والحراب، وأيضًا بالشباك والفخاخ. كما يوجد تسجيل لعملية تحضير السمك وإعداده للطبخ والتناول. وهناك قرائن تشير لاستهلاك المصريين لكميات كبيرة من الأسماك، إلا أن بعض الكهنة كان يحرم تناول أصناف معينة من الأسماك؛ لأنها تغذت على قضيب أوزيريس بعد أن قتله ست (كما تقول الأسطورة).

أما عن **ملح الطعام** «هيمات hemat»، فقد وُجدت كميات نقية منه تعود للأسرة السادسة.أما طريقة تحضيره فغير معروفة، وعدم وجود الكبريتات والكربونات فى العينات التى عُثر عليها تستبعد تحضيره من النطرون، والأرجح أن يكون مصدره البحر المتوسط أو البحر الأحمر، إما من ترسيبات ملحية طبيعية، أو عن طريق غلى ماء البحر وتبخيره فى أوعية خاصة.

ولم يكن **الفلفل** معروفًا، أما **الخردل** فقد وجد فى مقبرة ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة.

ومن غير المحتمل أن يكون المصريون القدماء قد فشلوا فى **اكتشاف الخل**، وقد يعنى اسمه الفرعونى «إب ـ وير ip - wer أو با ـ وير pa - wer» وتعنى (الكبير) أو الشىء (العظيم).

الوضع الغذائى

أظهرت الفقرات السابقة من الفصل، ما كان متاحًا للمصريين القدماء من العديد من المواد الغذائية. ولا شك أن عِلية القوم فى المجتمع المصرى كان **لا ينقصهم إلا القليل**، كما تُظهر ذلك قائمة العطايا الجنائزية للملك «أوناس» فى نهاية الأسرة الخامسة (2494 ـ 2345ق.م):

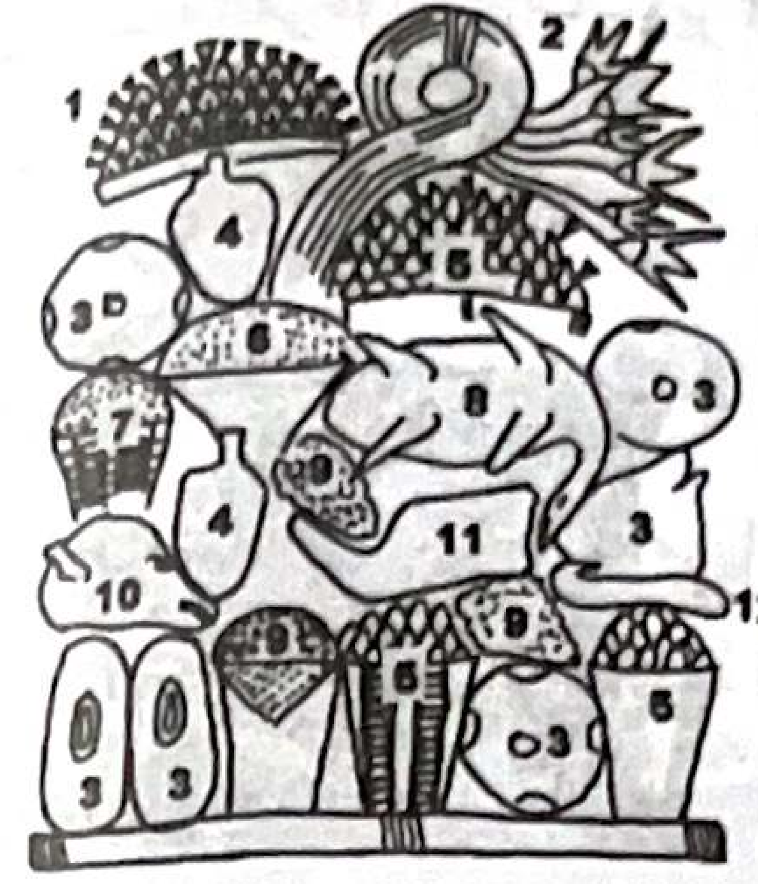
«لبن.. ثلاثة أنواع من البيرة وخمسة من النبيذ، عشرة أرغفة وأربع فطائر، وعشر قطع من الكيك والكيك بالفواكه، وأربع قطع متنوعة من اللحم والشواء والطحال ولحم الفخذ والصدر والذيل، إوز وحمام، تين وعشرة أنواع أخرى من الفاكهة، وثلاثة أنواع من الأرز والشعير ونوع من القمح[1] وخمسة أنواع من الزيوت والنباتات الطازجة».

وتتفق هذه القائمة مع رسوم ونقوش الطعام المكدس فوق موائد الهبات فى العديد من المقابر شكل(1: 5).

وتحتوى مقبرة «خا»، التى وجدت سليمة، على عينات فريدة من الأطعمة التى توضع فى مقابر الشخصيات المهمة، فـ«خا» كان يشرف على جميع العاملين بالمقابر الملكية إبان حكم أمنحتب الثالث (1390 ـ 1352 ق.م)، وهـذه العينات تشمل أرغفة الخبز (شكل 1 : 2) والرمان (شكل 1: 3)، بالإضافة إلى ذلك عُثر على زيوت وفواكه مختلفة، وجوالين كبيرين من ثمار أشجار الدوم.

وحول نوعية الأطعمة المتاحة لمن يعيشون فى **المناطق الريفية فى الحقبة المتأخرة** يفيدنا هيرودوت:

(1) (Spelt) نوع ردىء من القمح (triticum spelle) ينمو فوق المرتفعات ـ (المترجم).




(شكل 1 : 5)

مائدة عليها مجموعة من الهبات، مرسومة على حائط فى مقبرة نب آمون بطيبة، الأسرة 18 ـ (المتحف البريطانى).

1 ـ جيز مشقوق.
2 ـ لوتس.
3 ـ أرغفة خبز.
4 ـ قلب.
5 ـ تين.
6 ـ قرص شمع العسل.
7 ـ فاكهة مجهولة.
8 ـ بطة أو إوزة مشوية.
9 ـ عنب.
10 ـ رأس ثور.
11 ـ ساق ثور.
12 ـ خيار أو فقوس.

كما تظهر أوانى النبيذ أسفل الصورة.

«إنهم يأكلون أرغفة الخبز، ويشربون النبيذ المصنوع من الشعير، ويأكلون بعض الأسماك نيئة، أو مجففة فى الشمس أو مملحة، كذلك يأكلون القواقع غير المطبوخة، كما يأكلون البط والعديد من الطيور الصغيرة بعد نقعها فى الماء والملح، ويأكلون كذلك أنواعًا أخرى من الطيور والأسماك مسلوقة ومشوية، باستثناء ما يعتبرونه مقدسًا».

وكانت الحبوب المصدر الرئيسى للطاقة، وقد أُجريت حسابات مثيرة لما تنتجه الأرض المزروعة من الطاقة، مقارنة باحتياجات الشعب المصرى القديم، فوجد أن مساحة من الأراضى تسمى «أرورة»[1] ـ وهى تساوى 2735 مترًا مربعًا ـ تعطى ما يقدر بحوالى 10 خار khar[2] من الحبوب، «والخار» يساوى (765 لترًا) من المحصول. وباعتبار أن اللتر الواحد يحتوى على 700 جرام من الحبوب ويُعطى طاقة حرارية تقدر بحوالى 3.6 كالورى (سعر حرارى) للجرام الواحد، فالمحصلة أن أرورة واحدة من الأرض توفر 5282 كالورى يوميًّا، إذا تم جنى المحصول كاملًا وتم الحفاظ عليه وتناوله. وإذا قدرنا أن نصف هذا المحصول يضيع كضرائب وكفاقد بسبب الآفات الزراعية مع استخدام جزء منه كبذور، فما يتبقى يعطى حوالى 2641 كالورى يوميًّا، وهى طاقة كافية لفرد واحد. وإذا كان فلاح واحد يستطيع زراعة 20 أرورة، فإن جهده يكفى لإمداد 20 شخصًا بالطاقة اللازمة، وهذا يُظهر توافر الطعام الذى هو الأساس الضرورى لاقتصاد قوى.

وتتفق هذه الحسابات مع تقديرات مساحة الأرض المزروعة وتعداد السكان فى عهد الفراعنة. فبافتراض أن نصف الأراضى الزراعية (حوالى 20.000 كم^2) كان يتم زراعتها بالحبوب، فإن الناتج يكفى لإعاشة أربعة ملايين نسمة تقريبًا، وهو التعداد المُقدَّر للسكان فى المملكة الحديثة.

أما بالنسبة لكمية ونوعية الطعام المتاحة لمختلف طبقات الشعب، فمن الصعب تحديدها. فبالإضافة إلى طبيعة المهنة، فإن الطعام المتاح يعتمد على جودة المحصول، ومقدار الضرائب والعلاقة بين الفلاحين وملاك الأراضى، وهذه العوامل ـ بالطبع ـ تتغير من وقت لآخر ومن مكان لآخر.

ولما كانت النقود لم تُعرف إلا فى عصر البطالمة، فقد كانت الأجور تُسدد قبل ذلك فى هيئة عطايا عينية. وكانت العطايا تكفى الشخص وزوجته وأبناءه، ويبين (جدول 1 ـ 4) أنصبة الطعام محسوبة كسعرات حرارية لكل أسرة يوميًّا. لاحظ أن العمل اليدوى البسيط يكفيه 3500 كالورى (سعر حرارى) فى اليوم، والوظائف المريحة 2500 كالورى، والأطفال يحتاجون أقل من ذلك حسب وزنهم. أما نصيب الطبيب المتواضع من

(1) مربع من الأرض ضلعه ما بين 52.5 و 52.7 مترًا، ومساحته حوالى 2756 مترًا مربعًا (موسوعة وصف مصر) ـ (المترجم).

(2) خار: مكيال جاء ذكره على لسان حاكم أسيوط: «لما حصلت المجاعة وُزعت الحبوب على القوم بمكيال خار» (برستيد) ـ (المترجم).

السعرات المذكور فى الجدول، فيشير إلى أنه يتقاضى أجر عمله الأساسى، لكنه يحصل على هذا المزيد مقابل عمله الإضافى كطبيب، والذى يستغرق جزءاً من وقته.

(جدول 1 – 4) نصاب الحبوب لمختلف أصحاب المهن وعائلاتهم فى منطقة الجبانات بدير المدينة، مُعَبَّر عنها بقدر ما تعطى من الطاقة فى اليوم الواحد[1]

نوعية العمل	كمية الطاقة بالكالورى فى اليوم
رئيس عمال	48195
كاتب	48195
عامل	35343
الحارس	28917
خادمة (هيميت)	19278
صبى	12852
شيال	9639
طبيب (سونو)	8033

ويوجد ضمن مخطوطات القاهرة الخزفية تسجيل للكميات المخصصة للعاملين فى مقابر دير المدينة، وتحدد نصيب كل منهم من القمح البرى والشعير، مع إمكانية تبديل بعضها بالخضراوات والفاكهة والسمك أو اللحم.

وفى المهام الخاصة كبناء الأهرامات تُحدد كمية الأطعمة تبعًا للمهمة. وأظهرت الحسابات أن العمال الذين أرسلهم سيتى الأول إلى محاجر السلسلة، كان نصيب الفرد منهم 1.8 كيلو جرام من الخبز وحزمتين من الخضر وقطعة لحم مشوى. وهذه الكمية من الخبز وحده توفر 6480 كالورى، وهى تمثل ضعف ما يحتاجه العمل اليدوى الخفيف. و«الفلاح الفصيح» صاحب القصة المعروفة، كانت تصرف له أثناء احتجازه وطوال فترة شكاواه المتعددة، عشرة أرغفة ووعاءان من البيرة، وربما كانت هذه الكميات الكبيرة لتشجيعه على الاستمرار فى كتابة شكاواه بأسلوبه الذى لفت أنظار الملك.

(1) هناك تفاوت كبير لا يمكن تفسيره فى كمية الطاقة لمختلف الفئات ـ (المترجم).

الإنسان المصرى القديم

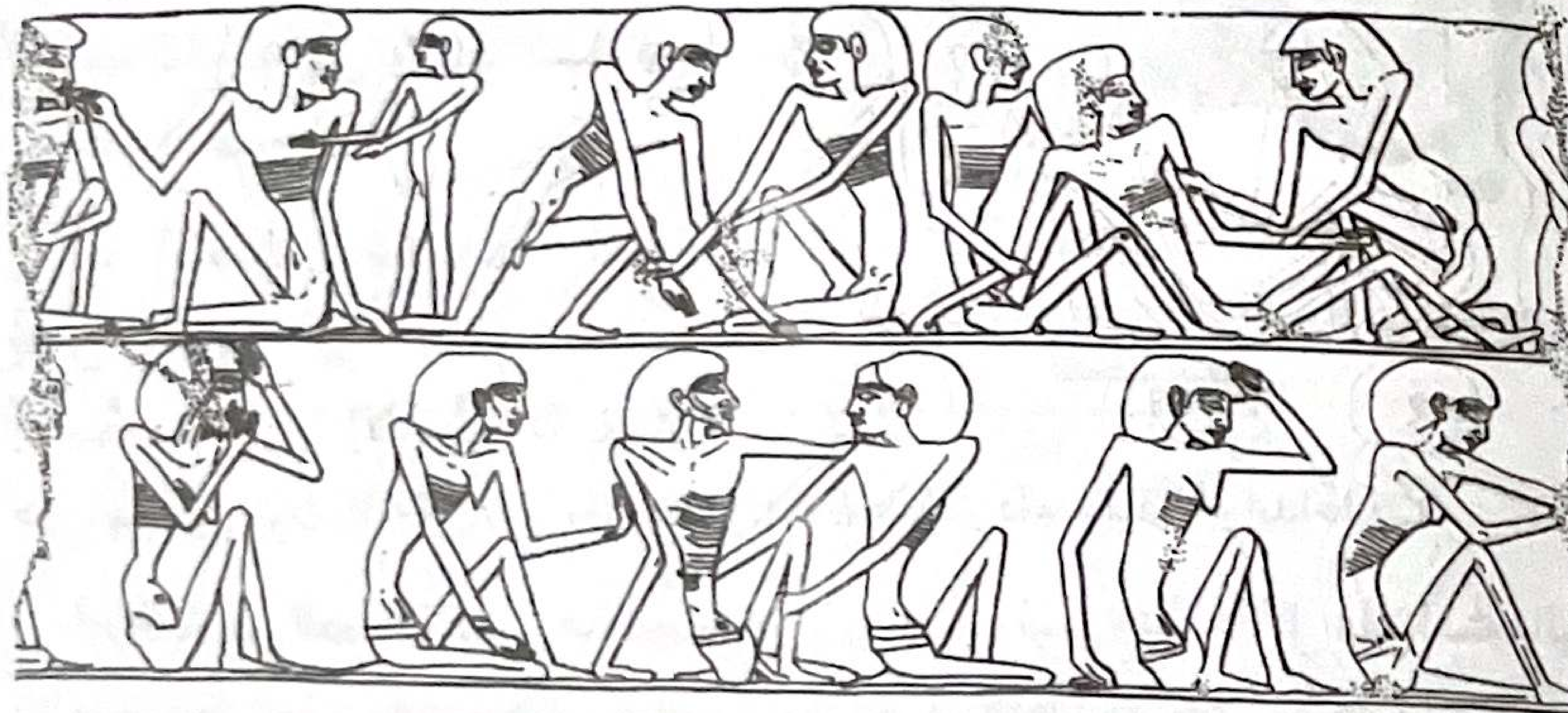
البنية الجثمانية (الجسدية)

كان المصريون القدماء ذوى أجساد صغيرة مقارنة بالقياسات الحديثة. فكان متوسط طول الهيكل العظمى أثناء عصر الأسرات يبلغ حوالى 157 سنتيمترًا للرجل و 148 للمرأة، أما رمسيس الثانى فبلغ طوله 173 سم بعد التحنيط. وتتمشى مقاييس عرض الأكتاف والأرداف بالنسبة للأطوال مع مثيلتها فى الرجل الأوروبى الحالى، كما كانت نسب الأرداف متوافقة مع طول القامة كذلك.

أما عرض أرداف نساء المصريين القدماء بالنسبة لعرض الأكتاف فكانت أقل مقارنة بنساء العصر الحديث، ويمكن القول إن الرشاقة التى تتسم بها المرأة المصرية القديمة فى اللوحات والنقوش والتماثيل كانت حقيقية تبعًا لعلم قياسات الجسم البشرى، ولم تكن مثالية من خيال الفنان.

وهناك العديد من **أشكال السمنة** مرسومة ومنقوشة (شكل 4: 11)، ولكن ليس من الواضح إذا كانت هذه الرسوم حقيقية أم أنها رمز يُعَبِّر عن الغنى أو المركز الرفيع، كذلك كان يتم إظهار السمنة كسمة مميِّزة لمحترفى بعض المهن مثل الموسيقى.

أما **النحافة الزائدة** فكانت نادرة، إلا فى بعض مشاهد المجاعات (شكل 1 ـ 6).



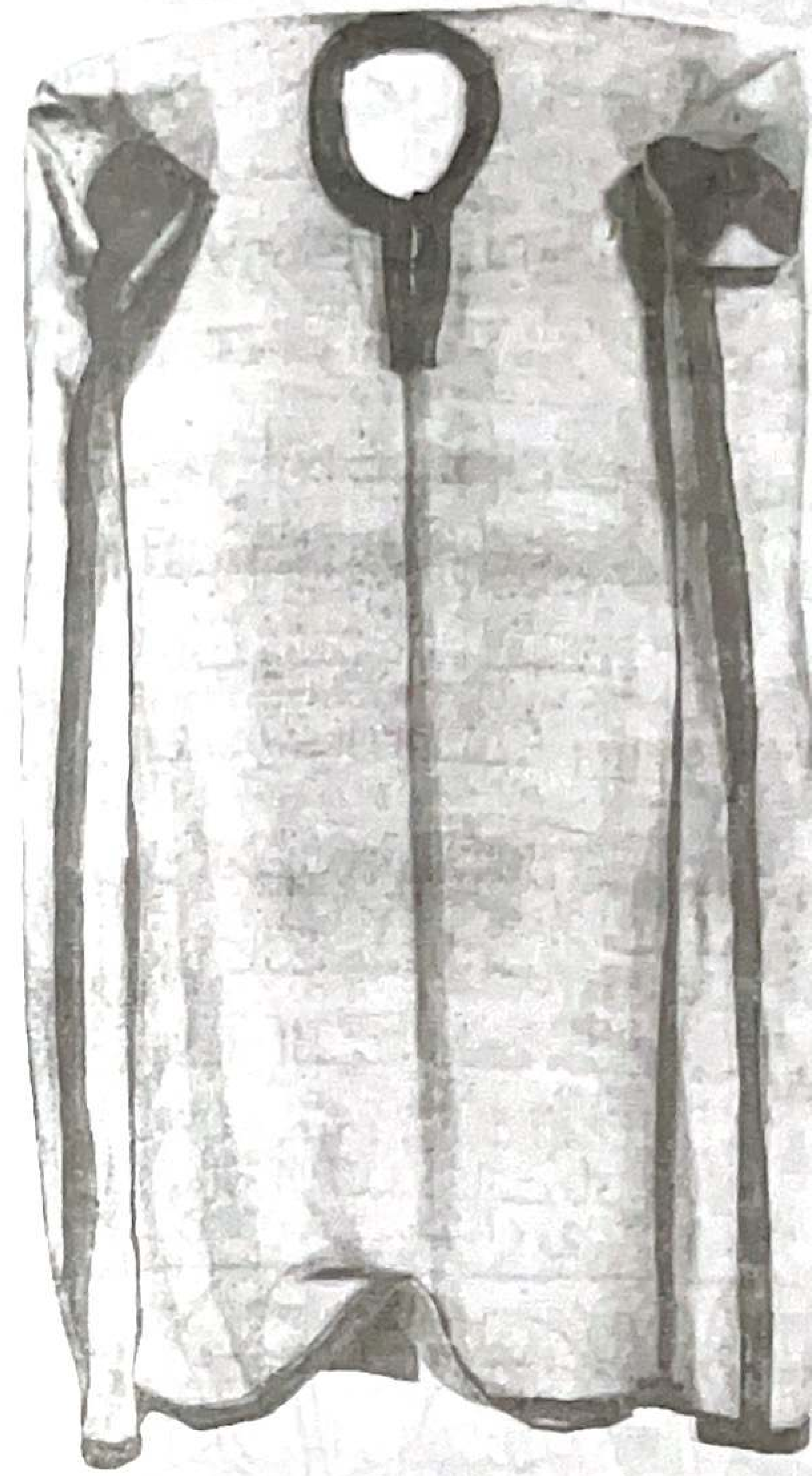
(شكل 1 : 6)

رسم على حجر لمجاعة، فى الممر المؤدى لهرم أوناس فى سقارة ـ الأسرة الخامسة.

وتظهر عادة **جلوس القرفصاء** عند قدماء المصريين فى العديد من النقوش والتماثيل. ويؤكد هذه الملاحظة وجود سحجات وعلامات فى عظمتى **القصبة والكاحل** فى أكثر من ٪90 من عينة من 300 رجل وامرأة تم فحص هياكلهم العظمية.

الملابس

لا يستلزم **اعتدال الطقس** طوال العام فى مصر ارتـداء الكثير من الملابس. وغالبًا ما يُصور العمال والفلاحون وقد **ارتدوا التنورة فقط**، **أما الملابس متقنة الصنع** فمن نصيب الطبقة العليا من الشعب، وتضم مقبرة «خا» سترة فخمة مطرزة عند الرقبة والأكمام والجانبين والذيل (شكل 1: 7). وغالبًا ما تكون الملابس من **قماش الكتان**، الذى يُصنع من سيقان نبات الكتان، بينما يُستخرج الزيت من بـذوره، ومن شجيرات الكتان الصغيرة تُصنع الملابس الناعمة الشفافة الطويلة التى ترتديها النساء فى ساحات القصور.



(شكل 1 : 7)

قميص طويل لـ«خا» من مقبرته فى دير المدينة الأسرة الثامنة عشرة، المتحف المصرى.

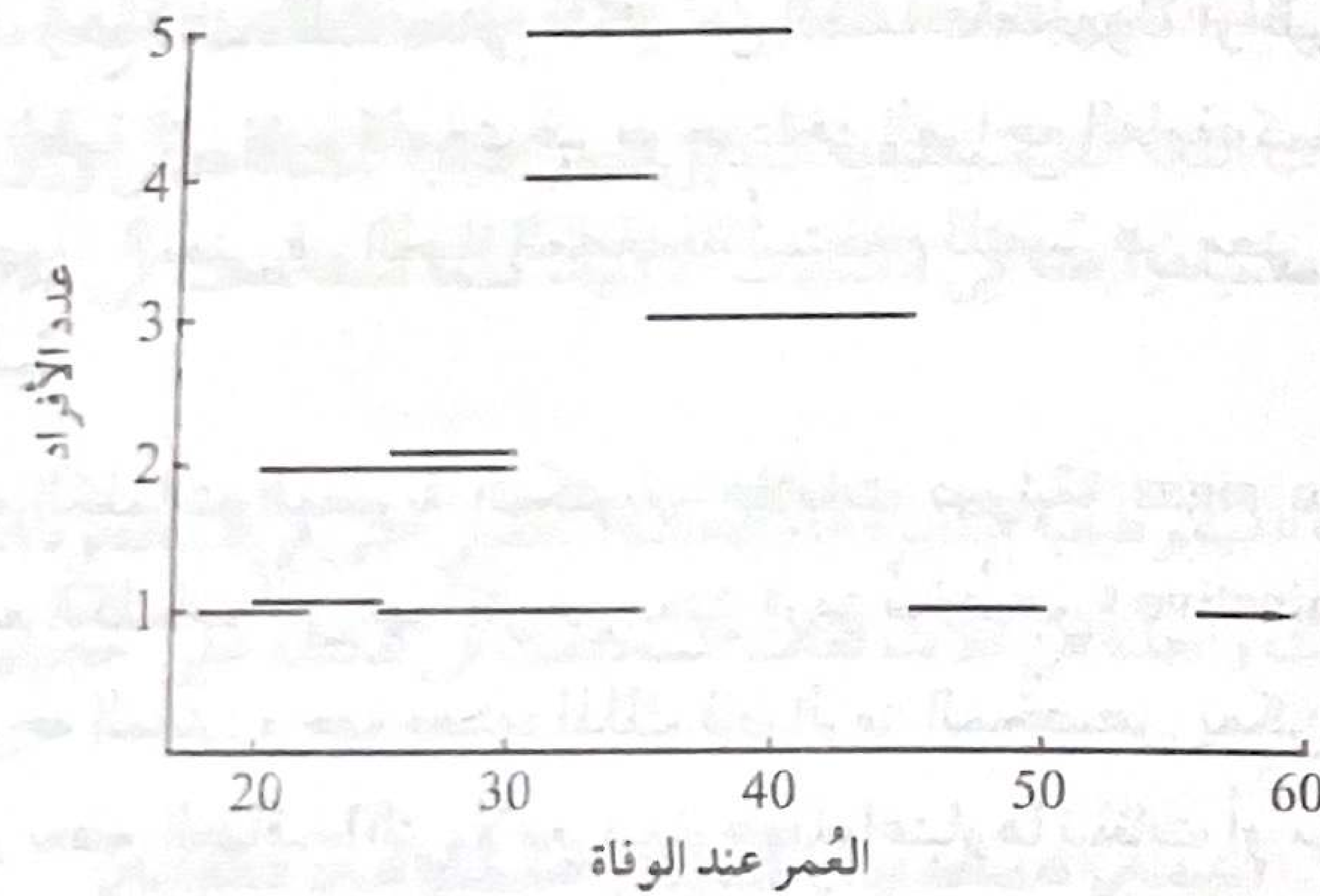
أما الأطفال والخادمات اللائى يقمن بالخدمة فى الولائم، فكانوا يُصـوَّرون عرايا إلا من رداء يستر عورتهم ويتزينون بالحلى. ولا نعرف ما إذا كان هذا الرداء حقيقيًا أم إبداعًا فنيًا.

أما الملابس الصوفية فليس هناك ما يدعو لارتدائها، وليس هناك دلائل على استعمالها إلا ما ورد فى تعقيب لـ«ديودور الصقلى». ولم يُعرف **القطن إلا خلال** الحقبة القبطية.

وكانت الصنادل التى تستخدم تُصنع من الجلد أو ورق البردى السميك.

متوسط الأعمار

من الصعب ـ عمليًا ـ تقدير متوسط الأعمار فى مجتمع ضارب فى القدم. وبدراسة عينات من مقابر تورين، تبين أن متوسط العمر عند الوفاة كان **30 عامًا فى عصر ما قبل الأسرات، و 36 عامًا خلال عصر الأسرات**. وهذا يتفق مع تحديد العمر عن طريق التصوير الإشعاعى لجثامين الأسر المالكة فيما بين الأسرة السابعة عشرة والعشرين، بالرغم من أن الأسر المالكة تتمتع بحياة أفضل (شكل 1: 8). وتشير الحسابات إلى أن المجتمع يتناقص للنصف عند عُمر 25 عامًا فى عصر ما قبل الأسرات، وعند 30 عامًا فى عصر الأسرات. وهذه الأرقام لا تختلف كثيرًا عن مثيلاتها فى المجتمعات القديمة الأخرى، وأيضًا فى العصر الحديث عند المحرومين من العناية الطبية المتقدمة. وهناك حالات نادرة من **المتوفين فوق الستين عامًا**، مع ملاحظة أن بعض أفراد الشعب واثنين من الملوك (على الأقل) وهما بيبى الثانى ورمسيس الثانى، امتد بهم العمر إلى الثمانين حسب السجلات التاريخية.



(شكل 1 : 8)

متوسط الأعمار عند الوفاة، فى الأسر المالكة من الأسرة السابعة عشرة إلى العشرين.

اللغة والكتابة المصرية القديمة

كان المصريون القدماء متعلمين ومثقفين بدرجة كبيرة، وقد ظلت كتاباتهم المنقوشة على الحجر والخشب والخزف والفخار والبردى بحالة جيدة طالما بقيت جافة، حتى إن بعض أوراق البردى ظهرت وكأنها كُتبت حديثًا. وكان **الحبر الأسود** يُحَضَّر من مواد كربونية، بينما يُحَضَّر **الحبر الأحمر** من مادة (الأوكر)[1]، وكلاهما يبقى على مر الزمن.

أما اللغة المصرية القديمة، رغم تطورها خلال الثلاثة آلاف سنة التالية لظهورها، فقد حافظت على استمراريتها طوال هذه الفترة. ولسوء الحظ غابت المخطوطات ابتداء من عام 450 ميلاديًّا تقريبًا، ولكن استمرت اللغة المنطوقة من خلال اللغة القبطية التى كانت تُكتب بحروف يونانية مدعمة بسبعة أحرف من اللغة الديموطيقية. ثم حلت اللغة العربية (مع دخول المسلمين مصر) مكان اللغة القبطية التى ظلت لغة طقوسية فى الكنائس القبطية حتى الآن.

وبعد صعوبات كبيرة، تم إعادة تركيب اللغة المصرية القديمة بالاستعانة بما تبقى من مراجع أثرية، ومع ذلك ظلت معانى الكثير من الكلمات مجهولة أو غير دقيقة، خاصة فى المراجع الطبية التى تضم كلمات غير موجودة فى المراجع العامة. كما أن هناك بعض الكلمات مفهومة المعنى فى الحياة العامة، قد تُستخدم للتعبير عن معنى مختلف داخل المصادر الطبية.

ويصحب الكلمات المصرية المكتوبة **«علامات صوتية»** phonetic signs تحدد النطق، ثم يتبع الكلمات التى لها أكثر من معنى **«رمز مُخَصِّص»** Determinative (يُرسَم ولا يُنطَق) يوجه المعنى وجهة معينة، لذلك فإن الرمز المخصص يمكن أن يُعيننا على تحديد مصدر بعض العقاقير (التى لا نعرف نوعها) باعتبارها نباتات أو من أصل معدنى أو حيوانى؛ لذلك فالاعتماد فقط على شكل الكلمة المكتوبة يدل على المعنى العام وقد لا يدل على المعنى الدقيق لها.

(1) مادة صبغية من أكاسيد الحديد (هياتيت) موجودة فى التربة على هيئة طينية ـ (المترجم).

واللغة الهيروغليفية hieroglyphs صعبة التدوين؛ لذلك اقتصرت كتابتها على المدونات المرسومة أو المنقوشة على الحجر والمصيص والخشب. ولكن بعض المراجع الدينية خاصة «كتاب الموتى» كتبت على أوراق البردى باللغة الهيروغليفية. كذلك كُتبت بردية الرامسيوم الطبية (الخامسة)، وبردية كاهون البيطرية (وهى مراجع غير دينية) بالهيروغليفية، وهو أمر استثنائى (انظر: الفصل الثانى).

أما **اللغة الهيراطيقية** hieratic (تعنى لغويًّا لغة الكهنة)، هى أسهل من الهيروغليفية، وبدأت فى الظهور مبكرًا فى المملكة القديمة. والهيراطيقية هى اللغة التى يُكتب بها عادة على أوراق البردى.

واللغة الهيراطيقية، رغم سهولتها النسبية فى الكتابة، ينقصها وضوح المعانى فى بعض الأوقات. وقد تطورت هذه اللغة تدريجيًّا، لذلك يمكن تحديد زمان كتابة مخطوطاتها بدقة، على عكس الهيروغليفية التى ظلت كما هى ولم تتغير أو تتطور إلا قليلًا.

وخلال الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين ظهرت **اللغة الديموطيقية** Demotic (تعنى لغة أفراد الشعب) وكانت أسهل وأسرع كتابة عن سابقتيها. وقد انبثقت الديموطيقية من اللغة الهيراطيقية، وليس لها علاقة ملحوظة بالهيروغليفية.

وقد انتشرت اللغة الديموطيقية كبديل للهيراطيقية للكتابة على ورق البردى فى المعاملات المدنية وأيضًا فى الكتابات الأدبية، كما أُستخدمت فى البرديات الطبية المتأخرة.

وكانت اللغة الديموطيقية منتشرة أيام الحكم البطلمى حتى فى المخطوطات والأحجار التذكارية، وكانت واحدة من ثلاث لغات أُستخدمت فى الكتابة على حجر رشيد.

بيئة مناسبة لقيام منظومة طبية

تمتع المصريون القدماء **ببيئة فريدة**، ساعدت على قيام الممارسة الطبية وتقدمها. وكان لنهر النيل والفيضان الفضل فى ضمان مصادر وفيرة للطعام؛ مما أتاح للمصريين القدماء وقتًا كافيًا للقيام بأنشطة أخرى بعيدة عن السعى لتوفير الغذاء.

كما كفلت جغرافية مصر حاجزًا طبيعيًا ضد الغزو الخارجى، وقد ساعد هذا الاستقرار المصريين على التقدم العلمى وعلى الاحتفاظ بمستوى حضارى عالٍ. وكان لاختراعهم المبكر للكتابة، مع قوة تحمل أوراق البردى، الفضل فى تدوين العلوم الطبية وتداولها وحفظها.

ولكن يبقى أهم أسباب هذا التقدم، وهو نظام الإدارة المُحكم وموهبة الاختراع لدى هؤلاء المصريين القدماء، بجانب مهاراتهم التقنية التطبيقية.

ولا غرابة فى ذلك، فهذا الشعب الذى استطاع أن يبنى الأهرامات فى الألفية الثالثة قبل الميلاد جدير بأن تكون له الريادة فى عالم الطب.

* * *

الفصل الثانى

البرديات الطبية

The Medical Papyri



- المراجع الطبية
- موسوعة الخطوط الرئيسية للطب عند المصريين القدماء
- بردية إدوين سميث
- بردية إيبرز
- بردية كاهون لأمراض النساء
- بردية هرست
- برديات شستر بياتى
- بردية برلين
- بردية لندن الطبية
- بردية كارلسبرج الثامنة
- برديات الرامسيوم 3، 4، 5
- بردية بروكلين حول لدغ الثعابين
- البرديات الطبية الديموطيقية
- النقوش الطبية الخزفية

المراجع الطبية

هناك العديد من المصادر التى تميط اللثام وتعطينا فكرة واضحة عن ممارسة الطب عند المصريين القدماء. وأهم هذه المصادر البقايا الآدمية، ودراسة المومياوات التى تحمل علامات مرضية، وأيضًا رسوم ونقوش وتماثيل المعابد والمقابر، وما هو مُدَوَّن عن الأمراض فى البرديات غير الطبية. لكن تبقى البرديات الطبية المصدر الرئيسى والأهم لتلك المعلومات.

وتبعًا لحصر **كليمانضوس السكندرى** ـ القرن الثانى الميلادى ـ هناك ستة مراجع طبية من بين 42 كتابًا عن المعارف الإنسانية لدى المصريين القدماء. وهذه المراجع هى:

رقم (37) تركيب الجسم الإنسانى (التشريح).

رقم(38) الأمراض.

رقم (39) الآلات الجراحية.

رقم (40) الأدوية.

رقم (41) العين وأمراض العيون.

رقم (42) أمراض النساء.

وبمقارنة **هذه العناوين الستة بالبرديات الفرعونية** المتاحة لنا الآن (جدول 2-1)، نجد أن كتاب رقم 37 يرجع بنا إلى بردية إيبرز (854 ـ 856). وحول العنوان الثانى **(الأمراض)** نجد الكثير من المعلومات فى برديات إيبرز وهرست وبرلين وشستر بياتى، ولكن معظم ما جاء فى هذه البرديات كان عن الأدوية والعلاج، والقليل منها حول الأمراض ذاتها. وبخصوص العنوان الثالث **(الآلات الجراحية)** لم يصل إلينا شىء فى البرديات الطبية، كما لم يتم التعرف إلى أى من الآلات الجراحية بشكل قاطع فى العصر الفرعونى. ويأتى ذِكْر قوائم **بأسماء الأدوية** (العنوان الرابع) فى غالبية البرديات الطبية،

لكن لا تتفق مع علم الأدوية الحديث إلا فى القليل منها، مثلما جاء فى إيبرز 251 (انظر ما يلى، والفصل السابع).

وتشغل أمراض العيون جزءًا كبيرًا من بردية إيبرز؛ مما يجعلنا نعتقد أنها المقصودة بالكتاب الخامس لـ «كليمانضوس». وأخيرًا، يوجد جزء فى بردية كاهون يهتم كُلِّيَّة بأمراض النساء، مما يتفق مع الكتاب السادس. أما بردية كارلسبرج، فتعنى الوجهة الأمامية منها بأمراض العيون، بينما تضم خلفية البردية بعض موضوعات أمراض النساء، وبالتالى تتوافق هذه البردية مع الكتابين الخامس والسادس لـ«كليمانضوس».

وقد تم العثور على أهم البرديات الطبية خلال القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين. وغالبًا ما تم عرض هذه البرديات للبيع دون اهتمام بمصادرها، ويُعتقد أن البعض منها جاء من مقابر الأطباء، ولكن لا يمكن إرجاع أى من هذه البرديات الطبية لطبيب بذاته.

وقد كتبت جميع البرديات الطبية بالهيراطيقية، باستثناء بردية الرامسيوم (V) وبردية كاهون البيطرية، فقد كتبتا بالهيروغليفية.

ومع أنه يوجد الكثير من التكرار بين البرديات، فهناك ما يجعلنا نعتقد أننا لا نملك إلا القليل مما كان موجودًا من البرديات الطبية، وأن الغالبية منها فُقد بمرور الزمن، وفى الأغلب كانت الخسارة الفادحة مع حريقى مكتبة الإسكندرية عامى 47 ق.م و389م. وقد فُقد الكثير من البرديـات أو أُتلف أثناء سرقة المقابر، كما أن البعض اُستخدم فى إشعال النار، والبعض الآخر تمت الاستعانة به فى أعمال السحر؛ ومثال ذلك ما جاء فى بردية إيبرز 262 من استخدام كتاب قديم مغلى فى الزيت... ووضعه على بطن طفل لمساعدته فى التبول، باعتقاد أن الكتاب الطبى له قدرة ذاتية على العلاج.

وهذا الفصل من الكتاب تعريفٌ بالبرديات الطبية، وعرض لما تحتوى عليه بصفة عامة، ودراسة العلاقة بينها. ثم يأتى عرض تفاصيل محتويات هذه البرديات فى الأجزاء الخاصة بمختلف الأمراض.

(جدول 2 – 1) أهم البرديات الطبية

عنوان البردية	المكان	التاريخ بالتقريب	المحتوى
إدوين سميث	نيويورك	1550 ق.م	جراحة الإصابات
إيبرز	ليبزج	1500 ق.م	طب عام، وباطنى
كاهون	جامعة لندن	1820 ق.م	أمراض نساء
هرست(*)	كاليفورنيا	1450 ق.م	طب عام
شستر بياتى 6(*)	المتحف البريطانى (10686)	1200 ق.م	أمراض الشرج
برلين(*)	برلين	1200 ق.م	طب عام
لندن(*)	المتحف البريطانى (10059)	1300 ق.م	غالبها السحر
كارلسبرج 8	كوبنهاجن	1300 ق.م	أمراض نساء
رامسيوم3، و4، و5(*)	أكسفورد	1700 ق.م	أمراض نساء وعيون وأطفال
لندن ولايدن	المتحف البريطانى ولايدن	250 قبل الأسرات	طب عام، وسحر
كروكوديلوبوليس	فيينا	150 قبل الأسرات	طب عام
بروكلين سناك(*)	بروكلين	300 ق.م	لدغ الحيات

(*) ليس لهذه البرديات ترجمة إنجليزية.

موسوعة الخطوط الرئيسية للطب عند المصريين القدماء

The Grundriss der Medizin der alten Ägupter

هذه الموسوعة هى أهم المراجع المُجَمَّعة وأشملها حول البرديات الطبية (نُشرت فى برلين، 1954 _ 1973). وليس من الممكن تجاهل هذا المرجع فى أى دراسة جادة حول الطب المصرى القديم، وسنطلق عليها فى كتابنا اسم «الموسوعة».

وتتكون الموسوعة من تسع مجلدات. ويضم المجلد الخامس منها نسخًا بالهيروغليفية لأهم البرديات الطبية المصرية، وتأتى الفقرات فيه مرتبة تبعًا للتقسيم التشريحى لأجزاء الجسم، وعرض ما يصيب كل جزء من أمراض، ذلك بخلاف ما فى البرديات الأصلية من استرسال غير مرتب. ويمكن الاستدلال على موضع هذه المعلومات فى أجزاء البرديات المختلفة عن طريق (الفهرس) الموجود فى نهاية هذا الجزء، ويحدد هذا الفهرس أيضًا موضع الترجمة الألمانية لهذه الفقرة كما جاءت فى **الجزء الرابع** (1)،

كما يحدد الفهرس موضع التحليل والتعقيب الطبى على الحالات المَرضية كما جاء فى البرديات، وقد جمعتها الموسوعة فى **الجزء الرابع (2)**.

وتأتى أسماء الأدوية باللغتين المصرية والألمانية فى **الجزء السادس**. بينما يضم **الجزء السابع (1، 2)** الصور المختلفة لجميع الكلمات المصرية الواردة فى مختلف البرديات الطبية.

ولا شك أن هذا المنهاج للموسوعة **متعِب ومرهِق للباحث**، ولكن هذه المتاعب تهون بجانب ما يزخر به هذا المرجع من معلومات، ولا نظن أن مرجعًا ما - يوضع فى المستقبل - يمكن أن يقدم ما تقدمه الموسوعة.

قواميس اللغة المصرية القديمة

ومن أهم المراجع الأخرى وأشملها حول البرديات الطبية: **«قواعد اللغة المصرية»** لـ **«جاردنر Gardiner»** (1957)، و**«قاموس اللغة المصرية فى المملكة الوسطى»** لـ **«فولكنر Faulkner»** (1962). والحاجة لهذين المرجعين كبيرة، فبينما تظل قواعد اللغة واحدة فى معظم المراجع، فإن فهم المفردات **يواجه مشاكل جمة**؛ حيث تأتى بعض الكلمات فى البرديات الطبية فقط، كذلك قد يكون لبعض الكلمات استخدام معين فى البرديات غير الطبية، لكنها تحمل معنى آخر فى المراجع الطبية.

بردية إدوين سميث

The Edwin Smith papyrus

هذه أكثر البرديات الطبية أهمية، عرضها مصطفى **أغا** للبيع عام 1862، وهو تاجر مصرى وسمسار ووكيل قنصلى فى الأقصر، واشتراها **إدوين سميث** وهو أمريكى كان يقيم فى الأقصر خلال الفترة ما بين عامى 1858 و 1876. وتختلف **الأقاويل** حول سميث؛ فقد وصفه بعض الأثريين بأنه رجل مغامر، مرابٍ، وتاجر آثار، ويزعم أنه يقوم بتقليدها. بينما يرى برستيد[1] (1930) أن هذا الشخص (ابن بلده) **يقوم بعمل تطوعى**، وقدَّم ما يثبت

معرفته المستفيضة باللغة الهيراطيقية، وهى خبرة فريدة بين الأمريكيين فى ذلك الوقت.

ويرجع إلى سميث الفضل فى التعرف إلى الصفة الجراحية للبردية عندما عُرضت عليه ثم قام بالترجمة الابتدائية لها. وبعد وفاته عام 1906، أهدت ابنته هذه البردية إلى جمعية نيويورك التاريخية، وهى موجودة الآن فى الأكاديمية الطبية بنيويورك.

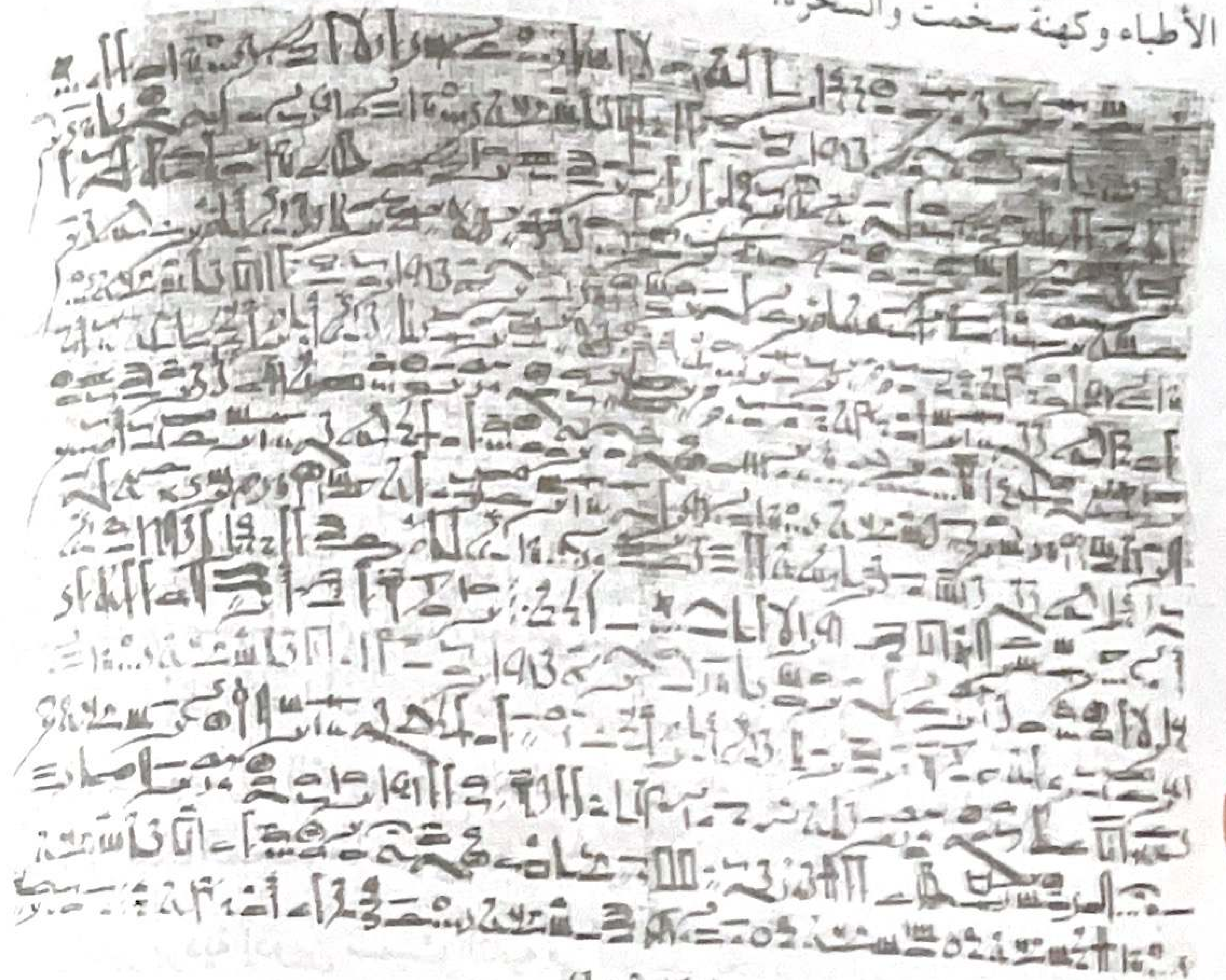
وفى عام 1930، نشر **برستيد**، الذى كان وقتها مديرًا لمعهد الشرقيات بشيكاجو، نسخة للأصل الهيراطيقى مع **ترجمة للإنجليزية**، مشفوعة بتعليقات طبية مفصَّلة أمده بها الدكتور أرنو - ب لوكهارد. وكانت هذه الترجمة علامة فارقة تعرض لأول مرة كتابًا طبيًّا من مصر القديمة خاليًا من السحر، ويتبع الأسلوب العقلانى العلمى لتشخيص وعلاج الأمراض. ثم تُرجمت هذه البردية إلى **اللغة الألمانية** عام 1958 (نُشرت فى المجلد الرابع (1) من الموسوعة). وتبقى نسخة برستيد الترجمة الإنجليزية الكاملة الوحيدة لهذه البردية حتى الآن.

ولا يُعرف بالتحديد **المصدر الأول لبردية إدوين سميث**، ولكن يُعتقد أنها أُخذت من مقبرة طبيب ضمن جبانات طيبة الموجودة فى الضفة الغربية للنيل قبالة الأقصر. وهناك احتمال أن بردية سميث جاءت من المقبرة نفسها التى جاءت منها بردية إيبرز، والتى آلت أيضًا لإدوين سميث عام 1862 (كما هو مبين لاحقًا)، فتاريخ الكتابة الهيراطيقية لكليهما واحد، كما يُظن **أيضًا أن بردية ريند فى الرياضيات جاءت من المقبرة ذاتها**. وهذا يتفق مع عقائد المصرى القديم حول العالم الآخر، والتى تجعل الميت يرغب فى أن يحمل معه مثل هذه المخطوطات إلى عالم الأموات.

وتُعتبر بردية إدوين سميث الثانية فى الترتيب بعد بردية إيبرز من حيث **الطول**، فهى تحتوى على 17 صفحة (377 سطرًا) على واجهة أوراق البردى، وخمس صفحات (92 سطرًا) على خلفية الأوراق. والكتابة **باللغة الهيراطيقية الجيدة**، وأسلوب الكتابة يرجع لحوالى عام 1550 ق.م. والكتابة على الوجهين بخط واحد (شكل 2 - 1)، وتوجد فى الكتابة بعض الفراغات التى تم ملؤها بالخط نفسه.

ويُرَجَّح **أن أصل البردية يرجع إلى المملكة القديمة**، استدلالًا ببعض القواعد اللغوية والألفاظ؛ وعليه تكون النسخة الأصلية أقدم بحوالى ألف عام من النسخة التى بين أيدينا. غير أن غالبية البردية كتبت باللغة التقليدية للمملكة الوسطى؛ مما أثار الشكوك

حول الزمن المبكر لكتابة البردية، وليس من المستبعد أن تكون بعض الإضافات قد وُضعت لتضفى على البردية شكل الأثر القديم، الأمر الذى كان مستحبًا كثيرًا عند المصريين القدماء. ولا شك أن معرفة الزمن الحقيقى لكتابة هذه البردية ضرورى لفهم وتتبع خطوات التقدم الطبى للمصريين القدماء عبر الزمن. ولا شك أن البردية الأصلية لو كانت ترجع لعصر الدولة القديمة فهذا يزيد من أهميتها، خاصة الجزء الذى يثبت اهتمام الأطباء القدامى بفحص النبض، والجزء الذى يُظهر الدور المتوازى لكل من الأطباء وكهنة سخمت والسحرة.



(شكل 2 : 1)

بداية العمود III لبردية إدوين سميث، الكتابة باللغة الهيراطيقية من اليمين إلى اليسار كالمعتاد، وتبدأ الحالة المرضية السابعة مع بداية السطر الثانى.

والنسخة فريدة، ولا يوجد تكرار لمحتوياتها فى أى بردية أخرى. وطول المدة بين النسخة الأصلية وتلك التى معنا الآن ليس غريبًا، ويرجع ذلك لاهتمام المصريين القدماء باقتناء الكتب القديمة. ولما كان أطباء المملكة الحديثة يقابلون بعض الصعوبات فى فهم الكثير من الكلمات والجمل التى خطها المؤلف القديم؛ نجد هذه البردية تتخللها إضافات لشرح أو تعليق على ما قد يكون مبهمًا، وتتبع هذه الإضافات نسقًا واحدًا يأتى

كالآتى: بالنسبة لـ «أ ب جـ» فهى تعنى «هـ و ز». وقد وُضعت معظم الإضافات بجوار الجملة المقصودة؛ مما يُعين على ربط الكلمة أو الجملة المشروحة أو المُعقَّب عليها بالسياق العام. وفى بعض الأحيان كانت تعين هذه الإضافات على استكمال الفراغات فى السطور المكتوبة. وقد أنتج ذلك قاموسًا قيمًا يُعين على فهم الممارسة الجراحية فى العصور القديمة.

محتوى البردية

سُجلت على الوجه الأمامى لصفحات البردية معلومات جراحية، تقدم 48 حالة جميعها تقريبًا إصابات حوادث، وفى النسخة التى بين أيدينا، تتوقف الكتابة فجأة فى منتصف الحالة رقم 48 بدون إتمام الجملة. ويتميز عرض الحالات عن معظم البرديات الطبية الأخرى بالتسلسل المنطقى، الذى يُظهر البردية ككتاب تعليمى «شى سو shesau» يضم دواعى العلاج واستخدام الأدوية أكثر منه كتاب مرجعى للعقاقير «بى خريت pe khret». ففى البردية يمكننا متابعة طرق فحص المريض بواسطة الطبيب المصرى القديم، وكيفية توصله للتشخيص النهائى للمرض. وهذا يختلف كثيرًا عن بردية إيبرز، التى تشرح خطوات العلاج دون الإشارة إلى أعراض المرض الإكلينيكية؛ باعتبار أن الحالات تم تشخيصها مسبقًا، فيتعذر علينا فى بعض الحالات التعرف إلى المرض الذى يدور حوله وصف العلاج.

والوجه الخارجى للفائف البرديات المطوية يكون أكثر تعرضًا للتلف؛ لذلك فُقدت الصفحة الأولى من بردية إدوين سميث تمامًا، والصفحة الثانية (التى رقمت بالأولى) بها الكثير من الفراغات مطموسة الكلمات؛ مما ينتج عنه جمل غير مكتملة السرد. وشمل ذلك الطمس العنوان والفحص الإكلينيكى وجزءًا من التعريف بالحالة والتشخيص للحالة رقم 1. وقد عالج برستيد هذه الفجوات والبيانات الساقطة، ومكنه من ذلك العرض التسلسلى للحالة، بالإضافة إلى ما يصاحبها من تعليقات وشروح.

وتعالج البردية كل حالة مرضية فى أربع فقرات منفصلة، وهى:

- **العنوان The title**، وهو دائمًا مختصر، مثال: «التعليمات التى تُتخذ للتعامل مع مريض بجرح غائر منفرج (بحواف متباعدة) بالرأس مع كسر منغلق بالجمجمة» (حالة 4). وتكرر الجملة نفسها فى فقرتى الفحص الطبى والتشخيص.

• **الفحص الطبى Medical Examination:** يبدأ دائمًا بـ «إذا قمت بفحص رجل يعانى من...» ثم يتكرر العنوان مرة أخرى، ثم يذكر التعليمات الخاصة بفحص المريض، ومثال ذلك (حالة 7) «يجب فحص الجرح بمجس، رغم ما يسببه ذلك من ألم وخوف للمصاب، ثم اطلب من المريض أن يرفع وجهه إلى أعلى».

ومن أهم العلامات المرضية ذات الدلالة التى ذُكرت لتشخيص «كسر قاع الجمجمة» الخطير، أن «ينزف المريض دمًا من فتحتى الأنف وكذلك من أذنيه». كما كان يتم تشخيص الالتهاب السحائى بعلامات دقيقة: «لا يستطيع المريض أن ينظر إلى صدره أو يرى كتفيه». وفى الحالات الخطيرة كان العلاج يبدأ فورًا دون انتظار التشخيص النهائى[1].

• **التشخيص وتقدير مآل الحالة Diagnosis and Prognosis:** يبدأ هذا الجزء بعبارة «وبذلك نستطيع أن نقول أن المريض...»، ويتبع ذلك إعادة للعنوان وربما إعادة لأهم الأعراض والمظاهر الإكلينيكية، ومثال ذلك أن الأعراض المهمة التى جاءت لتشخيص كسر قاع الجمجمة تُذكر مرة أخرى قبل ذكر التشخيص. ويأتى بعد ذلك تقدير فداحة المرض والتى تحدد ثلاثة اتجاهات علاجية، وهى تتفق مع الاتجاه الحديث فى تحديد مآل حالة المريض فى الحالات الحرجة:

* **أولًا:** حالة مرضية سأقوم بعلاجها. (30 حالة)
* **ثانيًا:** حالة مرضية سأبذل كل جهدى لعلاجها. (8 حالات)
* **ثالثًا:** حالة مرضية ميئوس منها، ولا داعى لمحاولة علاجها. (14 حالة)

وفى حالة واحدة (حالة 9) لم يُذكر تشخيص أو تقدير لمآل الحالة، ولكن هناك خمس حالات اختلف فيها التشخيص وتقدير شدة المرض مع تكرار الفحص؛ مما نتج عنه تشخيصان مختلفان[2]. ويعتبر تقييم فداحة الحالة متناسبًا مع الإمكانيات العلاجية فى ذلك الوقت.

(1) يُعتبر هذا الأسلوب العلاجى هو الأمثل للتعامل مع الحالات الخطيرة، وأصبح هذا المنهج يُعرف فى العصر الحديث بـ «طب الحالات الحرجة» ـ (المترجم).

(2) لذلك فإن مجموع الحالات الواردة فى الفقرة السابقة يزيد عن عدد الحالات فى البردية (48 حالة) ـ (المترجم).

• **العلاج:** هو الجزء الأخير، ولا يُذكر عندما تكون الحالة حرجة أو غير قابلة للشفاء، مثال ذلك حالة رقم 24 (كسر بعظمة الفك)[1] والحالة رقم 44 (كسر بالضلوع مقترن بجروح مفتوحة). وفى بعض الحالات الأخرى غير القابلة للشفاء توصف أدوية لتخفيف الألم وغيره من الأعراض دون قصد الشفاء. مثال ذلك الحالة رقم 20 التى تعرض مريضًا فاقد الوعى يعانى من كسر مضاعف بالعظمة الصدغية بالجمجمة (انظر: شكل 4: 3)، فى هذه الحالة يُعالج المريض جالسًا، ويُطَرَّى رأسه بالدهون ويسكب اللبن فى أذنيه.

وفى أغلب الأحيان يكون العلاج الطبى متوافقًا ومنطقيًّا بالمعايير الحديثة، مثل خياطة الجروح، استعدال الكسور وتثبيتها فى مكانها الطبيعى كى تلتئم، واستعدال خلع المفاصل، أو وضع أربطة وضمادات.

ويعقب التدخل العلاجى السريع متابعة المريض واستمرار العلاج المناسب «حتى يتم شفاء المريض».

ونعرض هنا الحالة رقم 16 التى تم تدوينها متكاملة بطريقة واضحة ومبسطة ومختصرة؛ لكى نفهم المنهج العام لعرض الحالات:

«العنوان: تعليمات للتعامل مع مريض بجرح فى خده.

الفحص: إذا قمت بفحص مريض يعانى من جرح فى خده، ووجدت تورمًا واحمرارًا حول الجرح.

التشخيص وتقدير مآل الحالة: ستقول عنه: إنه يعانى من جرح بالخد، وسأقوم بعلاجه.

العلاج: يجب عليك أن تضمده بلحم طازج فى اليوم الأول، ويكرر العلاج حتى يقل التورم. وبعد ذلك يعالج بالشحم والعسل بضمادة موضعية يوميًّا حتى يتم الشفاء».

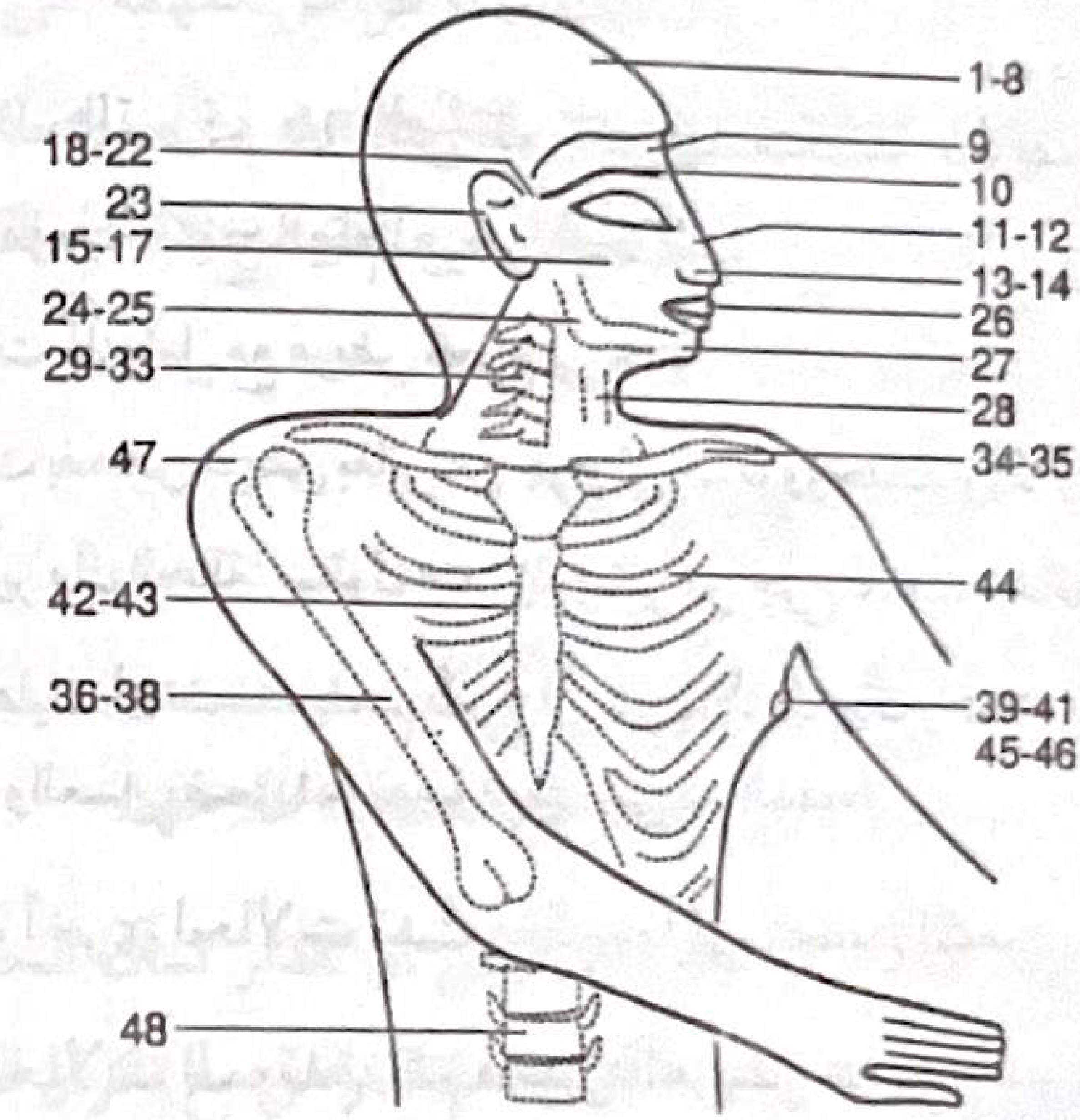
ونعرض أمثلة أخرى لحالات تمت معالجتها فى الفصل الثامن.

وفى بعض الحالات المعقدة، يتم فحص المريض عدة مرات، ثم تأتى هذه العبارة «وفى هذه الحالة إذا وجدت ...»، يأتى بعد ذلك التشخيص النهائى والتنبؤ بمآل الحالة. وقد يتقرر وقف العلاج بناءً على إعادة الفحص، إذا وُجد أن الحالة غير مُرضية ولم تستجب للعلاج الموصوف، مثال ذلك حالة رقم (7) (وهى غالبًا حالة تيتانوس)، وكذلك الحالة رقم 37 وهى كسر مضاعف بعظمة العضد.

(1) أو قد يلتئم الكسر تلقائيًّا مع مرور الوقت دون تدخل ـ (المترجم).

عرض الحالات تبعًا للتقسيم التشريحى للجسم

بالإضافة إلى العرض المنهجى المنظم لكل حالة، يتبع تسلسل الحالات منهجًا محددًا، فتبدأ البردية بإصابات قمة الرأس **ثم تتجه أسفل نحو الوجه والفك** ثم الرقبة حتى تصل لأعلى القفص الصدرى والذراعين، ثم العمود الفقرى (شكل 2: 2)، ويستمر الفحص إلى أسفل حتى القدمين. وبالإضافة للأهمية العلمية، **يهدف ذلك إلى (تبريك) الجسد** عن طريق وضع كل جزء منه تحت رحمة الآلهة المختلفة وحمايتها، كما هو مبين فى كتاب الموتى فى الرقية الثانية والأربعين، وأيضًا فى الرقية الثالثة المسجلة على حجر مترنخ، والتى تضع مختلف أجزاء جسم القطة التى لدغها العقرب تحت رعاية الآلهة. وهذا العرض التشريحى المنظم **يتبع قواعد التشريح الكلاسيكية** الواردة فى كتاب التشريح لجراى Gray's Anatomy (1).



(شكل 2 : 2)

التحديد التشريحى للأماكن المصابة كما جاء فى الحالات الثمانى والأربعين لبردية إدوين سميث.

الأرقام تشير إلى فقرات البردية التى تتناول العضو المصاب.

(1) من أشهر وأكبر كتب التشريح الحديثة ـ (المترجم).

ظهر البردية

كان ورق البردى غالى الثمن، لهذا كان من المعتاد الكتابة على وجهه وظهره. وبينما تبدو الكتابة على ظهر البردية أنها لنفس الكاتب الذى خط وجهها، إلا أنها تخلو من الفقرات الجراحية، بل **تأتى مواضيعها مختلفة تمامًا**. فمثلًا هناك ثمانى رُقى البعض منها له علاقة بممارسة السحر فى الطب (انظر: الفصل الخامس)، ثم تأتى وصفة لسيدة تعانى احتباسًا لبقايا حيضية (انظر: الفصل التاسع)، ووصفتان للعناية بالبشرة والتجميل، كما أن هناك وصفة لإعادة الكهل إلى صباه، وتنتهى الكتابة على ظهر البردية بوصفة موضعية لعلاج مرض غامض بفتحة الشرج.

وتلقى بردية إدوين سميث **قبولًا ملحوظًا عند الطبيب المعاصر**، فمن خلال البردية نستطيع أن **نتخيل الجرَّاح المصرى القديم أثناء عمله**؛ نحن نراه يفحص مريضه، ونستطيع أن نخمن ما يدور فى رأسه من أفكار ومعلومات إلى أن يصل للتشخيص النهائى، ثم نتتبع خطواته حتى يتم علاج المريض. كل ذلك بإسلوب يطابق الأساليب العلمية الحديثة، **ويختفى منها السحر**، باستثناء حالة واحدة (حالة 9) تعتبر (شطحة) سنتحدث عنها فى الفصل الخامس.

يا ترى، **ماذا كان الهدف الأساسى من كتابة هذه البردية**؟ هل كانت تسجيلًا لبعض المرضى الذين قام بعلاجهم طبيب جراح على درجة عالية من المهارة، فاكتسب مكانة مقدسة؟ أم كانت عرضًا لحالات إصابات حدثت فى معارك حربية وإصابات عمل تم جمعها لتصبح مرجعًا للممارسة الجراحية؟ أم كانت رسالة علمية؟. على أى الأحوال وأيما كان هدفها، فإن البردية ـ منذ كتابتها إلى الآن ـ **تُعتبر عملًا مرجعيًا قياسيًا لعلاج الإصابات**، كما أن التعليقات (أو الهوامش) تضيف إلى قيمتها العلمية؛ مما يرقى بالبردية عن مجرد اعتبارها أثرًا تاريخيًا يلفت الأنظار.

بردية إيبرز

The Ebers papyrus

اقتنى **إدوين سميث** هذه البردية فى الأقصر عام 1862، فى نفس الوقت الذى وقعت بين يديه بردية إدوين سميث تقريبًا. وما زال الغموض يحيط بالمكان الذى عُثر فيه على البردية، فعندما تم التنبه لأهميتها كان من عثروا على البردية قد ماتوا، ويقال إنها وُجدت

بين ساقى مومياء فى منطقة عساسيف بجبانات طيبة على الضفة الغربية لنهر النيل قبالة الأقصر، ويمكن التكهن أنها وُجدت فى مقبرة طبيب، وقد تكون المقبرة نفسها التى ضمت بردية إدوين سميث.

وظلت البردية فى حيازة سميث حتى عام 1869، حينما ظهرت فى نشرة (كتالوج) للأثريات، وأُعلن عنها كـ(بردية طبية ضخمة من مقتنيات إدوين سميث الفلاح الأمريكى فى الأقصر) . وظل يُطلق عليها أيضًا اسم بردية إدوين سميث حتى عام 1873. وقد بيعت البردية لجورج إيبرز عام 1872، ونسبها إلى نفسه فى نشرة أصدرها عام 1873 وأطلق عليها اسم «**بردية إيبرز**». بذلك تم التمييز بينها وبين البردية الأخرى التى احتفظت باسم «**بردية إدوين سميث**».

وتُحفظ بردية إيبرز الآن فى **مكتبة جامعة ليبزج**.

وفى عام 1875، نشر إيبرز نسخة رائعة للبردية، مصحوبة بترجمة للألفاظ المصرية إلى **اللغة اللاتينية**، وأشفعها بمقدمة.

وفى عام 1890، ترجم جوكم البردية إلى **اللغة الألمانية**، وكانت محاولة جريئة لكثرة الصعوبات اللغوية التى واجهها. ثم ترجمها بريان إلى **اللغة الإنجليزية نقلًا** عن الترجمة الألمانية واللاتينية عام 1930، وفى مقدمة هذه الترجمة كتب إليوت سميث: للدكتور بريان كل التقدير؛ لأنه أمدنا بترجمة باللغة الإنجليزية معتمدًا على ترجمة دكتور جوكم، وإن لم يلتزم بها حرفيًا.

وجاءت نقلة مهمة عندما ترجم الدكتور إيبيل Ebbell (1937) البردية للغة الإنجليزية، فأصبحت ترجمته مرجعًا سهل التناول لبردية إيبرز لجميع المتحدثين بالإنجليزية فى العالم.

ولكن يؤخذ على إيبيل أنه **أطلق العنان لخياله ولفهمه الطبى**، حتى أنه صاغ العديد من العبارات المصرية الغامضة بلغة إنجليزية جازمة رغم عدم التيقن من معنى هذه العبارات. فنجد إيبيل مثلًا يؤكد فى كتابه معرفة المصريين القدماء بعدة أمراض، مثل الذبحة الصدرية، والربو، ومرض السكرى، والشلل النصفى، والصفراء، وبعض ديدان البطن، بالرغم من نقص الأدلة على ذلك. ومن أخطائه الكبرى، ترجمته لكلمة

«شن دت shendet» وهى من النباتات[1] على أنها «الغُرْلة»[2]، مع أن معناها المعروف هو شجرة الأكاسيا (إيبرز 732)، وبهذه الترجمة الخاطئة تبدل التشخيص الصحيح لإحدى الحالات من «جرح ناتج من شوكة شجرة الأكاسيا» ليصبح «أحد مضاعفات الختان» وهما تشخيصان مختلفان للغاية.

والترجمة الدقيقة الحالية هى المنشورة بالألمانية فى المجلد الرابع من «**الموسوعة**»، وقد قام **غليونجى**[3] **(1987)** بترجمتها **(عن الموسوعة) للإنجليزية**، ولسوء الحظ أن هذا الكتاب الذى تم طبعه لم يُعرض للبيع[4].

وتحتوى بردية إيبرز على 110 صفحات، وهى بذلك تُعتبر **أطول البرديات الطبية**. وهى فى حالة ممتازة، وتمت كتابتها بعناية ووضوح، ويرجع **تاريخ كتابتها** للعام التاسع

(1) يوجد بجوار الكلمة رمز مخصص Determinative يدل على النباتات.

(2) الغُرْلة هى قطعة الجلد الموجودة بمقدم عضو الذكورة والتى تُستأصل عند الختان ـ (المترجم).

(3) بول غليونجى: عالم مصرى كبير ولد عام 1908، تشرف المترجمان بالتلمذ عليه فى كلية الطب جامعة عين شمس، وتلقيا وزملاؤهما على يديه أسرار علم الغدد الصماء والسكر، فقد كان عالمًا ورائدًا فى هذا التخصص. وكان شخصية جذابة، وله كاريزما تأخذ بألباب المستمع وتستحوذ على اهتمامه. وبجانب كونه طبيبًا كان **أديبًا ومفكرًا** ترك بصماته فى عالم الكتابة، فجاءت كتاباته بسرد علمى كأنها رسائل دكتوراه، مثال ذلك كتابه عن «ابن النفيس»، و«الطب العربى» وكتاب «السحر والعلوم الطبية فى مصر القديمة».
أما الطب عند قدماء المصريين فقد أخذ جل اهتمامه، وله مؤلفاته الخاصة وأيضًا المشتركة مع العالمين (دربى وجريفتى)، ومن بينها ما جاء حول مساحة الأرض الزراعية فى مصر (كما ذُكر فى هذا الكتاب)، كما يتحدث عن الماشية (وقطعانها ولحومها) والتى كانت ضمن الهبات الجنائزية... إلخ، ونشر القائمة الطويلة للخضراوات والنباتات فى مصر القديمة. وتبلغ دراسات غليونجى القمة فى تفسير فقرة مبهمة فى بردية برلين.
ثم تأتى قصة عالمنا مع **إخناتون** الذى تبين تماثيله وصوره أنه كان طويل القامة بجمجمة مستطيلة، وفكه الأسفل ضخم للغاية، مع تركيب جثمانى أنثوى؛ فالثديان بارزان، والأرداف كبيرة، والبطن منتفخ. وقد اختلف علماء الغدد الصماء فى تشخيص حالة **إخناتون**، واتفق غالبيتهم على أنه خلل فى الكروموسومات، وهذا خطأ؛ لأن هذه الأمراض تسبب عدم القدرة على الإنجاب، بينما إخناتون كانت له ست فتيات وابن أو أكثر. ويتفق العلماء فى النهاية أنه كان يعانى من اضطراب فى الغدة النخامية أصابه بعد البلوغ؛ فتسبب فى مرض يسمى «**أكروميجالى ـ Acromegaly**»، إلى أن يأتى غليونجى ويضع تشخيصًا مخالفًا تمامًا، فيشخص الحالة على أنها **تليف بالكبد** نتج عن البلهارسيا أو الدرن. وهذا التليف الكبدى أدى إلى انتفاخ البطن بسبب الاستسقاء، كما سَبَّب النمو غير الطبيعى للثديين والتوزيع الأنثوى للدهون فى الجسم. وهذا لا يمنع القدرة على الإنجاب إلا مع تدهور الحالة ـ (المترجمان).

(4) يقدم المؤلف الشكر لبنسون هارير الذى مكنه من إلقاء نظرة على هذا الكتاب الذى أهدته إليه أرملة البروفيسور غليونجى.

من حكم أمنحتب الأول (حوالى 1534 ق. م) كما هو مكتوب على ظهر البردية، وهذا التاريخ يقارب تاريخ تدوين بردية إدوين سميث.

وقد حرص ناسخ البردية على تأكيد أصلها القديم، كما جاء فى الفقرة (856 A):

«هذا الكتاب الذى خُطَّ ليدفع الـ«وخيدو» خارج أطراف المريض، عثر عليه بين مخطوطات وُجدت بين قدمى أنوبيس فى ليتوبوليس، ليُقَدَّم لجلالة الملك «دن»[1] ملك القطرين البحرى والقبلى (الأسرة الأولى)».

وقد قُصد بإضافة هذه الفقرة الرجوع بالبردية إلى حوالى 3000 عام قبل الميلاد؛ مما يضفى عليها المزيد من المصداقية والأهمية.

محتوى البردية

وللبردية طريقتان لترقيم الصفحات، فهناك ترقيم للسطور بجانب ترقيم الصفحات. وهناك النظام الأسهل وهو ترقيم الفقرات من رقم 1 إلى 877. ونظرًا للطول وأهمية الفقرات 854، 855، 856 فقد تم تجزئتها إلى فقرات أصغر، (الفقرة 854 قسمت من A إلى O، والفقرة 855 من A إلى Z والفقرة 856 من A إلى H) وقد استخدمنا نظام ترقيم الفقرات فى هذا الكتاب.

ويحتوى المجلد الخامس من الموسوعة على فهرسة كاملة لمحتويات البردية. وقد لوحظ التطابق التام بين أجزاء من هذه البردية مع باقى البرديات. كما يلاحظ أن عدة فقرات لا تقع فى مكانها الصحيح، وأن 17 فقرة معادة، وأن ستة أزواج من الفقرات متشابهة تقريبًا. وهذا يجعلنا نعتقد أنه قد تم كتابة البردية بالاستعانة بأكثر من مرجع.

وتبدأ البردية بالفقرات من 1ـ3، وتضم ثلاث رُقيات (نعرضها فى الفصل الخامس)، ثم يأتى بعد ذلك جزء عن الأمراض التى تصيب البطن «خت khet» مع التركيز على ديدان الأمعاء فى الفقرات 50ـ85. وتأتى الأمراض الجلدية فى الفقرات 90ـ95، 104ـ118، وأمراض الشرج فى الفقرات من 132ـ164.

وحتى الفقرة 187، تتبع البردية أسلوب ذكر الأدوية الخاصة بالاضطرابات التى

(1) دن: أحد أسماء خامس ملوك الأسرة الأولى، واسمه فى القوائم الملكية لمانيتو «زمتى»، وحكم 20-30 عامًا طبقًا للقوائم ـ (المترجم).

تصيب كل جزء من أجزاء الجسم؛ الأمعاء ـ المعدة ـ فتحة الشرج ـ الجلد... إلخ. وقد أمكن تحديد العضو بسهولة ووضوح. أما تحديد طبيعة المرض فلم يكن بهذا اليُسر؛ ففى بعض الأحيان يأخذ التعبير عن المرض صفة العَرَض مثل ارتفاع درجة الحرارة أو الألم، وقد يُعبر عن المرض باسم محدد، مثل (ويخيدو الـ آ آ آ wekhedu of aaa) وهو مرض ما زال غامض المعنى (انظر: الفصلين الثالث والرابع).

وتمثل أسماء الديدان مشكلة من نوع آخر، فقد يتم التعرف إلى أنها دودة[1]، ولكن التعرف إلى نوعها يظل مبهمًا لندرة ذكر الأعراض المرضية التى تصاحب كل نوع من الديدان. أى أن هذا الجزء من البردية يفترض أن المرض قد تم تشخيصه، ولا يتبقى غير وصف العلاج المناسب.

وتُعَنْوَن بعض الفقرات بجملة «دواء آخر»، والمنطقى أن يكون هذا العلاج الآخر خاصًا بالمرض المذكور فى الفقرة السابقة، لكن قد لا يتبع ناسخ البردية التسلسل المنطقى للفقرات، بذلك قد يشير «الدواء الآخر» لمرض مختلف.

ومن أمثلة هذه الصعوبات ما ورد فى الفقرات 104- 105:

«نبدأ بالمراهم «جيسو» للقضاء على الطفح الجلدى «وى هو»: زيت معدنى (إينر ـ سب دو)، مزيج من اللبن والزيت النقى. يوضع كضمادة (أو لبخة) لمدة أربعة أيام».

«ومرهم آخر: ورق الأكاسيا، راتنج (ساور)، زيت معدنى (إينر سب دو)، سائل اللفاندر (تا)، والنطرون الأحمر، والعسل، وزيت أو دهن، ويوضع على الجلد».

وليس لدينا ما يعين على التعرف إلى حقيقة هذا الطفح الجلدى الذى أُطلق عليه «وى هو wehau»، كما أن الأدوية الموصوفة لعلاجه لا تساعدنا فى تشخيص المرض. وغالبًا ما كانت هذه الأدوية توصف لتخفيف أعراض المرض وليس علاجه.

أما الزيت المعدنى (إينر سب دو) الذى دُوِّن فى الفقرتين، فليس لدينا ما يدلنا على طبيعته، كل ما لدينا هو الرمز المخصص الذى يوضع آخر الكلمة ليوضح أنه زيت معدنى. كذلك لا نستطيع أن نؤكد أن هذه الفقرة فى مكانها الصحيح، فقد تكون قد نُقلت من مكانها إلى موقع آخر عند نسخ البردية الأصلية؛ وبالتالى قد تكون الفقرة الثانية «ومرهم آخر» لا علاقة لها بالمرض الجلدى المسمى «وى هو».

(1) من خلال الرمز المخصص Determinative المصاحب لاسم الدودة.

والفقرات من 188 إلى 207 تضم «كتاب المعدة»، وفيها يظهر تغيّر مفاجئ فى أسلوب الكتابة ليقترب من أسلوب كتابة بردية إدوين سميث (انظر: سابقًا). والفقرة 188 هى الوحيدة التى لها عنوان، لكن باقى الفقرات تبدأ بعبارة «إذا كنت تفحص رجلًا يعانى من ...» أو كلمات بهذا المعنى، كما هو الحال فى الجزء الخاص بتشخيص المرض فى بردية إدوين سميث. ثم يأتى بعد ذلك التشخيص، ولكن بكلمات يصعب فهمها، كما لا يوجد تقدير لمآل المرض، وهى سمة مميزة فى بردية إدوين سميث. ثم يأتى ذكر العلاج، ويبدأ بهذه العبارة «يجب عليك أن تُحَضِّر له ...».

وتتبع الفقرات من 208 ـ 241 نفس هذا النسق فى العرض، وتركز على أمراض القلب.

أما الفقرات من 242 إلى 247، فتعرض عقاقير يُدَّعى أنها حُضِّرت بواسطة بعض الآلهة لاستعمالهم الشخصى أو لاستعمال إله آخر! وتنفرد الفقرة 247 من بين هذه الفقرات بذكر التشخيص:

«علاج سادس صنعته إيزيس للإله رع شخصيًّا لعلاج المرض الذى ألَمَّ برأسه».

وتضم الفقرة 250 إشارة لمرض الصداع النصفى، وفى كلتا الفقرتين يأتى عرض أمراض الدماغ بدون ذكر استخدام الآلهة لأدوية أدوية بعينها. ثم تأتى الفقرة 251 التى تخالف هذا السرد؛ إذ تركز على الدواء أكثر من المرض، ويبدو أنها مقتبسة مما هو شبيه بدستور الأدوية، لكن لسوء الحظ فُقد الباقى منه. وتبدأ الفقرة بالآتى (سيتم ذكرها بالكامل فى الفصل السابع):

«ما يمكن أن نحصل عليه من دى جم degem (قد يكون نبات راتنجى نحصل منه على زيت الخروع)، كما هو مدون فى الكتابات القديمة ليستفيد منه الإنسان».

والفقرات من 261 إلى 283 تعنى بتنظيم تدفق البول، ثم تأتى الأدوية التى تساعد فى تغذية القلب (284 ـ 293)، وأدوية السعال وأدوية لعلاج مرض «جى هى» (305 ـ 335).

وتشغل أمراض العيون جزءًا كبيرًا ومُركزًا فى بردية إيبرز (336 ـ 431)، وقد يقابل هذا الجزء كتاب «العيون وأمراضها» الذى أشار إليه كليمانضوس. ويعتبر هذا الجزء مصدر معلوماتنا الرئيسى حول علاج أمراض العيون فى مصر القديمة. وسيتم عرضه فى الفصل التاسع.

ويأتى عرض علاج عضة الإنسان والتمساح فى الفقرات من 432 إلى 436، ثم تعود البردية لأمراض الدماغ، ولكنها فى هذه المرة تهتم بشعر الرأس.

والفقرات من 477 إلى 481 تعالج بعض الأمراض غير المحددة للكبد.

والفقرات من 482 إلى 529 تعالج مختلف الإصابات، والتى تتضمن الحروق، والضرب والجروح.

وتضم الفقرات من 530 ـ 542 جزءًا غامضًا يتحدث عن المعاناة بسبب الإفرازات (ست جا setja)، والأجزاء التى تليه تتسع لتضم العديد من الحالات، بعضها غير مؤكد ومبهم (أكوت akut، كاكوت kakaut) وقرح (بى نوت benut). ثم يأتى ذكر مشاكل الأسنان 553، 554، والسيقان (561، 562 و 603 ـ 615)، وأصابع اليدين والقدمين (616 ـ 626).

وتعنى الفقرات (627 ـ 696) بتقوية واسترخاء (الميتو)، وهذه الكلمة معقدة، قد تعنى الأوعية الدموية، كما يمكن أن يكون معناها العضلات والأوتار وهو الأرجح فى هذا المقام. وستعالَج الكلمة ببعض التفصيل فى الفصل الثالث.

وتأخذ أمراض اللسان مكانها فى الفقرات (697 ـ 704)، ويليها جزء مهم ومُركز حول أمراض الجلد (708 ـ 721). وتوجد أيضًا فقرات مركزة حول الأسنان (739 ـ 750) وأمراض الأذن والأنف والحنجرة (761 ـ 781) وأخيرًا حول أمراض النساء (783 ـ 839).

ثم يتغير موضوع البردية فجأة ليتعرض لحشرات المنزل (840 ـ 853).

والثلاث فقرات التالية (854 ـ 856) فى غاية الأهمية؛ إذ تتضمن الأسس التشريحية لفهم (الميتو) كما تعرض القليل عن قصور القلب والجهاز الدورى (نشرح هذه الفقرات بالتفصيل فى الفصل الثالث).

ويدور الجزء المتبقى من بردية إيبرز حول الجراحة، ويتبع نفس منهج الفقرات 188 ـ 207، الذى يتشابه مع طريقة بردية إدوين سميث. فالفقرات (857 ـ 862) تتحدث عن القرح، والفقرات (863 ـ 875) عن الأورام والتورمات. والعلاج الجراحى هو المفضل فى عشر من هذه الحالات. وهذه الفقرات هى المصدر الأساسى لمعلوماتنا عن الجراحة خارج نطاق الإصابات.

وبالنسبة للإضافات الموجودة بالبردية (الهوامش والشروح)، فإنها لم توضع بجوار المعلومات المقابلة فى البردية الأصلية، بيد أن العديد منها يمدنا بمعلومات مهمة.

ويوجد فى البردية إحدى عشرة رُقية، بالإضافة إلى الثلاث رُقيات الأساسية فى الثلاث فقرات الأولى.

أما خلفية البردية فتخلو من المعلومات الطبية، لكنها تقدم ما يعود بكامل هذه البردية لعصر أمنحتب الأول، كما ذكرنا.

مما سبق يتضح أنه على خلاف بردية إدوين سميث؛ فإن بردية إيبرز تضم تجميعًا لبعض المراجع الطبية المختلفة تم وضعها فى البردية عشوائيًا بغير نظام. لذلك فإن التقسيم البسيط لمحتويات البردية يعتبر مستحيلا، ولذلك أيضًا يوجد العديد من التشابهات مع البرديات الأخرى، خاصة برديات هرست، وبرلين، ولندن، كما هو مبين بالجداول فى المجلد الرابع ـ 2 من الموسوعة.

بردية كاهون لأمراض النساء

The Kahun gynaecological papyrus

تم العثور على ما يُعرف ببرديات كاهون فى شهرى أبريل ونوفمبر عام 1889م، بواسطة فليندرز بترى Flinders petrie بالقرب من مدينة اللاهون بالفيوم، واستقرت منذ ذلك الحين بجامعة لندن. وقد ازدهرت مدينة اللاهون فى أواخر المملكة الوسطى خاصة أيام حكم أمنمحات الثالث وخلفائه، ويوجد على خلفية البردية الخاصة بأمراض النساء تسجيل لتاريخ نسخها، وهو العام التاسع والعشرون من حكم أمنمحات الثالث (1825 ق.م). وتتفق فى ذلك الوقت مع برديات الرامسيوم الطبية (انظر: لاحقًا).

وتحتوى البردية الخاصة بأمراض النساء، من بين برديات كاهون، على ثلاث صفحات؛ تضم الصفحة الأولى 29 سطرًا، والثانية 30 سطرًا، والثالثة 28 سطرًا. وبخلاف بردية إيبرز وُجدت هذه البردية فى حالة سيئة ومتهالكة، ورغم ترميمها ما زال بها العديد من الفراغات. ومثل جميع البرديات الطبية ـ باستثناء بردية الرامسيوم الخامسة ـ جاءت كتابتها باللغة الهيراطيقية، إلا الجزء الخاص بالطب البيطرى فقد كتب باللغة الهيروغليفية على غير العادة، إذ كانت هذه اللغة تستعمل فى المراجع الدينية فقط، مثل «كتاب الموتى».

وقد نشرت البردية عام 1898 باللغة الهيراطيقية مع ترجمة باللغة الإنجليزية (كُتبت بعض المعانى الفَظّة باللاتينية)، ثم ترجمت مرة أخرى عام 1975 إلى الإنجليزية. ومثل جميع البرديات الطبية، توجد الترجمة الألمانية الدقيقة فى المجلد الرابع (1) من الموسوعة.

محتوى البردية

يمكن تقسيم هذه البردية الخاصة بأمراض النساء إلى 34 فقرة، وتتميز السبع عشرة فقرة الأُول بنسق موحد (الجزء الأول). ومثل بردية إدوين سميث تبدأ كل فقرة من هذا الجزء بجملة: «تعليمات بخصوص المرأة التى تعانى من ...»، ويتبع ذلك نبذة قصيرة عن الأعراض التى غالبًا ما تكون خاصة بالجهاز التناسلى. وبخلاف بردية إدوين سميث، لا يوجد وصف لكيفية فحص المريضة، بينما تقدم الفقرة الثانية ما يفيد الحاجة لإلقاء بعض الأسئلة المهمة. ومع ذلك يأتى التشخيص الطبى النهائى بدون تردد (حينئذ يمكنك أن تقول أن هذه حالة ...) مع عدم مراعاة احتمال الوقوع فى الخطأ بسبب عدم فحص المريضة، لذلك يصعب فى بعض الحالات تفهم التسلسل المنطقى الذى قاد إلى التشخيص النهائى.

وتمثل الفقرة الخامسة نموذجًا لهذه الصعوبة:

«نصائح للمريضة التى تعانى من أسنانها ولثتها، وغير قادرة على فتح فمها: عند ذلك تستطيع أن تقول أن لديها ألمًا حادًا بالرحم».

ثم تبين البردية بعد ذلك النصائح العلاجية للحالات التي تم وصفها: «والآن يمكنك أن تعمل لها ...» ويتبع ذلك العديد من الوصفات التى تُعطى عن طريق الفم أو توضع داخل المهبل، أو توضع من الخارج، وفى ثلاث حالات يُنصح بتبخير المهبل.

ويقع الجزء الثانى من البردية فى الصفحة الثالثة والأخيرة، ويضم ثمانى فقرات، وللأسف يتعذر فهم غالبيتها. وتدور الفقرة 19 حول تحديد من هُنّ على وشك الوضع. وتتحدث الفقرة 20 عن التبخير كوسيلة للمساعدة على حدوث الحمل. وتصف الفقرتان 21، 22 بعض اللبوسات المهبلية لمنع الحمل، والتى تحتوى أحداها على براز التماسيح،

والثانية على 454 مليلتر من العسل، والثالثة على اللبن الرايب. ولا يسعنا إلا أن نشك فى تأثير هذه المواد كموانع للحمل.

والجزء الثالث يشتمل على الفقرات من 26 ـ 32، ويدور حول اختبارات الحمل، ويبدأ بملحوظة احتقان الأوعية الدموية للثدى كعلامة للحمل، ثم ترد بعض الاختبارات الأخرى الغريبة؛ فالفقرة 28 توصى بوضع بصلة بعمق داخل المرأة (داخل المهبل)، فإذا كانت المرأة حاملًا ستنبعث رائحة البصل من أنفها. وتذكر الفقرة 30 بعض التعازيم التى تُتلى لمساعدة هذه الاختبارات، وهذه هى الفقرة الوحيدة فى البردية التى تعتمد على أعمال السحر.

ويضم **الجزء الرابع** فقرتين ليس لهما أى صلة بالموضوعات السابقة، فالفقرة (33) تشرح علاجًا لآلام الأسنان فى السيدة الحامل. والفقرة (34) تصف ما قد يكون ناصورًا بين المثانة والمهبل مصحوبًا بالسلس البولى.

ومن حسن الحظ أن **برديات برلين وكارلسبرج وإيبرز ولندن** ورامسيوم تحتوى على معلومات فى مجال أمراض النساء، يمكن أن تعوض ما أصاب بردية كاهون من تلف. ولا يوجد تشابه بين بردية كاهون والبرديات الأخرى، إلا بعض التشابه بين فقرة كاهون 26 وبرلين 196، وبين فقرة كاهون 28 وبردية كارلسبرج الرابعة.

وعلى العموم فبردية كاهون **مخيبة للطبيب المعاصر**، فهى تحتوى على القليل مما له علاقة بالمفاهيم الحديثة لأمراض النساء، ولا تحوى شيئًا عن الولادة.

بردية هرست

The Hearst papyrus

فى ربيع عام 1901، أحضر فلاح من قرية دير البلاص لفافة بردية وقدمها لأعضاء معسكر هرست للتنقيب، تعبيرًا عن امتنانه لسماحهم له بالحصول على بعض السباخ من مخلفات التنقيب لاستخدامه كسماد. وقد سميت هذه البردية بهذا الاسم تكريمًا لفيبى هرست والدة ويليام راندولف هرست (وهو مليونير أمريكى يمتلك جريدة)؛ إذ قامت هذه السيدة بتمويل الكثير من أنشطة جامعة كاليفورنيا فى مصر، خاصة بعثة هرست

الاستكشافية بقيادة ريزنر الذى قام بنشر **الأصل الهيراطيقى** للبردية ونبذة مختصرة عن محتوياتها عام 1905، ثم نُشرت **النسخة الهيروغليفية** وترجمتها للألمانية عام 1912. أما الترجمة الأخيرة **للغة الألمانية**، فقد جاءت فى الموسوعة. وليس هناك ترجمة إنجليزية للبردية.

ويُعتقد أن البردية تعود إلى حكم الأسرة الثامنة عشرة والفرعون تحتمس الثالث، وموجودة الآن فى جامعة كاليفورنيا.

محتوى البردية

تتكون بردية هرست من 18 صفحة مقسمة إلى 260 فقرة. وتشمل البردية أجزاءً عن الجهاز الهضمى، والجهاز البولى، والأسنان، والعظام، والشعر، والدم، واللدغات، والميتو. كذلك تشتمل على وصفات علاجية لبعض الحالات غير المحددة. كما تضم أيضًا بعض التعازيم.

ويوجد تشابه بين هذه البردية وبردية إيبرز فى مائة فقرة، وبعضها متطابق. ويوجد تشابه فى فقرة واحدة مع بردية برلين، واثنتين مع بردية الرامسيوم 5. ولا يوجد بالبردية ذكر لأمراض النساء.

برديات شستر بياتى

The Chester Beatty papyri

كان السير ألفريد بياتى رجل صناعة يمتلك الملايين، وجامعًا للكتب والتحف الفنية، كما كان يقوم بالكثير من الأعمال الخيرية. وقد قدم بياتى 19 بردية للمتحف البريطانى ما زال بعضها يعرض فى هذا المتحف إلى الآن. وكانت هذه البرديات ضمن خبيئة كبيرة تم العثور عليها خلال الحفريات فى دير المدينة، وهى قرية عمال جبانات طيبة.

وقد **تفرقت تلك البرديات فى أماكن مختلفة**، فنجد بعضها فى المتحف الأشمولينى فى أكسفورد، وبعضها فى المعهد الفرنسى فى القاهرة. أما المجموعة الأكبر فهى موجودة فى مكتبة ومتحف شستر بياتى فى دبلن. والنسخ الموجودة فى المتحف البريطانى تضم وثائق لها طابع كهنوتى وبها صلوات وتعازيم، بجانب المعلومات الطبية.

ويعتقد أن هذه البرديات كانت ضمن أرشيف خاص بعائلة مصرية قديمة، بدأت بالكاتب «كن هر خب شف Qen - her - khepeshef» من الأسرة التاسعة عشرة، وآلت بعد ذلك عن طريق زوجته «نوت ناخت» إلى أبنائها من زواج ثانٍ. وقد سُمي أحد أنجال هذه السيدة باسم زوجها الأول (شكل 2: 3). ويبدو أن هذه المجموعة ظلت فى حيازة هذه الأسرة لمدة تجاوزت القرن من الزمان، ثم انتقلت إلى مُلاك جدد حتى استقرت فى قبر داخل كنيسة صغيرة، وظلت مكانها حتى تم اكتشافها عام 1928، وبعض أجزاء هذه البرديات طبى صرف، لكن ليس لدينا دليل على أن أحدًا ممن امتلك هذه المجموعة كان طبيبًا.



(شكل 2 : 3)

نقش على حجر كن هر خب شف موجه للإلهة حاتور، من قرية دير المدينة. الأسرة التاسعة عشرة (المتحف البريطانى).

والحالة العامة لهذه المجموعة من البرديات سيئة، وبرغم عمليات الترميم والإصلاح ما زال بها العديد من الفراغات. وقد ترجم جاردنر عام 1935 البرديات ونشرها باللغة الإنجليزية، وقد كتب حول البردية السادسة، وهى الأهم من وجهة النظر الطبية، يقول:

«إن المكتوب فى واجهة البردية يُعَد متخصصًا لدرجة كبيرة يصعب معها التناول فى هذا المقام». وقد تُرجم هذا الجزء للغة الفرنسية عام 1947، ثم تمت ترجمة البردية إلى اللغة الألمانية بشكل كامل (تجاوز الصعوبات) ونُشرت ضمن الموسوعة.

محتوى البردية

يضم الجزء الثالث من بردية شستر الخامسة تعازيم سحرية لعلاج الصداع والصداع النصفى (جس تب ges - tep)، وهذا المعنى يتوافق مع الكلمة اليونانية Hemi-Krania التى أُشتقت منها التسمية الحالية «الصداع النصفى migraine». وتوجد أيضًا بعض الوصفات الطبية، لكن أغلبها له صبغة سحرية.

وتتكون واجهة البردية السادسة من ثمانى صفحات، مقسمة إلى 41 فقرة، وغالبيتها تدور حول أمراض الشرج. ويذكر هذا الجزء الكثير من الأعراض التى توحى إلينا بطبيعة المرض وخلفيته الباثولوجية[1] (انظر: الفصل الرابع)، ولكن تبقى بعض الكلمات والجمل صعبة الترجمة.

وتبدأ غالبية الفقرات بجملة «علاج آخر»، وتشمل قائمة بوصفات يؤخذ البعض منها عن طريق الفم، والبعض الآخر يوضع على فتحة الشرج، أو يسكب داخل الشرج كحقنة شرجية (حوالى 12 وصفة طبية)، وفى الحالات التى وُصفت لها الحقن الشرجية لا ذكر لنوع المرض. وتتفق أربع من هذه الوصفات مع ما جاء فى بردية برلين، كما توجد حالة مشابهة لما جاء فى بردية إيبرز 157 حول أمراض الشرج، وقد أشار هيرودوت إلى هذه الطريقة من العلاج وعلق عليها.

وتحمل خلفية البردية السادسة القليل من الوصفات الطبية، مع الكثير من التعازيم السحرية لأمراض غير معلومة.

وعلى وجه وخلفية البردية السابعة هناك ذكر للسع العقارب فى الفقرة 5، وهذا الجزء هو الوحيد الذى تُرجم فى الموسوعة.

ويقول جاردنر عن بردية شستر بياتى الثامنة «هذه البردية هى الأقل جاذبية بين المجموعة، والأسوأ حالًا بين الأثريات؛ لذلك تطلبت جهدًا هائلًا لتنسيقها ومحاولة فهمها». ومن بين المعلومات الطبية والدينية الموجودة بالبردية، توجد وصفة (رغم عدم وضوحها) توحى بأنها علاج طبى لمرض لم يتم التعرف إليه.

(1) الباثولوجيا هو علم طبائع الأمراض ـ (المترجم).

أما **البردية الخامسة عشرة** من برديات شستر بياتى فهى عبارة عن صفحة واحدة، وهى الأفضل حالًا من ناحية الحفظ. وتضم الأسطر من 5 ـ 9 وصفتين لمرض مدمر يوصف بأنه (جفاف بالفم)[1].

بردية برلين

The Berlin Papyrus

اكتشف هذه البردية المهمة جوزيبى باسا لاكا فى منطقة سقارة، ثم بيعت عام 1827 لفردريك ويلهلم الرابع ملك بروسيا ضمن مجموعة كبيرة من الأثريات، وقد أودعها **متحف برلين** وهى ما زالت ضمن مقتنياته حتى الآن[2]. وكان باسا لاكا أمينًا للمجموعة الأثرية المصرية بالمتحف، حتى عام 1865.

ولا يوجد ما يدل على زمن هذه البردية، **إلا أن الشكل العام** وطريقة الكتابة يشيران إلى انتمائها **للأسرة التاسعة عشرة**.

وفى البداية قام بروخش Brugsch بدراسة البردية وارتبطت باسمه، فكان يُطلق عليها فى بعض الأحيان **«بردية بروخش»**، لكن الترجمة الكاملة **للألمانية** والنشر تم على يد فريزنسكى عام 1909، وتوجد الترجمة الألمانية الدقيقة ضمن الموسوعة. ولا توجد أى ترجمة للبردية إلى اللغة الإنجليزية.

وقد جاء فى هذه النسخة من البردية (كما جاء عن بردية إيبرز)، أنه قد تم اكتشاف البردية الأصلية بين كتابات قديمة أخرى تحت قدمى **أنوبيس** فى منطقة ليتوبوليس فى عصر جلالة ملك القطرين «دن» من **الأسرة الأولى فى المملكة القديمة**. أى أن برديتى برلين وإيبرز تشتركان فى القِدَم وفى المصدر الذى يكتنفه الدين والسحر.

وبينما أغفلت جميع البرديات الطبية الأخرى ذكر اسم كاتبها، نجد إشارات عن كاتب **بردية برلين** فى ثلاثة مواقع من البردية، وتحمل الفقرات اختلافًا حول اسم هذا الكاتب، ففى الفقرة (163 a) نجد:

(1) تصيب مجموعة من الأمراض النسيج الضام بالجسم، وتتميز باستنفار للجهاز المناعى للمريض Autoimmune diseases، ومن بين هذه الأمراض الخطيرة ـ التى قد تكون مميتة ـ ما يكون «جفاف الفم» أحد أعراضه ـ (المترجم).

(2) يضم متحف برلين قطعة من بردية أخرى (طبية) (رقم 3027) ترجع للأسرة الثامنة عشرة.

«تم إتمامها بواسطة كاتب كلمات الإله، رئيس المبدعين الطبيب نت جر ـ هتى بو Netjer - hetepu».

ثم نجد الفقرة رقم (163 h) تقول:

«تمت.. بمهارة الطبيب رئيس المبدعين نت جر ـ هتى بو Netjer - hetepu».

وتنتهى الرقية (التى جاءت فى خاتمة البردية) فى الفقرة (190) بالثناء على إيزيس، ثم بنفس الكلمات:

«العظيمة إيزيس، صانعة فنون رع،الأطباء نت جر ـ هتى بو».

فالفقرة الأولى والثانية تشيران إلى أن الكاتب الطبيب هو صاحب البردية، وقد يكون هو المؤلف الأصلى، أو أنه قام بتجميع المعلومات من مصادر مختلفة وأودعها فى مرجع واحد. بينما تبدو الفقرة الثالثة كما لو كانت بيانات المؤلف، كما يحدث الآن من تسجيل بيانات المؤلف ومؤلفاته فى مؤخرة الكتاب.

والمشكلة تدور حول كلمات نت جر ـ هتى بو، هل هى **اسم الكاتب**، أم تشير الكلمات إلى «**من يسترضى الإله المسبب للمرض**»؟ ويتفق مع الاتجاه الأخير مؤلفو الموسوعة وأيضًا غليونجى، ويدعم ذلك الاتجاه جملة جاءت فى بردية شستر بياتى السابعة:

«ليكن معلومًا أنا الطبيب حورس مُسترضى الإله».

ويؤيد وجهة النظر هذه أيضًا أن كلمات «نت جر ـ هتى بو» لم يتبعها الرمز المخصص الذى يشير إلى أنه اسم رجل (هذا الرمز هو صورة رجل جالس).

كذلك يصعب تفسير لماذا جاءت كلمة سونو (الطبيب) فى الفقرة الثالثة بالجمع وليس بالمفرد

يبدو أننا لن نعرف بدقة حقيقة كاتب هذه البردية.

محتوى البردية

تتكون البردية من 24 صفحة؛ 21 صفحة منها على الواجهة (رقمت فقراتها من 1 إلى 191) وثلاث صفحات على الظهر، (رقمت فقراتها من 192 إلى 204).

وتتعامل الفقرات من 13 ـ 18 مع **أمراض الثدى**، وتتفق مع بردية إيبرز 810 (وبرلين 17)، وليس فى هذه الفقرات معلومات باثولوجية بخلاف الإشارة لوجود ورم (بيسى besy) فى فقرة 14.

وتعرض الفقرة 192 طريقة فولكلورية لمنع الحمل.

أما الفقرات من 193 ـ 198 فتناقش **اختبارات الخصوبة** بقدر من الاتفاق مع برديتى كاهون وكارلسبرج.بينما تعرض الفقرة 199 اختبارًا لتحديد نوع الجنين (ذكر أم أنثى).

والكثير من بردية برلين يتفق مع أجزاء من بردية إيبرز، خاصة الفقرة الطويلة رقم 163 والتى تتطابق مع ما جاء فى إيبرز 856 والتى تدور حول الميتو[1]، وأهمية هذه الفقرة أنها تصحح الخطأ الذى وقع فيه كاتب بردية إيبرز (856 b) حول العدد الكلى للميتو (انظر: جدول 3 ـ 2).

بردية لندن الطبية

The london medical papyrus

لا توجد معلومات حول مصدر هذه البردية، وقد كانت مِلكًا للمؤسسة الملكية بلندن، ثم انتقلت إلى المتحف البريطانى عام 1860.

وقد ترجم فريزنسكى البردية **للغة الألمانية** عام 1912، ونشرت فى النشرة التى قدمت بردية هرست، ثم نُشرت هذه الترجمة ضمن الموسوعة. وحالة البردية سيئة، وقد تم محو الكتابة الأصلية التى كتبت خلال فترة حكم توت عنخ آمون، وأعيد كتابة البردية فوقها.

وتتكون هذه البردية من 19 صفحة، تضم 61 فقرة، من بينها 25 فقرة طبية والباقى

(1) التعريف بالميتو يأتى فى الفصل الثالث.

سحر. ويوجد بالبردية جزء صغير عن أمراض النساء (40 ـ 45). وهناك 17 فقرة تتفق مع بردية إيبرز، ولا يوجد اتفاق مع أى من البرديات المعروفة الأخرى.

بردية كارلسبرج الثامنة

Paprus Carlsberg VIII

أصل هذه البردية غير معلوم، وكانت تنسب للأسرة التاسعة عشرة أو الأسرة العشرين، لكن طريقة كتابتها وأسلوبها وطريقة العرض تشير إلى الأسرة 12، بعد زمن كتابة بردية كاهون بفترة وجيزة. والكتابة مدونة على وجهى البردية الأمامى والخلفى بواسطة شخصين.

وبينما تمتلك مؤسسة كارلسبرج هذه البردية إلا أنها معارة إلى معهد المصريات فى جامعة كوبنهاجن، وقد تُرجمت **للإنجليزية** ونشرت عام 1939، ثم نُشرت باللغة الألمانية فى الموسوعة.

وقد **رُقمت البردية بطريقة معقدة**، وكمثال لذلك [III (1,6 - x +3)]، فالرقم اللاتينى III يشير لرقم الفقرة، ورقم 1 يشير لرقم الصفحة، ورقم 6 هو رقم السطر الذى بدأت به الفقرة، و 3 هو رقم السطر الذى تنتهى به الفقرة، و(x) يشير إلى السطر الأول الذى يجىء بعد مساحة مطموسة المعالم لا يُعرف عدد سطورها.

وقد أصبح من الممكن قراءة الكثير مما جاء فى خلفية البردية (صفحتان تحتويان 7 فقرات) بعد ترميمها.

محتوى البردية

تدور أجزاء البردية حول كيفية اكتشاف **الحمل** ومعرفة جنس الجنين، وكذلك قابلية المرأة للحمل من عدمه، وتأتى هذه المعلومات فى الأجزاء التى صمدت عبر الزمن ويمكن قراءتها. والفقرات 3، 5، 6 مماثلة تقريبًا لما جاء فى برلين 195، 198، 199، والفقرة 4 تتطابق مع الفقرة 28 لكاهون. كما يوجد بعض التشابه بين الفقرة 7 وبردية برلين 193، 194.

ويعرض الوجه الأمامى للبردية بعضًا من **أمراض العيون**، ولكنه فى حالة سيئة، وبالمقارنة نجده يتشابه مع ما جاء فى بردية إيبرز حول هذا الموضوع.

برديات الرامسيوم 5, 4, 3

The Ramesseum papyri III, IV, and V

فى عام 1896، عثر كويبل على 17 بردية داخل صندوق خشبى فى قاع مقبرة تحت مستودع للطوب خلف معبد الرامسيوم العظيم فى طيبة، وكانت البرديات فى حالة سيئة. وفى عام 1955، لاحظ جاردنر أن باقى محتويات المقبرة تشير إلى أنها تخص طبيبًا ساحرًا مجهول الشخصية. لكن الإشارة إلى أمنمحات الثالث (الأسرة الثانية عشرة) فى البردية 6 (غير طبية) تعنى أنها تعود لزمن لاحق لعام 1854 ق.م. لذلك يُرجع جاردنر زمن كتابة البردية إلى الأسرة الثالثة عشرة (أوائل فترة الاضمحلال الثانية).

والأصل الهيراطيقى (الرامسيوم 3، 4) نشره جاردنر عام 1955. **أما البردية الهيروغليفية** (الرامسيوم 5) **والتعليقات الإنجليزية** فقد نشرت عام 1956، وتحتوى الموسوعة على أحدث ترجمة **باللغة الألمانية**.

محتوى البرديات

يقع الجزء الطبى فى برديات الرامسيوم الثالثة والرابعة والخامسة. وتحتوى واجهة **بردية الرامسيوم** (3) على 31 فقرة فى الجزء (A)، و34 فقرة فى الجزء (B). وتعالج هذه الفقرات موضوعات طبية متعددة، فهى تضم أجزاءً فى **طب العيون** وأمراض النساء **وأمراض الأطفال**. ولا تتشابه هذه البردية مع بردية إيبرز إلا فى القليل.

أما الرامسيوم (4)، فهى مقسمة إلى 5 أقسام (A – E) وتضم 45 فقرة، وتشتمل أيضًا على **أمراض النساء والأطفال**. وهناك عدة أجزاء تدور حول الولادة، وتبدأ بهذه العبارة: «لكى أفصل الجنين عن أمه التى فى حالة وضع...»، وتقوم أغلب هذه المعالجات على السحر ولا تعكس مفاهيم طبية.

والرامسيوم (5) هى الأفضل حفظًا، وإن كانت صياغتها الهيروغليفية تشير إلى أنها الأقدم زمنيًا، وهى تضم مفاهيم طبية أوفر وسحرًا أقل من زميلتيها (3، 4).

وتبدأ الرامسيوم (5) بعنوان أفقىّ، يعلو أعمدة الكتابة الرأسية التى تأتى فى شطرين: الشطر العلوى يحتوى على الوصفات من 1 إلى 10، والشطر السفلى من 11 إلى 20. وتشمل هذه الأجزاء علاجات للميتو (العضلات والأوتار)، وتتفق فى هذا المجال مع بعض ما ورد فى بردية إيبرز (إيبرز 627 ـ 696).

بردية بروكلين حول لدغ الثعابين

The Brooklyn Papyrus on snake bites

تتناول هذه البردية لدغات الثعابين فقط، وهى مودعة فى **متحف بروكلين** تحت رقمين، الأول هو (47.218.**48**) ويخص الجزء العلوى للبردية. أما الرقم الثانى (47.218.**85**) فيخص الجزء السفلى؛ حيث إن لفافة البردية **قطعت إلى نصفين**. وبداية البردية ونهايتها مفقودة، بينما الباقى منها فى حالة مُرضية مع قليل من الفراغات.

وقد تم نشر نسخة جيدة وكاملة من البردية مصحوبة بترجمة إلى اللغة الفرنسية عام (1989).

وتعود البردية إلى الأسرة الثلاثين أو ربما إلى بداية العصر البطلمى، وإن كانت طريقة كتابتها تعود إلى عصر المملكة الوسطى. وتفسير ذلك، إما أنها نسخة حديثة لبردية تمت كتابتها فى زمن أقدم، أو أن كاتبها الذى ينتمى للعصور الحديثة اختار أسلوب التعبير والكتابة الفرعونية التقليدية.

محتوى البردية

يحتوى الجزء الأعلى من البردية (بعد فقد بدايتها التى تحمل العنوان والمقدمة) على **تقسيم منهجى لوصف مختلف الحيَّات ولدغاتها**. ويُذكر فى السطر الأخير من هذا الجزء أن هناك وصفًا لثمانية وثلاثين ثعبانًا ولدغاتها، وقد فُقِد الجزء الذى يحمل أوصاف الثلاثة عشر الأولى.

ويبدأ **الجزء الثانى** بالفقرة رقم 39، وجاء فى مقدمتها:

«عرض العقاقير... للتخلص من السم من جميع... الثعابين، جميع العقارب، وجميع العقارب الكبيرة وجميع الحيات، على يد كهنة سركت، ولطرد جميع الثعابين وغلق أفواهها».

ثم يستمر هذا الجزء فى سرد العديد من العقاقير والقليل من الرُّقى لمن لدغتهم الثعابين. ويتم التعامل مع هذه الحالات ووصف الأدوية بأسلوب منطقى، يعتمد على نوع الثعبان، وكذلك على الأعراض التى يعانى منها الضحية. وتتبع هذه الوصفات نفس المنهاج البسيط الذى تتبعه بردية إيبرز والبرديات الطبية الأخرى، فجميعها موجهة للأطباء غير المتخصصين.

كما تحمل هذه البردية الأدلة على التعاون بين الأطباء والكهنة المعنيين بعلاج المرضى (انظر: الفصل السادس، الفصل الثامن).

البرديات الطبية الديموطيقية

Demotic medical writings

يوجد العديد من المراجع (تدور حول السحر والطب) من عصور متأخرة كتبت باللغة الديموطيقية، وبالرغم من كتابتها بهذه اللغة المصرية فقد تأثرت بالفكر اليونانى، ويمكن لهذه الكتابات أن توضح بعض الكلمات والجمل غير المفهومة التى نجدها فى المراجع التى كتبت فى العصور الفرعونية الأقدم، ومعظم هذه البرديات الديموطيقية تتناول السحر، وأهمها برديتين:

1 - بردية (لندن وليدن) **The London and Leiden papyrus** تعود للقرن الثالث قبل الميلاد، وأعيد نسخها مع ترجمتها إلى الإنجليزية عام (1904). وبردية (لندن وليدن) بردية واحدة، باعها القنصل السويدى بالإسكندرية (ويدعى أنسطاسى) على هيئة جزأين؛ لأنه لم يعرف أنهما مكملان لبعضهما البعض. وقد آل جزء (ليدن) لملكية الحكومة الألمانية عام 1828، كما آل جزء (لندن) للمتحف البريطانى فى عام 1857.

وتحتوى البردية على تعليقات مفيدة للغاية باللغة اليونانية.

2 - بردية كروكوديلوبوليس (مدينة التماسيح) **Crocodilopolis papyrus** وهى ترجع إلى النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد، وتخلو من أى نوع من التعازيم والسحر. وتحتوى البردية على قائمة من الأدوية لعلاج بعض الأمراض، منها أدوية مصرية تقليدية وأخرى حديثة انتقلت إلى مصر من منطقة البحر المتوسط، وهذه الأخيرة لم يأت ذكرها فى البرديات الطبية الفرعونية التى تبقت بين أيدينا.

النقوش الطبية الخزفية

Medical ostraca

ومن مصادر المعلومات الطبية الأخرى، ما تم اكتشافه من الكتابات الطبية التى نُقشت على شقاف خزفية أو صحاف من الحجر الجيرى، وتعود هذه الآثار إلى ما بين حكم العمارنة (الأسرة الثامنة عشرة) حتى حقبة الاحتلال الرومانى.

* * *

الفصل الثالث

العلوم الطبية الأساسية عند المصريين القدماء

Concepts of anatomy physiology and pathology



أولًا: علم التشريح Anatomy

- مصادر المعرفة التشريحية عند المصريين القدماء
- التشريح فى البرديات الطبية
  - كتاب الأوعية (الميتو)
  - بردية إدوين سميث
- الهيروغليفية ذات الاستخدام الطبى
- أسماء الأعضاء الداخلية

ثانيًا: علم وظائف الأعضاء Physiology

- الجهاز العصبى
- الدودة الدموية
- الجهاز التنفسى
- الجهاز الهضمى
- الجهاز البولى التناسلى

ثالثًا : علم طبائع الأمراض Pathology

- الإصابات
  - إصابات الأنسجة اللينة
  - الكسور
  - إصابات المفاصل
  - لدغ الثعبان ووخز العقرب
- الاضطرابات الطبية
  - تلوث الجروح
  - الخراريج
- دور الميتو فى التسبب فى الأمراض
- بعض التعبيرات المرضية الغامضة

أولًا: علم التشريح

Anatomy

نقل «أفريكانوس» عن الأعمال التى فقدت لـ «مانيتو Manetho»، عالِم التاريخ المصرى القديم[1]، فكتب عن الفرعون الثالث من الأسرة الأولى[2]:

«أثوثيس» ابن الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى فى الدولة القديمة، عاش سبعة وخمسين عامًا، وشيد القصر الكبير فى «ممفيس»، وما زالت أعماله فى علم التشريح باقية؛ لأنه كان طبيبًا.

ونقلًا عن المصدر نفسه (مانيتو)، كتب يوسيبيوس عن أثوثيس أنه:

«حكم مصر مدة سبعة وعشرين عامًا، وبنى القصر فى ممفيس، ومارس الطب وألَّف مراجع فى علم التشريح».

ورغم أن النقل عن «مانيتو» صحيح، لم يصل إلينا أى عمل مصرى قديم منظم فى علم التشريح، بل من الصعب تصور وجود مثل هذا العمل الدقيق فى بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد، أو تصور أن المناخ العام آنذاك كان مناسبًا لقيام أبحاث فى هذا الفرع من العلوم الطبية. وبالرغم من ذلك فإن ما نجده فى بعض البرديات الطبية ـ خاصة بردية إدوين سميث ـ حول بعض الأجزاء من جسم الإنسان، يؤكد أنه كانت هناك **دراسات**

---

(1) يعرفه اليونانيون بمانيتون السمنودى (عام 280 ق.م).

(2) الأسرة الأولى والثانية تؤلفان العهد الطينى أو الطينيسى، نسبة إلى العاصمة القديمة فى طينة أو طينيس، التى يُظَن أن موقعها إلى الشمال الغربى من جرجا مكان قرية البرباء، شمال بيتِ خلاف والمحاسنة. وأول ملوك الأسرة الأولى هو مينا منشئ حائط العجوز «السور الأبيض» وهو حصن أنشئت فى موضعه مدينة «منف»، فيما بعد «ممفيس»، وقد عثر الأثريون على قبور لبعض ملوك الأسرتين فى «أبيدوس» (العرابة المدفونة) قرب البلينا ـ (المترجم).

مستفيضة فى علم التشريح فى عصر مبكر، ومن المحتمل أن تكون «أطروحة التشريح» قد وُضعت فعلًا.

مصادر المعرفة التشريحية عند المصريين القدماء

لا توجد قرائن تشير إلى أن تشريح جسم الإنسان قد مورس فى مصر قبل «هيروفيليس Herophilus» الطبيب الإغريقى الأشهر، الذى عمل فى مدرسة الطب بالإسكندرية أوائل العصر البطلمى (انظر: الفصل العاشر). ورغم أن أعماله لم تبق على مر السنين، إلا أن هناك إشارات واضحة فى كتابات سلسوس وجالن وآخرين، تُظهر أن هذا العالم البطلمى كانت لديه فرص غير محدودة لتشريح الجثامين الآدمية، كما قام بعمليات تشريح لسجناء أحياء. وإذا كان هيروفيليس لم يبال باحترام الموتى الذى كان سائدًا خلال حكم الفراعنة واليونانيين من بعدهم، والذى انعكس فى عدم التمثيل بجثثهم وتشريحها، فإنه بعد وفاة هيروفيليس، توقفت عمليات التشريح الآدمى.

ومع المصاعب التى كانت تعوق تشريح جسم الإنسان، كان لدى الطبيب المصرى القديم مصادر أخرى للمعلومات التشريحية. فقد أمدت **الحروب والحوادث** وإصابات **العمل الخطيرة** المصريين بالعديد من الضحايا؛ مما أتاح الفرصة لاكتساب المزيد من المعرفة التشريحية. ونتبين من بردية إدوين سميث أن هذه الأحداث المفجعة لم تذهب سدى، وأنها زودت العلم بتفاصيل عن تشريح جسم الإنسان.

كما امتلك **المحنطون (الحانوطى: الحانوتى)** معرفة وخبرة عملية كبيرة فى مجال عملهم، بصرف النظر عن معرفتهم بتفاصيل الصفة التشريحية الداخلية. فقد كانت لديهم المقدرة على تمييز **الأعضاء الداخلية لجسم الإنسان** القابلة للتعفن السريع بعد الوفاة، كما توصلوا إلى طريقة إخراجها وتخليص الجثة منها عن طريق إحداث جروح قطعية صغيرة (شكل 3 ـ 1)، ثم معالجتها بالمواد الحافظة ووضعها فى «الأوانى الكانوبية[1] Canopic Jars»، تحت رعاية وحماية أبناء حورس الأربعة وبركة الإلهات الحافظة (جدول 3 ـ 1).

(1) أربع أوانٍ فخارية، توضع بها محتويات البطن والصدر: الأمعاء والكبد والمعدة والرئتان، وتغلق جيدًا وتوضع داخل المقبرة بجوار جثة المتوفى، كل منها تحت حماية أحد أبناء حورس. وفى الدولة القديمة كانت هذه الأوانى توضع فى مكان خارج المقابر، ولكن فى الدولة الحديثة كانت توضع داخل المقبرة ـ (المترجم).

جدول (3 – 1) الأوانى الكانوبية الأربع ومحتوياتها ورعاتها

المحتوى	أبناء حورس	الرمز بعد الأسرة الثامنة عشرة	الإلهات الحافظة
الكبد	إمسيتى	الإنسان	إيزيس
الرئتان	هابى	قرد البابون	نفتيس
المعدة	دواموتف	الذئب	نت
الأمعاء	كب هسى نف	الصقر	سركت

وتعتبر **إزالة المخ** أثناء عملية التحنيط عن طريق فتحة الأنف إنجازًا مرموقًا للمصريين. وكانت تتم بإدخال مثقاب عن طريق الأنف ودفعه داخليًا حتى يصل إلى العظمة المصفوية[1] بقاع المخ، ويُحدث بها فتحة صغيرة لا تتجاوز 2سم (شكل 3 : 3 ,2).

ولا نعرف إلى أى مدى انتقلت المعلومات والمهارات التشريحية من **المحنطين إلى الأطباء**، وقد أوضح هيرودوت بجلاء أن المحنط (فى عصره) كان يُعتبر شخصًا غير نظيف، وقد وضع هذا حدًا للتعامل والحوار بين الأطباء والمحنطين. لكن هذه النظرة لم تكن قائمة قبل هيرودوت، فقد وُجدت بعض المراجع التى تشير إلى صلات وتعاون بين الأطباء والمحنطين، اقرأ ما جاء فى التعليق « أ » على الحالة رقم 9 فى بردية إدوين سميث:

«أما الرباط (هيت) الذى يستخدمه الطبيب كضمادة (سيشد)، فيمسك به المُحَنِّط».

أما التعليق «أ» على الحالة رقم 19 من بردية إدوين سميث فيشير إلى أن الطبيب يفهم الأعمال المنوطة بالمحنطين، انظر إلى وصف البردية لأحد المحنطين الذين كانوا يُستشارون قبل حدوث الوفاة؛ مما يجعلهم فى تواصل مع الطبيب (سونو):

«بالنسبة لعينيه فهما محمرتان كالدم، أى أن لون العينين أحمر مثل لون زهور الشاس». أما الوثيقة التى تفصح عن واجبات المحنط (فُقد معظمها) فتقول (على لسان أحد الأطباء) حول

(1) Ethmoid bone

هذا الموضوع «عيناه حمراوتان بسبب مرض ألمَّ به، وأصبحتا كلون العين فى قمة مرضها ونهايتها»، مما يشير إلى تعامل هذا الطبيب مع المُحنط.

ومما له دلالة أيضًا، أن الجد الأكبر لكبير الأطباء «منم سحى نت» فى المملكة الوسطى، كان محنطًا (حانوطى) اسمه «نب نب». ويبدو أن هذا الجد (إذا كان قد عَمَّرَ طويلًا) أَمَدَّ حفيده بمعلومات ذات فائدة. وفى النهاية، نشير إلى أن كلمة سونو، أو «الطبيب»، تعنى أيضًا «المُحَنِّط» فى العصر البطلمى. بذلك نتأكد أنه لم يكن هناك فجوة كبيرة بين الأطباء والمحنطين.

التشريح فى البرديات الطبية

ذكر المؤرخ كليماندوس السكندرى (ولد حوالى عام 150م)، أن المصريين القدماء كان بحوزتهم كتاب يضم معلومات عن تشريح جسم الإنسان، وقد يكون هو الكتاب الذى نسبه مانيتو إلى «أثوثيس»، ولم يعثر عليه حتى الآن، ولكن توجد منه بعض المقاطع التى صمدت عبر الزمن فى برديتى إيبرز وبرلين، وبعضها تم تدوينه كهوامش وتعليقات فى بردية إدوين سميث.

وعلى العموم، ليس لدينا إلا القليل من المدونات التى يمكن من خلالها أن نُكوِّن صورة واضحة عن معرفة المصريين القدماء بالتشريح، لكننا على يقين أنهم كانوا على دراية بالكثير من أسماء الأجزاء الخارجية والداخلية لجسم الإنسان، وإن كانت معلوماتنا قليلة عن مدى معرفة المصريين القدماء بأسماء العظام المختلفة، باستثناء الجمجمة، والفك السفلى، والفقرات، والضلوع، وعظمة الترقوة.

ويوضح شكل (3: 4 أ ـ ب ـ جـ ـ د) أسماء الأعضاء التشريحية فى مصر القديمة.

كما يبين (جدول 3-2) توزيع ما يُعرف عند المصريين القدماء بالأوعية (الميتو)، ونتبع الجدول بشرح للمقصود بكتاب الأوعية.



(شكل 3 : 1)

فتحة أحدثها المحنط من الأسرة الحادية والعشرين، وقد قام بخياطتها على غير العادة. من مجموعة من 44 مومياء من كهنة آمون. (المتحف المصرى).



(شكل 3 : 2)

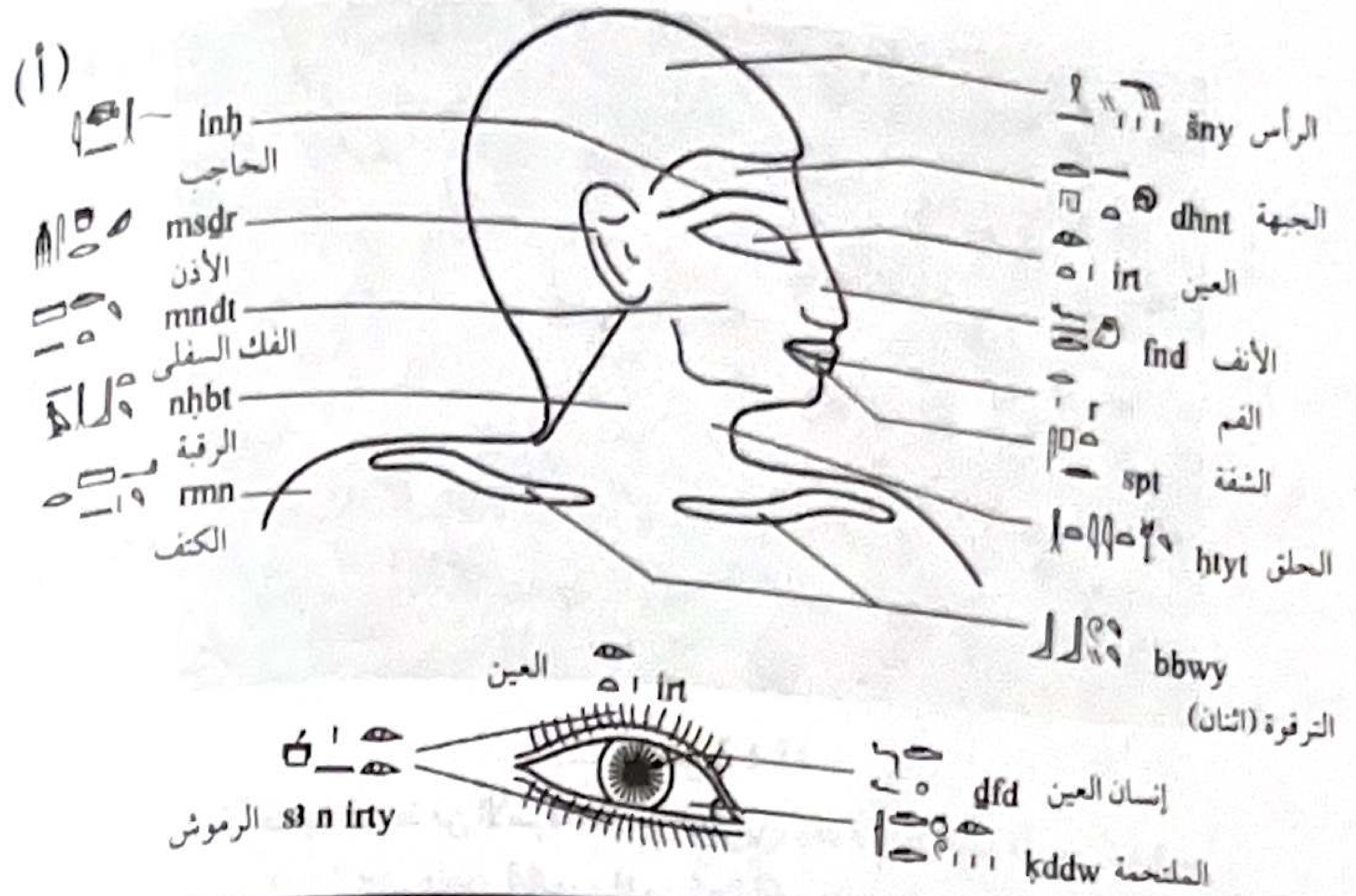
جمجمة بطلمية أُزيلت عنها الطاسة ليظهر قاع الجمجمة، والسهم يشير للفتحة التى أحدثها المحنط فى العظمة المصفوية



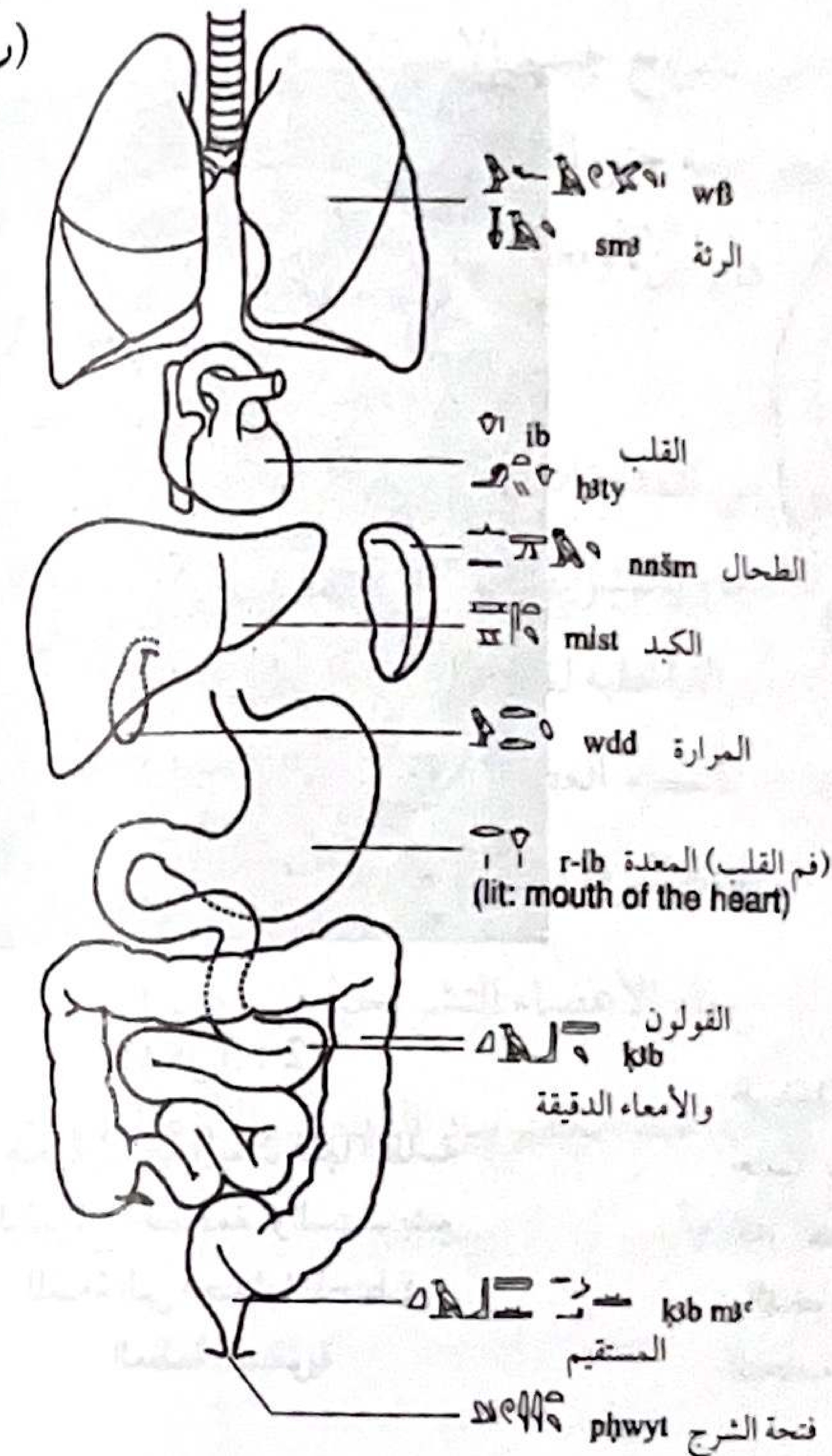
(شكل 3 : 3)

طريقة إزالة المخ أثناء التحنيط، رسم توضيحى لصورة جانبية بالأشعة، يبين طريق مرور الثاقب من الأنف تجاه العظمة المصفوية (السهمين الصغيرين) وثقبها والدخول إلى المخ. السهم الكبير يشير إلى عظمة الغدة النخامية التى أزاحها الثاقب.

(أ)



(ب)



(شكل 3: 4)

أسماء بعض الأعضاء التشريحية فى مصر القديمة. النطق باللغة الإنجليزية والمعنى باللغة العربية

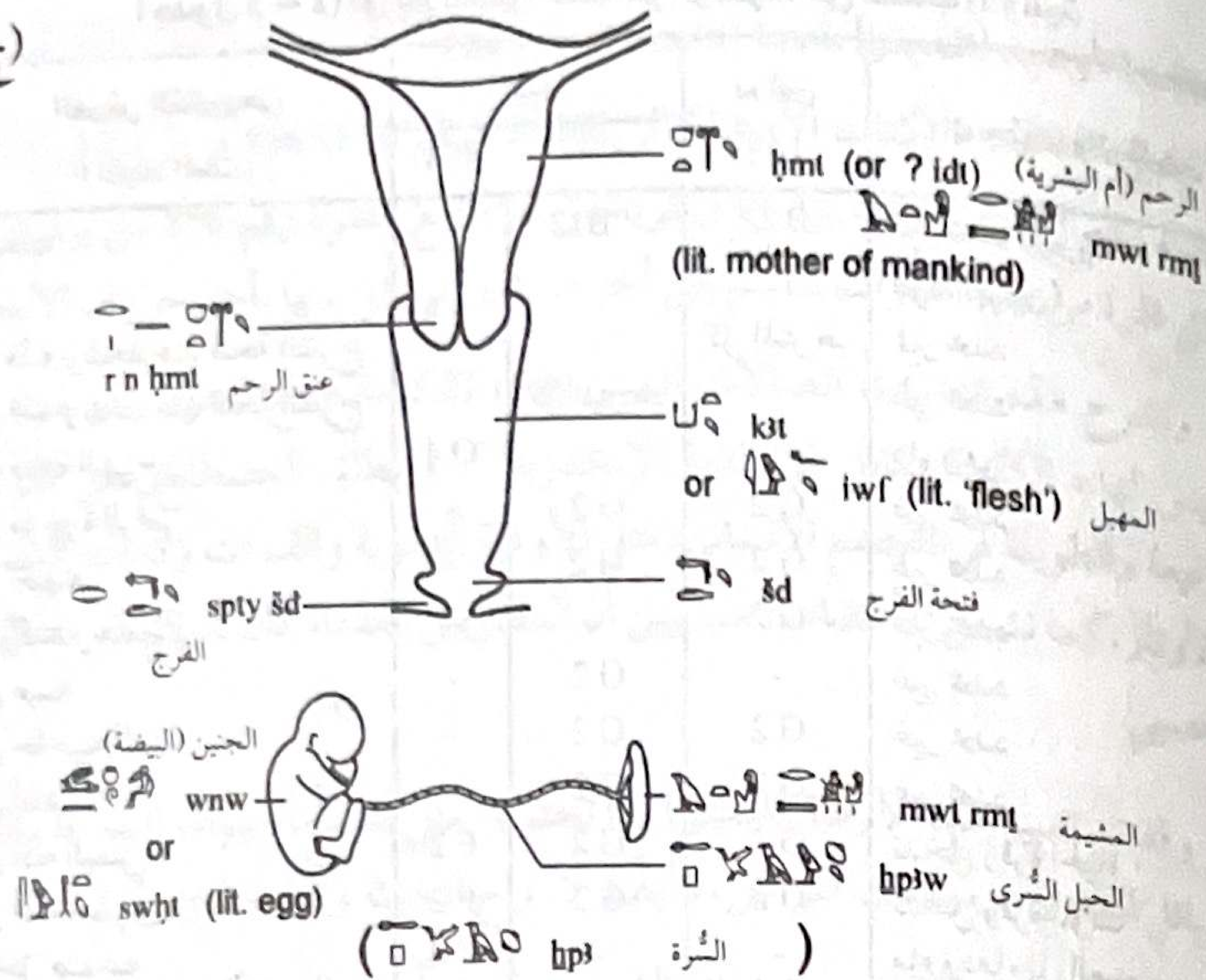
(أ) الرأس والرقبة.

(ب) بعض الأعضاء الداخلية.

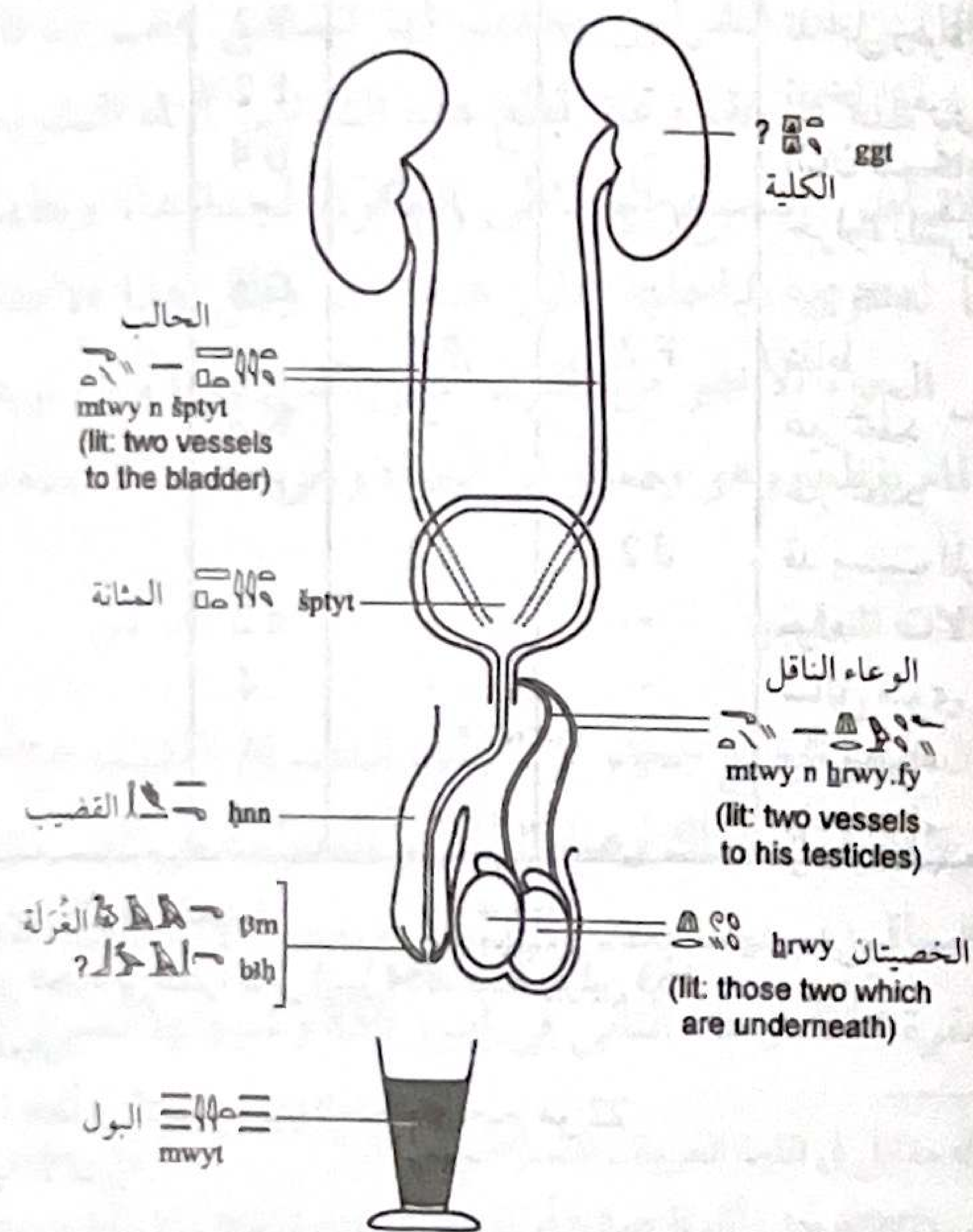
(ج) الجهاز التناسلى للمرأة.

(د) الجهاز البولى التناسلى للرجل.

(ج)



(د)



(جدول 3 ـ 2) توزيع (الميتو) كما هو موصوف فى كتاب الأوعية

الغرض التشريحى (اتجاه المت)	إيبرز 854	إيبرز 856	برلين 163	المحتوى والوظيفة
إلى قلبه		B12[1]	B 22	غير محدد (إيبرز) هواء (برلين)
إلى قلبه وتتحد عند فتحة الشرج	-	-	كل الميتو هـ	غير محدد
إلى قلبه وتتحد عند فتحة الشرج	-	كل الميتو هـ	-	غير محدد
إلى فتحة الشرج	O 4	-	-	ماء وهواء
إلى مؤخرة الرأس	-	G 2	G 2	غير محدد
إلى جبهته	-	G 2	G 2	غير محدد
فى رقبته وحلقه[2]	-	-	G 2	غير محدد
إلى عينيه	-	G 2	-	غير محدد
إلى حاجبيه[3]	-	G 2	G 2	غير محدد
إلى أنفه	-	G 2	G 2	غير محدد
إلى أذنه اليمنى	F 2	G 2	G 2	تدخل زفرة الحياة
إلى أذنه اليسرى	F 2	G 2	G 2	تدخل زفرة الموت
داخل صدغيه	C 4	-	-	ماء ودماء إلى العينين
إلى الرأس	D 4	-	-	تسبب مرض الشعر
إلى كتفه اليمنى	F 2	-	-	تدخل زفرة الحياة
إلى كتفه اليسرى	F 2	-	-	تدخل زفرة الموت
فى فتحتى أنفه	B 4	-	-	اثنان للمخاط واثنان للدم
إلى ثديه أو ثدييه	-	C 2	C 2	حرارة للشرج
إلى الذراعين	G 6	-	-	غير محدد
إلى عضده	-	F 2	F 2	مخاط
إلى إليتيه	K 2	-	-	غير محدد
إلى ساقيه	h 6	-	-	غير محدد
إلى فخذه(أو فخذيه)	-	d 2	d 2	قد يسبب المرض
إلى المثانة	n 2	-	-	بول
إلى خصيتيه	i 4	-	-	سائل منوى
إلى الكبد	i4	-	-	ماء وهواء
إلى الرئة والطحال	m4	-	-	ماء وهواء

* تشير الأرقام إلى عدد الأوعية (الميتو).
* تشير الحروف إلى الجزء من الفقرات فى إيبرز 854، 856 وبرلين 163.
* المت هو مفرد الميتو

(1) من المعتقد أن عدد 12 خطأ فى التدوين، بينما العدد الصحيح هو 22.
(2) قد تقرأ أيضًا «فى عينيه الاثنتين».
(3) حاجب عين واحدة فى بردية إيبرز، واثنان فى برلين.

كتاب الأوعية (الميتو) The vessel (metu) book

يشير هذا الجزء (كتاب الأوعية) إلى الفقرات رقم 854، 856 فى بردية إيبرز، وإلى الفقرة رقم 163 من بردية برلين، والتى تتفق تمامًا مع الفقرة رقم 856 من بردية إيبرز. وكل فقرة من هذه الفقرات تنقسم إلى أجزاء، يشار إلى كل منها بأحد حروف الأبجدية.

وتشرح هذه الفقرات اتصالات الميتو metu (الكلمة جمع لمفرد وهو مت met) وليس لهذه الكلمة مقابل فى اللغة الإنجليزية[1]. و يطلق المصطلح على التراكيب **الرفيعة والطويلة فى الجسم الإنسانى**، مثل الأوعية الدموية والقنوات وكذلك **العضلات والأوتار**، كما تشمل **الأعصاب**؛ مما يبين أن المصريين القدماء كان لديهم معرفة بالجهاز العصبى.

وقد تم **تمييز هذه الأوعية (الميتو) بما تحتويه**؛ مثل الدماء، الهواء، المخاط، البول، السائل المنوى، ومسببات أمراض، وأيضًا الأرواح الخبيثة والطيبة (جدول 3 ـ 2).

وكان المصرى القديم يعتقد أن الشرايين (أحد أنواع الميتو) تحتوى على هواء، وسبب هذا اللبس أن الشرايين يحدث لها انقباض عقب الوفاة، فتطرد الدماء من داخلها وتصبح شبه فارغة، وعند قطع هذه الشرايين أثناء التشريح فإنها تنفرج وتُفتح ذاتيًا بسبب انقباض النسيج المطاطى المُكوِّن لجدارها، وتظهر خالية؛ مما يعطى الانطباع بأنها تحتوى بداخلها على هـواء[2]. وظل هذا الاعتقاد سائدًا حتى جاء جالينوس (فى الجزء الأخير من القرن الثانى الميلادى) وقام بربط أحد شرايين كلب من طرفيه ثم قام بقطعه وهو مغمور فى الماء؛ وخرجت منه الدماء وليس فقاعات هواء.

توزيع واتصالات الميتو

من أجل أن نفهم توزيع الميتو فى الطب المصرى القديم، فلنتأمل بعض ما جاء عنه فى بردتى إيبرز وبرلين: هناك **وصفان للميتو** الخارجة من القلب والمتجهة إلى الأذنين والذراعين والساقين، بينهما بعض التداخل وبعض الاختلاف. جاء أحد الوصفين فى بردية إيبرز الفقرة 854، وجاء الثانى فى إيبرز 856 وشبيهتها الفقرة 163 فى بردية برلين.

(1) كذلك ليس له مقابل فى اللغة العربية ـ (المترجم).
(2) اللفظ اللاتينى arteria يعنى أنبوبة هوائية أو شريانًا.

وكمقدمة للوصف الثانى الوارد فى **بردية إيبرز 856 b** جاء ما يلى:

«يوجد بداخل الرجل 12 ميتو تتجه إلى قلبه، وهى تغذى جميع أعضائه وأطرافه».

وفى الفقرة رقم **163 b من بردية برلين نقرأ:**

«بداخل الرجل 22 ميتو توجه الهواء إلى القلب وتخرجه منه، وهى تعطى الهواء لكل ذراع من ذراعيه».

والأرجح أن عدد (12) فى **بردية إيبرز 856 b خطأ فى التدوين**؛ لأن رقم (22) فى برلين هو الرقم الصحيح لعدد الميتو، كما ورد تفصيله فى **إيبرز 856 وبرلين 163** (انظر جدول 3 ـ 2).

وتحتوى الفقرة (856 h) من إيبرز والتى تتطابق مع الفقرة (163 h) من برلين على عبارة محيرة، وهى: **«ويصب الجميع فى القلب، وتتفرع إلى الأنف، ثم يتحد الجميع عند فتحة الشرج»**، وينطبق ذلك على الاثنين والعشرين ميتو المذكورة فى كل من إيبرز 856 وبرلين 163. وهذا النظام يتمشى مع التصور المصرى القديم للدورة التى تحمل المواد السامة والضارة من الأمعاء، وتتوجه من خلال الميتو إلى الأجزاء المختلفة من جسم الإنسان.

ولكن تبقى **صعوبة فهم وتقبل العلم الحديث** لفرضية أن تتجه كل الميتو إلى القلب، ثم إلى منطقة بعينها من جسم الإنسان، وبعد ذلك تتحد عند فتحة الشرج. فهذا لا يتفق مع التفاصيل التشريحية والعلاقات الوظيفية بين أعضاء الجسم وما تعارف عليه الأطباء فى العصر الحديث، ويصعب وضع **رسم توضيحى لتصور تشريحى** على أساس هذا الطرح المصرى القديم، وإن كان هناك محاولة غير موفقة فى هذا الصدد (عام 1975).

وربما كان التفسير يكمن فى اختلاف المعنى لكلمة واحدة جاءت فى هذه الفقرة بشكلين مختلفين، فالكلمة (بهوى Pehuy) تعنى النهاية، أما الكلمة (بهويت pehuyt) فتعنى فتحة الشرج. فهل يمكن أن نستبعد كلمة الشرج، ونقول: إن وعاء أو قناة ما تنتهى فى عضو كذا؟.

والفقرة O 854 من بردية إيبرز، نجد وصفًا مستقلًا لتوزيع تشريحى لعدد (52) من الميتو إلى أجزاء الجسم المختلفة، وبالطبع هذا الرقم (52) يفوق كثيرًا الأعداد الكلية

للميتو فى بردية إيبرز 854 وبرلين 163، وربما يمثل هذا العدد الكبير وجهة نظر أشخاص قليلين، يبدو أنهم أضافوا إلى القائمة بعض الميتو التى لا يتوفر فيها الوصف الأساسى؛ (تصب فى القلب، ويتم توزيعها إلى الأنف، ثم تلتقى جميعها عند فتحة الشرج).

انواع الميتو

تذكر إيبرز 854 عدة أنواع مختلفة من الميتو، ينتمى بعضها للدورة الدموية، بينما ينتمى البعض الآخر إلى تراكيب مختلفة فى الجسم:

(أ) جاء **ذكر الدم** فى موضعين: «اثنان من الميتو إلى فتحتى الأنف يمداها بالدماء» (إيبرز 854 b) «واثنان آخران يحملان المخاط، وأربعة من الميتو إلى الصدغين وينقلون الدم إلى كلتا العينين» (إيبرز 854 c) . أما الاثنان من الميتو اللذان ذُكر فى إيبرز (856 g) أنهما يتجهان مباشرة إلى العينين فيمكن أن يكونا عصبى العين؛ حيث لا يمكن ملاحظة الأوعية الدموية الصغيرة التى تدخل مقلة العين بسهولة.

(ب) إذا كان المقصود من الستة ميتو الخاصة **بالذراعين** هو الأوعية الدموية؛ فيكون المقصود بها الشريان الرئيسى للعضد (الشريان العضدى) والشريانان اللذان يتفرعان منه عند مفصل الكوع (الشريان الكعبرى والشريان الزندى)، أى 3 ميتو لكل ذراع، ومن السهل تحسس النبض بتلك الشرايين الثلاثة[1]. وتدعم هذا التصور مقولة منفصلة جاءت فى كل من إيبرز (856 f) وبرلين (163 f)، بأنه يوجد عدد اثنين ميتو إلى العضدين. ويمكن حساب الأوردة بجانب الشرايين إذا كان المقصود ستة من الميتو لكل ذراع.

وكتصور بديل، لو كانت هذه الميتو الستة تشير إلى الأعصاب، فيمكن أن تكون هى العصب الكعبرى والعصب الزندى والعصب الأوسط[2]، وهى الثلاثة أفرع العصبية الكبيرة التى تخرج من الضفيرة العضدية[3] التى تغذى الطرف العلوى، من الكتف حتى الساعد فى كل ناحية.

(1) Brachial, Radial and Ulnar arteries

(2) Radial, Unar and Median nerves

(3) Brachial plexus موجودة فى الإبط ـ (المترجم).

(جـ) وتواجهنا نفس المشكلة عند التعرف إلى الستة من الميتو الخاصة بالطرفين السفليين (إيبرز 854 h). فبالنسبة للفخذ من المحتمل أن يكون المصريون القدماء قد تعرفوا إلى الشريان الفخذى[1]؛ لأنه يتميز بنبضات قوية وواضحة يحسها الفاحص بسهولة فى المنطقة الإربية، ويؤكد ذلك ما جاء فى البرديات من أنه يوجد اثنان من الميتو إلى الفخذين (إيبرز 856 d؛ وبرلين 163 d). وعند باطن الركبة ينقسم هذا الشريان إلى فرعين كبيرين هما: الشريان الشظى، والشريان القصبى الخلفى[2]. وفى هذه الحالة أيضًا يكون هناك ثلاثة شرايين لكل طرف سفلى. أما إذا كانت هذه الميتو تشير إلى الأعصاب فتكون هناك صعوبة فى تفسير ماهية هذه الأعصاب.

ومن سوء الحظ أننا لم نتوصل إلى ماهية وصفة ومحتوى الميتو الواردة فى ب، جـ، وكذلك وظائفها، لذلك لا يمكن تمييزها وتصنيفها كأوعية دموية أو أعصاب.

(د) أما بالنسبة **للمثانة والخصيتين**، فالتمييز التشريحى أسهل نسبيًّا. تقول إيبرز 854 n بوضوح «يوجد اثنان من الميتو إلى المثانة، وهما اللذان يُدِران البول». ويشكك البعض فى هذا التفسير، باعتبار أن الميتو ينبغى أن تخرج من القلب، لذا لا يمكن أن تكون هذه الأوعية هى الحالبين. ويمكن تجاوز هذه الصعوبة بما ذكرناه قبلًا، من أن هناك عددًا كبيرًا من الميتو لا يمر بالقلب (إيبرز 854)، ويؤكد ذلك أن الميتو المتجهة إلى المثانة لم تُذكر ضمن قائمة الـ 22 ميتو المتصلة بالقلب، لذلك لا يوجد ما يمنع من اعتبارهما الحالبين.

وينطبق نفس التفسير على ما جاء فى إيبرز (الفقرة 854 i)، من أن هناك اثنين من الميتو إلى خصيتيه «يدران السائل المنوى»، ولا يخرجان من القلب، والمقصود بهما الوعاءان الناقلان للسائل المنوى[3]، واللذان يمكن تحسسهما بسهولة تحت الجلد فى الإنسان الحى.

(1) Femoral artery يوجد أسفل البطن عند بداية الفخذ من الناحية الداخلية ـ (المترجم).

(2) Peroneal and posterior Tibial arteries

(3) Vas Deferens

(هـ) وبالنسبة **للكبد** (إيبرز 854 i)، فله أربعة ميتو تمده بالهواء والماء، ويمكن اعتبارها الشريان الكبدى، والوريد البابى وقناة الصفراء، والأوردة الكبدية[1].

(و) كذلك يمكن القول بأن الميتو **للرئة** (إيبرز 854 m) تشمل الشُعب الهوائية والأوعية الدموية الرئوية.

ويشير التعليق A فى الحالة رقم 34 فى بردية إدوين سميث إلى اثنين من الميتو خلف عظمة الترقوة، أحدهما على يمين الحلق والآخر على يساره، ويتوجهان إلى الرئتين. ربما يشيران إلى الشعبتين الهوائيتين المتفرعتين من القصبة الهوائية.

(ز) أما عن **الأُذنين والكتفين** (إيبرز ـ 854 f)، فيعجز التفسير العلمى، وتحل بدلًا منه المفاهيم السحرية والدينية السائدة؛ حيث يرى المصرى القديم أن دخول الهواء خلال الأذنين والكتفين يرتبط بالحياة إذا حدث من الناحية اليمنى، وبالموت إذا حدث من الناحية اليسرى.

أما عن اعتبار أن الجهة اليمنى أسمى من الجهة اليسرى عند معظم الثقافات، فربما يرجع إلى شيوع استعمال اليد اليمنى فى الطعام والعمل والكتابة، ومن ثم تتخذ موقفًا غير مريح تجاه (اليسار) فأصبحت كلمة (يسار) تعبر عما هو غير محبب أو محمود (فى اللغة الفرنسية يسمى اليسار gauche، وباللاتينية sinister). أما عند المصريين القدماء، ترتبط الضفة الشرقية للنيل بالحياة (وهى فى نفس الوقت على يمين النيل) والضفة الغربية بالموت (وهى على يسار النيل) حيث يُدفن الموتى. لذلك يكون اليمين من الجسم الإنسانى رمز الحياة، واليسار من الجسم الإنسانى رمز الموت[2].

مما سبق يتضح أن «كتاب الأوعية» يحتوى على بعض الحقائق عن علم التشريح، لكنه لا يتمشى بشكل كامل مع القواعد العلمية التى نعرفها الآن. ولا شك أن المصريين القدماء لم يكن لديهم مفهوم متكامل عن الدورة الدموية التى تغذى جميع أعضاء

(1) Hepatic artery, Portal vein, Bile duct, Hepatic veins والأرجح أن الرابع هو الوريد الأجوف السفلى IVC الذى يُشاهد بوضوح أثناء مروره ملاصقًا (وأحيانًا داخل) الكبد؛ إذ لا يمكن رؤية الأوردة الكبدية الثلاثة Hepatic veins إلا بالتشريح الدقيق ـ (المترجم).

(2) التفسير الأرجح أن شروق الشمس بالنسبة للمصرى يحدث جغرافيًّا من الجانب الأيمن للنيل، بينما يحدث الغروب من الجانب الأيسر؛ حيث يدفن الموتى. لذلك ارتبط اليمين بالحياة واليسار بالموت عند المصريين ـ (المترجم).

الجسم وأنسجته، لكنهم فى الوقت نفسه كانوا يعرفون أن القلب يتواصل من خلال الميتو (الأوعية) مع جميع أعضاء وأطراف المريض، ثم صار هذا معلومًا بوضوح عند الإغريق وبالأخص عند هيروفيليس، لكن الدورة الدموية (الكبرى) لم تُكتشف إلا عن طريق أبحاث هارفى[1] فى القرن السابع عشر الميلادى.

The Edwin Smith papyrus بردية إدوين سميث

يوجد فى بردية إدوين سميث ما يؤكد المعرفة الجيدة للمصريين القدماء بعلم التشريح. والكثير من هذه المعلومات مدون فى الهوامش والشروح التى تم إضافتها لاحقًا للنص الأصلى، الذى يُعتقد أنه كُتب خلال المملكة القديمة. والنسخة الباقية معنا تعالج التفاصيل التشريحية للرأس وخاصة الجمجمة.

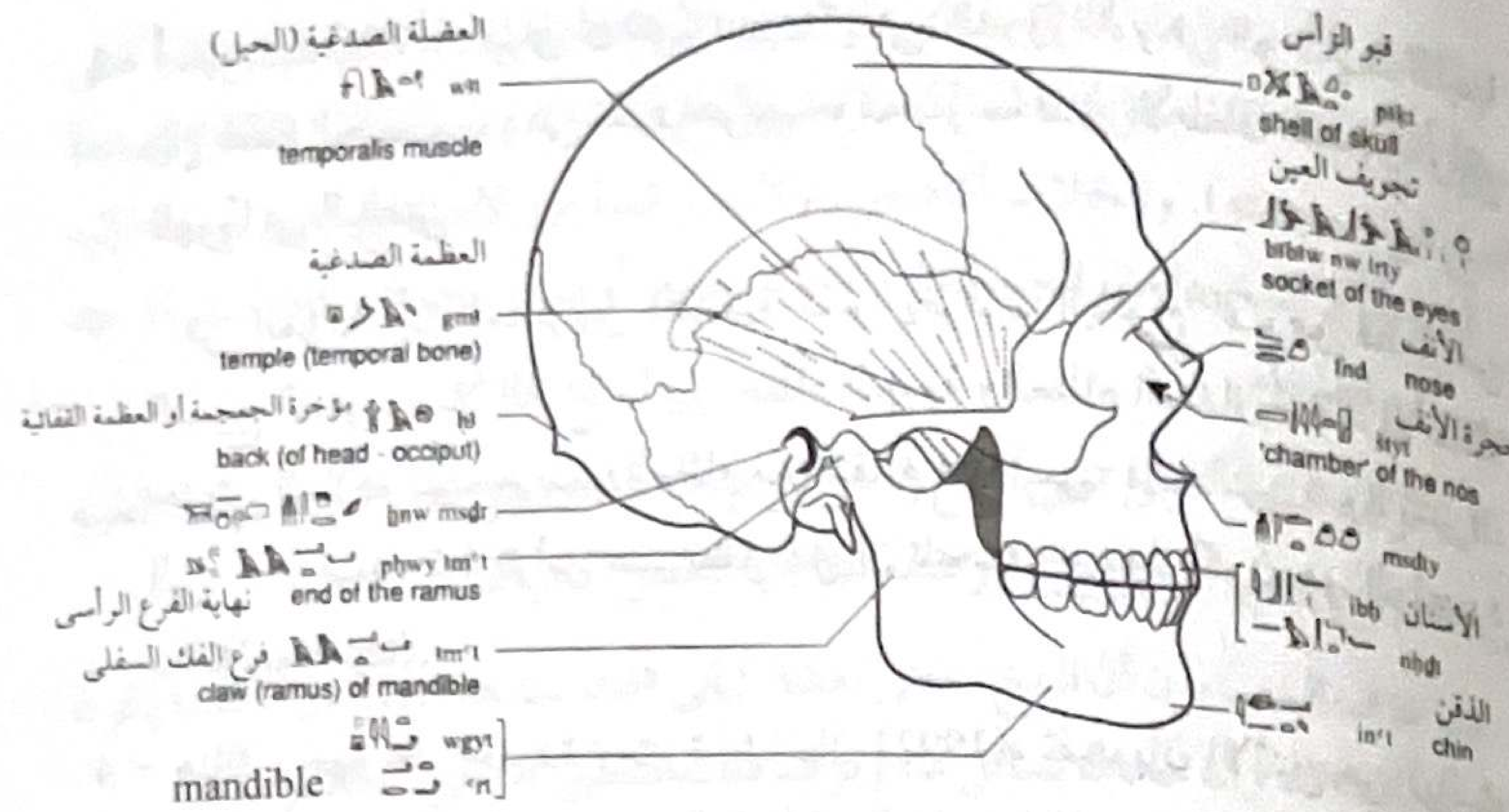
أشار المصريون إلى **الجمجمة** بكلمة «دجنيت djennet» (شكل 3: 5). وأوضحت الإضافات الهامشية فى الحالتين رقم 4، 7 أن العظمتين الجداريتين[2] اللتين تكونان قبو الجمجمة تسميان «باكت paqyt»، والكلمة نفسها تُستعمل فى وصف الغطاء الخارجى للسلحفاة (الصدفة) الذى يشبه قبو جمجمة الإنسان. وفى مناسبة وحيدة أُطلق هذا الاسم (باكت) على العظمة الجبهية للجمجمة[3] (حالة 9). أما مؤخرة الرأس أو العظمة القفائية[4] فيطلق عليها «ها ha». وهناك منطقة من الرأس يُطلق عليها اسم «جى ما gema»، جاء ذكرها فى تعليق B على الحالة رقم 18:

(1) لا يمكن أن نتجاهل دور العالم العربى ابن النفيس، الذى ولد فى دمشق (1208 ـ 1288) ـ سبق هارفى بعدة قرون ـ فهو أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى، وهى أن الدم يخرج من البطين الأيمن للقلب عن طريق الشريان الرئوى إلى الرئتين، حيث يمتزج بالهواء ويعود إلى الجانب الأيسر من القلب عن طريق الأوردة الرئوية. وبهذا صحح ابن النفيس الاعتقاد الذى كان سائدًا قبله بأن الدم ينتقل من الجانب الأيمن للقلب إلى الجانب الأيسر، عن طريق ثقوب فى الحاجز الذى يفصل بين الجهتين. كما اكتشف ابن النفيس أن للقلب بطينين ـ وليس ثلاثة ـ كما اكتشف دورة الشرايين التاجية التى تغذى عضلة القلب بعد أن كان يُعتقد أن عضلة القلب تتغذى على ما فى حجرات القلب من دماء. وبعد ابن النفيس بثلاثة قرون جاء سرفاتوس، وكارلو رينى، وأندريا سسالينو ووضعوا نظرياتهم حول الدورة الدموية الصغرى، وقد حُرق سرفاتوس وكتبه فى عام 1553م بأمر من كالفن بعد اتهامه بالهرطقة ـ (المترجم).

(2) parietal bones

(3) frontal bone

(4) occipital bone



(شكل 3 : 5)

رسم للجانب الأيمن للجمجمة، موضح عليه شرح بردية إدوين سميث للحالات (1 - 27).

«أما «جى ما gema» فهى المنطقة ما بين زاوية العين وفتحة أذنه، وتمتد حتى خلف فكه السفلى».

وهذا الوصف ينطبق على العظمة الصدغية، وبالتحديد البروز العظمى الوجنى للعظمة الصدغية[1].

وهناك شواهد أخرى تؤكد أن المصريين قد عرفوا أن قبو الجمجمة (القِحْف) تتكون من أجزاء مختلفة. والهامش A للحالة رقم (7) يذكر ذلك عند تعليقه على كلمة «تيبو tepau»:

«من أجل اختراق (تيبو tepau) الجمجمة، لاحظ أنه يقع بين قشرتى (باكت paqyt) الجمجمة، وهذا التيبو tepau من الجلد».

وهناك أربعة تفسيرات ممكنة للفظ «تيبو tepau» الذى تكرر فى هذا الموضع:

1 - الأكثر قبولاً أنه يشير إلى **منجل المخ**[2]، وهو غشاء ليفى قوى فى منتصف الدماغ ويفصل نصفى المخ، ويمكن ملاحظته فى الإصابات الخطيرة للرأس التى تكشف المخ، ويُفترض أنه معروف عند الحانوطية.

(1) Zygomatic process of The Temporal bone

(2) Falx Cerebri

2 - أما برستيد (1930)، فيرى أن (تيبو tepau) يعنى: **الدروز**[1]، وهى الوصلات الليفية بين عظام الجمجمة، وهى تكون عريضة ومحسوسة لدى الأطفال الصغار، وأقل ظهورًا فى البالغين.

3 - من المؤكد أن المصريين القدماء كانوا يعرفون **اليافوخ**[2]، وهو قطعة من النسيج الليفى، تملأ الفراغ ما بين عظام الجبهة والعظام الجدارية عند الأطفال حديثى الولادة لتسمح بنمو العظام مع التقدم فى السن. فالحالتين 6 و8 تشيران إلى: «... ضعف قمة الرأس عند الطفل قبل أن تلتحم». وربما يكون هو المقصود بـالـ(تيبو tepau).

4 - هناك وجهة نظر جديدة ومثيرة لشامبان (1992)، تفيد بأن الاثنين من (باكت paqyt) يشيران إلى الصفحتين الداخلية والخارجية للجمجمة، الذين ينفصلان عند مقدمة الجمجمة ليُكَوِّنا الجيب الهوائى الجبهى[3]، وأنه المقصود بكلمة تيبو tepau.

كما تظهر كلمة تيبو tepau فى إيبرز 712، للتعبير عن مرض غامض فى الدماغ (بالإضافة إلى المعانى التشريحية الأربعة السابقة).

أما محتويات الجمجمة، فكانت معروفة لدى المحنطين، ولاحظها الأطباء أيضًا فى حالات إصابات الرأس. ومن الحالة رقم 6 فى بردية إدوين سميث تتضح المعرفة الجيدة بشكل المخ:

«إذا قمت بفحص رجل يعانى من جرح منفرج فى رأسه، ويصل إلى عظام الجمجمة ويسحقها، ويُظهر المخ (أحشاء جمجمته ـ أيز ais)، عليك أن تتحسس الجرح بيدك. ستجد أن سطح المخ فى قاع الجرح يشبه الخَبَث على سطح النحاس المنصهر داخل بوتقة، وستشعر بنبضات تحت أناملك تشبه النبضات التى تحسها لو وضعت يدك فوق رأس طفل حديث الولادة لم تلتحم عظام جمجمته بعد».

تُعَد هذه الفقرة أول وصف عُرف عن المخ فى التاريخ، وتشبيه **التلافيف** والأخاديد[4] التى تميز سطح المخ بالتجعدات على سطح النحاس المنصهر تشبيه دقيق.

(1) Sutures

(2) Fontanelle

(3) Frontal sinus

(4) Gyri and Sulci

ونجد فى الموسوعة، أن كلمة «أيز ais» تعنى الأحشاء؛ لذلك فأحشاء الجمجمة تعنى المخ. أما برستد فقد اعتبر أن هذه الكلمة تعنى المخ (نفسه)، وترجمها فى العبارة السابقة (المخ فى **جمجمته**). والخلاف أكاديمى، ولا يغير شيئًا من الاستنتاج الذى توصلنا إليه من أن وجود المخ داخل الجمجمة وكذلك بعض أوصافه وصفاته كان معلومًا عند المصريين القدماء.

كما توجد كلمة أخرى تعنى المخ، وهى (أمم Amem)، وهى تشير فى البرديات الطبية إلى تناول مخ بعض الحيوانات كوصفة علاجية لبعض الأمراض.

كما عرف المصريون أن المخ مغطى بغشاء ليفى «نت نت Net Net»، وغالبًا ما يكون **«الأم الجافية»**[1]، وأنه **محاط بسائل ما**، ويؤكد ذلك التعليق A على الحالة رقم 6:

«أما بالنسبة لتهشم الجمجمة الشديد، والذى أدى إلى انكشاف المخ، فالإصابة الشديدة فتحت الجمجمة ووصلت إلى الغشاء المحيط بالمخ (نت نت Net Net) وأراقت السائل من داخل رأسه».

وكلمة «نت نت Net Net» نادرة الاستعمال، ويصحبها رمز مخصص وهو «جلد البقرة»؛ مما يؤكد المعنى الذى ذكرناه. أما السائل الموجود داخل الرأس فيُقصد به **«السائل المخى الشوكى»**[2]، لكن من الصعب ـ إن لم يكن من المستحيل ـ تمييز هذا السائل فى حالات الإصابة الشديدة للدماغ، فى وجود النزيف الدموى الذى يصاحب هذه الإصابات فى أغلب الحالات[3].

وإذا تركنا المخ والصندوق العظمى الميحط به، واتجهنا إلى باقى الجمجمة، وجدنا أن هناك كلمتين تطلقان على **الفك السفلى** وهما «وجت Wegyt» و«أرت Aret»، وتستعمل كل منهما للإشارة لهذا الفك فى مواقع مختلفة، وقد نجد الكلمتين فى جملة واحدة. والجزء الرأسى للفك السفلى (فرع الفك السفلى The Ramus) (شكل 3 ـ 5) له اسم خاص به وهو **«أمات amat»**. أما مفصل الفك مع العظمة الصدغية، فنجد له وصفًا جيدًا فى التعليق A على الحالة رقم 22:

(1) Dura Mater

(2) Cerebro -Spinal fluid

(3) يمكن للجراح تمييز الدم الذى يخالطه السائل المخى الشوكى (يكون مخففًا ولا يتجلط) من الدم الذى لا يخالطه هذا السائل ـ (المترجم).

«ونهاية الجزء الرأسى هى نهاية الفك السفلى، وينتهى هذا الجزء عند العظمة الصدغية فى نقطة التقاء تسمى «جما gema»، وهى تشبه مخلب طائر الـ (أما ama) عندما يقبض على شىء ما».

وللأسف فإننا لم نستدل على هذا الطائر ذى المخلبين.

وتظهر معرفة المصريين بالتفاصيل التشريحية لهذه المنطقة فى الوصف الدقيق للعضلة الصدغية فى حالة مرضية تُعرف بـ«احتباس مفصل الفك»[1] (تعليق B على الحالة رقم7)، وهذا التعليق دُوِّنَ لشرح الاستخدام التشريحى لكلمة (حبل) فى الدولة القديمة:

«أما عن حبل الفك السفلى فهو منقبض، بسبب تشنج المت الواقع خلف نهاية فرع الفك السفلى، لذلك التصق الأخير بالصدغ (جما Gema) أى بظهر فكه (وجت Wegyt)، لذلك لا يستطيع أن يحرك فكه من أسفل إلى أعلى، ويصبح من الصعب عليه أيضًا أن يفتح فمه بسبب الألم الشديد».

ويوضح (شكل 3 - 5) بجلاء أن المت فى هذه الحالة يشير إلى «العضلة الصدغية»[2] القوية التى تقوم (بمساعدة باقى العضلات الماضغة) بغلق الفكين، وقد تم شرح منبت ومغرز هذه العضلة بدقة تؤكد أنها العضلة المقصودة.

ويفصح التعليق A حول الحالة رقم 12، عن تفهم لتفاصيل **التجويف** الأنفى، ويشرح الاستخدام التشريحى لكلمة «شتت shetyt» التى تُطلق على «بهو المبنى»:

«أما بالنسبة لكسر فى تجويف أنفه (شتت shetyt)، فهو يحدث فى منتصف أنفه، ويمتد من القاع إلى أعلى ليصل إلى ما بين حاجبى العين».

هذه العبارة تدل على معرفة بتكوين الفراغ الأنفى، ووجود الحاجز الأنفى فى منتصفه، وهى معلومة كانت معروفة للحانوطية الذين يقومون بتفريغ المخ من خلال الأنف.

والأمثلة التى ذكرناها تدل - بشواهد مؤكدة - على أن المعلومات التشريحية لدى الطبيب كانت جيدة بشكل ملحوظ فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد.

وإذا كان مستوى المعرفة بالجمجمة والفك الأسفل والأنف قد وصل إلى هذا الحد الذى أظهرته بردية إدوين سميث، فإننا نتوقع أنه قد وصل إلى ذات المستوى فى معرفة التفاصيل التشريحية لبقية أجزاء الجسم التى لم تتضمنها البردية التى بين أيدينا. ويدفعنا

(1) lock Jow

(2) Temporalis muscle

ذلك إلى الاقتناع بقول كليماندوس بأنه كان هناك كتاب تشريح لدى المصريين القدماء، وفى هذه الحالة تكون الخسارة لفقده فادحة لا تعوض.

الهيروغليفية ذات الاستخدام الطبى

ذكرنا أن الكلمة الهيروغليفية يصحبها غالبًا رمزان لا يُنطقان مع الكلمة؛ **رمز مُخَصِّص Determinative** يضع الكلمة ضمن مجموعة معينة، مثل النباتات أو الحيوانات أو المعادن، والرمز الآخر يحدد **النطق الصوتى phonetics** لبعض مقاطع الكلمة.

وتستخدم اللغة الهيروغليفية عدة مئات من الرسومات المصغرة للرجل والمرأة، والحيوانات، والنباتات، والأشياء غير الحية، مع الكثير من الأجزاء المكونة لها. ولبعض هذه الرسومات دلالات تشريحية وباثولوجية (مَرَضية) «شكل 3: 6».

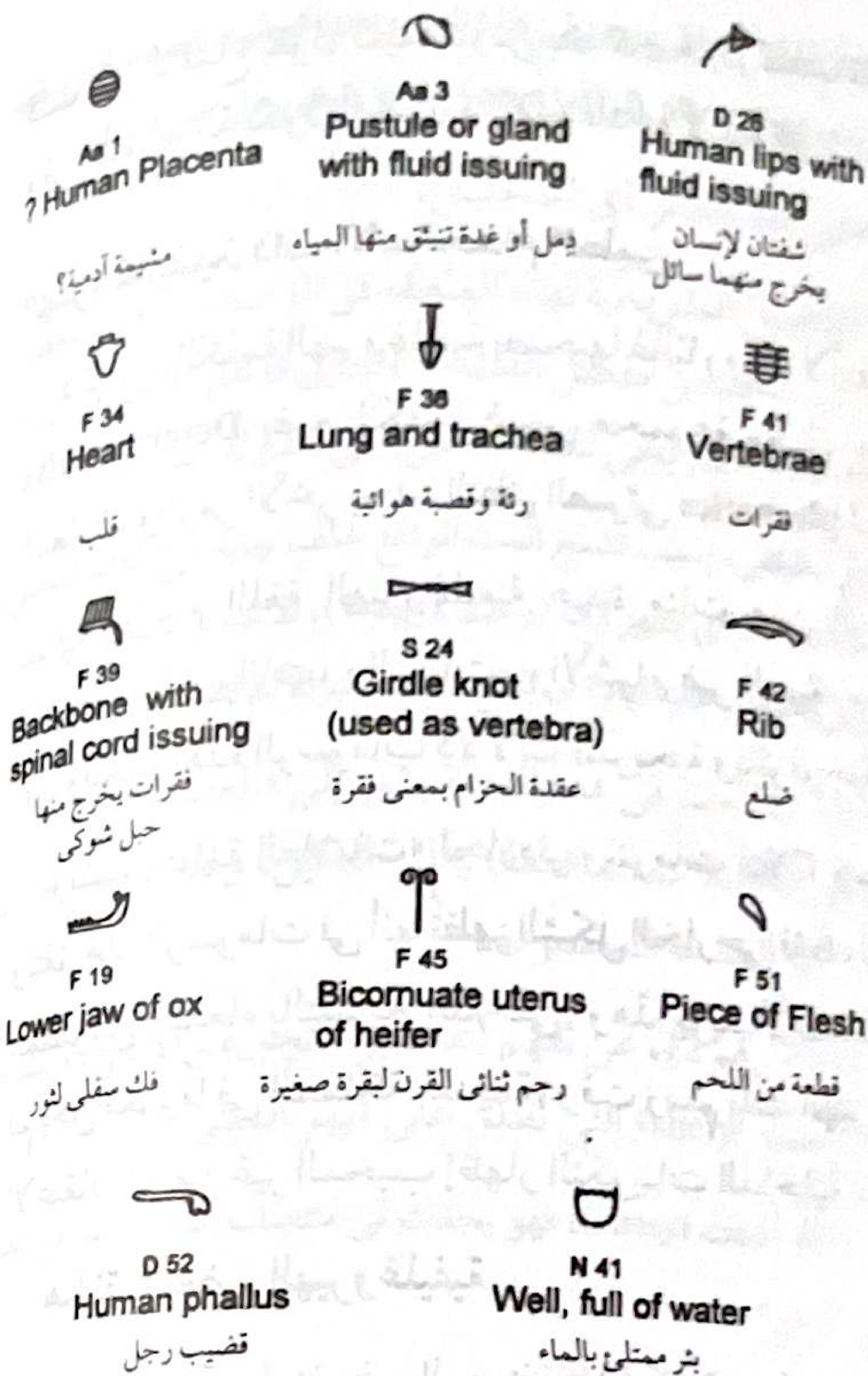
وتضم **«قائمة العلامات» لجاردنر** رسومات لثلاثة وستين جزءًا من جسم الإنسان. وتتفق هذه الرسومات فى أنها **تُظهر الشكل الخارجى فقط**، لذلك لا تمدنا بتصور عن معرفة المصريين القدماء بالتشريح الداخلى. وهذا يؤيد الاعتقاد بأن التشريح الآدمى الداخلى لم يكن معروفًا فى المملكة القديمة، وقت رسم تلك الهيروغليفيات، ذلك بالإضافة إلى الاعتقاد بأنه من غير المحبب إظهار التكوينات الداخلية لجسم الإنسان[1].

هيا نقرأ بعض الهيروغليفية..

فى مجموعة جاردنر غير المصنفة[2] (شكل3 : 6)، يوجد **الشكل Aa 1** الذى قد يكون **المشيمة الآدمية**، ويستخدم كرمز صوتى لـ«Kh». ويرى جاردنر (1957) أن هذا الرمز يمكن أن يُستخدم ككلمة هيروغليفية تعبر عن المشيمة، وإن كان هذا الاستخدام غير موجود فى الموسوعة.

(1) المرجح أن المصريين القدماء لم يستخدموا رسومًا للأعضاء الداخلية فى لغتهم الهيروغليفية؛ لأن شكل هذه الأعضاء ليس معروفًا إلا عند الأطباء والمحنطين. ومن ثم استخدموا شكل الأعضاء الخارجية التى يعرفها كل من يقرأ الهيروغليفية - (المترجم).

(2) سير آلان جاردنر أحد أكبر خمسة علماء مهتمين بالمصريات، وكتابه الأشهر هو «قواعد اللغة الهيروغليفية». وقد وضع جاردنر فى آخر كتابه قائمة بمجموعة العلامات المستخدمة فى اللغة الهيروغليفية، وصنفها إلى مجموعات: نباتات، حيوانات، إنسان...، وبقيت مجموعة غير واضحة الدلالة أصبحت هي مجموعة جاردنر غير المصنفة - (المترجم).



(شكل 3 : 6)

رسوم لبعض الأجزاء التشريحية التى استخدمت كرموز هيروغليفية. وتشمل الأجزاء الخارجية الآدمية، وأعضاء داخلية حيوانية.

(تشير الأرقام إلى موضع الرسم فى قائمة جاردنر).

ولهذه الرموز ثلاثة استخدامات:

1 - قد تستخدم للتعبير عن كلمة هيروغليفية طبية.

2 - قد تستخدم كرمز مُخَصِّص لكلمة.

3 - قد تستخدم للإشارة إلى النطق الصوتى للكلمة.

والشكل **Aa 2**، يصفه جاردنر بأنه غدة أو دمل (خراج صغير)، كما يجيء الرسم نفسه فى **شكل Aa 3**، لكن ينبثق منه الماء. وهذه الرموز الثلاثة (Aa 1 ـ Aa 2 - Aa 3) تُستخدم كثيرًا كرمز مخصص Determinative للدلالة على مجموعة المعانى التى تتعلق بالقذارة، مثل التحنيط (وت wet)، والجرح المتقيح (ويبنو webenu)، والصديد (ريت Ryt)، والمرض (خايت Khayt).

الشكل Aa 3 يمكن أن يرمز إلى انسكاب وعاء التحنيط، ويتمشى ذلك مع ارتباط الرمز بالقذارة بسبب التحلل الرِمِّى بعد الوفاة. وعند استعمال الرمز مع كلمات غير طبية لا يُلحق به المياه المتسربة (Aa 2).

وفى **شكل D 26**، يظهر سائل يتدفق من بين الشفتين، ويُستخدم كرمز مخصص

لكلمات تشير إلى التدفق، مثل البصق (بسج peseg). كذلك يُستخدم مع بعض المصطلحات الطبية المصحوبة بالتدفق أيضًا، مثل القيء (بش besh)، والدم (سنف senef) والحيض (هسمن hesmen).

وبخلاف الامتناع عن إظهار الأعضاء الداخلية لجسم الإنسان، هناك 19 ضمن 51 رمزًا هيروغليفيًا للحيوانات فى قائمة جاردنر تبين أجزاءً داخلية من الثدييات. **فالشكل F 34** يبين رسمًا مقبولًا للقلب، وفى **شكل F 36** الرئتان والقصبة الهوائية، ويستخدم هذا الرمز **(F 36)** مع الكلمات لتشير إلى الاتحاد أو الالتقاء، مثل الوحدة بين القطرين، كما هو مدون فى معبد «أبو سمبل».

وتظهر فقرات الظهر فى **شكل F 41**، أما **شكل F 39** فيبين جزءًا من العمود الفقرى، والحبل الشوكى يخرج من أحد أطرافه. ويظهر فى **شكل S 24** ما هو شبيه بعقدة الحزام، ويمكن أن يؤخذ على أنه مقطع رأسى فى فقرة سمكة.

وشكل F 51، يمثل قطعة من اللحم، ويستخدم كرمز مخصص للدلالة على الأعضاء الداخلية للجسم الآدمى، مثل الكبد «مست miset»، والرئة «سما sma»، والشرج «بهويت pehwyt» فيميز بينها وبين الكلمات المشابهة نطقًا والتى لها معنى غير تشريحى.

وهناك رمزان لهما تطبيقات تدور حول **الجنس. فالعضو الذكرى** عند الرجل **(شكل D 52)** يستخدم كرمز مُخَصِّص للدلالة على الرجولة، فيستخدم مع كلمات مثل الزوج «هى hy»، والقضيب «هنن henen»، والبول «مويت mwyt»، وأيضًا المعاشرة الجنسية «نهب nehhep، نك nek، رخ rekh، دا da». كما يشير إلى عملية الإفراز عندما يُرسم وقد انساب السائل من طرفه **(شكل D 53)** (عملية القذف المنوى).

كذلك يظهر شكل القضيب كرمز مخصص **(شكل D 52)** مرتين مع الكلمة المصرية «ميتوت metut» ليدل على (السائل المنوى) وعلى (سُم). ويأتى الربط بين المعنيين فى الإشارة إلى السائل المنوى السام للإله ست عندما اغتصب الإله حورس، وكذلك عندما يتحدثون عن ممارسة أرواح الموتى للجنس مع الأشخاص النائمين، ومن أجل تحاشى ذلك وُضعت الرُّقى والتعازيم.

كذلك فإن رمز القضيب **(شكل D 52)** يستخدم للدلالة على النطق الصوتى (m + t)،

وهذا الاستخدام لا علاقة له بالرجولة أو الجنس أو القـذف، بل يشير إلى معانٍ أخرى مثل يناقش، دقيق، تعليمات، منتصف النهار، كما يستخدم كرمز للنطق الصوتى لكلمة الميتو (التى شرحت باستفاضة قبل ذلك).

وليس هناك رموز هيروغليفية تعبر بيقين عن **الأنوثة**، ولكن (جاردنر، 1957) يرى أن (**شكل N 41**) يُمَثِّل «بئر ممتلئ ماء» وأنه رمز مخصص يشير إلى الأعضاء الأنثوية. وفى نفس الوقت يحدد هذا الشكل النطق الصوتى لـ (h + m)، الذى يرد فى كلمات متعلقة بالأنوثة، مثل «هيمت HEMET» بمعنى رحم. أو كلمات ليس لها علاقة بالأنوثة مثل: مطمئن أو ماسك المجداف، وأيضًا ضيف.

وهناك رسم معقول لضلع فى **شكل F 42**، كما يبين **الشكل F 19** صورة كاملة لعظمة الفك السفلى لثور. **وشكل F 45** هو رحم ثنائى القرن لبقرة صغيرة. وفى بعض الأشكال نرى ما قد يكون الدوائر الغضروفية للقصبة الهوائية، كذلك من الممكن ملاحظة الانخسافات على سطح الرئتين نتيجة لضغط الضلوع عليها.

أسماء الأعضاء الداخلية

من المفيد فى هذه المرحلة أن نلخص أسماء الأعضاء الداخلية الرئيسية لجسم الإنسان التى تَعَرَّف إليها المصريون القدماء. وسنجد فى بعض الأحيان أن الاسم يلقى الضوء على فهم المصريين لتركيب وموقع العضو التشريحى داخل الجسم، وكذلك وظائفه الحيوية.

كان القلب يعرف باسمين «إب ib» و«هاتى haty»، وكانا يُستعملان بالتبادل فى مواقع مختلفة فى البرديات الطبية. وكلمة «إب ib» تُكتب بالهيروغليفية (F 34) (شكل 6:3)، وتُستخدم للتعبير عن القلب باعتباره موضع المشاعر، كما هو الحال فى معظم اللغات المعاصرة. كذلك كانت «إب ib» تدخل فى كلمات مركبة تدور حول القلب؛ مثل «أو-إب aw - ib» أو القلب الكبير، والتى تُترجم بالفرح.

أما **المعدة** فيطلق عليها «إر - إب r -ib» وتعنى حرفيًا «فم القلب» - وكان من الصعب أحيانًا التميز لغويًا بين المعدة والقلب! وهذا يذكرنا بأن كلمة المعدة (Stomach) مشتقة من أصل الكلمة اليونانية stoma بمعنى فم، ومدخل المعدة يُسمى إلى وقتنا هذا الفؤاد[1].

(1) Cardia

وكلمة «خت khet» التى كان يُظن أنها تشير إلى المعدة ظهر أن لها معنى أوسع، فهى تطلق على البطن، والجسم، بل وأحيانًا الرحم.

ويطلق على **الكبد** اسم «مى ست miset»، **والرئة** «سما sma»، **والطحال** «نى شم nenshem»، **والمثانة** «شب تيت sheptyt»، **والمخ** «أمـم amem»، أو «أيس ais» أو «أيس إن دجى نيت ais n djennet» بمعنى أحشاء الجمجمة. وكان يتم إزالة الرئتين والكبد والمعدة والأمعاء أثناء عملية التحنيط وتوضع فى الأوانى الكانوبية، أما المخ فيتم التخلص منه. وكان القلب **يعالج برفق ويعاد إلى مكانه**، وعلى هذا الأساس يكون وجود هذه الأعضاء جميعها معلومًا عند المحنطين كما هو معلوم عند الأطباء.

أما بالنسبة **للكليتين**، فالأمر يختلف. فمكانهما خلف فراغ البطن، ومدفونتان بعمق فى الدهون المحيطة بهما، ومن المحتمل أن تكونا قد غابتا عن ملاحظة المحنطين، ولم يتم اكتشافهما. ودائمًا ما تُترك الكليتان فى موضعهما أثناء عملية التحنيط، وقد ساعد ذلك على اكتشاف بويضات البلهارسيا فى أنسجة الجثامين المحنطة.

وقد أُطلقت كلمة «جت ggt» على الكلية، وهذه الكلمة لم تظهر فى البرديات الطبية؛ لذلك لم يتم تسجيلها فى الموسوعة الألمانية.

ثانيًا: علم وظائف الأعضاء
physiology

ليس لدينا معلومات تفيد وجود مرجع حول وظائف الأعضاء فى مصر القديمة، ويعطى ما جاء فى البرديات الطبية الانطباع بأن فهم هذا الفرع من العلوم الطبية كان بسيطًا وسطحيًا[1].

الجهاز العصبى

ليس هناك شواهد تفيد أن المصريين القدماء قد ربطوا بين المخ وبين التفكير والتحكم فى وظائف الجسم[2]. وأثناء عملية التحنيط كان المخ هو العضو الكبير المهم الوحيد

(1) يقارن المؤلف هنا بين علم قدماء المصريين منذ آلاف السنين وبين العلم الحديث! ولا شك أنه إذا قارن بين علومهم وعلوم أوروبا فى العصور الوسطى لوجد للمصريين سبقًا فى مجالات كثيرة - (المترجم).

(2) سنناقش هذا الادعاء غير الصحيح فى هامش الصفحة التالية - (المترجم).

الذى يُستخرج من جسد المتوفى ويُستبعد، وهذا دليل قوى على عدم إدراكهم لدوره ووظائفه الحيوية الضرورية والمهمة لحياة الإنسان.

وكانت العواطف تنسب إلى القلب (إب ib) (انظر سابقًا). وهذا الربط بين القلب والانفعالات والعواطف الإنسانية ظل سائدًا طوال العصور القديمة، واستمر خلال عصور العالم الكلاسيكية، ومازال يعيش فى ثنايا معظم اللغات والحضارات حتى الآن.

وقبل أعمال هيروفيليس (انظر: الفصل العاشر) كان قليل من العلماء[1] يدركون دور المخ فى التحكم فى وظائف الجسم المتعددة. بيد أن تلاميذ أبوقراط (430 ـ 330 ق.م) ينسبون إليه قولًا يبين أنه أعطى المخ حقه، وأدرك دوره الحقيقى:

«يجب أن نعلم أن مصدر سعادتنا وفرحنا وضحكنا ومسراتنا، وكذلك حزننا وألمنا وحيرتنا ودموعنا... كل ذلك يعود إلى المخ ولا شىء سواه. إنه العضو الذى يجعلنا نفكر، نرى ونسمع... لذلك أستطيع أن أجزم بأن المخ هو المدرك لما يجول فى عقولنا من مفاهيم».

وفى المقابل تؤكد بردية إدوين سميث دور **الحبل الشوكى** فى نقل المعلومات والأوامر من المخ إلى الجزء الأسفل من الجسم[2]. فالحالة رقم 31 تدور حول انفصال أو خلع فى الرقبة، وتشرح كيف أن «المريض لا يستطيع أن يشعر بذراعيه أو ساقيه بسبب ذلك، وترى قضيبه متصلبًا والبول يتدفق منه».

وهذا وصف دقيق لحالة الشلل الرباعى[3] التى يصاحبها العجز الحسى والحركى للأطراف الأربعة، أما انتصاب العضو الذكرى والسلس البولى فهما من علامات الإصابة العليا للحبل الشوكى[4]، وهذا المعنى قد أكده العديد من التعليقات الهامشية.

(1) السمايون من كروتون وديوجينس من أبولونيا، وأفلاطون.

(2) مع هذا الإدراك لدور الحبل الشوكى فى نقل المعلومات والأوامر من المخ إلى الجزء الأسفل من الجسم، ومع إدراك ما يصحب إصابات المخ من شلل، يصعب الاقتناع بأن المصريين القدماء لم يدركوا وظائف المخ، كما هو شائع، وكما يؤكد المؤلف وغيره من المتعصبين للطب اليونانى، لذلك ينبغى أن يُعطى هذا الأمر المزيد من الدراسة لمراجعة هذا التصور. أما عدم حفظ المصريين القدماء للمخ سلبياً لتحنيطه، فربما يرجع إلى حرصهم على الاحتفاظ بالجمجمة سليمة، وهو ما يتعذر معه إخراج المخ مكتملاً، أو يرجع إلى صعوبة تحنيط هذا العضو الهلامى سريع التعفن ـ (المترجم).

(3) quadriplegia

(4) Upper Motor Neurone lesion

الدورة الدموية

مضى بعد انقضاء العصر الفرعونى قرابة ألفيتين من الزمن، قبل اكتشاف الدورة الدموية على يد «هارفى» فى القرن السابع عشر بعد الميلاد[1]. وهناك من الشواهد ما يثبت أن الفراعنة كانوا يعتقدون أن **الشرايين تحتوى على الهواء**؛ مما يؤكد أن التصور الحقيقى حول الدورة الدموية لم يكن موجودًا، لكنهم كانوا يعرفون أن النبض فى الأطراف مرتبط بدقات القلب عن طريق الهواء الموجود فى الميتو، كما جاء فى بردية إيبرز (854 a) (انظر كتاب الأوعية والفصل السادس)، وهذا واضح فى تعليق جاء فى بردية إيبرز (855 e):

«بالنسبة لوَهَن القلب، هذا يعنى أن القلب لا يستطيع أن يتكلم أو أن الميتو أصابها البَكَم، وليس هناك تحت يدك ما يشير إلى وجود هواء يملؤها، كما هو الحال فى الإنسان السليم. ولا علاج لهذه الحالة».

نجد هنا التوصية الدائمة للطبيب بأن يضع يده على نبض المريض، ويبدو أن هذا الفحص كان معروفًا كإجراء مهم أثناء فحص المريض إكلينيكيًّا.

الجهاز التنفسى

تشير العديد من البرديات غير الطبية إلى نسمة الحياة «تجاو إن أنكى tjaw n anky»، التى تُستمد من الملك أو أحد الآلهة. وليس هناك شك فى أن المصريين عرفوا **أهمية التنفس للحياة**، ويطلعنا هذا التعليق فى بردية إيبرز (855 a) على نظرة المصريين العامة إلى وظيفة الجهاز التنفسى:

«أما عن النَّفَس (النسمة) الذى يدخل فى الأنف، فهو يمر إلى القلب والرئتين، ومن خلالهما يتم توزيع هذا الهواء إلى جميع أعضاء الجسم».

بذلك تكون مهمة الجهاز الدورى التنفسى الرئيسية هى سحب الهواء من الأنف وإمراره إلى الرئتين، ثم ينتقل بعد ذلك إلى القلب، ومنه يصل الهواء إلى جميع أعضاء الجسم، وعند وصوله للأطراف ينتج عنه الإحساس بالنبض. **وإذا استبدلنا كلمة الهواء ووضعنا مكانها كلمة أوكسجين** (الذى يذوب ويتحد مع الهيموجلوبين فى الدم) تصير هذه المعرفة القديمة أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

(1) سبق أن أشرنا فى هوامش صـ 122 إلى دور ابن النفيس فى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى ـ (المترجم).

ماذا يحدث للهواء الذى ضخه القلب وصار موجودًا فى الميتو؟ يكمل المصرى القديم تصوره لدورة الهواء بأن جميع الميتو تنتهى فى الشرج، ويستدلون على ذلك بخروج الهواء (الريح) من الشرج!

الجهاز الهضمى

يوضح «كتاب المعدة» فى بردية إيبرز (188 ـ 208) أن الطعام والشراب يمران إلى المعدة (إر ـ إب r ـ ib)، وتمضى بقاياهما إلى أسفل (ها ha) نحو فتحة الشرج، وذكروا **عملية التبرز** «فيجن fegen»، ولكن لا نعلم الكثير عن معرفة المصريين بعملية الهضم وامتصاص المواد الغذائية.

كما تحدثت البرديات عما يصيب الجهاز الهضمى من اضطراب، فذُكر القىء بعدة كلمات «بش besh، كاس qas، كس qis، كا qa»، كما ذُكر الإسهال والإمساك.

الجهاز البولى التناسلى

تذكر بردية إيبرز n 854، أن هناك 2 ميتو للمثانة «شب تت sheptyt»، وهما اللذان يمران البول «ميوت muyt»، بذلك كان هناك معرفة بأن المثانة تحتوى على البول. ونستطيع القول أن الـ2 ميتو يشيران للحالبين (انظر: شكل 3 : 4 د). إلا أن الكلى لم تذكر فى البرديات الطبية، ولا ندرى سبب تركها فى الجسم أثناء عملية التحنيط. كما لم يأت ذكر الكلى ضمن قائمة الأعضاء التى تُطلَب لها الحماية الإلهية.

والكلمة الشائعة **لعملية التبول** كانت «وى سش wesesh» ولكن يحسن ترجمة هذا المصطلح بكلمة الإخراج، التى تشمل مع التبول؛ التبرز، ونزف الدم، وخروج الديدان... إلخ (الموسوعة).

أما **عملية التناسل**، فكانت أساسياتها مفهومة بوضوح، كما كانت العلاقة بين الجماع الجنسى والإنسال معروفة جيدًا لدى المصريين. ولكن ربما يكون **المبيضان** غير معروفين؛ إذ لا يوجد لهما اسم مصرى. **أما الرحم**، فكان يعرف أحيانًا بـ (أم البشرية) «موت ريمتج mut remetj»، وقد عُرف دوره جيدًا كبيئة حاضنة لإتمام نضج البذرة الذكرية، كما كان **توريث الصفات** من خلال الأم ثابتًا عند المصريين القدماء.

والخصيتان كانتا تسميان «خروى kherwy» (وتعنى هذين الشيئين الموجودين

فى الأسفل)، كما تقول إيبرز (i 854) «هناك اثنان من الميتو إلى خصيتيه، وهما اللذان يعطيان المنى ـ «مى تت metut»، لذلك لا يوجد شك حول معرفة المصريين وفهمهم لوظيفة الخصيتين.

ثالثًا: علم طبائع الأمراض

phthology

اختلف فهم مسببات الأمراض وطبيعة تطورها اختلافًا واسعًا عند المصريين القدماء، ما بين الفهم العلمى والمفهوم المبنى على السحر. ويظهر هذا الاختلاف بوضوح فى طريقة التعامل مع الإصابات من جهة، ومع الأمراض الباطنية من جهة أخرى.

فالإصابات مسبباتها واضحة للعيان، وفى قدرة الطبيب المتمرس على التعامل معها والتنبؤ بتطوراتها. وقد كان علاج الإصابات منطقيًّا، إذا وضعنا فى الاعتبار الإمكانيات المتاحة فى ذلك الوقت، وكان اللجوء للسحر أمرًا نادرًا

أما بالنسبة **للأمراض الباطنية**، فالصورة مختلفة للغاية. فحالات مثل الأمراض المعدية والتلوث البكتيرى والأورام وهبوط عضلة القلب، لم يكن المصريون القدماء على دراية بأسبابها؛ لذلك كان التنبؤ بمآل الحالة وما يمكن أن يحدث لها من مضاعفات غير ممكن[1]. كما كان هناك القليل من الأدوية التى لها دور فعال فى التحكم الحقيقى فى تطور المرض، هذا بالإضافة لمحدودية إمكانية التدخل الجراحى.

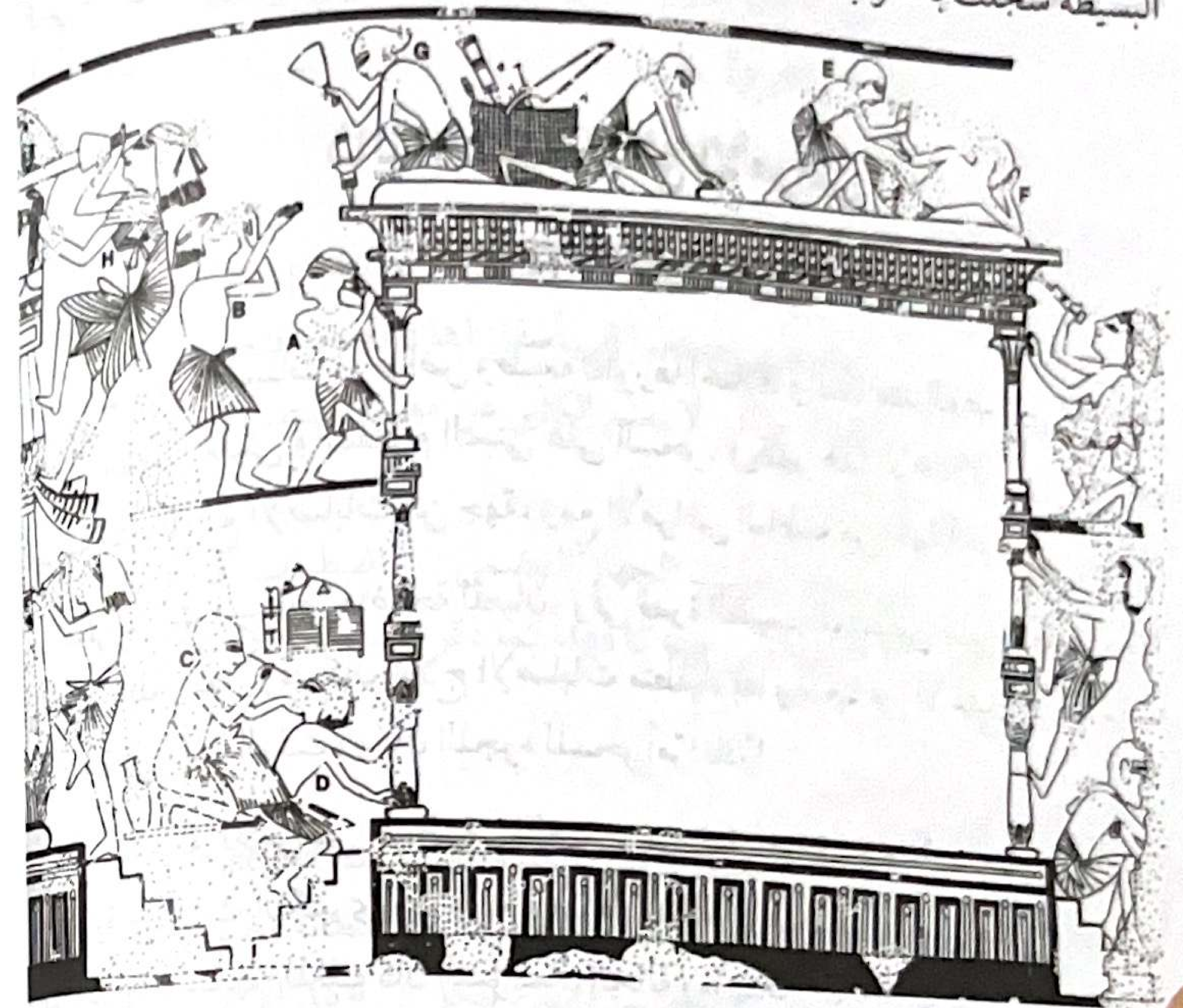
لهذه الأسباب نجدهم يُرجعون حدوث المرض الباطنى فى كثير من الأحيان لقوى **خارقة للطبيعة**، وهنا يظهر دور السحر كعنصر مهم للعلاج (انظر: الفصل الخامس).

الإصابات

كان الطبيب المصرى القديم يصادف **أشكالًا مختلفة من الإصابات**، مثل إصابات الحروب، وعقر الحيوانات الخطيرة، والإصابات المهنية التى تحدث خلال ممارسة أعمال المناجم وتكسير الأحجار وتشييد المبانى الضخمة. وفى رسم جدارى فى

(1) بالرغم من عدم معرفة الطبيب المصرى القديم بأسباب هذه الأمراض، فقد كان بإمكانه التنبؤ بمآلها، نتيجة لما اكتسبه من خبرة فى متابعة مصير حالات مشابهة لها ـ (المترجم).

مقبرة (إب واى ipwy) فى دير المدينة (شكل 3: 7) نرى تسجيلًا لبعض إصابات التصنيع البسيطة سُجلت بأسلوب ساخر.



(شكل 3: 7)

رسم تخطيطى لنقش بارز نادر من مقبرة فى جبانات دير المدينة للعامل إيوى ipwy (مقبرة رقم 217)، الأسرة العشرون.

تُظهر هذه اللوحة مجموعة من الإصابات المهنية وعلاج بعضها:

الشخص A يبدو أن مطرقته الخشبية سقطت من يده على قدم الشخص B.

الشخص C يحاول إزالة جسم غريب من عين الشخص D المستمر فى العمل.

الشخص E يحاول إعادة الكتف المخلوعة إلى مكانها للشخص F.

الشخص G قد يكون هو المسئول عن إصابة الشخص B بجسم غريب فى عينه.

والشخص H يفقد اتزانه وفى طريقه للسقوط فوق الشخص B سيئ الحظ.

ويظل مصدرنا الرئيسى للمعلومات عن الإصابات هو **بردية إدوين سميث** (انظر: الفصل الثانى)، وهذا المرجع (خاصة التعليقات المدونة) يؤكد المعرفة المتقدمة للمصريين بالإصابات ومدى أهميتها وخطورتها، وذلك قبل عصر الطب الأبوقراطى بألف سنة على الأقل. ومما يعتبر خسارة معرفية كبيرة أن النسخة الوحيدة الباقية من بردية

إدوين سميث تتوقف قبل التعرض لتفاصيل إصابات الجزء الأسفل من الجسم، وتقتصر على الجزء العلوى فقط.

ويشير التعليق A على الحالتين 5 و41 فى البردية، إلى وجود كتاب خاص بعلاج الجروح، ولا توجد نسخ لأى جزء من هذا الكتاب، كما لم يذكره كليماندوس السكندرى فى تصنيفاته، والأرجح أنه فُقد مع غيره من الآثار القديمة. ولكن يبدو أن بردية إدوين سميث قد اعتمدت على هذا الكتاب المفقود بدرجة أكبر مما تظهره الحالتين السابقتين.

وهناك **مجموعة ثرية من الاصطلاحات** التى تشرح الإصابات والجروح، ولحسن الحظ هناك أيضًا الكثير من التعليقات التى توضح معانيها بدقة كبيرة. ولبعض هذه الكلمات دلالات أخرى خارج النطاق الطبى، ولكن يأتى استعمالها الطبى فى بردية إدوين سميث فقط، كما أن البعض الآخر من الكلمات ليس له وجود إلا فى هذه البردية. وجميع المعلومات التى ستطرح فى الجزء التالى تعتمد على بردية إدوين سميث باستثناء ما سنذكر مصدره. وسنناقش التعامل مع الإصابات فى الفصل الثامن.

إصابات الأنسجة اللينة : الاسم الشائع لإصابات الأنسجة اللينة هو «وى بى نو webenu»، مع إضافة الرموز المخصصة مثل دمل وانسياب السائل اللعابى من بين شفتين، ويُستخدم هذان الرمزان للتفرقة بين الجرح المتقيح والجرح النظيف. وكلمة «كى فت Kefet» أيضًا تعنى جروح اللحم، ويُستخدم الاسمان تبادليًا فى مواضع مختلفة، وإذا ذُكرا معًا يشيران إلى جرح بليغ. والاسم المعتاد للشفاه هو «سى بت sepet»، ولكنه يُستخدم لوصف حواف الجرح. والتعليق B على الحالة رقم 1 يفيد بأنه إذا كان الجرح بغير شفتين فهذا يعنى أنه جرح صغير غير منفرج.

الكسور: تحتوى بردية إدوين سميث على مجموعة اصطلاحات مهمة تشرح أنواع الكسورالمختلفة. والكلمة الشائعة للكسر هى «هى سب heseb» مع إضافة علامة (+) كرمز مخصص يفيد انفصال العظمتين، ولم يُستخدم هذا الأسلوب فى الوصف إلا فى بردية إدوين سميث.

ويأتى وصف **الكسر البسيط المغلق**(1) بدقة شديدة، فهو مصحوب بأنسجة لحمية سليمة «ودجا wedja» وبغير جرح «وى بى نو webenu»، كما فى إدوين سميث حالة 8.

وهناك نوع أشد من الكسور أُطلق عليه اسم «سد sed»، وجاء ذكره 23 مرة فى بردية إدوين سميث، وقام برستيد بترجمته بكلمة: **مُهَشَّم**(2) (smash). وجاء وصفه فى تعليق A على الحالة رقم (5):

«أما عن (سد sed) فى جمجمته: فتعنى (سد sed) لجمجمته، وتكون العظام المهشمة فى هذا الجرح الخطير(3) غائرة داخل الجمجمة». كذلك يذكر كتاب (تجاو tjaw) الذى يبحث فى الجروح، **«أن هذه الإصابة (سد sed) تعنى تهشم عظام جمجمته إلى عدة شظايا تنغرس داخل الجمجمة»**.

وكلمة (سد sed) معروفة جيدًا خارج البرديات الطبية، ومعناها «تحطيم وانفراج» أو تحطيم إلى أجزاء ... إلخ (مثل تحطم وعاء من الخزف). وتذكر الحالة رقم 5 فى إيبرز، أن كسر (سد sed) يتميز بثلاث صفات على الأقل: **أولًا**: كسر ينتج عنه عدة شظايا عظمية **(كسر مفتت)**(4)، **ثانيًا**: يؤدى الكسر إلى إصابة عضو مجاور **(كسر مصحوب بمضاعفات)**(5) وهذا العضو فى هذه الحالة ـ وأيضًا فى الحالتين السادسة والثامنة ـ هو المخ، **ثالثًا**: (خاص بالجمجمة) هو **كسر منخسف**(6). كما أن نفس الكلمة (سد sed) تُستعمل لوصف إصابات الأنسجة اللينة، كما جاءت فى بردية إيبرز أيضًا لتعبر عن جراحة فتح الخراج.

كلمة أخرى تستخدم لوصف إصابات العظام، هى «بى شن peshen»، وهى كلمة قديمة لها معنى عام ـ خارج الاستخدام الطبى ـ هو الانشطار أو الانفلاق أو الانقسام، أما المعنى الطبى فيبدو واضحًا فى التعليق A على الحالة رقم 4:

«بالنسبة لانشطار جمجمته (بى شن peshen)، هذا يعنى فصل صدفة (باكت paqyt) جمجمته(7) مع تناثر الشظايا العظمية فى لحم رأسه دون تناثرها على الأرض».

(1) Simple closed fracture
(2) Comminuted fracture
(3) Compound fracture
(4) Comminuted fracture
(5) Compliceted fracture
(6) Depressed fracture
(7) Split fracture

هذا الوصف يعطى صورة واضحة **لشق الجمجمة** إلى نصفين نتيجة للضرب بالسيف أو ببلطة، ويمكن فهم الوصف بأنه يشير إلى انشطار الصفحتين الخارجية والداخلية للجمجمة(1).

وقد عرف المصريون القدماء **الكسر المندغم**(2)، ذلك الكسر الذى يتداخل فيه جانبى العظمة المكسورة، بحيث لا يمكن تحريك جزئى العظمة المكسورة. وقد وصف المصريون القدماء هذا النوع من الكسور بالكسر المحشور (سى هم sehem)، وجاء ذكره فى التعليق A على الحاله رقم 33:

«بالنسبة لانسحاق الفقرات العنقية، يحدث اندغام (تداخل) إحدى فقرات الرقبة فى فقرة أخرى، مما ينتج عنه عدم القدرة على تحريكهما».

هذا وصف دقيق لا يمكن الزيادة عليه للكسر المندغم للفقرات. وتصف الحالة رقم 32 هذا النوع من الكسور وصفًا معبرًا، فالفقرة غاصت فى التى أسفل منها، كما تغوص القدم فى أرض طينية.

وهناك نوع خاص من الكسور وهو «تى شم techem»، وهى كلمة متداولة جاءت فى بردية إدوين سميث بمعنى **انثقاب عظمة مفلطحة**(3) لتحطم عضوًا أسفل منها. ومن أمثلة هذا النوع، كسور الجمجمة (حالة 3)، الفك العلوى (حالة رقم 15)، عظمة الصدغ (حالات 18، 19، 20)، الذقن (حالة 27)، وعظمة القص ـ الجزء الأعلى من عظمة مقدمة الصدر ـ (حالة 40).

إصابات المفاصل: قَسَّم المصريون هذه الإصابات إلى خلع مفصلى(4)، ولَىّ أو ملخ المفصل(5) دون خلعه. أما **الخلع المفصلى** «وى نخ wenekh»، فقد وُصف فى حالات الفك الأسفل (إدوين سميث حالة رقم 25)، الفقرات (حالة 31)، الترقوة (حالة 34)،

(1) التفسير الأول هو الأرجح؛ إذ إن التفسير الثانى (انشطار الصفحتين) نادر الحدوث وقليل الأهمية ـ (المترجم).
(2) Impaeted fracture
(3) Perforation fracture
(4) Dislocation
(5) Sprain

ومفصل تلاقى الضلوع بعظمة القص (حالة 43). وجاء وصف معنى كلمة (وى نخ wenekh) فى التعليق A على الحالة رقم 31 كالآتى:

«أما عن انخلاع (وى نخ Wenekh) إحدى فقرات عنقه: فهو انفصال إحدى فقرات العنق عن التالية لها، بينما لم يصب اللحم (والجلد) الذى فوقهما ويظل فى حالة سليمة (ويدجا wedja). والانخلاع يعنى انفصال الأشياء التى كانت مرتبطة ببعضها حيث يُنتزع (بى هدج pehedj) واحد من الآخر».

والفقرة حول الحالة رقم 25، التى تعانى من خلع بمفصل الفك تؤكد معنى كلمة (وى نخ wenekh)، أما كلمة (بى هدج pehedj) فهناك اختلاف حول معناها.

وقد ترجم برستيد كلمة «نى رُت nerut» **بالجَزْع**، على أساس ما جاء فى التعليق A على الحاله رقم 30، والتى تصف (نى رُت nerut) فى الفقرات العنقية:

«وبالنسبة للجزع: فهو شد (نج neg) عضوين متجاورين مع الاحتفاظ بمكان كل منهما».

وتصف بردية إدوين سميث فى الحالة رقم 42 حدوث «نى رُت nerut» للضلوع، ويؤكد أنه ليس خلعًا (وى نخ wenekh). وفى حالة أخرى (رقم 48)، يعانى المريض من (نى رُت nerut) فى العمود الفقرى: فهو يشعر بألم عندما يثنى فخذيه ثم يمد ساقيه، ويرجع ذلك إلى وجود انزلاق غضروفى فى الفقرات القَطَنِيَّة[1]، يؤدى إلى الضغط على العصب الشوكى الخارج من بين الفقرتين. وفى الحالة رقم 30، نجد أن الألم يصاحب محاولة ثنى الرقبة نحو الصدر أو تجاه إحدى الكتفين. من هذه الحالات الثلاث، نستنتج أن الجزع (نى رت nerut) يعنى ارتخاء المفصل فقط، مع عدم وجود خلع؛ لذلك فترجمة (نى رت - nerut) باعتبارها جزعًا تُعتبر ترجمة مُرضية صائبة.

لدغ الثعبان ووخز العقرب: نجد على حجر مترنخ نقشًا لعلاج مبنى على السحر لحالات لدغ الثعابين ووخز العقارب (انظر: الفصل الخامس)؛ مما يعنى أن المصريين القدماء تحققوا من وجود مادة سامة (مى توت metut) تفرغها هذه الحيوانات فى الجسم، وهى التى تسبب الألم الشديد وضيق التنفس وأعراضًا أخرى. وفى مصادر عديدة نجد ذكرًا لمحاولة التخلص من هذا السم وإراقته على الأرض بوسائل سحرية، وأحيانًا عن

(1) prolapsed Lumbar intervertebral Disc

طريق تشريط الجرح باستعمال السكين. بينما نجد التعامل العلمى المنطقى مع لدغة الثعبان بعيدًا عن السحر فى بردية بروكلين (انظر: الفصلين الثانى والثامن).

الاضطرابات الطبية

إذا تركنا مجال الإصابات، نجد أن الطب المصرى القديم يفقد بعض موضوعيته وعلميته، فتطفو على السطح الفرضيات والتخمينات والتجريب غير الدقيق، ونجدهم يلجئون لاستعمال أدوية ليس لها تأثير حقيقى، هذا بجانب تعاظم دور السحر. ويرجع ذلك - دون شك - إلى نقص المعرفة بالأسباب الحقيقية لمعظم الأمراض الباطنة، والتى لم يتم التوصل إليها إلا بعد قرون عديدة من الزمن.

تلوث الجروح: كان **التلوث البكتيرى** يعتبر سياقًا طبيعيًّا للجروح المفتوحة. وقد تحسن هذا الوضع بعد أن توصل الإنسان لعملية التعقيم والمطهرات والمضادات الحيوية.

ومن البديهى أن سبب التلوث والتقيح لم يكن معروفًا فى مصر القديمة[1]، ومع ذلك فهناك وصف دقيق لجرح متسخ أو متقيح[2] فى تعليق A على الحالة رقم 41 فى بردية إدوين سميث:

«بالنسبة لجرح (وى بى نو webenu) ملوث (سما sma) فى ثدى المريض، فهو ملتهب (نى سر neser): وهذا يعنى أن الجرح الذى فى ثديه، (بطىء؟)[3] وغير مغطى - أى مفتوح - وتخرج من هذا الجرح سخونة (شم ميت shemmet) عالية، وشفتا (سى بى تى sepety) الجرح حمراوان (دى شر desher) وفم الجرح منفرج» ويقول الكتاب حول تشخيص مثل هذا الجرح «إن هذا يعنى وجود تورم كبير (تورم - شى يو sheu)، ويستطيع المرء أن يقول إن ذلك التهاب (نى سر neser) شديد».

وكلمة (نى سر neser) التى تعبر عن الالتهاب تُستعمل استعمالًا غير طبى بمعنى شعلة نار. والفقرة السابقة تُظهر بكل وضوح جميع الخصائص الرئيسية وعلامات

(1) لم يتم التوصل إلى البكتيريا كمسبب للتلوث البكتيرى وغيره من الأمراض إلا فى القرن التاسع عشر، على يدى العالم الفرنسى لويس باستير (1822 - 1895) - (المترجم).

(2) من المعروف أن العلامات الأساسية المصاحبة للالتهابات هى الألم، والتورم، والاحمرار، والسخونة الموضعية، وتوقف الوظيفة.

(3) قد تعنى كلمة بطىء هنا أن الجرح ليس حديثًا، لكنه تحت الحاد، وفى طريقه لأن يكون مزمنًا - (المترجم).

الجرح المتقيح أو الملتهب، باستثناء الألم. ولكن في موضع آخر نجد هذه الملحوظة: الجرح لا يمكن تضميده، ربما بسبب الألم، ثم يضيف الطبيب أن هذا الجرح لا يمكن أن يلتئم تلقائيًا.

نعلم أن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بدخول شيء شيطاني من الخارج إلى الجسم ويسبب الأمراض، فهل نقول إنهم قد تعرفوا على شيء يشبه البكتيريا التي تغزو الجروح من خارج الجسم وتسبب الالتهاب، انظر إلى تعليق D على الحالة رقم 8:

«إن سبب الالتهاب شيء دخل جسمه من الخارج؛ إنه نَفَس إله خارجي أو نسمة الموت، إنه ليس شيء من داخل الجسم».

كما نجد إشارة إلى القلب الذي يعاني من اضطراب في وظيفته (ني با neba) نتيجة لروح شريرة دخلت من الخارج. وقد أشرنا سابقًا إلى نسمة الموت التي تدخل من خلال الأذن اليسرى (انظر: الفصل الخامس).

الأرجح أن هذه العوامل المُمرِضة تنتمي لعالم السحر، أكثر منها معرفة بحقيقة الالتهابات وأسبابها البكتيرية.

الخراريج: من المرجح أن المصريين القدماء كانوا يعرفون الخراريج، بالرغم من أنه لا توجد أية شواهد عليها في المومياوات أو الرسومات والنقوش القديمة. فالبرديات الطبية تقدم وصفًا دقيقًا لتورم مستدير يحتوي على سائل، أما العلاج فهو بالسكين (المشرط). ولعدم ذكر علامات الخراج من حرارة واحمرار وألم، فمن الممكن أن يكون المقصود الكيس الدهني، فهو شائع للغاية.

والاسم الطبي الشائع للصديد هو «ريت ryt». كما تستخدم إيبرز 871 كلمة «ويخيدو wekhedu» في وصف حالة خراج في الإبط، وهي كلمة صعبة للغاية تحتمل عدة معانٍ سوف نطرحها لاحقًا.

وسيتم عرض ما تطرحه البرديات حول الخراريج في الفصل الرابع، ومناقشة العلاج الجراحي في الفصل الثامن.

دور الميتو في التسبب في الأمراض

لا شك أن الميتو (الأوعية) كانت تعتبر ضرورية من أجل الحياة والصحة، وقد خُصِّص جزء مهم في بردية إيبرز لوصف العلاج والعقاقير اللازمة لتقوية أو تليين الميتو (إيبرز 627 ـ 694).

غير أن هناك صعوبات في معرفة التراكيب التي يُشار إليها بكلمة (ميتو)، وقد ذكرنا سابقًا أنها تعني كل ما هو طويل ورفيع في جسم الإنسان؛ كالأوعية الدموية والأعصاب والأوتار والعضلات. ويعبر إيبيل (1937) بالميتو أحيانًا عن العضو الذكري، الذي يسبب ضعفه العُنَّة (الضعف الجنسي) عند الرجال (إيبرز 663)، والأرجح أن هذا الاستخدام غير صحيح[1].

وهناك مرض خاص يصيب الميتو هو (تضخم الميتو)؛ ففي بردية إيبرز 872 هناك وصف لتورم مستدير صلب، حدث بسبب إصابة الوعاء الدموي، ويمكن تشخيص هذه الحالة بأنها كيس دموي نتج عن إصابة وعاء دموي (تضخم وعائي)[2]. ويأتي في إيبرز 873 وصف لنوع آخر من (تضخم الميتو)، وتذكر أنه يحتوي على الهواء وبه عُقَد؛ وهو وصف يشوبه الغموض لحد ما.

وجاء ذكر أحد أمراض القلب التي تُعزى للميتو في إيبرز 855 c، والتي تصف سبب حالة مرضية غير معلومة أصابت **القلب** (شس shes):

«المِت (مفرد ميتو) الذي اسمه المستَقْبِل، هو المسئول عن حدوث هذا المرض ـ إنه الذي يمد القلب بالماء» (انظر: الفصل الرابع).

كذلك ذكرت إيبرز I 854 أن الأربعة ميتو الخاصة بالكبد هي السبب في حدوث جميع الأمراض بسبب إغراقه بالدم.[3] وتشترك برديات إيبرز 856 h وبرلين 163 h في نسبة أمراض **فتحة الشرج** إلى خلل في الميتو.

(1) في الهيروغليفية، عندما يأتي رمز العضو الذكري بجوار كلمة (ميتو metu) فليس المقصود أن يكون رمزًا مخصصًا، لكنه يشير إلى النطق الصوتي لحرفي m+t.

(2) post -Traumatic Aneurysm

(3) الاحتقان الكبدي: Hepatic Congestion ـ (المترجم).

ومن الأمور المثيرة التى أدركها المصريون القدماء، أن الأوعية قد تحمل المواد المُعْدية إلى أنحاء الجسم. وفى إيبرز نجد فقرة فى غاية الأهمية (855 g)، وهى تعليق على جزء مفقود من البردية:

«أما عن تضخم القلب فهذا يعنى أن أوعيته الدموية تحتوى برازًا».

وهذا تشخيص للحالة على أنها تسمم بكتيرى مصدره تلوث بمحتويات الأمعاء.

وتقول برديتا إيبرز 856 h وبرلين 163 h: «إن جميع الميتو (الأوعية) تتجه نحو القلب، ثم تتجمع وتتحد عند الشرج» وهذا يضع الشرج فى المنزلة التالية بعد القلب فى الأهمية. وهذا الفهم لقدماء المصريين حول شبكة الأوعية يمثل تفسيرًا منطقيًّا لانتشار المواد السامة من الأمعاء إلى أعضاء الجسم، ولهذه العلاقة أهمية كبيرة ينبغى أن يدركها الدارس إذا أراد أن يفهم خبايا الطب المصرى القديم.

بعض التعبيرات المرضية الغامضة

يتعرض فهمنا للطب المصرى القديم لعدد من المعوقات، بسبب بعض المفردات الطبية التى يكون معناها غير معلوم أو على الأقل موضع شك وخلاف، وقد تُركت الكلمات المبهمة تمامًا بدون ترجمة فى هذا الكتاب، بينما سنناقش فى الجزء التالى بعض التعبيرات موضع الاختلاف:

«ويخيدو wekhedu» من أكثر التعبيرات غموضًا فى الطب المصرى القديم كلمة wekhedu ـ وقد جاء ذكرها عدة مرات فى معظم البرديات الطبية، لكن لم يتم شرحها فى أى من التعليقات التى تميط اللثام عن معنى الكلمات الغامضة.

ولا شك أن هذه الكلمة كانت مفهومة جيدًا عند المعاصرين لكتابتها من المصريين، بينما نحتاج لفك طلاسمها ومحاولة فهم معانيها من خلال المصادر التى استخدمتها، وقد جرت هذه المحاولات باستفاضة فى الموسوعة الألمانية.

وكلمة «ويخيدو wekhedu» ترجع إلى الفعل (ويخيد wekhed) بمعنى يعانى، وتظهر الكلمة فى أربع فقرات من بردية إيبرز بصفة التأنيث (ويخيدُت wekhedut) بجانب ذكرها

بصفة التذكير، ففى الهيروغليفية للكلمة المؤنثة هيئة مختلفة عن الكلمة المذكرة[1]. تأمل المثال الآتى من بردية (إيبرز 246) وفيه يقوم أحد الآلهة بتحضير الدواء لإله لآخر:

«الدواء الخامس الذى يحضره نوت إلى رع ذاته: وكل جزء مريض من الجسم يُلف بهذا الدواء، سواء كان ذلك لمريض ذكر (ويخيدو Wekhedu) أو لمريضة أنثى (ويخيدُت wekhedut).

ويُشار إلى الشخص الذى يعانى من «ويخيدو wekhedu» بأنه (ويخيدى wekhedy)؛ إذ يضاف حرف y للدلالة على إنسان باسمه أو صفته. ويصيب «ويخيدو wekhedu» «ويخيدُت wekhedut» العديد من أعضاء الجسم مثل البطن، والجلد، والفم، والصدر، والظهر، والقلب، والرأس، والعينين، والأسنان. كما لهما القدرة على التنقل بين أعضاء الجسم المختلفة، وقد وُصفت عقاقير خاصة لطرد هذا الـ «وخيدو wekhedu» خارج الجسم أو للقضاء عليه، (إيبرز 856 a):

«جاء فى بداية كتاب «انتقال (هب هب hebheb) الـ «ويخيدو wekhedu» أن ذلك يحدث فى كل أطراف الإنسان؛ وقد وجد الكتاب ضمن كتابات أخرى تحت قدمى أنوبيس فى ليتوبوليس».

و قد ترجمت كلمة (هب هب hebheb) إلى ينتقل أو يجذب، بذلك يكون المعنى هو أن «ويخيدو wekhedu» ينتقل من جزء أو عضو فى الجسم إلى عضو آخر.

وقد جاءت هذه المقولة فى افتتاحية قائمة الميتو فى إيبرز 856، مما يشير إلى أن تلك الميتو قد تكون القنوات التى ينتشر من خلالها الـ «ويخيدو wekhedu».

ويمكن بسط هذا التصور للمصريين القدماء، فى أنه إذا كان التعفن الرمى يبدأ بعد الوفاة فى الأمعاء، ثم ينتشر إلى كل أجزاء الجسم (لذلك تُزال الأمعاء مع بداية عملية التحنيط)، فإن التعفن الموجود فى الأمعاء من الممكن أن ينتشر إلى أجزاء الجسم فى الإنسان الحى. إذًا العامل المُمرض هو الـ «ويخيدو wekhedu»، و«الميتو metu» وسيلة انتشاره، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من أن الميتو هى وسيلة الاتصال الصحيحة بين القلب وجميع أجزاء الجسم وفتحة الشرج. ويؤكد هذا الفهم ما جاء فى النص المنقول عن إيبرز (856 a)، من أن البردية الأصلية وُجدت تحت أقدام أنوبيس إله التحنيط. ويعضد هذه الرؤية أيضًا ما ذكره (هيرودوت II ـ 77) عن تركيز المصريين القدماء على استعمال

(1) يتفق ذلك مع اللغة العربية، فنحن نقول: ضرب وضربت. أما فى اللغة الإنجليزية فالهيئة واحدة للمذكر وللمؤنث: He hit - She hit - (المترجم).

الملينات والمسهلات، وكذلك الحقن الشرجية من أجل التخلص من الـ «ويخيدو wekhedu» ومنع انتشاره:

«يقومون بتفريغ جوفهم ثلاثة أيام متتالية كل شهر، باستخدام المقيئات والحقن الشرجية، كى ينعموا بصحة جيدة لاعتقادهم أن الأمراض تأتى من الطعام الذى يتناوله الإنسان»(1).

وهناك اتجاه طبى مشابه تمامًا، كان يُدَرَّس فى **مدرسة الطب اليونانية** التى بلغت أوجها فى كنيدوس قبيل ظهور مدرسة أبوقراط فى كوس. فهذه المدرسة كانت تؤمن بأن الـ «بيريتوما perittoma» تتكون داخل الأمعاء فى الظروف غير الطبيعية، ثم تنتشر هذه المادة المُمرضة إلى باقى أجزاء الجسم وتصيبها بالمرض. وتعد «البيريتوما perittoma» العنصر المُمرض المقابل للبراز (كوبروس kopros) الموجود فى الأمعاء فى الحالة الطبيعية.

والأصل المصرى لهذا التصور المَرَضى **هو العنصر المُمرض** «ويخيدو wekhedu»، الذى يستجد داخل الأمعاء، بخلاف الـ «هس hes» الذى يمثل مخلفات الأمعاء غير الممرضة (البراز). وفى حين أن «البيريتوما perittoma» لم تظهر بوضوح عند مدرسة أبوقراط إلا أن فكرة بداية المرض من الأمعاء كانت موجودة فى هذه المدرسة.

ويتمشى هذا الفهم للـ«ويخيدو wekhedu» و«البيريتوما perittomma» جيدًا مع العلم الحديث، حيث **تعيش بعض الميكروبات باستمرار فى الأمعاء**، ويحدث التسمم الدموى(2) نتيجة تحول بعض هذه الميكروبات المتعايشة من الحالة الكامنة إلى الحالة النشطة، ثم تسربها من الأمعاء إلى مجرى الدم.

بعد هذا العرض لاستخدامات كلمة الـ«ويخيدو Wekhedu» فى البرديات الطبية، كيف نترجمها فى ضوء الفهم الطبى الحديث؟ هناك مدرسة ترى أنها تعبر عن الألم بجميع أشكاله، بينما يرى آخرون أنها تعنى **المادة المسببة** للألم. أما قاموس فولكنر (1962) فيرى أنها تعنى **الألم فقط**، وهذا المعنى المحدود للكلمة لا يتفق مع خلو بردية إدوين سميث (التى تدور حول الإصابات) تمامًا من هذه الكلمة، بالإضافة إلى أن هناك خمس كلمات مصرية أخرى على الأقل للدلالة على الألم.

(1) هذا متوافق مع ما جاء فى أحاديث الرسول الكريم ﷺ من أن «المعدة بيت الداء» وأن «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه» ـ (المترجم).

(2) Toxaemia and Septisemia

وقد ترجم «إيبيل» (1937) كلمة «ويخيدو wekhedu» إلى التقيح، وقد يكون هذا استخدامًا صحيحًا فى بعض الحالات، كما جاء فى حالة خُرَّاج الإبط (إيبرز 871) المذكورة سابقًا، وإن كان لا يمكن تعميم هذا الوصف، فآلام القلب (المنسوبة إلى الويخيدو) نادرًا ما يكون التقيح أحد أسبابها. وعندما لاحظ غليونجى (1987) إطلاق الكلمة على جميع حالات التقيح المُعدية (مثل التلوث، الإنتان الدموى، التقيح الدموى، والتسمم الدموى)، وكذلك استخدامها لوصف ما يمكن أن يكون انتشار الأمراض الخبيثة، فَضَّلَ أن يترجم كلمة wekhedu إلى معنى عام، وهو «**حالة مرضية** morbid principle»، وربما يكون من الحكمة عدم محاولة ترجمة هذه الكلمة حرفيًا.

«سيتيت setet»، كلمة أخرى من الكلمات المُحَيِّرة فى معناها. والكلمة الهيروغليفية تبدأ برسم لـ (جلد حيوان يخترقه سهم)، يستخدم الجزء الأول set كفعل (يرمى، يرشق أو يطعن... إلخ) ويأتى كاسم يشير إلى (سهم أو هدف.... إلخ)، ويلحق بالكلمة رمز مخصص على هيئة دمل (خراج صغير). لهذا يمكن أن يكون معنى كلمة «سيتيت setet» فى الاستخدام الطبى shooting pains **(الألم الوخزى أو الألم البارق)**.

بينما يرجح جاردنر أن رسم الدمل ليس رمزًا مخصصًا، لكنه نطقًا صوتيًا لحرفى s+t، ويستدل على ذلك بظهوره مع بعض الكلمات التى ليس لها علاقة بالبرق أو الوخز، مثل الأرض.

وفى موضعين (إيبرز 102، 206)، يجىء مع سيتيت setet رمز مخصص يشير إلى (سائل)، وقد ترجمها مؤلفو الموسوعة إلى (مخاط أو مخاطية). واستحسن إيبيل (1937) أن يترجم هذه الكلمة إلى (البلغم)، وللأسف لم يأت فى أصول البرديات ولا فى التعليقات الواردة فيها ما يشير إلى معنى محدد لهذه الكلمة.

«مرض آ آ آ a a a»: ذُكرت هذه الحالة 22 مرة فى البرديات الطبية، كما ذُكر علاج لها فى 28 موضعًا. والنطق الصوتى للكلمة هو a a a، ويأتى معها كرمز مخصص رسم (القضيب القاذف). ولم ترد الكلمة خارج البرديات الطبية، ولا توجد فى هذه البرديات تعليقات تساعد على فهم معناها.

وقد تُرجم هذا المرض بعدة معانٍ؛ **مرض الموت المقدس**، أو النزيف البولى، مع

توضيح أن سبب هذا النزيف «بلهارسيا هيماتوبيوم»، أى أنه النزيف البولى الطفيلى الذى سببه البلهارسيا، وهى السبب الرئيسى الـ (البول الدموى) فى مصر (انظر: الفصل الرابع).

وفى عام 1961، طرحت الموسوعة رأيًا جديدًا تمامًا، يدور حول روح أو نفخة شيطانية تأتى على هيئة كابوس أثناء نوم ضحاياها، وتتغلغل داخل الضحايا بمنيها المسمم (السائل المنوى). وساند هذا الفهم أن كلمة «آ آ آ aaa» تأتى على هيئة فعل وهو (قذف المنى)، كما أن الكثير من الأدوية التى توصف لهذه الحالة تُستعمل ليلًا؛ أثناء نشاط هذه الروح. بهذا يكون الـ «آ آ آ aaa» **مادة سامة دخلت الجسم بطريقة سحرية،** وتُعتبر سببًا مباشرًا لعدة أمراض يتم علاجها بالأدوية مع بعض التعازيم.

وهذا التفسير الذى جاء فى الموسوعة تؤيده غالبية البرديات التى تهتم بالـ «آ آ آ aaa». فقد أشارت برلين 58 إلى «طرد الـ آ آ آ aaa الخاصة بإله أو إلهة من الجسم»، مع ست فقرات أخرى تذكر «طرد الـ «آ آ آ aaa» الخاصة بإله أو إنسان متوفى». وأيضًا هناك إشارتان إلى الـ «آ آ آ aaa» الخاص برجل وامرأة متوفيين، وإحدى الإشارتين عبارة عن تعزيمة، **لكن ليس هناك أية إشارة تفيد بوجود علاقة ما بين الـ «آ آ آ aaa» والمثانة.** ونجد ست فقرات تشير إلى إصابة البطن والقلب بهذا الـ «آ آ آ aaa»، بينما تشير ثلاث أُخَر إلى إصابة القلب فقط. وليس هناك ما يوحى بأن المصريين القدماء قد توصلوا إلى أن القلب يمكن أن يصاب بمرض البلهارسيا. كما يلاحظ خلو جميع هذه النصوص من ذكر البول الدموى، ومن ذكر أى علاقة بين الـ «آ آ آ aaa» والمثانة.

إلا أن الفقرة 62 من إيبرز تنص صراحة على أن الـ aaa هو مرض البلهارسيا:

«علاج آخر مفيد، يُحَضَّر خصيصًا للبطن، وهو يحتوى على مقدار واحد من (البوص ـ البردى؟) وقدر آخر من نبات «شامس shames». يطحن جيدًا ويُطهى مع العسل، ويتناوله الرجل الذى تصيب ديدان الـ «هى رى رت hereret» أمعاءه، وهذه الديدان بسبب الـ «آ آ آ aaa»، ولا يمكن القضاء عليها بدواء آخر».

ولا نعرف حقيقة ديدان الـ «هى رى رت hereret» بصفة مؤكدة، ولكن يُعتقد أنها الطور كامل النمو من ديدان البلهارسيا.

وسيأتى ذكر الشواهد التى تشير لوجود الإصابة بالبلهارسيا عند قدماء المصريين فى الفصل الرابع.

ونختم بما جاء من الفقرات 55 ـ 62 من بردية إيبرز، إنه وصف لدواء حُضِّرَ خصيصًا للبطن لقتل دودة «هى فات hefat». ولا ندرى حقيقة ديدان «هى فات hefat» (جدول 4 ـ 1) وإن كان هناك إشارة إلى أن هذه الديدان هى الديدان المستديرة (الإسكارس).

* * *

الفصل الرابع

أمراض مصر القديمة

The pattern of disease

- مصادر المعرفة عن أمراض مصر القديمة
  - أولا: البقايا الآدمية
  - ثانيًا: التصوير والتجسيد الفنى للجسم
  - ثالثا: المرض فى البرديات الطبية
- الأمراض الطفيلية
  - البلهاريسا
  - الفيلاريا
  - الديدان المستديرة
  - ديدان مصرية غير مميزة
  - دودة غينيا
  - الديدان الأسطوانية
  - الديدان المفلطحة
  - الملاريا
- الأمراض البكتيرية والفيروسية
  - الدرن
  - التيتانوس.
  - الإنتان والخراريج
  - شلل الأطفال
  - الجذام
  - الطاعون
  - الالتهاب العظمى النخاعى
  - الجدرى
- التشوهات
  - القزامة
  - استسقاء الرأس
  - القدم النبوتية
- السرطان وأورام أخرى
- اضطرابات التغذية والغدد الصماء والتمثيل الغذائى
  - السمنة
  - سوء التغذية
  - أمراض الكبد المشابهة للسمنة
  - مشكلة إخناتون
- أمراض الأعضاء الداخلية
  - الجهاز الدورى
  - الجهاز الهضمى
  - المسالك البولية
  - الجهاز العصبى
  - الآلام والتوجعات
  - الأمراض الجلدية
  - الجهاز التنفسى
  - الكبد والمرارة
  - الفتق والقيلة المائية
  - العظام والمفاصل
  - أمراض الأنف والأذن
  - الشيخوخة



من الطبيعى أن يكون المصريون القدماء قد عانوا من الكثير من الأمراض التى ما زال المصريون يعانون منها حتى اليوم، وينطبق ذلك بصفة خاصة على أمراض التآكل والضمور[1]؛ مثل التهاب المفاصل المزمن وتصلُّب الشرايين[2]. وقد تختلف نسب الإصابة ببعض الأمراض بين الماضى والحاضر نتيجة تغير العوامل المسببة للمرض؛ مثال ذلك نسبة الإصابة المنخفضة بأنواع السرطان المختلفة مقارنة بالوقت الحاضر، وذلك لأسباب كثيرة من بينها انخفاض متوسط الأعمار فى ذلك الوقت، والعوامل الوراثية والجينية، والأهم هو ندرة التعرض للعوامل المسرطنة فى بيئة نظيفة لا يمكن مقارنتها بالبيئة فى العصر الحديث من حيث التلوث.

ومع التقدم الطبى الهائل فى العصر الحديث، تمثل الأمراض المعدية ظاهرة تستحق الدراسة المتأنية. ففى الأزمنة الحديثة، حدث تغير فى المحيط الجغرافى والعوامل البيئية؛ مما انعكس على دورة حياة بعض الطفيليات. كما حدث تغير واضح فى نوعية وضراوة بعض البكتيريا والفيروسات، بحيث أصبحت أشد فتكًا وأكثر خطورة، بل لقد ظهرت أنواع من الأمراض البكتيرية والفيروسية لم تكن معروفة فى زمن الفراعنة والعالم القديم، ومثال ذلك أنه لم يُستدل على إصابة واحدة بمرض الزُّهَرى[3] فى العصور المصرية القديمة.

وإذا كانت دراسة الأمراض عند المصريين القدماء بدأت منذ أكثر من قرنين من الزمن، فقد تم التركيز على الحالات المثيرة للاهتمام، وتلك التى تصيب الأقلية المتميزة فى المجتمع. وكانت خطوات الكشف عن المرض تبدأ بإزالة الأكفان عن المومياء،

(1) Degenerative diseases

(2) يحتاج هذا المفهوم لإعادة نظر؛ فمتوسط عمر المصرى القديم يتراوح بين 30 ـ 35 عامًا، وهى سن لا تظهر فيها أمراض التآكل والضمور ـ (المترجم).

(3) مرض معدٍ، ينتقل عن طريق الممارسة الجنسية، ويسببه نوع من البكتيريا اللولبية ـ (المترجم).

ثم تشريحها، ثم أُدخلت تقنية **فحص الأنسجة** ميكروسكوبيًا عام 1889، وفى عام 1898 استخدمت **أشعة إكس** لتصوير الجثامين المحنطة.

وفى عام 1993، بدأ إجراء دراسات شاملة ضمت **أعدادًا كبيرة** من الجثامين كمادة علمية للبحث، دون الاكتفاء بأفراد بعينهم. وقد أصبح هذا الأسلوب البحثى واسع المجال متاحًا مع التقدم العلمى وظهور التقنيات الحديثة والتحاليل السريعة غير المضرة بالمومياء، والتى تستخدم عينات صغيرة للغاية من الأنسجة. ومن أهم هذه الاختبارات المعملية «**اختبار الحامض النووى منزوع الاوكسجين (DNA) Deoxyribonucleic acid**» والبحث عن وجود «**الأجسام المضادة Antibodies**» فى الأنسجة.

مصادر المعرفة
عن أمراض مصر القديمة

يرجع ما توصلنا إليه من شواهد مرضية فى عصر الفراعنة إلى ثلاثة مصادر؛ **البقايا الآدمية، والتصوير والتجسيد الفنى للجسم، وكذلك عرض الحالات والنُّبَذ الطبية حول الأمراض فى البرديات**. وهذه المصادر الثلاثة لا تتداخل - إلا قليلًا - فى المفاهيم التى تقدمها كل منها، ومن المفيد مراجعة أبعادها وما بها من نقص قبل الدخول فى تفاصيل كل مرض على حدة.

أولًا: البقايا الآدمية

يُعتبر جو مصر الحار الجاف جوًّا مناسبًا لحفظ أجسام المتوفين أكثر من أى بلد فى العالم. **فدفن المتوفى فى الرمال الساخنة** (دون تحنيط) يسمح بحدوث عملية التجفيف للجثة بمعدل أسرع من عملية التحلل، بذلك تكون المحصلة حفظ الجثة دون تحلل، مع الاحتفاظ بتفاصيلها بدرجة كبيرة (شكل 4: 1). لكن - مع الأسف - هذه الطريقة البسيطة لم تكن آمنة؛ حيث تصبح الجثة معرضة للنهش والتمزيق بواسطة الحيوانات البرية المفترسة خاصة ابن آوى؛ لذلك استعان المصريون القدماء **بأكفان مصنوعة من جريد الأقفاص** للحفاظ على الجثة من عبث الحيوانات، لكن هذا الأسلوب لم يسمح بدرجة كافية من التجفيف؛ مما يعرض الجثة للتحلل الرِّمى.



(شكل 4 : 1)

جثة بغير كفن، حفظتها جيدًا الرمال الساخنة الجافة، فترة نقادة - 2 (عصر ما قبل الأسرات) المتحف البريطانى.

بعد ذلك أُدخلت **عملية المومئة الصناعية (التحنيط)** لتضع حدًّا لهذه المشكلة، وبدأت بتحنيط جثث **أفراد العائلة المالكة** منذ بداية الأسرة الرابعة، ثم أصبحت تُجرى لجثامين **حاشية القصر** كتكريم لهم وهبة من الملك.

وقد فُقِدَتْ جميع مومياوات العائلة المالكة فى **المملكة القديمة**، وبقيت ثلاث فقط لأفراد من الحاشية، كما فُقِدَتْ مومياء رابعة إبان الغارة الجوية على كلية الجراحين الملكية فى إنجلترا أثناء الحَرب العالمية الثانية. وخلال **المملكتين الوسطى والحديثة**، أصبحت عملية التحنيط أكثر شيوعًا، ووصلت قمة الأداء التقنى خلال الأسرة الحادية والعشرين. وقد تم اكتشاف خبيئة فى طيبة تضم جثامين عدد كبير من أفراد العائلة المالكة تعود للأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وتم حفظ هذه المومياوات فى المتحف المصرى، بينما ظلت مومياء توت عنخ آمون فى مقبرته فى وادى الملوك[1].

ويواجه الحصول على معلومات طبية من خلال فحص المومياوات صعوبات وعقبات

(1) بدأ هاورد كارتر أعمال التنقيب عن المقبرة عام 1915 تحت رعاية وتمويل لورد كانارفان، الذى أنفق على البعثة 1/ 3مليون جنيه إسترلينى. وتم العثور على المقبرة فى 4 نوفمبر 1922، وتم دخولها عام 1923 عندما حضر لورد كانارفان من إنجلترا، ثم مات فى نفس العام من مرض غامض؛ مما ساعد على انتشار أسطورة لعنة الفراعنة. والمقبرة تحمل رقم 62 فى وادى الملوك، وقد وُجد الجثمان فى تابوته مقسمًا إلى 18 جزءًا (نتيجة لتحلل أربطة المفاصل التى تصل بين العظام) وقد تم تجميعها. وفى عام 2008، تم إخراج الجثمان من تابوته لأول مرة فى تاريخه ليتم فحصه بالأشعة المقطعية، لمعرفة سبب وفاة الملك، وقد أثار ذلك جدلًا علميًا أخلاقيًا كبيرًا. والجثمان الآن محفوظ فى صندوق زجاجى داخل المقبرة، تحت الظروف العلمية المثلى للحفظ - (المترجم).

كبيرة بسبب بعض خطوات **عملية التحنيط**. ويشرح هيرودوت هذه العملية إبان الأسرة السابعة والعشرين؛ وتشمل إزالة أكبر قدر من **المخ** عن طريق الأنف والتخلص منه، كما يتم إزالة **الرئتين ومحتويات البطن**، وبعد عمليات حفظ ومعالجة معقدة يتم وضع هذه الأعضاء فى الأوانى الكانوبية الأربع (جدول 3 ـ 1). **أما القلب والكلى** فكان يُحتفظ بهما فى مكانهما داخل الجثة؛ وبذلك أمكن الرجوع إليهما للدراسة، هذا بالإضافة إلى بعض أجزاء الجسم التى قد تكون تُركت بالصدفة. وبالنسبة **للهيكل العظمى والعضلات والجلد** فقد بقيت جميعها فى مكانها فى حالة مثالية، لجودة الاعتناء بها وحفظها، مثال ذلك جثمان سيتى الأول (الأسرة التاسعة عشرة)، وكذلك جثمان الفرعون سكنن رع التى تم الاعتناء به بطريقة مثالية، لدرجة أنه فى الإمكان رؤية آثار الجراح فى رأسه (التى أدت إلى وفاته) بوضوح شديد (انظر شكل8: 6).

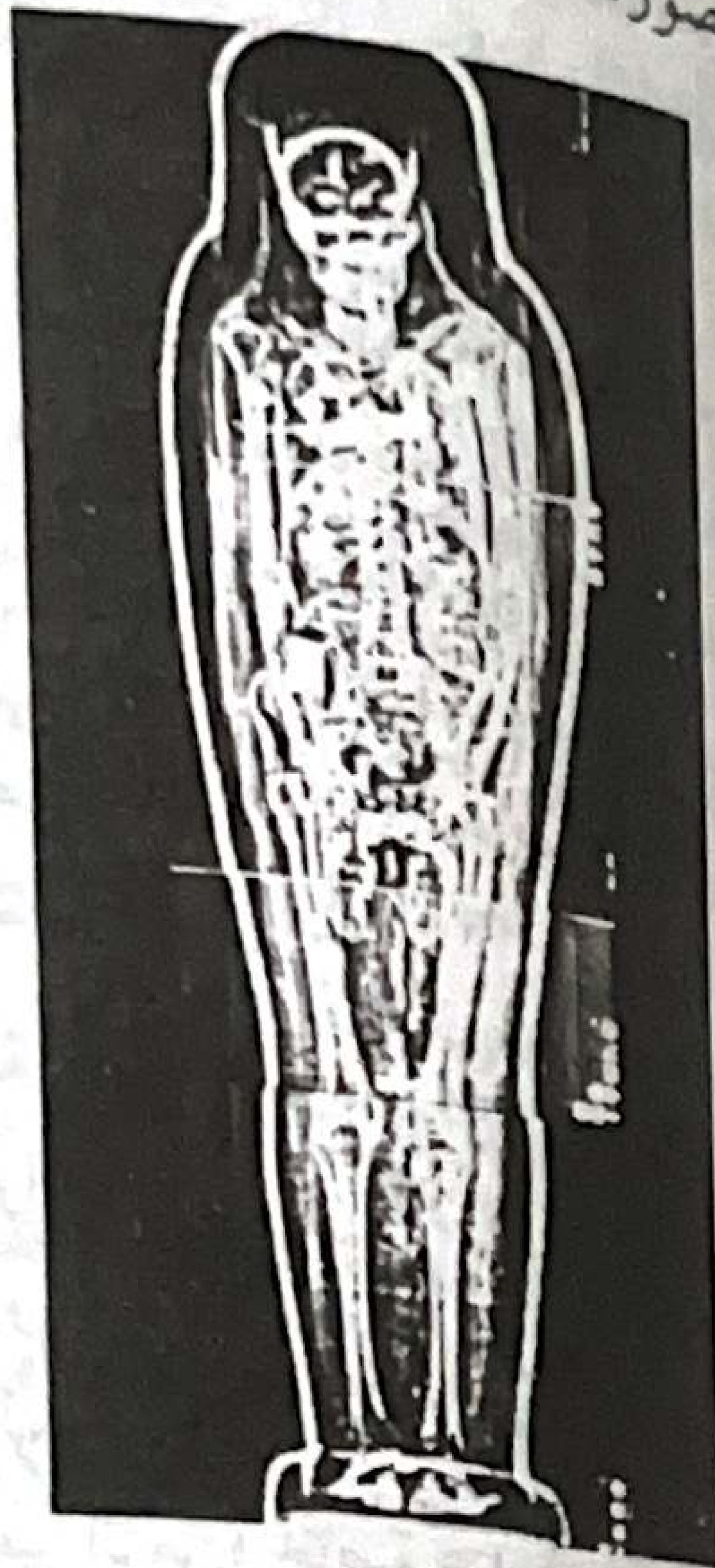
ولسوء الحظ، كان للإكثار من **استخدام مواد الحفظ** كالراتنج والقطران، وكذلك مستحضرات التجميل، تأثير ضار على **الأنسجة اللينة**. كما حدث الكثير من التشويه للجثث، أثناء انتزاع لصوص المقابر الأشياء ذات القيمة منها. ومما ساعد على الإضرار بالجثامين ما حدث خلال القرن التاسع عشر؛ إذ أصبحت تعرية المومياوات بإزالة الأكفان واللفائف لفحصها عملًا شائعًا. وللأسباب السابقة كلها، كانت **المعطيات الطبية للمومياوات ضئيلة وغير مفيدة**.

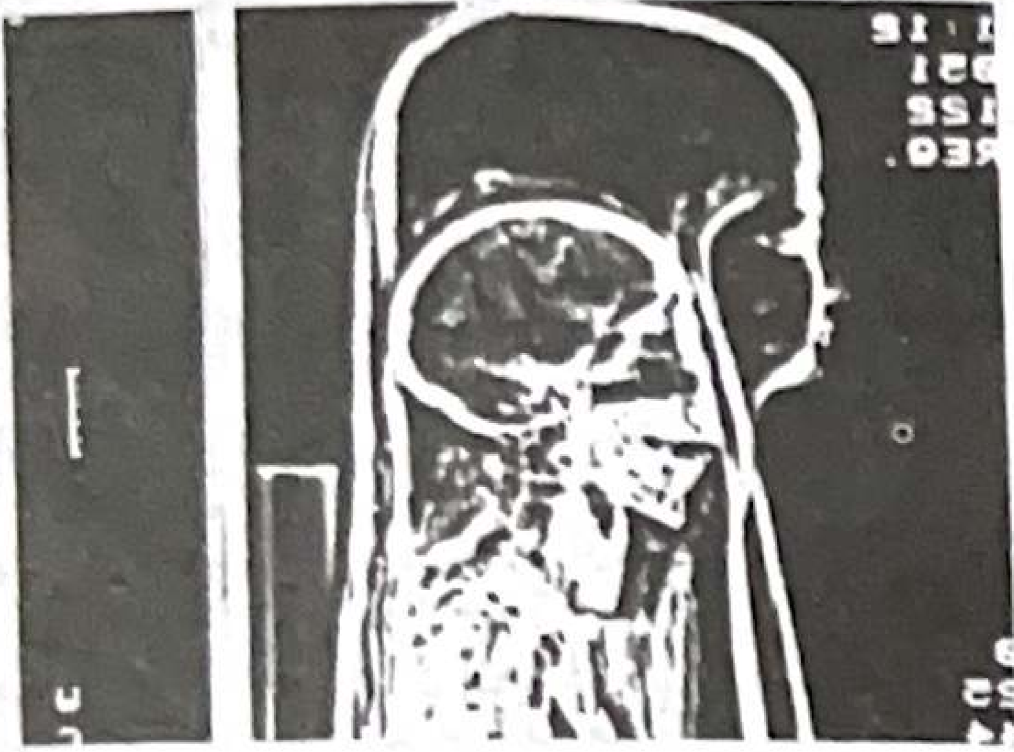
ويُعتبر السير «مارك أرماند روفر Marc Armand Ruffer» ـ أستاذ علم البكتيريا فى كلية الطب جامعة القاهرة (1896 ـ 1917) ـ الرائد فى **علم أمراض الكائنات البائدة وباثولوجيا الحفريات**، وقد جُمعت دراساته وأبحاثه فى كتاب تم نشره بعد وفاته (1921). وفى عام 1979 أجريت دراسة واسعة منضبطة لحالة المومياوات الصحية فى جامعة مانشستر، كما أعيدت دراسة مومياء جران فيل «إتيرى سينو ـ itry-senu» عام 1994.

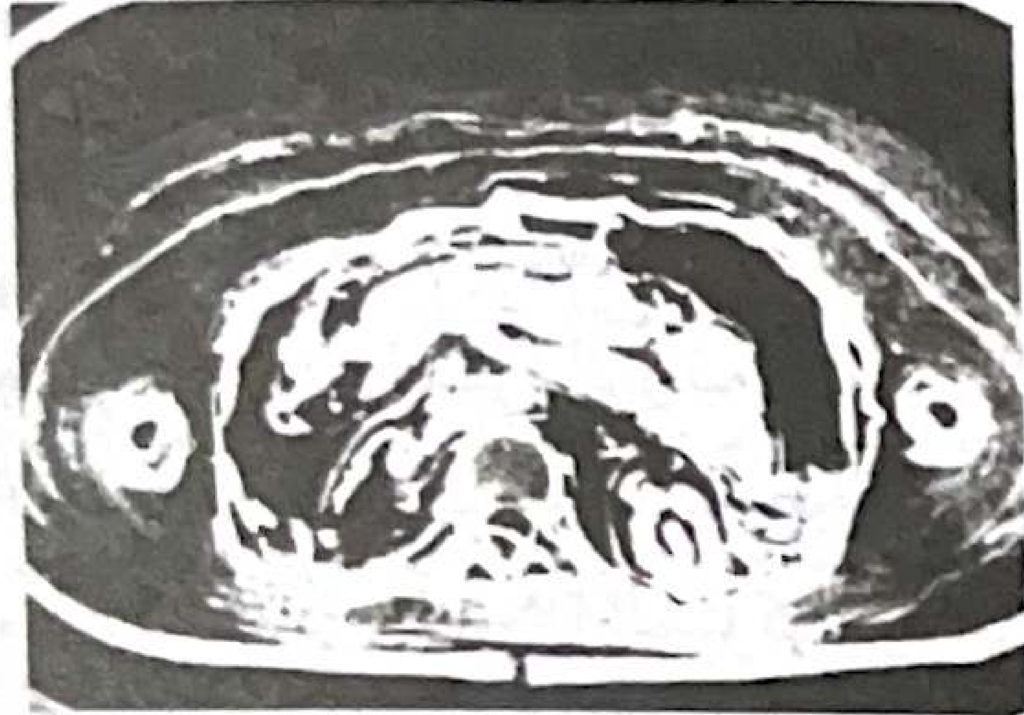
ويهدف الاتجاه العلمى الحديث إلى التوصل للمعلومات من المومياوات بتفاصيلها الدقيقة **بأقل الأضرار للجثامين تحت الاختبار**. وقد مهد استخدام أشعة إكس الطريق لابتكار أجهزة أكثر تقدمًا تعطى الكثير من المعلومات والتفاصيل، والمقصود بذلك **الأشعة المقطعية بالحاسب الآلى**[1]، والتى يمكن استخدامها لفحص الجثة من الداخل

(1) C.T. scan

والخارج والحصول على التفاصيل الدقيقة لأى جزء من أجزاء الجسم، دون اللجوء إلى انتزاع الأكفان أو الغطاء الكرتونى، ويتم ذلك عن طريق تصوير قطاعات عَرْضية متقاربة للجثمان تم تجميعها باستخدام الكمبيوتر (شكل 4 ـ 2). ويمكن بهذه التقنية تمييز ما هو عظام، أو أنسجة لينة، أو أجسام غريبة... إلخ، عن طريق دراسة درجات العتامة المختلفة للصور.







(شكل 4 : 2)

أشعة مقطعية لمومياء تجنت موت إن جبتيو من الأسرة 22 (المتحف البريطانى) ما زالت داخل الغطاء الكرتونى.

يسار أعلى:

صورة مقطعية جانبية تظهر عظمة الإلهة المجنحة Hyoid bone فى الجزء الأمامى من الرقبة.

يسار أسفل:

قطاع عرضى للصدر ـ يظهر الغطاء الكرتونى بوضوح ـ ويظهر العمود الفقرى والضلوع وأعلى الذراعين على الجانبين، كما تظهر الأعضاء الداخلية ملفوفة بعد إعادتها إلى داخل الصدر[1]

(1) تظهر هذه التفاصيل فى هذا النوع من التصوير بدرجة عالية الوضوح، إذا قورنت بالمعلومات المتاحة بالتصوير العادى لنفس هذه المومياء.

أما فراغات الجسم، فيمكن فحصها **بمناظير الألياف الضوئية**[1]، والتى لا تحتاج إلا لفتحة صغيرة لإدخال المنظار، ومشاهدة ما بالداخل وتصوير الأعضاء وما بها من أمراض. كذلك يمكن أخذ عينات من الأنسجة، ومعالجتها وصبغها، ثم فحصها بالميكروسكوب العادى أو الإلكترونى.

ولدراسة **الأجسام المضادة** يتم فحص عينات صغيرة للغاية من الجلد، وهذا النوع من الدراسة هو المفضل والأسهل لفحص الأعداد الكبيرة من المرضى فى الدراسات الموسعة.

والإنجاز العلمى الجديد بالذكر والمثير للإعجاب هو تقنية **استعادة الحامض النووى (الدنا DNA)** من بقايا الإنسان المصرى القديم (بابو، 1985). وقد فتح التقدم فى هذا المجال الباب لتحديد الخواص الجينية للفرد، وما تحمله من تطبيقات أخرى؛ مثل تحديد نوع الجنس، وعلاقة أفراد العائلة الواحدة، والأمراض الجينية (الوراثية)، وكذلك تمييز المجموعات الإثنية (العرقية). كما يمكن تمييز وفحص (الدنا DNA) الخاص بالبكتيريا والفيروسات والديدان المعوية فى جثمان الإنسان المصاب بأى منها.

ومن المهم التفرقة بين دنا DNA النواة (ثلاثة آلاف مليون زوج من القواعد النيتروجينية التى تمثل الشفرة الوراثية للإنسان)[2] والموروث من كلا الوالدين، وبين دنا DNA الميتوكوندريا (الحبيبات الخيطية)[3] الموروث من الأم فقط (حوالى ستة عشر ألف زوج). فاستعادة دنا DNA الميتوكوندريا من المومياوات أكثر سهولة، خاصة من الخلايا العظمية التى تصمد بشكل أكبر من غيرها عبر الزمن؛ خاصة عند فحص أعداد وفيرة. وكما هو متوقع كان يواجه إجراء هذه التحاليل مشاكل عديدة، منها مشكلة تدمير (الدنا DNA) أثناء خطوات الفحص، وحديثًا أصبحت النتائج أفضل بكثير[4]. وعقبة رئيسية أخرى هى مشكلة تلوث العينات بدنا DNA غريب، مصدره الحشرات والفطريات

(1) Fiber - optic Endoscopy

(2) يلزم وجود ثلاثة أزواج من هذه القواعد لتشكيل حمض أمينى واحد، علمًا بأن كل جزىء بروتينى يحتوى على عدة مئات من الأحماض الأمينية.

(3) الميتوكوندريا هى محطات توليد الطاقة فى الخلية الحية ـ (المترجم).

(4) حدث هذا التحسن بعد تقدم تقنيات التفاعل المتسلسل عن طريق البلمرة التحفيزية، والذى يضاعف أعداد أزواج القواعد بمتوالية 100 - 200 - 400... إلخ. وأكثر العينات المتاحة للفحص هى التى تتكون من 100-200 زوج من القوعد ـ (المترجم).

التى نمت على الجثمان، وأيضًا من القائمين بالفحص؛ لذلك يجب أن يتم الفحص فى حجرات كاملة التعقيم.

وهناك **مجموعة كبيرة من المقابر بالقرب من جنوب أسْوَان** غرقت بعد بناء سد أسوان القديم؛ إذ ارتفعت مياه النهر أمامه بمقدار 7 أمتار بعد عام 1908. وقبل ذلك بعام، قام «جورج ريزنر» بعمل حفريات لإنقاذ المومياوات، وتم التوصل لستة آلاف من الجثامين والهياكل العظمية التى قام «إليوت سميث» أستاذ التشريح بكلية الطب جامعة القاهرة (1900 - 1909) بمساعدة «وود جونز» بفحصها ودراستها، وهى فى أماكنها داخل 57 مقبرة تمتد من عصر **ما قبل الأسرات** إلى العصر الرومانى. كما جمعا 360 نموذجًا مرضيًّا (عينات) تم إيداعها متحف كلية الجراحين الملكية فى إنجلترا عام 1908، وللأسف فُقِدَ عدد كبير منها، وكذلك فقدت الوثائق الخاصة بها، أثناء غارة جوية عام 1941 [1]. ثم نقلت معظم النماذج التى بقيت من هذه **المجموعة المرضية النوبية** (خلال الفترة 1948 ـ 1968) إلى متحف التاريخ الطبيعى بلندن، وتم الاستعانة بها فى العديد من الدراسات.

ويمكن تحديد **العقبات والصعوبات** الكبيرة التى تواجه دراسة البقايا الآدمية فى العصور المصرية القديمة فى عدة نقاط، أهمها تحطم بعض الجثامين أثناء استخراجها ونقلها، وفقدان البعض الآخر (سرقة)، وكذلك ضعف وفقر تسجيل هذه الجثامين وقت اكتشافها. وعندما توافرت تقنيات التشخيص الحديثة واحتاج الأمر إعادة فحص العينات، وُجد أن بعضها قد فُقد أو فقدت وثائقه. ومن هذه الصعوبات أيضًا، ما يحدث من لبس عند تشخيص المرض الأصلى للمتوفى، بسبب التدمير الذى حدث بعد الوفاة نتيجة للمؤثرات الخارجية، مثل التعرض للنطرون والفطريات والحشرات. ونظرًا لأن المعايير المتبعة للتفرقة بين الأمراض المتشابهة أصبحت دقيقة للغاية، فقد أدى إعادة فحص العينات المَرَضية إلى الوصول إلى تشخيص مغاير للتشخيص الأَوَّلى.

ثانيًا: التصوير والتجسيد الفنى للجسم

حافظ **الفن المصرى القديم** على المقاييس المثالية فى رسومات ونقوش وتماثيل الأشخاص. وكان ذلك غالبًا بتكليف من الفرعون أو الشخصية المرموقة التى يتم

(1) عُين وود جونز أستاذًا للتشريح الآدمى والتشريح المقارن بكلية الجراحين الملكية عام 1945، بعد أن فُقدت النماذج التى قام بجمعها قبل ذلك بثمانية وثلاثين عامًا.

تجسيدها؛ لذلك جاء **تصوير هؤلاء** فى مرحلة الشباب اليافع، ورُسِمَتْ الأذرع والسيقان متناسقة، وذات أحجام وأطوال مثالية، بعضلات بارزة وبدون سمنة ظاهرة أو دهون متراكمة. **أما النساء** فكانت الرسوم تظهرهن طويلات القامة نحيفات، جميلات، مع هالة من القدسية تجبرك على احترامهن. ولكن فى بعض الأحيان، قد نجد مخالفة للشروط الجمالية والمقاييس المثالية؛ فتأتى الصورة مُمثلة للواقع دون رتوش أو تجميل.

ولما كان الفكر المصرى القديم يدور حول **استمرارية الحياة** فى العالم الآخر بعد الوفاة على ما كانت عليه أثناء الحياة، كان الاهتمام الكبير **بالمحافظة على الجسد** سليمًا، وكانت الحاجة الملحة لتحنيط تلك الجثامين. كذلك كان المصريون يدركون إمكانية السطو على المقابر وسرقتها والتمثيل بالمومياوات، من هنا جاءت أهمية تجسيد وتخليد هيئة المتوفى **لتعويض فقدان الجثمان الأصلى**. لذلك كانت صور ونقوش المتوفى تزين جدران المعبد الصغير الملحق بالمقبرة، كما كانت التماثيل الشخصية تودع فى سراديب المقبرة ومعها تماثيل للزوج والزوجة (شكل 4: 6). ويؤكد تسجيل بعض العيوب الجسدية فى الصور والنقوش والتماثيل اعتبار العمل الفنى صورة بديلة للجسد الأصلى. والمبدأ نفسه ينطبق على الخدم الذين يتم التعرف إليهم بأشكالهم الواهنة الضعيفة، حينما يُعثون لمرافقة المتوفى فى الحياة الآخرة.

وقد تكون هناك **دوافع أخرى وراء إظهار بعض التشوهات والإعاقات**؛ فقد يكون ذلك للتعبير عن حالة بعينها، أو لتوحى بمهنة معينة للشخص المرسوم. لذلك جاء إبراز السمنة للتعبير عن الرفاهية، كما يظهر جميع الأقزام بأطراف قصيرة غير متناسقة مع الجسم[1]، وقد يُصور الشخص أعمى مُغْمَض العينين حينما يكون عازفًا لآلة القيثار.

وهناك جدل حول الطابع غير التقليدى الذى يُميز **فنون فترة العمارنة**، فقد جاءت هيئة **إمنحتب الرابع** (إخناتون 1352 ـ 1336 ق.م) بملامح جسدية غير طبيعية؛ هل كان مظهره هذا يعبر عن مرض؟ أم إنه أسلوب جديد ابتدعه فنانو إخناتون ليخالفوا به أسلوب

(1) كان للأقزام منزلة كبيرة فى مصر القديمة، فقد كانوا يقومون بالترفيه عن الفرعون وكبار رجال الدولة. والقزم قد تكون أطرافه متناسقة فى الطول مع جسده، وقد تكون نسبة الأطراف أقل من النسبة الطبيعية، وهؤلاء هم المصابون بـ «نقص التعظم الغضروفى Achondroplasia» ـ (مرض يصيب غضاريف العظام ويعوق نمو الأطراف).

الفراعنة السابقين له؟. وسيتم مناقشة هذه الاحتمالات فى الجزء التالى عند مناقشة الأمراض التى تم تسجيلها تصويريًا.

ثالثًا: المرض فى البرديات الطبية

يمكن اعتبار البرديات الطبية **المصدر الرئيسى المتاح للمعلومات** حول الأمراض عند قدماء المصريين. وقد أخذت **الإصابات** حقها فى العرض والوصف الإكلينيكى، فلم يكن هناك صعوبة للتعرف إلى تشخيص الحالة. فبردية **إدوين سميث الجراحية** تُعتبر فريدة من نوعـها، من حيث دقـة السرد والوصف الطبى الدقيق لتفاصيل الحالة قبل وضع التشخيص ثم وصف العلاج.

وفى المقابل، نجد **البرديات الطبية الباطنية الأساسية** (إيبرز، هرست، وبرلين) تعرض الحالة بفرضية معرفة التشخيص مسبقًا، فلا يبقى إلا تسمية الحالة باسم، غالبًا ما يكون صعب الوصول إلى معناه فى الوقت الحالى. فتبدأ الحالة دائمًا بشكل موحد «وبالنسبة إلى الرجل الذى يعانى (أ ب جـ) فيجب عليك أن تجهز له الدواء (س ص)». وأحيانًا تتبع هذه البرديات طريقة بردية إدوين سميث، فتقدم سردًا مبسطًا للتاريخ المرضى والعلامات الإكلينيكية للحالة، وينطبق ذلك بالأخص على الفصل الخاص بأمراض المعدة فى بردية إيبرز (188 - 207).

وفى البرديات الطبية كثيرًا ما تواجهنا **عقبات لغوية** فى فهم الأعراض والعلامات المرضية؛ ومن ثم لا يمكن التأكد من صحة تشخيص المرض؛ فكثيرًا ما تكون الكلمات غير معروفة خارج نطاق البرديات الطبية، وقد لا تعطى المراجع الطبية شواهد قوية لمعنى تلك الكلمات. كذلك قد يكون معنى الكلمات محددًا وثابتًا فى الحياة العامة، لكنها تعبر عن معنى مخالف فى المجال الطبى؛ ويحدث نفس الشىء فى وقتنا الحالى، فقد استعار الأطباء بعض الكلمات من اللغة الإنجليزية واستخدموها بمعانٍ مختلفة فى مجالهم، مثال ذلك وصف الكسور المتعددة للضلوع باصطلاح «القفص الصدرى المخلخل»[1].

(1) Flail Chest

وبعد هذا العرض لمصادر المعلومات عن الطب المصرى القديم، يأتى دور عرض الأمراض الباطنية والجراحية (عدا الإصابات) التى كان يعانى منها المصريون القدماء.

الأمراض الطفيلية

تُمَثِّل الأمراض الطفيلية مشكلة صحية كبيرة فى مصر حتى يومنا هذا.

وفى اللغة الهيروغليفية، يأتى اسم الدودة الطفيلية مصحوبًا برمز مُخَصِّص Determinative يبين أنها دودة، لكن يظل **تحديد نوع الطفيل** من خلال البرديات الطبية شديد الصعوبة، وقد يكون فحص البقايا الآدمية هو المصدر البديل للمعلومات. وفى عام 1910 وقع حدث علمى هام تمثل فى اكتشاف روفر بويضات دودة البلهارسيا فى حالة تكلس داخل الكُلى فى مومياوين من الأسرة العشرين، ومنذ ذلك الوقت توالى تحديد أنواع الديدان عن طريق فحص الأنسجة ميكروسكوبيًّا، والتصوير الإشعاعى، والتقنيات المتقدمة فى مجال فحص الدنا DNA واختبارات المناعة.

البلهارسيا (الشيستوزوما) schistosomiasis - bitharziasis

ما زالت البلهارسيا تمثل أحد المشاكل الصحية المزمنة فى مصر. وتبعًا لإحصائيات منظمة الصحة العالمية (عام 1993) فإن حوالى 12٪ من المصريين مصابون بهذا المرض[1].

وهناك **ثلاثة أنواع رئيسية** لهذه الديدان المفلطحة، يوجد منها فى مصر نوعان فقط، هما: الشيستوزوما مانسونى s.mansoni (بلهارسيا المستقيم)، والشيستوزوما هيماتوبيوم s.haematobium (بلهارسيا المجارى البولية)، ويطلق عليها جميعًا اسم البلهارسيا نسبة لمكتشفها الطبيب الألمانى «تيودور بلهارس T.Bilharz» (عام 1852).

ولديدان البلهارسيا **دورة حياة معقدة تتم فى عائلين: العائل الأول** هو الإنسان، والثانى

(1) انخفضت هذه النسبة كثيرًا بعد التوصل لعقار البيلارسيد الذى يؤخذ بالفم فى جرعة واحدة لعلاج المرض. (المترجم).

قواقع الماء العذب من جنس بولينوس Bulinus التى تعيش فى الترع، ومن أساليب مقاومة المرض القضاء على هذه القواقع[1].

ولم تكن **العدسات المكبرة** قد اكتشفت أيام الفراعنة لتعين على رؤية الأشياء دقيقة الحجم، مثل هذه الديدان؛ لذلك كان يستعان بالأشخاص المصابين بقصر النظر الشديد Myopia للقيام بذلك؛ لمقدرتهم على تمييز الأشياء شديدة الصغر بسهولة أكثر ممن يتمتعون بالرؤية العادية، ولهذه الميزة والمقدرة كان يستعان بهم أيضًا فى مجال نقش الحُلِىّ.

والعَرَض المهم للإصابة بمرض بلهارسيا المجارى البولية هو **البول الدموى**، ويسبب فقدان الجسم لهذا الدم بصفة مستمرة **فقر الدم (الأنيميا)**، والهزال، وفقدان الشهية، ويصحب ذلك التهابات الجهاز البولى، وانخفاض مقاومة الجسم للأمراض المعدية البكتيرية والفيروسية بصفة عامة. وهناك علاقة وطيدة بين مرض بلهارسيا المجارى البولية وسرطان المثانة، ربما بسبب إفراز مواد النيتروزامين nitrosamines المسرطنة.

أما **بلهارسيا المستقيم**، فقد تسبب آلامًا شديدة فى المستقيم وفتحة الشرج، وهذا يفسر النسبة المرتفعة للأدوية المصرية القديمة التى تساعد على تخفيف هذا الألم وتكون مبردة ومنعشة لفتحة الشرج[2].

(1) تحدث الإصابة بمرض **البلهارسيا** عند الاستحمام أو الغوص بالأرجل فى مياه تحتوى على «السركاريا cercaria» (الطور المعدى) التى تخرج من القواقع، وتخترق الجلد ثم تتجه إلى الأوردة داخل جسم الإنسان العائل. ويبلغ طول الدودة الذكرية البالغة سنتيمترًا واحدًا، وتبلغ الدودة المؤنثة ضعف هذا لكنها أرفع كثيرًا. ومن الصعب رؤية هذه الديدان فى الآثار القديمة، إذ تتحلل الديدان فى جسم المريض خلال أربع وعشرين ساعة من موته (غليونجى، 1987).
وعند بلوغ الديدان **الطور الكامل**، يلتقى كل زوج من الديدان (ذكر وأنثى) داخل الوريد البابى (الخارج من الأمعاء متجهًا إلى الكبد)، ثم تهاجر هذه الديدان سويًا داخل الأوردة الدموية حتى تصل إلى المثانة والمستقيم، حيث تضع **بويضاتها**. وبويضات الشيستوزوما بيضاوية الشكل، تبلغ حوالى 0.05 × 0.14 ملليمتر، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وتوجد هذه البويضات فى معظم الأعضاء الداخلية للإنسان العائل. وتخترق بويضات بلهارسيا المجارى البولية جدار المثانة، وتخرج مع البول الذى يصطبغ بلون الدم.
وبعد وصول البويضات إلى الماء العذب، تفقس ويخرج منها «**الميراسيديوم** Miracidium» الذى يسبح باحثًا عن العائل الوسيط (القواقع)، ويتحول الميراسيديوم داخل القواقع إلى أكياس يخرج منها أعداد كبيرة من السركاريا التى تسبح فى الماء، تستهدف إنسانًا آخر ليكون عائلها الأساسى، ولتبدأ دورة حياة جديدة.

(2) هذا الرأى غير صحيح، فبلهارسيا المستقيم لا تسبب آلامًا، وربما تبنى البعض هذا الرأى (مع قلة خبرتهم بالمرض) لأنه يبدو معقولًا من الناحية العقلية ـ (المترجم).

وتسبب البلهارسيا تليفًا بالكبد، **يؤدى إلى خلل فى وظائفه**، ومن مظاهر هذا الخلل عند الرجال امتلاء الثديين (**الثدى الأنثوى** gynaecomastia) الذى ظهر كثيرًا فى التماثيل والنقوش الفرعونية (شكل 4: 10)، وبهذا فسر غليونجى (1973) هيئة الفرعون إخناتون (إمنحتب الرابع) كما تُظهرها الرسوم.

والشاهد القاطع على وجود البلهارسيا فى مصر القديمة، هو (كما ذكرنا) عثور روفر على **بويضات البلهارسيا المتكلسة**، قد أيد ذلك أخيرًا (1980) العثور على بويضات مشابهة فى جثة ناخت، وهى مومياء جافة غير محنطة تعود للمملكة الحديثة.

ومن الفحوصات المعملية الحديثة التى يمكن استخدامها على نطاق واسع، البحث عن **مولدات الأجسام المضادة لطفيل البلهارسيا (Antigens)** فى أنسجة الجسم. وقد عُثر عام (1990) على هذه المولدات فى جلد ومخ جثامين غير محنطة تنتمى إلى عصر ما قبل الأسرات، وأيضًا إلى المملكة الحديثة (منها جثة ناخت). كما أمكن أيضًا الاستدلال على هذه المولدات فى 15 من 23 مومياء تعود إلى عصر البلينا (350 ـ 550 م).

وهناك مصدران من المصادر المصرية القديمة، يشتملان على النصائح والإجراءات التى يجب اتباعها **للوقاية من التعرض للطور المعدى للبهارسيا** (السركاريا) والموجود فى ماء الترع. ففى الفصل رقم 125 من «**كتاب الموتى**» نجد هذا الاعتراف السلبى الذى يقر به المتوفى أمام الآلهة، والذى ينص على «**إننى لم أتبول فى المياه**» (بردية آنى). والمصدر الثانى يتمثل فى **الغشاء الذى يَلف العضو الذكرى** (كارناتيو karnatiw)، والذى يُشاهد مصورًا على بعض حوائط المقابر، وكان يُلبس لمنع دخول الطفيل إلى مجرى البول. وهذا الاعتقاد الخاطئ يرجع لتصور المصريين القدماء أن العدوى تأتى بنفس وسيلة العَرَض الظاهرى؛ وهو التبول الدموى الذى يخرج من القضيب، وهناك شعوب أخرى كانت تستعمل هذه الأغشية الذكرية لأغراض مخالفة.

ويعتقد البعض أن الكلمة المصرية القديمة «آ آ آ aaa» قد تعنى البول المصطبغ بالدم بسبب مرض البلهارسيا، وقد ذكرنا فى الفصل الثالث المعانى المحتملة لكلمة «آ آ آ aaa»، وليس منها البول الدموى أو البلهارسيا. وسنناقش لاحقًا فى هذا الفصل الصعوبات الخاصة بتعريف التبول الدموى فى البرديات الطبية.

دودة غينيا (Dracunculiasis)

رغم أن هذا المرض **تم القضاء عليه فى مصر**، إلا أن الإصابة بهذا الطفيل (ديدان الحبليات الخيطية) كانت مشكلة صحية كبيرة فى الماضى. وقد وجدت دودة غينية ذكرية متكلسة فى جدار البطن لإحدى المومياوات التى تعود لحوالى ألف عام قبل الميلاد (متحف مانشستر للمومياوات).

وكما هو الحال فى البلهارسيا، لدودة غينيا **دورة حياة معقدة** تتنقل فيها بين عائلين: الإنسان، والسيكلوب (نوع من القشريات الدقيقة)[1].

وتحيا الدودة المؤنثة تحت الجلد خاصة فى منطقة الكاحل، وتخترق الدودة الجلد لتضع البيض مسببة قرحة، ويمكن التخلص منها عن طريق جذبها إلى الخارج بلفها حول شظية خشبية وسحبها ببطء شديد حتى يتم انتزاعها بالكامل. وهذه الطريقة خطيرة، فلو انقطعت الدودة التى يبلغ طولها مترًا أثناء سحبها، وتبقت منها أجزاء تحت الجلد فستحدث **التهابات خطيرة**.

والمومياء المصابة بهذا المرض والمشار إليها آنفًا، بها بتر فوق الركبة للساق اليمنى، وآخر تحت الركبة للساق اليسرى. وحيث إنه قد وجدت بها دودة ذكرية غينية متكلسة، فيمكن تصور أنه كانت هناك محاولات فاشلة لإخراج ديدان مؤنثة، فتبقت أجزاء منها تحت الجلد، أدت إلى التهابات ومضاعفات شديدة استلزمت بتر الساقين.

وجاء فى (إيبرز 875) وصف لتشخيص وعملية استخراج الدودة الغينية (كما كان المصريون القدماء يقومون بها):

تعليمات لتورم «آ آ ت aat» فى أى من أطراف الرجل

«(أ) إذا فحصت أورام (نتوءات) «آ آ ت aat» فى أى من ساقى إنسان، فيجب أن تضع عليها ضمادة، وستجد أن هذه النتوءات تتحرك جيئة وذهابًا و(دى كر تى de qer ti) تحت الجلد.

(1) تبدأ العدوى بتناول الماء الملوث بالقشريات المعدية، ثم تنطلق يرقات دودة غينيا فى أمعاء العائل الجديد (الإنسان). وتتجول اليرقات داخل أنسجة الجسم حتى تصل إلى البلوغ، حينئذ يحدث الجماع بين الذكور والإناث، ويبلغ طول الدودة الذكرية 2 سم فقط، وتموت بعد إخصاب الدودة المؤنثة. وتهاجر الدودة المؤنثة المخصبة إلى الأنسجة تحت الجلدية فى الإنسان، وتأخذ فى النمو حتى يصل طولها إلى متر واحد تقريبًا. وفى النهاية، تخترق هذه الدودة المخصبة الجلد عند الكاحل محدثة قرحة، ومن خلالها تقذف بويضاتها فى الماء الذى يغمر فيه الإنسان قدميه، ثم تفقس هذه البويضات لتخرج منها اليرقات التى تخترق القشريات وتنمو بداخلها حتى تصبح معدية وجاهزة ليبتلعها إنسان آخر؛ أو قل ضحية أخرى.

(ب) يمكن تشخيص هذه الحالة: «آك aq» لأورام «آ آت aat».

(ج) فى هذه الحالة لا بد أن تلجأ إلى العلاج بالمشرط. عليك أن تشق الجلد بواسطة مشرط «دس des»، ثم تلتقط ما بالداخل بآلة الـ«هينو henu». وستجد فى الداخل شيئًا يشبه «مندجر mendjer الفأر، لا بد أن تنتزعه».

و«حركة الورم جيئة وذهابًا» تتمشى مع طبيعة دودة غينيا وشكلها، غير أن هذه الجملة شائعة فى البرديات الطبية بدلالات مختلفة بعيدة عن وصف الديدان. وهناك صعوبة فى تفسير كلمة «دى كر deqer» فى الخطوة (أ)، وهذه كلمة نادرة فى القاموس الفرعونى ولها معانٍ متعددة، من بينها «يضغط» أو «يلتصق»، وهو المعنى المقبول فى الموسوعة الألمانية وأيضًا عند غليونجى (1987)، ولكن هناك معنى آخر وهو «غَزْل» (لف) وقد يشير إلى محاولة إخراج الدودة عن طريق لفها حول قطعة من الخشب.

أما كلمة «آك aq» التى جاءت فى الخطوة (ب)، فقد تكون إقلاب لكلمة qa، بمعنى البصق أو القيء، وهو معنى منطقى، ينسجم مع محاولة الدودة الخروج من القرحة ووضع بويضاتها.

وتفسر الموسوعة الألمانية كلمة «مندجر mendjer» فى الخطوة (ج) بأنها «الأعضاء الداخلية». كما تُرجمت الكلمة إلى «أمعاء الفأر» وهو تشبيه ممتاز لأنثى الدودة الغينية.

الفيلاريا (Filariasis)

يوجد العديد من الأجناس لرتبة فيلارويد التى تصيب الإنسان، والبعوض هو الحامل للطفيل المسبب للمرض. وتسد الديدان كاملة النمو الأوعية الليمفاوية؛ مما يسبب تورم وسماكة الجلد (مرض الفيل). وهذه التغيرات من الصعب تمييزها فى المومياوات، لكننا نرى صورًا للخدم مرسومة على جدران المقابر، تُظهر تضخم الأعضاء التناسلية الخارجية للرجل، لكن تضخم الساقين المميز لمرض الفيل لم يُسجل فى الرسومات مطلقًا.

ويرى غليونجى (1949) أن **البلهارسيا** قد تكون سبب تضخم هذه الأعضاء التناسلية. وقد تم فحص جلد كيس الخصيتين فى مومياء ليدز الخاصة بـ «نات سف آمون» وعُثر فيه على ديدان الفيلاريا. وهناك نوع من الفيلاريا[1] يهاجم الأعين؛ وقد يكون أحد أسباب **فقدان البصر** عند المصريين القدماء.

(1) Onchocerca Volvulus

الديدان الأسطوانية (السترونجيلويدز) (Strongyloidiasis)

عُثر على يرقات السترونجيلويدز[1] فى جدار أمعاء مومياء آسرو (الأسرة الخامسة والعشرين) الموجودة ضمن مجموعة المومياوات فى متحف مانشستر. وقد وُجدت الأمعاء منزوعة من الجثة وموضوعة بين رجلى المومياء، وليس فى وعاء كانوبى كالمعتاد. ومن غير المحتمل أن يكون المصريون القدماء قد أدركوا وجود هذه الديدان؛ فليست هناك أية إشارة إليها فى البرديات الطبية.

الديدان المستديرة (الإسكارس) (Ascaris Lumbricoides)

هذه الطفيليات المعوية من أكثر الديدان الطفيلية شيوعًا[2]. والديدان كاملة النمو تصل إلى 20سم طولًا، وقد تخرج مع البراز وتسبب الفزع للمريض. ويبدو أن هذه الديدان كانت معروفة لدى المصريين القدماء، وقد تكون هى المسماة «هيفات hefat» فى البرديات الطبية. وقد عثر على ما يدل على وجود هذه الديدان فى مومياء (PUM II) غير الملفوفة فى الولايات المتحدة.

الديدان المفلطحة (الدودة الشريطية): (تينيا ساجيناتا، تينيا سوليوم)

(Taenia Saginata and Taenia Solium)

الشاهد المؤكد على وجود هذه الديدان المفلطحة[3] أيام المصريين القدماء، هو العثور على بويضات التينيا فى مومياء ناخت (جاء ذكرها عند الحديث عن البلهارسيا)

(1) تهاجم دودة السترونجيلويدز الطفيلية الجسم باختراق جلد القدمين، ثم تتوجه عن طريق الدم إلى الرئتين، ثم تتسلق الشعب الهوائية إلى القصبة الهوائية والحنجرة، ومنها تدخل البلعوم وتنتشر فى الجهاز الهضمى، وهناك تضع بويضاتها التى تخرج مع البراز إلى الخارج. وتفقس هذه البويضات فى الماء لتخرج اليرقات التى تخترق الجلد، وتستمر دورة الحياة مرة أخرى دون الحاجة إلى عائل وسيط.

(2) تبدأ دورة حياة الإسكارس داخل جسم الإنسان عندما تفقس البويضات المُبتلعة داخل الأمعاء، لتخرج منها اليرقات التى تهاجر إلى الرئتين، ثم تنتقل إلى الجهاز المعوى بنفس طريقة دودة السترونجيلويدز، كما ذكرنا سابقًا.

(3) تحدث العدوى بهذه الديدان عن طريق تناول اللحم غير المطهى جيدًا، والذى يحتوى على بويضات الدودة. وعندما تفقس هذه البويضات تُكوِّن دودة مفلطحة طويلة تتشبث برأسها فى جدار الأمعاء تاركة القطع الذنبية فى مؤخرتها حرة، وهى التى تحتوى على البويضات. وكما هو الحال فى الديدان المستديرة، فإن هذه القطع يمكن أن تُرَى فى براز الشخص المصاب.

والتى تم فحصها فى تورونتو. وكان ناخت يعانى أيضًا من الإصابة بطفيل "تريكينيلا Trichinella"، الذى تم العدوى به عن طريق تناول لحم الخنزير غير المطبوخ.

ديدان مصرية غير مميزة

تذكر البرديات الطبية الكثير حول إصابة الأمعاء بديدان طفيلية، ولكن يصعب التأكد من هوية الكثير منها. والرمز المُخَصِّص Determinative لكلمة ديدان هو نفس الرمز المخصص لكلمة ثعابين (شكل 4: 3)، ويعين الشرح وتقديم الحالة على تحديد أيهما المقصود. وكلمة «هى رى رت Hereret» وربما كلمة «دجيدفت djedfet» تعنيان ديدان الأمعاء.

ويوجد عدد من الكلمات الأخرى التى يلحق بها الرمز المخصص للديدان، ويرجع إلى تصور أن الديدان يمكن أن توجد وتنمو تلقائيًا فى بعض الحالات المرضية، وهو استنتاج خاطئ مبنى على ظهور يرقات الذباب فى الجروح المتقيحة[1]. ومن بين هذه الكلمات (هس بت hesbet ـ إيبرز 296، 102)، (بت جو betju ـ إيبرز 205)، ولم يوصف علاج خاص لهذه الديدان.

النطق الصوتى
phonetics

ḥrrwt:
hereret-worms
ديدان هى رى رت

phonetics

pnd:
pened-worm
دودة بند

phonetics

ḥfȝt:
hefat-worm
دورة هيفات

(شكل 4: 3)
أمثلة للكلمات المصرية المعبرة عن أنواع مختلفة من الديدان. الثعبان رمز مخصص يشير إلى الديدان أو الأفاعى.

والكثير من الطفيليات المعوية مثل الديدان المستديرة، والديدان الدبوسية، والديدان الشريطية (المفلطحة) لها معالم واضحة فى البراز؛ لذلك من المؤكد أنها قد عُرفت قديمًا ووضعت لها أسماء مميزة، لكن للأسف لم تمدنا البرديات الطبية بما يعين على التعرف إلى أسماء هذه الديدان. ولا يوجد

(1) ظل ذلك الاعتقاد سائدًا حتى توصل لويس باستير (1882 ـ 1859) إلى أن هذه الديدان إنما هى يرقات الذباب الذى وضع بيضه على الجرح ـ (المترجم).

غير اسمين مصريين فقط يبدو أنهما مرتبطين بدودة بعينها: دودة «هيفات hefat»، ودودة «بند pened». ولا توجد أسس واضحة لتمييزهما، كما لا يوجد ما يؤيد رؤية البعض أن الديدان المستديرة (الإسكارس) هى الـ «هيفات hefat»، وأن التينيا هى الـ «بند pened».

وقد جاء فى (جدول 4 ـ 1) ذكر بعض الأدوية لعلاج هذه الديدان، البعض منها يُعطى لتقوية وتغذية المريض، والبعض الآخر كان يُعتقد أنه يقتل الديدان، أو أنه طارد للديدان (الرمان وخشب الدود). وهناك تكرار واضح للمكونات التى تدخل فى التركيبات التى يُنصح بتداولها لعلاج مختلف أنواع الديدان، ومن تلك الوصفات:

«دواء آخر للتخلص من دودة (هيفات hefat): أفا afa (الخس الجبلى) (1)، خشب الدود (سما sma) (1)، حساء الخضراوات (هيسا hesa) (1). يمزج الجميع معًا ويتناوله المريض، وفى هذه الحالة سيفرغ المريض (ويسه weseh) جميع ما فى جوفه من الديدان (دجيدفت djedfet)» (إيبرز 64).

«دواء آخر لقتل دودة بند pened: خفت khet من شجرة كس بت kesbet (5 رو)، بيرة قوية (20 رو). تطهى وتصفى ثم تشرب فى الحال» (إيبرز 72).

من الواضح أن العناوين والمستحضرات الدوائية لا تعطى أى مساعدة للتعرف إلى نوعية الديدان.

الملاريا (Malaria)

تشير دراسات علم الأوبئة إلى انتشار الملاريا فى مصر فى زمن الفراعنة؛ حيث كانت الظروف المناخية والبيئية أكثر ملاءمة لتكاثر البعوض ـ حامل العدوى ـ عن أيامنا الحالية. والملاريا لا تترك آثارًا مرضية يمكن أن تُكتشف فى المومياوات، والعجيب أن البرديات الطبية (باستثناء مدونات تلامذة أبقراط) لم تُعِر ارتفاع الحرارة الذى يحدث فى حالات الملاريا فى دورات متكررة كل ثلاثة أو أربعة أيام أى اهتمام؛ مما لا يغيب عن ملاحظة وفطنة المصريين القدماء!

(جدول 4 ـ 1) الأدوية الخاصة بالديدان الطفيلية فى الأمعاء

العقاقير العشبية	العقاقير المعدنية
HP ورق الصمغ العربى	HP ملح الدلتا
H الشعير	P النطرون
P القمح	P الأوكر الأحمر
HP الخروب (دجارت djart)	H الملاكايت (كربونات النحاس)
P الكويتزا (إن نك innek)	P زيت الصحراء
P الكمون	
HP عشب السعادى	**العقاقير الحيوانية**
HP البلح	P H العسل
P اللوز الجبلى (شنى تا sheny-ta)	P الزيت الأبيض
P ثمار العرعر	P زيت الثور
P زيت الصنوبر	P دهن الإوز
HP سعادى	
H جزء من الجميز	**مواد حاملة**
H الجميز	HP البيرة
H جذور الرمان	p اللبن
HP خشب الدود	p النبيذ

- (H) دودة هيفات hefat ذُكرت فى إيبرز 1, 68, 70, 64 - 66, 50 - 61؛ برلين 2 - 7؛ والرامسيوم A 29 III).
- (P) دودة بند pened ذُكرت فى إيبرز 72 - 85, 69, 66 - 67.
- الأسماء المصرية بين القوسين تدل على أن المعنى ليس مؤكدًا، أو أن لها معنى آخر (انظر: جدول 7 ـ 5).

وفى عام (1994)، تم إجراء أحد اختبارات المناعة الحساسة لاكتشاف الإصابة بالملاريا[1] على بعض الجثث من عصور ما قبل الأسرات والمملكة الحديثة (الأسرة الخامسة والعشرين) وأيضًا من العصر النوبى البلينى (350 - 550م.) ، وقد أظهر هذا الاختبار وجود **مولدات الأجسام المضادة** لطفيل الملاريا (plasmodium falciparum) فى بعض المومياوات التى تم فحصها من تلك العصور؛ مما يعنى أن هذه الحالات الموجبة كانت تعانى من مرض الملاريا.

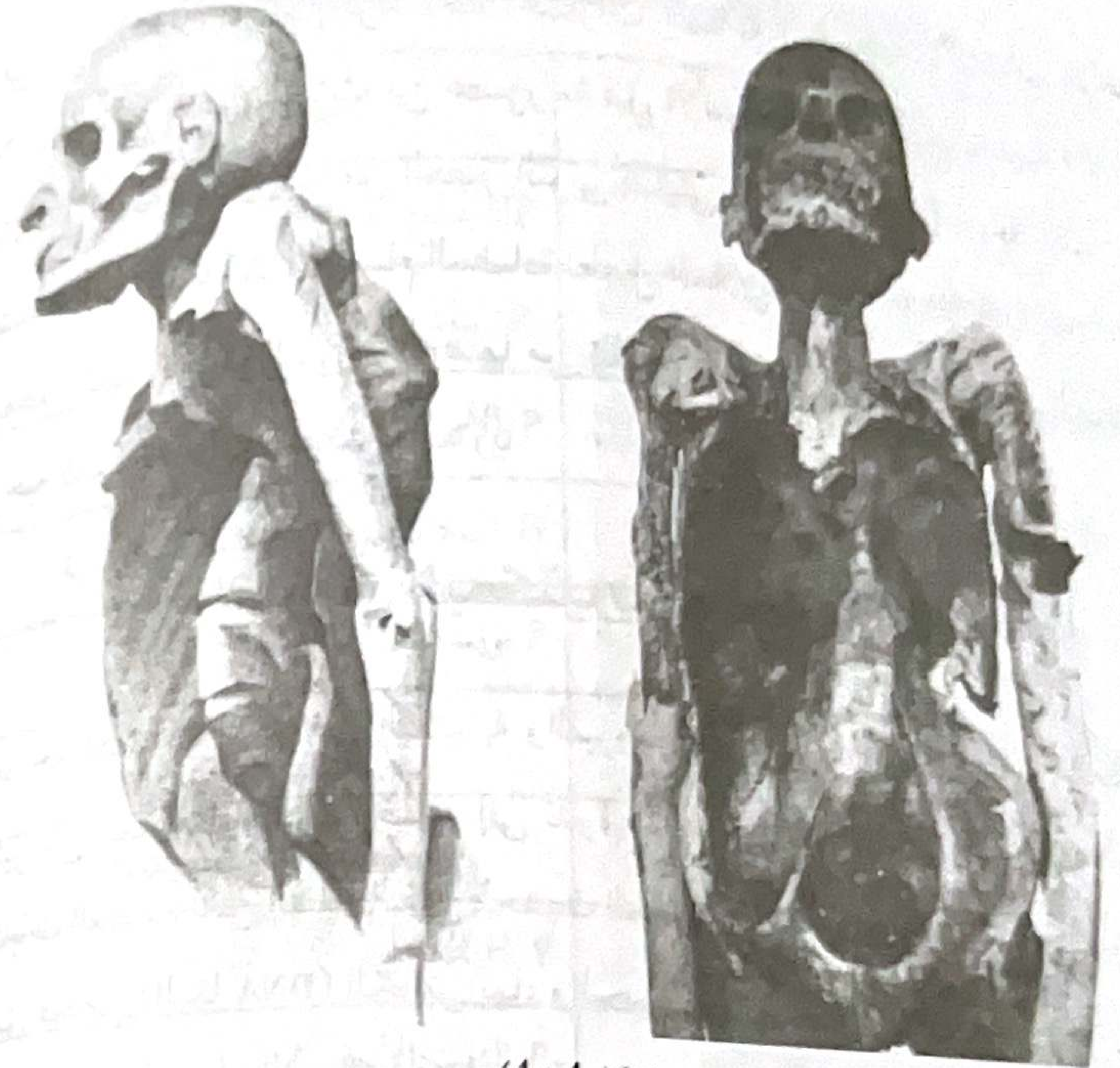
الأمراض البكتيرية والفيروسية

يواجه اكتشاف الأمراض البكتيرية والفيروسية فى **المومياوات والهياكل العظمية** الكثير من العقبات، هذا بالإضافة إلى ندرة ذِكر هذه الأمراض فى البرديات الطبية **وكتابات المقابر**. لكن التقدم التقنى الحديث المتمثل فى التعرف إلى أنواع البكتيريا عن طريق فحص **(الدنا DNA)** الخاص بها، والبحث عن **الأجسام المضادة** لها، يمكن أن يُلقى الضوء على هذه الأمراض فى المستقبل.

الدرن (السل) (tuberculosis)

فى عام (1910)، تم التوصل إلى حالة **سل العمود الفقارى** فى جثمان «نس بارى هان»، وهو من كهنة آمون فى الأسرة الحادية والعشرين (شكل 4: 4). وهذه الحالة تظهر مرضًا معروفًا هو **مرض بوت**[2] الذى يسبب انخماصًا واعوجاجًا فى الفقرات الظهرية؛ مما يؤدى إلى تحدب الظهر[3]، الذى يظهر جليًا فى التصوير الإشعاعى الجانبى للقفص الصدرى. ومن المضاعفات الخطيرة لمرض بوت التقيح الدرنى الذى يصيب الفقرات، وينتشر إلى أسفل تحت غشاء العضلة الحرقفية الكبرى[4] فى

(1) Parasight TM -f
(2) Pott's disease
(3) Angular kyphosis
(4) Psoas major muscle



(شكل 4 : 4)

النموذج المثالى لدرن العمود الفقرى (مرض بوت)، نجده لدى نس بارى هان ضمن خبيئة تضم 44 من كهنة آمون من الأسرة الحادية والعشرين. والصورة الجانبية تُظهر الانحناء الحاد للفقرات (الحدب) بسبب انخماصها. والمنظر الأمامى يُظهر الخراج الخصرى فى أسفل الناحية اليمنى من البطن.

اتجاه الحفرة الحرقفية[1]، ويظهر كخراج كبير فى المنطقة الخصرية[2]. وحالة «نس بارى هان» تعتبرحالة مثالية دقيقة الوصف لحالات درن الفقرات فى مصر القديمة.

وقد تم تجميع حالات تحدب الظهر بين فترة ما قبل الأسرات والأسرة الحادية والعشرين، فبلغت اثنتين وعشرين حالة، ووجد أن مرض الدرن هو السبب فى هذا التشوه فى أغلب الحالات، وترجع باقى التشوهات إلى كسور فى الفقرات أو التهاب العظام النخاعى أو أكياس عظمية. وكانت إحدى الحالات مصحوبة بانخماص(فَش) رئوى مع التصاقات بالغشاء البللورى[3]، بسبب الدرن الرئوى.

(1) iliac fossa

(2) Lumbar Psoas abscess

(3) Lung collapse with pleural adhesions

وهناك عدة رسومات على جدران المعابد المرفقة بالمقابر تُظهر خدمًا يعانون تحدب الظهر، ولكن من الصعب معرفة إذا كان سببها مرض بوت أم تحدب الشيالين أم التهاب الفقرات القسطى[1]، أم مجرد الوقوف أو الجلوس فى وضع خاطئ.

وعلى الرغم من التأكد من وجود مرض الدرن فى مصر القديمة، لا يوجد فى البرديات الطبية إشارة صريحة إلى المرض، ولعل المستقبل يحمل معه البرهان القاطع على وجود المرض بالكشف عن ميكروباته العضوية فى إحدى المومْياوات.

الجذام (Leprosy)

لم يتم العثور على أية مومياوات من العصر الفرعونى مصابة بالجذام[2]. وقد يرجع ذلك إلى الامتناع عن تحنيط جثث المصابين بالمرض خوفًا من العدوى. غير أنه عُثر فى مقبرة للمسيحيين فى منطقة البيعة فى النوبة (القرن السادس الميلادى) على حالة اشتباه لهذا المرض، غير أنه لم يمكن عزل الميكروب المسبب للجذام فى هذه الحالة[3].

والشواهد على وجود الجذام فى مصر القديمة فى البرديات ضعيفة، وإن كانت حالة ورم «آت نت خُنسو aat net khonsu» التى جاء ذكرها فى بردية إيبرز 874 قد تكون جذامًا تَدَرنيًّا (تَوَرُّميًّا).

«تعليمات حول ورم «آت نت خُنسو ـ aat net khonsu»: إذا قمت بفحص ورم خنسو كبير فى أى جزء من جسم المريض، ورأيت أن انتشاره مُفزِع وحوله درنات أخرى عديدة، ووجدت به ما يمكن أن يكون هواء، ففى هذه الحالة عليك أن تشخص المرض على أنه ورم آت نت خُنسو، وليس لديك فى هذه الحالة ما تقدمه للمريض».

(1) Ankylosing spondylitis

(2) الجذام مرض مُعْدٍ مزمن متزايد يسببه ميكروب (Mycobacterium Leprae)، ولم يكن له علاج فى العهود الماضية، أما الآن فيعالج بالمضادات الحيوية. وتنتقل العدوى للمخالطين للمريض لمدد طويلة، لذلك فهو كثير الانتشار بين أفراد الأسرة الواحدة. ويظهر الجذام فى الجسم بصورتين مختلفتين: الأولى، على صورة درنات (أورام) جلدية صغيرة صلبة الملمس، وفى غياب العلاج تكبر هذه الأورام وتتداخل وتلتصق معًا، ومع تعدد هذه التورمات فى الوجه يأخذ **شكل وجه الأسد**. أما الصورة الأخرى لمرض الجذام، فتحدث بسبب مهاجمة الأعصاب الحسية، فينتج عنه فقدان الإحساس، خاصة فى الأطراف؛ مما يؤدى إلى تآكل وفقدان الأصابع فى اليدين والقدمين.

(3) من العسير عزل ميكروب الجذام فى المرضى الأحياء، فلا شك أنه يستحيل عزل الميكروب من المومياوات والرفات القديمة ـ (المترجم).

وهناك صورة أخرى لورم خُنسو «أنوت anut»، جاء ذكرها فى إيبرز 877:

«تعليمات حول ورم (أنوت anut) للقاتل خنسو: إذا قمت بفحص ورم «أنوت anut» للقاتل خنسو فى أى جزء من جسم الإنسان، ووجدت أن رأس الورم مدببة وقاعدته مفلطحة، واللحم تحته ساخنًا، ولون العينين أخضر (وادج wadj) وتحرقانه، إذا وجدت هذه الأورام فى ذراعيه وعند الحوض وفى الأفخاذ، ووجدت الصديد داخلها، لا تفعل شيئًا لهذه الحالة».

شَخَّصَ البعض هذه الحالة بأنها نوع من الجذام (جذام ميوتيلانس lepra mutilans)، وتأتى الصعوبة فى التشخيص من صعوبة ترجمة بعض الكلمات، وهناك بضعة تشخيصات أخرى يمكن أن تنطبق على هذه الحالة، مثل السرطان، والطاعون العُقَدى، أو حتى الأورام العصبية الليفية[1].

التيتانوس (Tetanus)

لا يترك مرض التيتانوس شواهد فى البقايا الآدمية، لكن فى الحالة رقم 7 فى بردية إدوين سميث هناك رسم يوضح علامات تقلص عضلات الفك وتشوه الوجه؛ مما يعطى انطباعًا بأن يكون تشخيص الحالة هو تيتانوس، وتأتى تفاصيل هذه الحالة فى الفصل الثامن.

الطاعون (Plague)

يتخلل التاريخ عدد من الأوبئة العالمية المفجعة لمرض الطاعون، ويسببه ميكروب «باستريللا بستس Pasteurella pestis» الذى تحمله الفئران، وينتقل منها إلى الإنسان عن طريق حشرة البرغوث.

والالتهاب الرئوى الذى يسببه الطاعون سريع الفتك بالإنسان، ولا يتوقع المرء أن يجد له أثرًا فى المومياوات. أما **الطاعون العُقَدى** فيتميز بالتهاب وتضخم الغدد الليمفاوية، وأورام خنسو المشار إليها سابقًا فى بردية إيبرز كإحدى حالات الجذام قد تكون إحدى حالات الطاعون العقدى. ولم يتم العثور على أى من المومياوات التى تحمل علامات

(1) تشخيص هذه الحالة (على الأرجح) هو: «تقيح دموى systemic pyemia» مصحوب بخراريج متعددة بالجسم (ينطبق عليها الوصف المذكور للأورام) أدى إلى «تسمم عام Septicemia» نتج عنه تدهور فى وظائف الكبد (اخضرار العينين = اليرقان = الصفراء) وهذه مرحلة مميتة فى معظم الحالات - (المترجم).

الطاعون، كما لم يرد ذكر لهذا المرض فى البرديات الطبية، وهناك شواهد قليلة على أن الطاعون العقدى لم يصل إلى مصر إلا بعد دخول الإسلام إليها[1].

الإنتان والخراريج (Sepsis and abscesses)

يمكننا أن نتوقع بأن حدوث الخراريج كان شائعًا فى مصر القديمة، وفى غياب الشواهد المقنعة فى **المومياوات والرسوم**، ينبغى الاعتماد على ما جاء فى **البرديات الطبية** حُول هذا الموضوع.

ومن بين 48 حالة جاء ذكرها فى بردية إدوين سميث، نجد الحالة رقم 46 التى شُخصت كـ «سِهر seher» فى ثدى رجل، وهى المرة الوحيدة التى يأتى فيها ذكر هذه الكلمة، وقد ترجمها برستيد إلى «**خرَّاج**»، بينما تتحفظ الموسوعة الألمانية على هذه الترجمة وتضع للكلمة معنى «تورم»: «بالنسبة للخراج «سِهر seher» الذى تظهر له رأس فى ثدى الرجل: فهذا يعنى وجود تورم كبير بسبب إصابة فى ثديه، هذا التورم لين إذا تحسسته بيدك، كما لو كان يحوى سائلًا».

وفى الجزء الخاص بالعلاج نجد هذا التعبير: «ارتفاع درجة الحرارة عند فم الجرح، مع خروج سائل من رأس الـ (سهر seher)»:

ولا توجد توصية بفتح هذا الخرَّاج لتفريغه من السائل الذى بداخله (الصديد)، ربما لأن الخراج قد انفتح تلقائيًا[2].

أما بردية إيبرز، فتصف فى فقرتين ما قد يكون خراريج، لكن فى هذه المرة هناك توصية بالعلاج الجراحى:

الحالة الأولى: إيبرز (869): «تعليمات لتورم صديدى «ريت ryt»: إذا قمت بفحص تورم صديدى فى أى طرف من أطراف الرجل، ووجدت التورم مستديرًا ومغلقًا، وله رأس بارزة، فإنك تقول عن هذه الحالة: إنها «ورم صديدى»، وهى حالة مرضية سأقوم بعلاجها باستخدام المشرط. ستجد بداخلها ما يشبه الشمع، ويخرج منها سائل مخاطى، هذا الخرَّاج قد يكون له جيب، إذا لم يفرغ جيدًا، فالالتهاب والخرَّاج سيعودان مرة أخرى».

وكلمة «رَيت ryt» يُلحق بها رمز مخصص يشير إلى الصديد (انظر: شكل 3: 5)، لكن

(1) على مسئولية المؤلف، ولم يذكر أدلته على هذا الطرح - (المترجم).

(2) المُرجَّح أن الحالة بدأت كتجمع دموى Haematoma نتيجة للإصابة التى ذكرتها البردية، ثم حدث التهاب بكتيرى حَوْل التجمع الدموى إلى خُرَّاج - (المترجم).

الوصف ينقصه ذكر السخونة والاحمرار والألم (وهى العلامات الأساسية للالتهاب). أما إمكانية تكرار ظهور الخراج فى حالة عدم تنظيفه جيدًا وبقاء بعض المحتويات داخله (الشمع أو السائل المخاطى) فيشير إلى إمكانية أن يكون هذا التورم **كيسًا زُهميًا** (دهنيًا) ملتهبًا.

الحالة الثانية: إيبرز (871) وفيها تُستخدم الكلمة «ويخيدو wekhedu» بدلًا من كلمة «رَيت ryt». ولكلمة (wekhedu) معانٍ أخرى عديدة غير معنى الصديد (انظر: الفصل الثالث). لكن فى الفقرة التالية وصف يُشير إلى أنها هنا تعنى الصديد، وبشكل أكثر دلالة من كلمة «ريت ryt» فى الفقرة السابقة:

«إذا قمت بفحص ورم «ويخيدو wekhedu» فى أعلى الذراعين، ووجدت أنه يُخرج سائلًا، وكان صُلبَ الملمس وجافًا غير لين تحت أصابعك، أو قد يكون لينًا قليلًا، فستقول عن هذه الحالة إنها ورم «ويخيدو wekhedu» بأعلى الذراعين، وهى حالة مرضية سأقوم بعلاجها.

ويجب أن تستخدم فى هذه الحالة المشرط للعلاج، لكن خذ حذرك من الميتو. ستجد أن هناك سائلًا يخرج من هذا الورم يشبه الصمغ، وإذا كان للورم جيب، فينبغى تفريغه جيدًا لتضمن الشفاء وعدم ارتداد التورم مرة أخرى. تعامل مع الحالة بعد ذلك كأنك تتعامل مع جرح فى أى من أطراف المريض، اترك له فرصة الالتئام التلقائى، اهتم بالميتو. وإذا امتلأ الجرح مرة أخرى بعد تفريغه، فهذا دليل على حدوث مضاعفات مرضية أخرى».

ينطبق هذا الوصف بدقة على **خراريج الغدد الليمفاوية** فى الإبط، نتيجة التهاب بالذراع أو اليد أدى إلى تضخم والتهاب هذه الغدد التى تصب فيها الأوعية الليمفاوية للذراع. ويؤيد هذا التفسير التحذير من إصابة الميتو أثناء استعمال المشرط، والميتو هنا قد يكون الشريان الإبطى[1] الذى تقع حوله الغدد الليمفاوية الإبطية، أو الضفيرة العصبية العضدية[2] التى تحيط بالشريان الإبطى، والتى تغذى الطرف العلوى بالأعصاب. وترك الجرح ليلتئم تلقائيًا يعزز افتراض أن الحالة خراج؛ لأنها لو كانت كيسًا زُهميًا فلا مانع من غلق الجرح بغرز طبية، وهو ما لا يُنصح به مطلقًا عند التعامل مع الخراريج.

والحالة رقم 41 فى بردية إدوين سميث تحوى عرضًا دقيقًا لحالة جرح ملتهب.

هذا، وسيتم عرض مجموعة أخرى من التورمات ـ بعضها غامض الهوية ـ فى الفصل الثامن عند التعرض للعلاج الجراحى.

Axillary artery (1)

Brachial plexus (2)

الالتهاب العظمى النخاعى (Osteomyelitis)

هناك العديد من الميكروبات التى يمكن أن تسبب التهاب العظام، خلاف ميكروب الدرن الذى أُشيرَ إليه سابقًا. ومما يدعو للدهشة، ندرة الالتهابات الصديدية فى العظام والنخاع فى بقايا الهياكل العظمية الآدمية، وكذلك فى الكسور المضاعفة الملتئمة، بالرغم من عدم وجود المضادات الحيوية.

شلل الأطفال (Poliomyelitis)

كان المدعو روما يعمل حارسًا لبوابة، من الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة. ويُظهر نقش على جدران مقبرته أنه كان يعانى من ضمور واضح مع قصر الساق وتشوه عظمى فى القدم (شكل 4: 5). وتختلف الآراء الطبية حول تشخيص حالته؛ يُرجِّح البعض أنها بسبب **شلل الأطفال** الذى داهمه أثناء الطفولة قبل اكتمال نمو عظام الساق. ويرى الرأى الآخر أنها حالة **قدم نبوتية**[1] مع ضمور ثانوى وقصر فى الساق. وتشخيص شلل أطفال هو الأرجح؛ لأن القدم النبوتية لا تسبب هذا القصر الواضح للساق. واللافت للنظر فى



(شكل 4: 5)

الساق الضامرة والقصيرة لـ «روما» الحارس من الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة. التشخيص قد يكون قدمًا نبوتية أو شلل الأطفال، ويظهر روما مستغنيًا عن العكاز ساندًا إياها على كتفه لانشغال يديه بعمل ما، خلاف أنتف (شكل 4 : 10) الذى يتكئ على عصاه (كارلسبرج، كوبنهاجن).

(1) Equinus variety club foot.= Talipes equino - Varus تشوه فى القدم، وفيه يمشى المريض على الحد الخارجى للقدم الذى تكون مقدمته متجهة إلى الداخل، ويظهر ذلك فى (شكل 4: 8) ـ (المترجم).

النقوش أن روما يظهر ممسكًا عصا يستخدمها كعكاز، ولم تمنعه هذه الإعاقة من تقلد مركز مرموق، ولم تمنعه من الزواج وإنجاب طفل واحد (على الأقل) يقف فى أقصى يمين اللوحة.

وسنجد مثالًا آخر لاستعمال العكاز فى الجزء الخاص باستسقاء الرأس (شكل 4: 10).

الجدرى (Smallpox)

عُثر فى مومياء من الأسرة العشرين، على مرض جلدى يشبه مرض الجدرى، كما وُصفت بعض علامات الجدرى فى البقايا الآدمية. وإذا كانت هذه التشخيصات صحيحة، فتكون حالة رمسيس الخامس التى وصفها إليوت سميث (1912) هى الحالة المثالية لتجسيد المرض. وليس هناك فى البرديات الطبية ما يشير إلى هذا المرض.

التشوهات

Deformities

لدينا الكثير من المعلومات عن التشوهات فى مصر القديمة؛ إذ تبقى هذه التشوهات فى المومياوات وبقايا الهياكل العظمية، كما سُجلت فى المعابد والمقابر والنقوش الخزفية. ورغم أهمية هذا الموضوع فقد خلت منه جميع البرديات الطبية؛ ربما لأنه لم يكن هناك سبيل لعلاج التشوهات[1].

القزامة (Dwarfism)

هناك شواهد عديدة لوجود الأقزام فى مصر القديمة، وهناك دراسات مستفيضة لبقايا هياكل عظمية لأقزام تعود إلى عصر ما قبل الأسرات، وتمتد حتى الأسرة الحادية والعشرين.

والكلمات المصرية القديمة التى تعبر عن الأقزام هى «نِم nem» و «دِنج deneg»،

(1) وربما يرجع عدم تسجيل التشوهات فى البرديات الطبية إلى أن المصريين القدماء لم يكونوا يعتبرونها أمراضًا، بل ربما يعتبرونها معجزات إلهية، ودليل ذلك أن المصابين بها كانوا يتقلدون المناصب الرفيعة ويتزوجون النساء الجميلات ـ (المترجم).

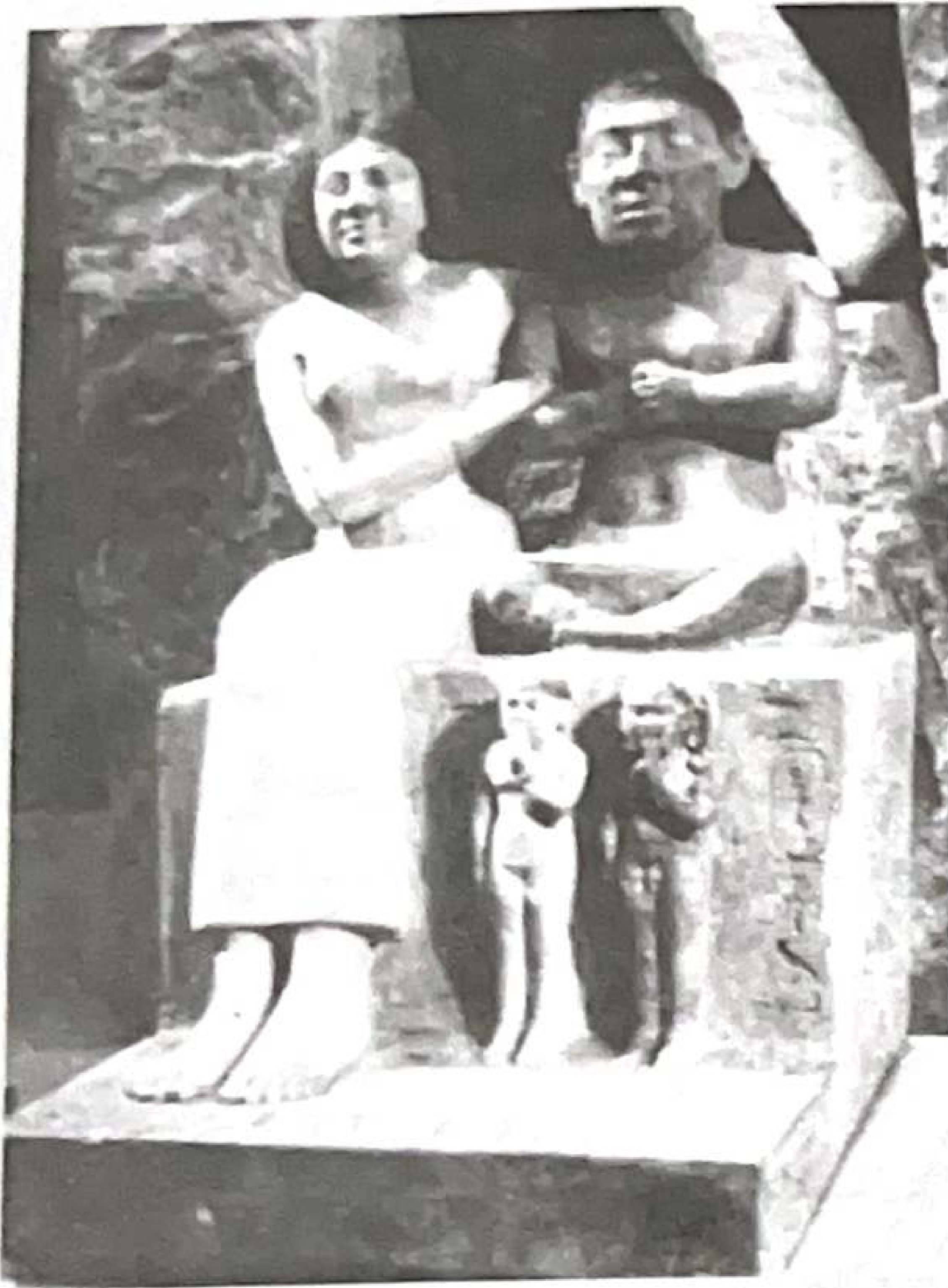
والكلمة الثانية تعود إلى الأسرة السادسة فى المملكة القديمة، وتظهر فى خطاب الملك نفر كارع (بيبى الثانى) إلى هاركوف حاكم أسوان:

«ذكرت أنك أرسلت قزمًا من المشاركين فى رقصات الآلهة. من فضلك اصطحب هذا القزم معك، كى تقيم الرقصات للآلهة وتُفرح قلبى. وإذا رافقك على المركب فاجعل أناسًا موثوقًا بهم يحيطون به على جانبى المركب؛ خشية أن يسقط فى الماء؛ لأن جلالتى متشوق لرؤيته أكثر من رؤية هدايا سيناء وبونت... إلخ».

وهذه الفقرة تُظهر **علو منزلة الأقزام**، فكانوا يشغلون وظائف هامة، كالمضيفين، والمهرجين، والصياغ، والمشرفين على صناعة اللباس الكتانى ورؤساء خدم، ومشرفين على تربية الحيوانات. وقدوصل البعض منهم إلى مراتب مرموقة، وأُنعِمَ عليهم بمقبرة متميزة، مثل «سى نب» الذى كان كاهنًا، بالإضافة إلى إشرافه على عمال الغَزْل داخل القصر (شكل 4: 6).

وهناك تمثال لقزم يجدف قاربًا من مادة الكلسيت عُثر عليه فى مقبرة توت عنخ آمون، ونُقل إلى المتحف المصرى.

وقد جمع داسن قائمة تضم مائتين وسبعة أقزام فى مصر القديمة. وكانت أغلبية هذه الحالات بسبب **«نقص التعظم الغضروفى»**[1]، وهو نوع من التقزم تكون فيه رأس الشخص وجذعه فى حالة طبيعية مع قصر فى طول الأطراف. ويُعتبر **سى نب** مثالًا جيدًا لهذا النوع، وتظهر تفاصيل حالته فى تمثال رائع له، وُجد فى مقبرته فى



(شكل 4: 6)

«سى نب» نموذج مثالى للقزم من نوع «نقص التعظم الغضروفى». لاحظ رقة تعلق زوجته به، وابنيه اللذين يقفان أسفل منه مكان ساقيه وقدميه ـ التمثال من مقبرته فى الجيزة ـ الأسرة الرابعة أو الخامسة فى المملكة القديمة (متحف القاهرة).

(1) Achondroplasia

الجيزة، وموجود الآن بمتحف القاهرة. ويجسد التمثال وقار واحترام «سى نب» بشكل ملحوظ، يظهر فى رقة تعلق زوجته به، وفى وقوف اثنين من أبنائه الثلاثة مكان ساقيه وقدميه (شكل 4: 6). وتحتوى النقوش على باب مقبرته أيضًا على العديد من التعبيرات الفنية التى تعكس وقاره، وفى الوقت نفسه لا تحجب تقزمه.

وفى مقبرة هارخوف، نجد وصفًا لحالة أخرى من التقزم بسبب مرض «نقص التعظم الغضروفى».

ومن غير المؤكد ما إذا كان تصوير **الأقزام جميعًا** باعتبارهم مصابين بـ«**نقص التعظم الغضروفى**» هو **تمثيل حقيقى للحالات**، أم أنه **تعبير فنى** للدلالة على التقزم بصفة عامة، حتى وإن كان بعضهم لا يعانون من نقص التعظم. فمن أنواع التقزم ما له علاقة بخلل **بالغدة النخامية**، وهذا يعطى قزمًا يتمتع بالنسب الطبيعية لأجزاء الجسم عند البالغين، والفرق بينه وبين الإنسان العادى هو صغر حجم الجسم، ومجموعة داسن الكبيرة لا تضم إلا قزمًا واحدًا من هذا النوع.

من المهم هنا أن نذكر أن **أسلوب التصوير الفرعونى تحكمه عدة أعراف**؛ أحدها أن حجم جسم الإنسان يدل على أهميته ومكانته؛ لذلك كان الزوج يُصور بحجم أكبر من زوجته، ثم يأتى الخدم بأحجام أقل من الاثنين. والمشكلة هنا هى كيف يصورون القزم بحجمه الحقيقى دون الانتقاص من منزلته. لقد كان فى تصوير الأقزام باعتبارهم يعانون من «نقص التعظم الغضروفى» حلًا مثاليًا لجأ إليه الفنان المصرى للخروج من هذا المأزق؛ فحجم جذع الجسم طبيعى، والأطراف هى القصيرة. ولا شك أن تماثيل وصور «سى نب» تظهر نجاح هذا الحل العبقرى، فنرى فى (شكل 4: 6) أن جسمه أكبر من جسم زوجته، وأن رأسه أعلى من رأسها.

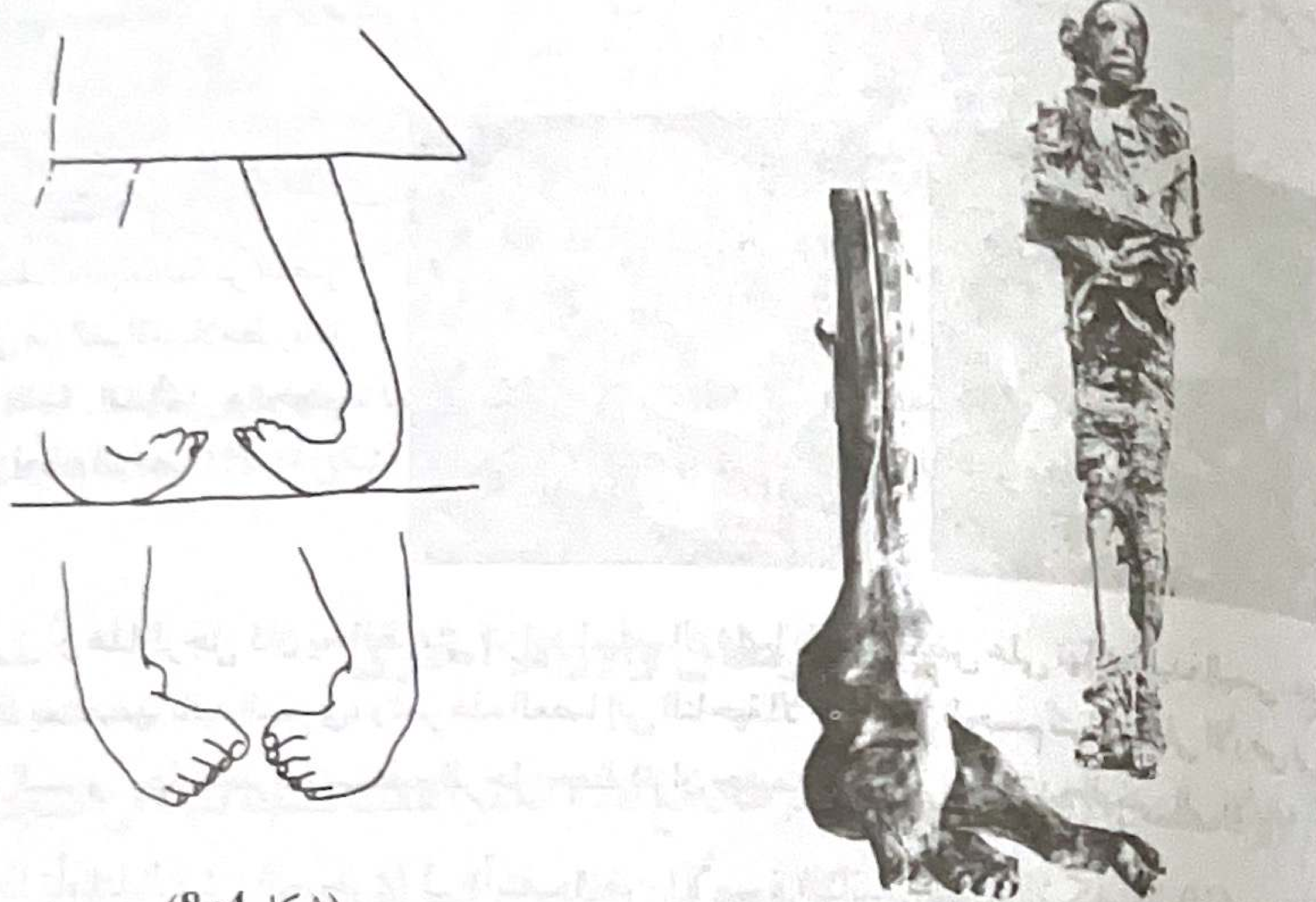
ونجد نفس العُرف فى **تصوير الأطفال**، فأحجامهم تعكس موقعهم فى الأسرة من حيث العمر. كذلك يظهر الصِبا فى ملامح الوجه، أما الطفل الأصغر فنجده واضعًا إصبعه فى فمه (شكل 4: 6).

وتخلو البرديات الطبية تمامًا من ذكر التقزم؛ إذ لم يعتبر آنذاك مرضًا يستحق الذكر، كما أنه ليس له علاج كى يطرح للمناقشة. وعلى العكس كان التقزم يعتبر تجليًا إلهيًا، حتى إن الإله «بس» المحبوب حامى الشعب، كان يحمل العديد من معالم «نقص التعظم الغضروفى» (انظر: الفصل الخامس).

القدم النبوتية (Club Foot)

تأمل حالة الفرعون سب تاح الذى حكم مصر ست سنوات فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة (1194 ق. م) (شكل 4: 7). **فالمومياء تُظهر** قصرًا فى الساق اليسرى مع تشوه واضح فى الكاحل. وقد شُخصت الحالة مبدئيًا على أنها قدم نبوتية، لكن يمكن أن تكون حالة شلل أطفال، خاصة مع وجود بعض التغيرات فى الساق والقدم تشير إلى ذلك.

وهناك الكثير من **الرسوم التى** تُظهر الاعوجاج الداخلى للقدم المطابق لحالات القدم النبوتية التى نراها اليوم (شكل 4: 8). ومع وجود شواهد كثيرة للقدم النبوتية عند المصريين القدماء، ليس هناك ما يشير لأى تدخل أو علاج لهذه الحالة. ومثل الأقزام، كان يوكل لهؤلاء المرضى مسئوليات كبيرة فى خدمة مخدوميهم مالكى المقابر.



(شكل 4: 7)

الفرعون سب تاح من الأسرة التاسعة عشرة، أشهر الذين عانوا من القدم النبوتية ـ المومياء محفوظة فى متحف القاهرة.

(شكل 4: 8)

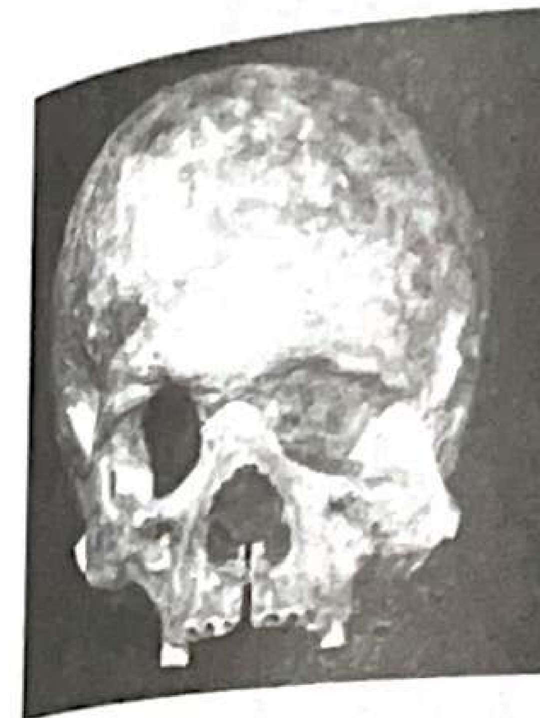
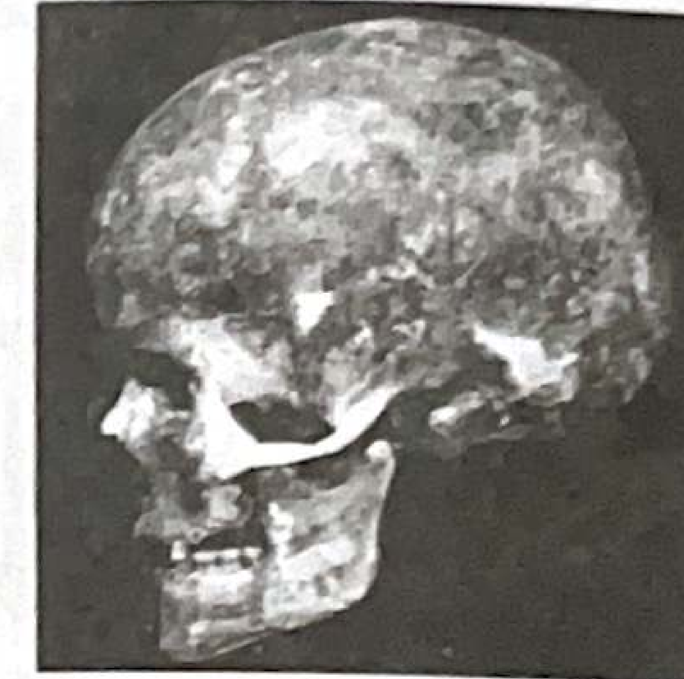
الرسم الأعلى يوضح تشوهًا فى القدمين من عصر المملكة الوسطى، فى مقبرة باكت الأول فى بنى حسن، وفوق رأس صاحب الصورة كُتبت كلمة «دجينب djeneb» التى تعنى انحناءً أو تقوسًا.

الرسم الأسفل ـ للمقارنة ـ رسم حديث للحقف القدمى؛ أكثر أنواع القدم النبوتية شيوعًا.

استسقاء الرأس (Hydrocephalus)

تنشأ هذه الحالة بسبب ارتفاع ضغط السائل المخى الشوكى (CSF) فى الأطفال حديثى الولادة، قبل أن يحدث التعظم الكامل للجمجمة. وفى هذه الحالة يزداد حجم الجمجمة مع الحفاظ على حجم وشكل عظام الوجه.

وقد وصف ديرى (1912 ـ 1913) هذه الحالة فى جمجمة إنسان عمره حوالى 30 عامًا، وجدت ضمن مقبرة رومانية عند الشرافة. ورغم أن محيط الجمجمة زاد عن المعدل العادى (من 55 سم إلى 66 سم)، إلا أن عظام الوجه بقيت كما هى (شكل 4: 9). كما وجد ديرى أن **عظام الرجل الطويلة** توحى بوجود ضعف عام على الجانب الأيسر، مع تضخم الذراع اليمنى، ربما لاستعماله المستمر لعصاه كعكاز. واعتمادًا على ازدياد بروز نتوءات العظام الخاصة بانغراز العضلات فى بعض المواضع حاول ديرى شرح طريقة استعمال الرجل للعكاز:

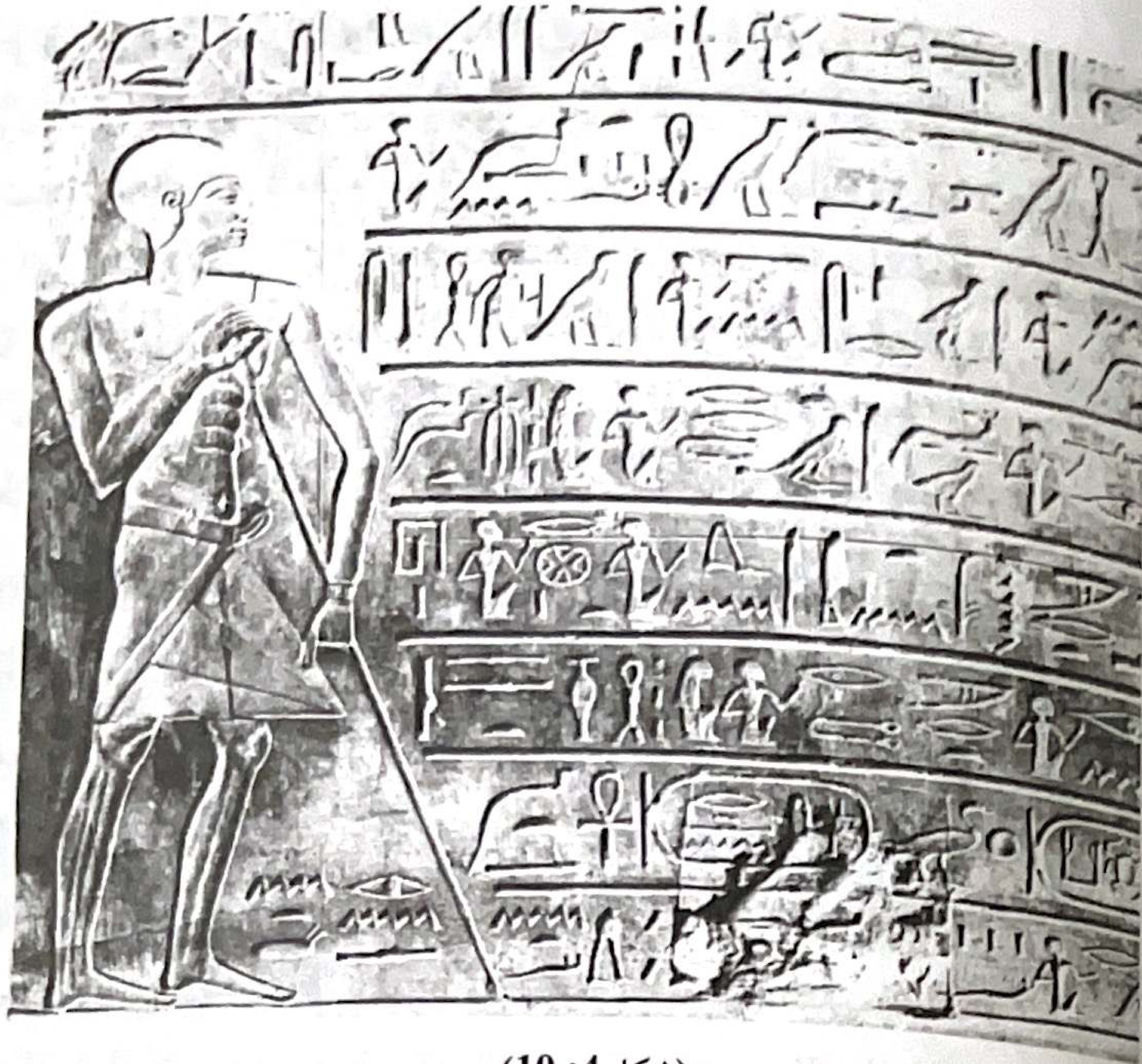



(شكل 4: 9)

حالة استسقاء الجمجمة من العصر الرومانى من الشرافة، يلاحظ زيادة حجم طاسة الرأس والحجم الطبيعى لعظام الوجه.

«أرى أن هذا الرجل كان يحافظ على اتزانه باستعمال **عصا طويلة** يقبض على نهايتها بيده اليمنى، مع الإمساك بمنتصفها باليد اليسرى، وتمر هذه العصا إلى الناحية الأخرى من الجسم لترتكز على الأرض فى الناحية اليسرى. بهذه الطريقة يستطيع الرجل حفظ اتزان جسمه عند تحريك القدم اليمنى إلى الأمام».

وإذا تأملنا النقش الحجرى لـ «أنتف» من الأسرة الثانية عشرة (شكل 4: 10) وجدنا أنه يخص حالة تشبه تمامًا صاحب الهيكل العظمى الذى وصفه ديرى؛ إذ تظهر فيه إعاقة الرِّجْل اليسرى، كما تظهر طريقة **استخدام العكاز** بنفس الهيئة التى وصفها. والعصا فى النقش تشبه مثيلتها التى استخدمها روما (شكل 4: 5)، لكن بينما كان «أنتف» يرتكز على عصاه، نجد روما قد وضعها بجانب كتفه (سندها) لكى يستعمل يديه فى أغراض أخرى.



(شكل 4: 10)

نقش حجرى من الأسرة الثانية عشرة، يُظهر استعمال العصا كعكاز، كما تخيلها ديرى (1912 ـ 1913) من خلال فحص الهيكل العظمى الذى تنتمى إليه الجمجمة التى جاءت فى (شكل 4: 9) (المتحف البريطانى).

السرطان وأورام أخرى

يزداد معدل الإصابة بمرض السرطان مع تقدم العمر؛ لذلك **فنسبته قليلة** فى المجتمعات ذات متوسط العمر المنخفض، كالمصريين القدماء. كما أن المواد المسرطنة التى تنبعث نتيجة النشاط الإنسانى غير الرشيد كانت أقل كثيرًا قبل بداية عصر التصنيع.

وبالرغم من أن هناك **أنواعًا** من السرطان تصل إلى أحجام كبيرة قبل الوفاة (إذا لم يتم علاجها، كما هو الحال عند المصريين القدماء) فإن الحالات السرطانية التى تم العثور عليها بين المصريين القدماء كانت **نادرة للغاية**.

ولأورام العظام دلالة كبيرة عند الأثريين. فقد ينشأ الورم الأوَّلى فى العظام، أو قد تكون إصابتها ثانوية عن طريق الدم من سرطان فى مكان آخر من الجسم، كما يمكن أن تمتد الأورام إلى العظام من ورم سرطانى قريب منها. وفى الأحوال الثلاثة تبقى آثار الورم فى العظام لفترات طويلة؛ لذلك كان من الغريب عدم التوصل إلى أى حالة من الإصابات السرطانية فى عظام الجثامين التى تم فحصها فى أسوان قبل بناء سد أسوان الأول. وخلال بحث موسع أجرى عام 1924لم يتم رصد أى حالة سرطانية مؤكدة خلال العصور الفرعونية.

وقد ظهرت حديثًا بعض التقارير المتفرقة عن أورام أماط غليونجى عنها اللثام فى مؤتمر ناقش الأورام فى الآثار القديمة (1986). كذلك اهتدى حسين (1949 - 1950) إلى حالتى ورم حميد أصاب الأغشية السحائية للمخ[1]، وترك آثاره على هيئة زيادة سُمك عظام الجمجمة، وتنتمى الحالتان إلى الأسرتين العشرين والحادية والعشرين.

كما تم التوصل إلى حالة ورم غضروفى عظمى[2] فى عظمة الفخذ من الأسرة الخامسة فى الجيزة. وكذلك حالة ورم سرطانى (تنتمى للمملكة القديمة) نشأ فى منطقة البلعوم الأنفى[3] وترك آثاره على هيئة تآكل الجمجمة، و26 من ثانويات الورم فى بقية أعضاء الجسم. كما وُصفت حالة ورم غُدِّى كيسى حميد نشأ فى مبيض مومياء جرانفيل (إيرتى سينو)[4] فى المتحف البريطانى، وكان يُعتقد فى الماضى أنه ورم خبيث.

هذه أمثلة من حالات الأورام المتفرقة القليلة التى كُشف عنها النقاب من مختلف العصور الفرعونية، وقد وصفها غليونجى بأنها الحصاد الهزيل.

أما شواهد مرض السرطان فى البرديات الطبية فغير مؤكدة. فبالإضافة إلى أورام خنسو التى جاء ذكرها سابقًا عند الإشارة لمرض الجذام، تأتى هذه الفقرة المهمة فى بردية إيبرز 813:

---

(1) Menengioma

(2) Osteochondroma

(3) Naso - pharyngeal carcinoma

(4) Cystadenoma of ovary

«علاج آخر لمن تعانى تآكل (وينى مت wenemet) فى الرحم (هى مت Hemet) مع ظهور قُرَح فى القَرَح: بلح طازج (1)؛ (هيكينو hekenu) (1)؛ أحجار من الشاطئ تكسر فى المياه، وتترك طوال الليل فى الندى ثم تصب فى مهبلها».

ويتوقف إيبل (1937) عند كلمة «تآكل»، ويرى أنها تشير إلى السرطان، فى حين تتحفظ الموسوعة الألمانية وغليونجى (1987) على هذه الترجمة. غير أننا لا نستطيع أن ننكر أن كلمة «تآكل» تعبر جيدًا عن السرطان المتقدم الذى يهاجم الأنسجة ويدمرها.

وهناك فقرة أخرى فى بردية كاهون، يُظَن أنها تدور حول سرطان الرحم:

«تعليمات للمرأة التى تعانى الحائر (سك sic) فى رحمها: يجب عليك أن تسألها عن الرائحة التى تصدر منها، فإذا أجابت: إنها رائحة لحم مشوى، فعليك أن تقول: إنها مرض «نمسو nemsu» فى الرحم. وعليك أن تقوم بتبخير كل جزء تصدر منه هذه الرائحة».

فى هذه الحالة، يتوقف التشخيص على وجود رائحة اللحم المشوى، وذلك بالطبع بعيد تمامًا عن الحقيقة، أما كلمة «نمسو nemsu» فلم تظهر مرة أخرى فى أى من البرديات الطبية.

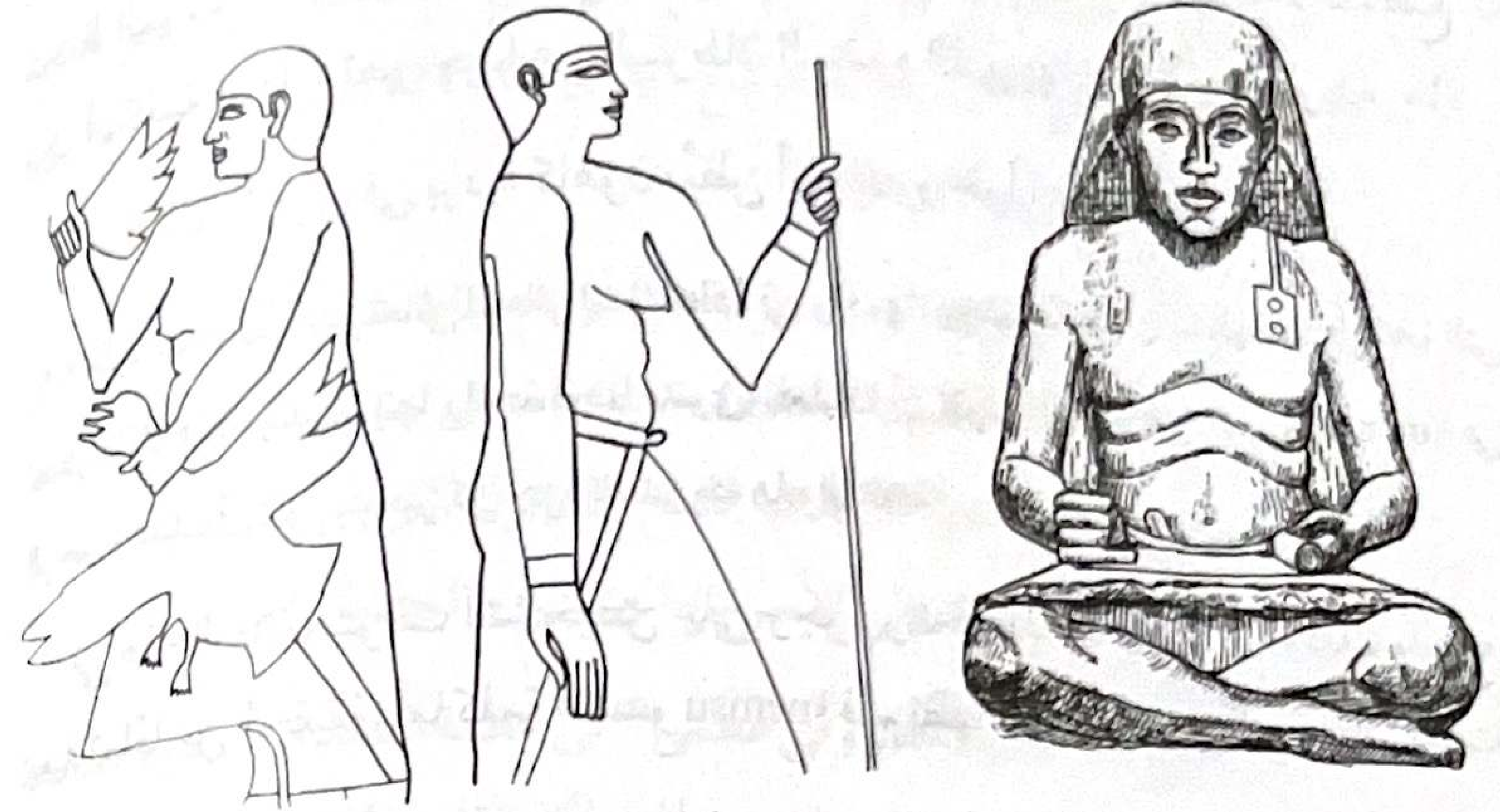
اضطرابات التغذية والغدد الصماء والتمثيل الغذائى

السمنة

من الصعب الاستدلال على السمنة بعد تحنيط الجسم، لذلك تُقَدم التماثيل والنقوش والرسوم أهم الشواهد. وعادة كان الملوك الفراعنة لا يظهرون فى تصاويرهم فى حالة سمنة مفرطة، بل فى صورة شباب يتمتعون بمظاهر جسمية مثالية. وتبقى المشكلة هى التمييز بين الرسوم الشخصية الحقيقية وبين الرسم التخيلى المخالف، والمتفق عليه بين الرسام والشخص المراد رسمه.

وعند دراسة أنماط السمنة كما تجسدها الآثار الفرعونية، لوحظ أن بعض أصحاب المقابر يُصَوَّرون مترهلين مع الثنيات الدهنية والأثداء المتضخمة (شكل 4: 11)، الأمر

الذى يثير التساؤلات عن حقيقة وسبب هذا التضخم، وما إذا كان من النوع المرضى بسبب **أمراض الكبد** أم لا؟ وقد يكون تصوير الرجال بهذه الهيئة السمينة من أجل إبراز **الغنى والأهمية**، وأن الشخص قد نال حظه الوفير من الطعام الجيد طوال حياته بغير الحاجة للعمل أو الإجهاد.



(شكل 4: 11)

الشكل الرسمى المُصْطَنع للسمنة، ثلاث حالات لرجال مهمين. فى الوسط رسم: أنخ ما حور من الأسرة السادسة من مقبرته بسقارة، ويبدو فى الرسم انتفاخ الثدى. على اليسار: هيبى معطى الهبات، بنفس المقبرة. على اليمين تمثال من (متحف القاهرة) للطبيب الملحمى إمنحتب بن هابو (انظر: شكل 6: 3).

وفى المقابل، يظهر شكل آخر من أشكال السمنة التى تميز بها بعض الخدم والعمال، فترى سيقانهم ضعيفة أو طبيعية، أما البطن فمنتفخة (كرش) وتتدلى من وسطها أحيانًا سرة بارزة (فتق سرى يحدث بسبب ضعف عضلات البطن)، وهذا الوصف يطابق ما يُسمى اليوم **«بطن الدب»**، والذى يصيب بعض الناس بسبب سوء التغذية والعمل الشاق. كما أن **عازفى الهارب** لهم نمط خاص من السمنة يميزهم عن غيرهم (انظر: شكل 9: 3).

أما **زوجات أصحاب المقابر** فنجدهن طويلات نحيفات وجميلات، بخلاف الحقيقة (فى بعض الأحيان) التى تكشف عنها مومياواتهن. وتظهر بعض النساء ـ فى الصور المشتركة مع الأزواج ـ ممتلئات بشكل مقبول، ولكن لسن على سمنة مفرطة غير مقبولة.

أمراض الكبد المشابهة للسمنة

على «حجر باك المنقوش stela of Bak»، يظهر **المَثَّال الرئيسى لإخناتون** (شكل 4: 12) فى هيئة تختلف كثيرًا عن السمنة التى نعاينها فى الرسومات داخل المقابر. فهى تطابق مع **الارتشاح البريتونى** (الاستسقاء ascitis)، أحد مضاعفات التليف الكبدى المصاحب لمرض البلهارسيا، ويؤدى إلى انتفاخ البطن واختفاء السرة، بينما نادرًا ما تخلو التصاوير الفرعونية من إظهار السرة. كذلك يُظهر التمثال تورمًا حول مفصل الكاحل على الناحيتين، ويظهر لباك ثديان كبيران كالمرأة. وجميع هذه العلامات لا تتفق مع علامات السمنة عند المصريين القدماء، بل تشير إلى مضاعفات التليف الكبدى فى مرض البلهارسيا كما نعرفها فى عصرنا الحديث.

وتمثل نقوش **ملكة بونت فى معبد حتشبسوت** فى الدير البحرى (شكل 4: 13) مشكلة أخرى فى التشخيص الطبى؛ حيث وُضعت عدة احتمالات لتفسير المظهر العام للملكة



(شكل 4: 12)

حجر باك المنقوش ـ المَثَّال الرئيسى لإخناتون (الأسرة الثامنة عشرة). اشتباه فى حالة «تليف كبدى» مع «الاستسقاء»، أو قد يمثل الاتجاه الفنى لعصر العمارنة. (المتحف المصرى ـ برلين).



(شكل 4: 13)

ملكة بونت ـ حالة صعبة التشخيص ـ من معبد حتشبسوت فى الدير البحرى، الأسرة الثامنة عشرة (متحف القاهرة).

فى هذه النقوش، منها مرض ديركام[1]، وتشحم الأرداف، ومرض الفيل، ونقص التعظم الغضروفى، والهزال العضلى المتزايد مع التضخم العضلى الكاذب[2].

سوء التغذية

من الصعب تشخيص أمراض سوء التغذية فى البقايا البشرية للمصريين القدماء، بالرغم من أن البديهى أنها قد حدثت أثناء المجاعات المصاحبة لنقص فيضان النيل فى بعض المواسم. وقد تشير بعض **التغيرات فى العظام** إلى سوء التغذية، مثل الهشاشة وأيضًا «خطوط هاريس» التى تعنى توقف نمو العظام. وتكشف دراسة نسب النظائر المشعة للعناصر فى كل من العظام والجلد والشعر عن المكونات المهمة للغذاء، مما يعين على الوصول إلى سبب سوء التغذية. وتساعد دراسة النظائر المشعة أيضًا على اكتشاف معدن الرصاص الذى يعد ضمن السموم الغذائية التى يمكن اكتشافها فى المومياوات والهياكل العظمية.

مشكلة إخناتون

إخناتون أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وهو أول من دعا إلى التوحيد[3]، وحارب أثناء حكمه ديانة آمون والآلهة الأخرى، ونادى **بعبادة آتون إله الشمس**. وقد بدأ إخناتون حكمه باسم (آمونحتب الرابع) ثم تخلص من هذا الاسم؛ لأنه يبدأ باسم آمون. وتسمى فترة حكم إخناتون بعد تحوله لعبادة آتون بحقبة العمارنة[4]، وخلالها تقلصت سلطة كهنة آمون خارج وداخل القصر، وتم الاستغناء عن كهنة العائلة المالكة. وقد تميزت هذه الحقبة بنوع من **الفن الواقعى**، يخالف كثيرًا الأنماط السابقة والتالية له، وقد انعكس هذا الفن على الهيئة التى ظهر بها إخناتون وعائلته فى الرسوم والنقوش والتماثيل. وكان إخناتون متزوجًا من الجميلة نفرتيتى، وحرص على أن يظهر دائمًا مع بناته الست، وقد تزوجت إحداهن توت عنخ آمون.

(1) مرض ديركام هو مرض Multiple lipomatosis، وفيه تتوزع تجمعات دهنية فى مختلف أجزاء الجسم ـ (المترجم).

(2) Pseudo - hypertrophic progressive muscular dystrophy

(3) الديانة المصرية القديمة ديانة توحيد، فقد عبد المصرى القديم الإله «آتوم» الواحد الأحد، وما يعتبره الدارسون لديانة المصريين آلهة متعددة ما هى إلا مظاهر للإله الواحد ـ (المترجم).

(4) سميت فترة حكم إخناتون بعد أن دعا إلى عبادة آتون الإله الواحد، بحقبة العمارنة؛ إذ بنى إخناتون مدينة تل العمارنة (ترجع إلى قبائل عمران التى كانت تسكن المنطقة) لتكون عاصمة لملكه ومركزًا لعبادة آتون بعيدًا عن معابد آمون التى تنتشر فى البلاد ـ (المترجم).

وخلال **حقبة العمارنة**، يظهر إخناتون فى التصاوير كرجل طويل ضعيف، بفك سفلى كبير وثديين متضخمين وأرداف أنثوية وسيقان رفيعة، بطنه منتفخة، والسرة واضحة (شكل 4: 14). والسؤال المحير؛ هل كان إخناتون على هذه الصورة حقيقة أم أنه اختار هذا الشكل الأنثوى لأسباب معينة؟ قد يكون الجواب أنه يريد أن **يعبر عن أمومته** لشعبه. كذلك كانت نفرتيتى تبدو فى تصاويرها على شاكلة زوجها إخناتون.



(شكل 4: 14)
تمثال من الحجر الرملى (مهشم بعض الشىء) لإخناتون (الأسرة الثامنة عشرة) من أطلال معبد شرق معبد الكرنك (متحف القاهرة).

ويحيط حالة إخناتون الصحية الكثير من الجدل، فوفقًا لهذه التصاوير، يشخص إليوت سميث حالة إخناتون بأنها الضمور الشحمى التناسلى «**مرض فروليخ**». بينما يشخص الدكتور شارلز إدموندز طبيب الغدد الصماء، حالة إخناتون بناء على التصاوير المتاحة، على أنها «**مرض كلينفلتر**»[1]، فالمصابون بهذا المرض يكونون سمانًا إلى حدٍّ ما، وطوال القامة وطوال الساقين، أما المعالم الذكرية فغير كاملة الظهور؛ فالعضلات ضعيفة، والخصيتان صغيرتان والثديان ممتلئتان، ومع وجود الرغبة الجنسية فإن العقم هو القاعدة. ولما كان لدى إخناتون **ست بنات**، فلا يمكن أن يكون مصابًا بهذا المرض، أو أى مرض آخر من أمراض الغدد الصماء.

وسينقشع هذا الغموض لو توصلنا إلى **مومياء إخناتون** وتم فحصها. لكن لسوء الحظ هناك العديد من **المشاكل والعقبات** التى تحول دون التعرف إلى المومياء:

فعندما تم فتح **المقبرة رقم 55 فى وادى الملوك** عام 1907، كان بداخلها عرش ذهبى يخص «الملكة تى Tiye» **والدة إخناتون**، كما وُجد كفن مهترئ يُعتقد أنه كان قد أعد لـ«كى يا **Kiya**» **زوجة إخناتون ومحبوبته** (لكنها ليست الزوجة الرسمية)، وكان الكفن

(1) klinefelter's syndrome مرض وراثى يتميز بكروموسومات جنسية غير طبيعية XXY (الشكل الطبيعى لكروموسومات الذكر XY والكروموسومات الأنثوية XX).

يحتوى على بقايا جثمان أُعتقد أنه **للملكة تى**، بالرغم من أن الكفن والشرائط الذهبية التي تحيط بالمومياء تحمل اسم **إخناتون**. لذلك **يعتقد** إليوت سميث أن هذه الشواهد تُعظم فرضية أن يكون الجثمان الموجود فى هذا الكفن لإخناتون. بينما يشكك آخرون فى هذا الأمر، وينسبون المومياء إلى **سمنخ كا رع** الفرعون الذى يبدو أنه حكم بعد إخناتون لمدة عام، رغم أن اعتباره رجلًا أصبح الآن محل نقاش.

وقد قام إليوت سميث (1912) بأول **فحص تشريحى** لهذه المومياء، بعد أن سُرقت الشرائط الذهبية من الكفن، ولم يتم العثور عليها حتى الآن. ثم قام هاريسون (1966) بفحص أكثر شمولًا لنفس المومياء، ووجد **هيكلًا عظميًا** كاملًا مفككًا ولا تنقصه إلا عظمة القص، وتوصل إلى أن **هذا الهيكل العظمى لرجل** يبلغ طوله 170سم، ويبلغ من العمر **أقل من 25 عامًا**. وينفى هذا العمر **أن تكون** هذه البقايا الهيكلية لإخناتون الذى حكم مصر قرابة 16 عامًا. كما لم يجد أى علامات فى الجمجمة تشير إلى الاستسقاء الذى أشار إليوت سميث أن الجثمان الذى **شرَّحه** كان يعانى منه (فهل تبدل الجثمان؟)، كما أكد عدم وجود أى تطابق بين هذه البقايا وما جاء حول إخناتون من أوصاف وصور فى الآثار.

إن هذه **المقاييس وأطوال الهيكل العظمى** قريبة **جدًا** من مثيلتها لمومياء توت عنخ آمون، كما أن فصيلة دم مومياء توت عنخ آمون والمومياء محل الدراسة كانت A2، كذلك كانت مولدات الأجسام المضادة بالدم فى كليهما من النوع MN. كل هذه الشواهد تؤكد القرابة اللصيقة بين الجثمان وبين توت عنخ آمون؛ لذلك يمكن القول إن إخناتون قد يكون والد توت عنخ آمون، وكذلك والد ذلك الشخص الغامض سمنخ كا رع.

ومما يزيد المشكلة تعقيدًا، أنه ليس من المؤكد أن تلك العظام التى قام بفحصها إليوت سميث وهاريسون هى العظام نفسها التى وجدت فى المقبرة رقم55!! فعند وقت الكشف عن هذه المقبرة، كانت العظام تحت تصرف اثنين من الأطباء، أحدهما طبيب أمراض نساء أمريكى مرموق (لكن اسمه غير معروف الآن)، وقد أعلن كلاهما أن **العظام تخص امرأة**، ومن ثم لا يمكن القول بأنها تخص إخناتون. وحتى إن كان الجثمان الموصوف هو الذى تم اكتشافه فى المقبرة 55، فلا ينبغى نسبته إلى إخناتون بناء على مشابهته للرسوم وحسب.

أمراض الأعضاء الداخلية

الجهاز الدورى

لا نستطيع أن نصل إلى معلومات حول أمراض القلب والجهاز الدورى عند المصريين القدماء من خلال **التماثيل والنقوش والرسوم**. ورغم أن القلب كان يُترك مكانه أثناء عملية التحنيط، فلم نعثر على شواهد تفيد أن المصريين القدماء كانوا يعانون من أمراض قلبية، باستثناء بعض علامات تصلب الشرايين، وتكلس الشرايين الكبرى فى بعض المومياوات. ويتبقى المصدر الأساسى للمعلومات هو **البرديات الطبية**، ولو أن من الصعب ترجمتها فى ضوء المعلومات الحديثة فى طب أمراض القلب.

وذكرنا فى الفصل الثالث، أن المصريين القدماء لم تكن لديهم معرفة متكاملة بالدورة الدموية، وإن كانوا يعلمون أن القلب (يتكلم) من خلال الأوعية الطرفية (الميتو) (إيبرز 854 a)، والتى يمكن أن نترجمها على أنها الإحساس بالنبض. كما ذكرنا أن الكلمة الأصلية للقلب هى «إب ib»، ثم أضيفت إليها كلمة «هاتى haty» التى تحمل معنى أكثر دقة من ناحية التشريح. ويلاحظ أن الكلمة الأخيرة قد أخذت مكان الكلمة الأولى فى التعليقات على هوامش البرديات، كما تبين هذه الفقرة (إيبرز 855 e)[1]:

«أما عن القلب (إب ib) الذى أصابه الوهن: هذا يعنى أن القلب (هاتى haty) لم يعد يتكلم، أو تعنى أن أوعية القلب (هاتى haty) قد أصابها الصمم».

كذلك انظر إلى الفقرة (صعبة التفسير) رقم 154 من بردية برلين:

«علاج آخر لارتفاع الحرارة المتنقل فى الجسم، وتكون بطن المريض منتفخة وتؤلمه: إن مشكلته أن معدته (ر - إب r – ib) مريضة: لاحظ أن قلبه (إب ib) ساخن (تو tau) ويؤلمه بوخزات (خنسو khensu)، وتمثل ملابسه عبئًا عليه، ولا يستطيع ارتداء ملابس كثيرة؛ إن قلبه (إب ibb)[2] يحتجب فى

(1) يبدو أن كتابة التعليقات (الهوامش) كانت محببة حتى فى المملكة الحديثة. فالفقرة 855 من بردية إيبرز تتكون من التعليقات التى تشرح بعض الاصطلاحات التى تصف التغيرات المرضية للقلب.

(2) كلمة (ibb) تعنى العطش، ولكن المقصود بها هنا القلب (ib) كما جاء فى هوامش البردية.

الظلمة (وخ wekh)، قلبه (هاتى haty) فقد قوته (دى بت depet) وارتشح (إجب igeb) مثل إنسان أكل ثمار الجميز (خو kau)[1].

والآن إلى (جدول 4-2) الذى يستعرض التعليقات فى بردية إيبرز (855) حول القلب:

التعليقات فى المجموعة الأولى؛ يبدو أنها تشير لهبوط القلب: تعبر كلمة «وجج wegeg» (855 m) عن معنى ضعف أو وَهَن. وكلمة «فت fet» (855 f) تعنى (قَرَفًا) فى الاستخدام غير الطبى، لكنها هنا تشير إلى (ضعف) مثل كلمة «وجج wegeg». وكلمة «ورد wered» (855 x) تعنى (الإرهـاق)، ونعتـقد أن كلمتى «ماس mas» و«مـاست maset» (855 k, I) اللتين تعنيان السجود تعنيان أيضًا الإرهاق. وكلمة «أمد amed» (855 e) غير معروفة خارج البرديات الطبية، وتصف هنا حالة هبوط خطير فى القلب مع غياب النبض. وقد نسبت هذه الأعراض فى حالتين لـ «ويخيدو wekhedu»، وهذا يجعلنا على يقين بأن معنى كلمة «ويخيدو wekhedu» يمتد ليشمل معانى أخرى غير الصديد، كما ذُكر قبلًا.

والمجموعة الثانية تصف صورة هبوط القلب الاحتقانى: فيه تقل قدرة انقباض القلب، فيعجز عن ضخ كل الدم الراجع إليه أثناء ارتخاء القلب. ولم يكن المصريون القدماء يعلمون أن عضلة القلب تسترخى، وأنها تتسع فى حالة هبوط القلب الاحتقانى وتصبح ممتلئة أكثر من الطبيعى بالدم، فتضعف قدرة عضلة القلب على ضخه خارجًا. ولعلهم قد لاحظوا تأثير ذلك على مسار الدم الراجع ليصب فى الناحية اليمنى من القلب، فتنتفخ الأوردة التى يركد فيها الدم، خاصة أوردة الرقبة، ويرشح الماء خارج الشعيرات الدموية فتورم البطن والساقان، وهذا مايوصف إكلينيكيًا بأنه احتقان (flooding).

(1) التعليقات على (wekh وdepet) التى نجدها فى (إيبرز 855 w) و(igeb) التي نجدها فى (إيبرز 855 t) وضعت فى (جدول 4 ـ 2). وهناك تعليقات غير مفهومه على كلمتى «خنسو khensu» و«تو tau» فى إيبرز (855 S) والتى تتحدث عن العضو المريض باعتباره الفم (ار r)، وهذا غالبًا خطأ فى الكتابة لكلمة «إب ib» (كما فى برلين 154):

«بالنسبة للفم (ار r) فهو ساخن (تو tau) ويؤلمه (خنسو khensu)، وأيضًا القلب (إب ib) يؤلمه، هذا يعنى انتشار الحرارة إلى قلبه (هاتى haty). فيصبح القلب (إب ib) ساخنًا مثل الإنسان الذى يتعذب».

ويرى المترجمان أن الكتابة ليس فيها خطأ، وأن كاتبها يقصد الفم (انظر إلى الفقرة المقصودة)، فيمكن طبيًا أن يشعر المريض بحرارة وألم فى الفم مع حرارة وألم فى الصدر (الذي يشير إليه التعليق بالقلب)، ويحدث ذلك للكثيرين منا إذا أصيبوا بالإنفلونزا مثلًا.

(جدول 4 ـ 2) التعليقات فى بردية إيبرز حول القلب

الفقرة	الكلمة	المعنى	الشرح فى البردية
مجموعة I ـ هبوط القلب			
855 m	wegeg n wiauyt وجج	ضعف الشيخوخة	يوجد Wekhedu فى قلبه(*)
855 f	fet فت	ينقلب جانبًا	ضعف wegeg القلب(*)
855 x	wered ورِد	تعب	كمن سافر بعيدًا
855 k	maset ماست	يسجد	القلب(*) منقبض، صغير، ساخن
855 I	mas ماس	يسجد	ضعيف iar بسبب wekhedu
855 e	amed أمد	ضعف؟	القلب(*) لا يتكلم، ميتو صماء
855 c	shes شس	ضعف؟	بسبب المت المسمى مُسْتَقْبِل
855 d	ad اد	انحلال / وهن(*)	khasef غير واضح
مجموعة II ـ احتمال الهبوط الاحتقانى للقلب			
855 t	igep إجب	محتقن	القلب مغطى
855 b	bah باه	محتقن	سائل فى الفم
855 z	meh مه	غارق	القلب كثير النسيان
855 v	sewesh سى وش	مضغوط(*)	امتلاء القلب(*) بالدم
مجموعة III ـ زحزحة أو تضخم القلب			
855 p	her set. f هرست إف	فى مكانه(*)	القلب(*) على الناحية اليسرى
855 o	deher دى هر	مر	القلب ينزل عن مكانه
855 n	rut رُت	يرقص(*)	القلب يتحرك يسارًا
855 q	nepa نبا	يرفرف(*)	حركة القلب إلى أسفل
مجموعة IV ـ متنوع			
855 g	sesh سش	يفرش نفسه خارجًا	ميتو القلب(*) حابس البراز
855 I	wesher ويشر	يجف	تجلط الدم داخل القلب(*)
855 u	aq آك	يتلاشى	بسبب زفرة الكاهن الغاضب
855 u	meht مهت	يسامح	بسبب زفرة الكاهن الغاضب
855 x	djednu دجدنو	ساخن	يختفى كمن سافر بعيدًا
855 w	wekh وخ	يحتجب فى الظلام	ضيق
855 w	depet دبت	بغير قوة	أسود بسبب الغضب
855 y	neba نبا	غير واضح	شيء يدخل من الخارج

(*) القلب أُشير إليه فى هذه المواضع بالكلمة «هاتى haty»، وفى غير هذه المواضع بـ «إب ib».

وتتحدث إيبرز (855 b) عن وجود ماء أو سائل فى الفم، وهذا يشير إلى حالة الاحتقان الرئوى الذى يحدث فى حالة هبوط الجانب الأيسر من القلب، والتى تؤدى إلى تورم الرئتين نتيجة لخروج الماء من الشعيرات الدموية إلى نسيج الرئة وحويصلاتها، فيمتلئ الفم بماء مختلط بفقاقيع الهواء إذا اشتدت الحالة.

وتبدأ المجموعة الثالثة بذكر أن القلب يقع فى مكانه فى الناحية اليسرى (855 p)، ويقصدون بذلك نبض قمة القلب الذى نحسه عادة على بعد 10 سنتيمترات يسار خط الوسط، بينما تقع كتلة القلب الرئيسية خلف عظمة القص فى منتصف الصدر. وإذا تحرك نبض قمة القلب إلى اليسار بشكل أكبر، كان ذلك دليلًا على تضخم عضلة القلب (855 n). والوصف بأن القلب يرقص «رُت rut» (855n) تعبير دقيق عن نوع معين من اضطراب نبض القلب، لكن الشرح لا يبين هذا المعنى[1].

وتشمل المجموعة الرابعة بضعة ألفاظ غير متجانسة، البعض منها له معانٍ معروفة فى غير المجال الطبى. والوصف المهم فى هذه المجموعة هو اضمحلال القلب نتيجة زفرة من الكاهن الغاضب (855 u) (انظر: الفصل الخامس). أما عن الحالة غير المألوفة «نبا neba» (855 y) التى تحدث نتيجة «شىء يدخل من الخارج» فغالبًا ما تكون بسبب الأرواح الشريرة المسببة للأمراض (انظر أيضًا: الفصل الخامس)، ولكن لا بد أن يوضع فى الاعتبار احتمال أن يكون المقصود هو العدوى (انظر: الفصل الثالث).

وقد تكون هناك إشارة لأمراض قصور الشريان التاجى للقلب فى إيبرز (191 و 194)؛ ولو أنها جاءت فى غير موقعها، حيث ذكرت فى «كتاب المعدة»، وعلى العموم هناك الكثير من اللبس فى البرديات الطبية بين القلب (إب ib) والمعدة (إر - إب r - ib):

«إذا قمت بفحص رجل يعانى الألم بمعدته، كما يعانى ذراعه وثديه: تقول عن هذه الحالة أو هذا الرجل إنه مرض «ودج wadj». وعليك أن تقول لهذا المريض أن شيئًا قد دخل فمه، وأن الموت قريب».

ففى حالة الذبحة الصدرية أو الجلطة، يحدث الألم فى الصدر فى الناحية اليسرى،

(1) ترجم المؤلف عن اللغة المصرية القديمة اصطلاحين وردا فى (855n و855q - جدول 4-2) بأنها (الرقص Dancing و(الرفرفة) fluttering، وكل منهما يشير إلى اضطراب معين فى وظائف القلب. وكلاهما يمكن ملاحظته بتحسس الجانب الأيسر من الصدر. لذلك نرجح أن المصريين القدماء قد توصلوا إلى تشخيص هذين الاضطرابين - (المترجم).

ويتشر فى الذراع اليسرى. وإن كانت الفقرة لم تحدد أى الجانبين من الصدر الذى يتركز فيه الألم، لكن استنتاج أن الحالة ترجع إلى قصور فى الدورة التاجية يأتى من ذِكر النهاية المؤلمة.

وكلمة «ودجى wadgi» تعنى (أخضر)[1]، وهو وصف مقبول للون بشرة المريض الذى يعانى صدمة قلبية، وهو عادة اصفرار أو بَهَتان بسبب هبوط الضغط الحاد الملازم للحالة. أما الشىء الذى يدخل الجسم عن طريق الفم فلا يكون هنا غير الأرواح الشريرة (انظر: الفصل الخامس).

وفقرة إيبرز رقم 207 التى يأتى ذكرها فى «كتاب المعدة»، تشير إلى ما يمكن أن يحدث فى القلب فى حالات التسمم الغذائى، فالقلب قد يعانى من اضطراب ونقرات حادة فى الصدر، وهو ما يعبر عنه نطق كلمة مصرية قديمة وهى «دبدب - debdeb»، وهى غير بعيدة عن التعبير المعروف حاليًا فى عالم الطب وهو «لَبْ - دَبْ»، لشرح نغمة دقات القلب كما يستمع إليها الطبيب باستخدام السماعة الطبية.

وهناك عدد من الأدوية فى برديتى شستر بياتى وإيبرز لعلاج القلب، بغير تحديد لهوية الأمراض التى توصف لها هذه الأدوية. فبردية شستر بياتى (16 - 41 ,VI) تحتوى على عدة وصفات لتبريد أو إنعاش القلب، أو لإعادة الحرارة إليه، ويُدَّعى أن لهذه الأدوية نفس التأثير على فتحة الشرج. وتوصف أدوية القلب فى بردية إيبرز - بغير تحديد دقيق - لعلاج السخونة أو لإخراج «آآآ aaa» خارجًا.

لجهاز التنفسى

تُسْتَخْرَجُ الرئتان من الجسم أثناء عملية التحنيط، وتوضع فى إحدى الأوانى الكانوبية، وبسبب معالجتها الكيميائية أثناء التحنيط يصبح من الصعب التوصل للأمراض التى تصيبها. وفى عام (1979) تم التوصل إلى جزء من نسيج الرئة قابل للفحص، ووجد فيه آثار مرض التترب[2] أو التغبر الرملى الرئوى، وهذا المرض يصيب بعض مستوطنى الصحارى بسبب استنشاق الرمال أثناء العواصف الرملية، ويشبه مرض التحجر الرئوى

(1) يمكن أن يأتى مع كلمة «ودجى wadgi» رمز مخصص، فتعنى الكلمة (صديدًا).

(2) Pneumoconiosis

السيليكى[1]، الذى يعانى منه عمال مناجم الفحم والصناعات الحجرية، فكلاهما يتسبب فى تليف الرئتين.

وقد تم التوصل إلى حالة يشتبه أن تكون تدرنًا رئويًا (سُلًّا) فى إحدى المومياوات، وثلاث حالات لالتهاب رئوى فصى[2].

ونجد فى البرديات الكلمات الأساسية المستخدمة فى هذا المجال، مثل السعال (سى رت seryt) والرئتين (سيما sema - ويفا wefa)، وتذكر إيبرز 305 «العقاقير المستخدمة للتغلب على السعال» ثم يتبع ذلك 20 فقرة، كل منها بعنوان «عقار آخر»، وتخدم نفس الغرض. أما إيبرز 321، فتذكر «علاج آخر، شراب للقضاء فورًا على السعال من الجسم». وفى إيبرز 21، هناك دواء مشابه لما جاء ذكره فى إيبرز 305 ـ 325 ويبدأ بجملة «علاج آخر للرئة».

وهناك أدوية أخرى للسعال فى بردية برلين 29 ـ 38، البعض منها يطابق الفقرات التى ذُكرت آنفًا فى إيبرز. وسيأتى ذكر هذه الأدوية المضادة للسعال فى الفصل السابع.

ونعرض هنا فقرة مشوقة من بردية إيبرز (190) تدور حول مريض يعانى من سعال يصاحبه بصاق:

«إذا قمت بفحص رجل يعانى سعالًا (سى رت seryt)، يصَّعَّدُ من صدره (فايت Fayt = به بصاق؟)، ويشعر فى منطقة الخصر بما يشبه كتل البراز، كما يشعر بدفع من أسفل الخصرين، ومعدته تمغصه. يجب عليك أن تحضر له أدوية قوية ليشربها: خبز طازج مطبوخ فى الزيت والعسل، خشب الدود $\frac{1}{32}$، راتنج الصنوبر من بيبلوس[3] $\frac{1}{16}$، نبات فاليريان، يخلط الجميع ويطهى. ويقوم المريض بتناولها كشراب لمدة أربعة أيام، وإذا فحصت المريض بعد ذلك ووجدته لم يتدهور عن السابق، فذلك يعنى أنه سيتماثل للشفاء».

قد تدور هذه الفقرة حول المشكلة الخطيرة التى قد تصيب الرئة وهى التقيح، الذى

(1) Silicosis

(2) Lobar Pneumonia

(3) بيبلوس (جبيل) ـ طريق القوافل بين سوريا ومصر، وهى التى كانت تنقل التجارة، وخاصة الأخشاب، إلى مصر منذ العصر الطينى (الأسرتين الأولى والثانية). وكان الأمر يستدعى فى بعض الأحيان تأديب البدو الذين يغيرون على هذه القوافل وخاصه قبائل الأيونيتو التى أطلق عليها سترابو اسم «سكان الكهف»، وكانوا يعيشون على النهب والسلب، وتقع فى الشرق من مصر ـ (المترجم).

يصاحب مرض التمدد الشُعَبى، وفيه تتمدد الشُّعَب الهوائية مكونة أكياسًا تحتوى على إفرازات متقيحة[1]. أما الموسوعة الألمانية فتثير احتمالية أن يكون المقصود هو القىء البرازى، الذى يحدث فى المراحل المتقدمة للانسداد القولونى.

كما تشير فقرة إيبرز 192 إلى حالة التهاب فى الجهاز التنفسى العلوى نتيجة نزلة برد:

«إذا فحصت رجلًا يعانى من معدته ويتقيأ (كاس qas) كثيرًا: فإذا وجدت الحالة كأنها نزلة برد (خى نت khenet) فى وجهه، وعيناه محمرتان بلون الدم (شى سم shesem)، وأنفه يسيل (تاخب takheb)، فيجب عليك أن تقول عن هذه الحالة إنها نتيجة تقيح فى الأغشية المخاطية».

ويصعب أحيانًا التميز بين المعدة والرئة فى البرديات، وقد تكون الكلمة التى تعنى «فينًا» تعنى أيضًا طرد البصاق لأعلى عن طريق السعال. وتترجم الموسوعة الألمانية كلمة «خى نت khenet» بأنها نزلة برد، وتقترن فى البرديات بالأنف. أما كلمة «تاخب takheb» فتطلق غالبًا على الاحتقان وإفراز السوائل.

الجهاز الهضمى

«كتاب المعدة» (إيبرز 188 ـ 208): ناقش الفصل الثالث الأسباب التى تجعلنا نعتقد أن الكلمة المصرية القديمة التى تعنى المعدة هى كلمة «إر ـ إب r - ib»، وقد جاءت فى عناوين جميع الفقرات (باستثناء أربعة فقط) فى كتاب المعدة. وهناك العديد من التساؤلات حول أصل كلمة «إر ـ إب r - ib»، كما سيأتى لاحقًا.

وتوجد فى «كتاب المعدة» 11 فقرة حول الانسداد «**شى نه shena**» الذى يُعبَّر عنه بأساليب مختلفة، و يتضح المعنى فى النماذج الآتية:

* «إذا قمت بفحص رجل يعانى انسدادًا فى معدته، وأحسست أن معدته تتقلص وتنبسط، وتتحرك جيئة وذهابًا إذا وضعت أناملك فوقها، كما لو كانت مثل الزيت تحت الجلد» (إيبرز 199).
* «إذا قمت بفحص رجل يعانى انسدادًا فى معدته، فستجده يتقيأ وحالته المرضية سيئة» (إيبرز 202).
* «إذا فحصت رجلًا يعانى انسداد المعدة، فستجده لا يتحمل أن يأكل الخبز (المقصود الطعام عامة)، وتكون بطنه منقبضة» (إيبرز 188).

(1) مشكلة التقيح الرئوى قد تحدث مع التمدد الشعبى أو خراج الرئة، وفى كلتا الحالتين تكون رائحة البصاق نتنة وعفنة ـ (المترجم).

تشير الفقرة الأولى إلى التقلصات الحركية الدودية العنيفة، والتى تحدث فى حالة انسداد الفتحة البوابية[1] (فتحة خروج الطعام من المعدة) أثناء محاولة الطعام اجتياز الانسداد، وتُرى هذه الحركة بالعين المجردة بشكل أوضح مما تتحسسها اليد والأصابع، ويمكن فى الأطفال الرضع تمييز هذه التقلصات بالأصابع.

كما تشير الفقرتان الثانية والثالثة إلى عدة تشخيصات محتملة بمنظور الطب الحديث، مثل انسداد النهاية السفلية للمرىء[2] أو سرطان المعدة أو ضيق بالعضلة (الفتحة) البوابية بسبب قرحة بالمعدة. والأغلب أن المصريين القدماء لم يكن فى استطاعتهم التمييز بين الانسداد المعدى والانسداد المعوى فى القولون أو الأمعاء الدقيقة، والذى يصاحبه القىء أيضًا. وتكمل إيبرز 202 سردها كالآتى:

«هو يعانى من شكوى تشبه مرض «سى خت sekhet»، عليك أن تقول حول هذه الحالة إنها إمساك شديد يُقارب درجة التحجر، إن البراز يمتنع عن الخروج وأصبح كتلة».

هذه المشكلة تطرح إمكانية أن تكون الحالة انحشارًا للبراز[3]، وعلق هيرودوت على هذه الحالة بأن المصريين كانت لديهم وساوس حول جهازهم الهضمى. ونجد فى إيبرز 203 علاج الحالة السابقة:

«ويجب عليك أن تعطيه شرابًا قويًا من الزيت؛ حتى يتمكن من إخراج محتويات بطنه من البراز».

أما الفقرة الثالثة (إيبرز 188) فتمضى فى السرد الذى يبين أن المشكلة لا تخص المعدة فى المقام الأول:

«يجب عليك أن تفحصه وهو مُستلقٍ على ظهره، فستجد بطنه ساخنة، وستجد هناك انسدادًا فى معدته. وعليك أن تقول إنها حالة تخص الكبد (مى ست miset). ثم استخدم العلاج الذى يفرغ ما بأحشائه عن طريق الشَّربة، ثم افحص المريض بعد ذلك. وإذا وجدت اختلافًا فى درجة الحرارة - الناحية اليمنى من البطن ساخنة واليسرى باردة - فيمكن أن تقول عن المريض إنها حالة مرضية تعوقه وتمنعه من تناول الطعام، ثم يجب عليك متابعة الحالة بعد ذلك، وإذا وجدت أن بطنه كلها أصبحت باردة تعرف أن كبده هو الذى تلقى الشربة، وأنه أخذ العلاج المناسب».

(1) Pyloric stenosis
(2) Cardia
(3) faecal impaction

والغريب أن جميع الأدوية فى هذا الجزء تؤخذ عن طريق الفم، ولم يأت ذكر للحقن الشرجية التى يستخدمونها كثيرًا.

وإذا انتقلنا إلى الفقرة قبل الأخيرة من «كتاب المعدة»، وجدنا أن (إيبرز 207) تشير إلى أحد أشكال التسمم الغذائى، الذى قد تصاحبه أعراض انسداد. فإذا قمت بفحص هذا الرجل:

(أ) «فستجد قلبه يصدر ضوضاء (قد يكون المعنى المقصود المعدة)، ووجهه شاحبًا، وقلبه يدق عاليًا بطريقة ملحوظة (deb - deb). إذا قمت بفحصه ووجدت قلبه ساخنًا وبطنه منتفخة، فهذا يشير إلى وجود ورم عميق داخل البطن. وربما يكون قد تناول لحمًا مشويًا».

(ب) «يجب عليك أن تركز اهتمامك، وتعمل على إخراج هذا اللحم من معدته وغسيلها، عليك أن تعطيه مسهلًا لإخراج ما فى أمعائه عن طريق الفم، وأعطه بيرة محلاة تُركت طوال الليل مختلطة بثمار الجميز المفتوح والجاف، وليتناول هذا المشروب ويأكل الثمار مدة أربعة أيام».

(جـ) «يجب عليك أن تستيقظ مبكرًا كل يوم لتفحص المريض، وتراقب ما قد يكون خرج من شرجه. إذا خرجت «نا أدجت naadjet» كقطع سوداء، فعليك أن تقول إنه اللحم المشوى الذى دخل معدته، وإن بطنه فى حالة سيئة وتعانى القروح».

(د) «إذا فحصته بعد أن فعلت معه كل ذلك، ورأيت شيئًا يخرج من شرجه يشبه عصيدة الحبوب (الفول)...».

مع وجود بعض الكلمات والجمل الصعبة على الفهم، فإن الصورة العامة للمرض تبدو واضحة. كذلك فإن هذا يُعتبر أول تقرير طبى (يرجع إلى 1500 عام قبل الميلاد) يشير إلى أهمية فحص براز المريض.

وبصرف النظر عن الحالة السابقة، فإن حالات الانسداد المعوى دائمًا ما تكون محيرة، ويصعب الوصول إلى التشخيص النهائى لسبب الانسداد. كما أن الأدوية المقترحة لا تقدم مفاتيح للتشخيص؛ لذلك فإن كل ما نستطيعه هو التخمين. ولكن يبدو جليًا المجهود الذى يقوم به الطبيب المصرى للعناية بالمريض، والوصول للتشخيص ولعلاجه وشفائه، ذلك مع غياب الإمكانات المطلوبة للمساعدة، وكذلك مع الفهم المحدود لعلوم التشريح ووظائف الأعضاء وطبائع الأمراض.

كذلك الحالات التى لا يصاحبها الانسداد، لا يكون تشخيصها سهلًا، انظر إلى (إيبرز 189):

«إذا قمت بفحص رجل يعانى من معدته، وجميع أطرافه ضعيفة وثقيلة الحركة بسبب كثرة المعاناة، عليك أن تضع يدك على معدته، فستجدها منسحبة إلى أسفل، وستجدها تتحرك تحت أصابعك جيئة وذهابًا، وستقول عن هذه الحالة: هذا فقدان للشهية، ومعدته لا تجعله قادرًا على التهام الطعام الذى أمامه. عليك أن تحضر له هذه الوجبة: دقيق البلح مخلوطًا مع شراب البيرة القديمة (المعتقة). ستجد بعد ذلك أن شهيته لتناول الطعام قد عادت».

وهذه الحالة مثال جيد لفقدان الشهية العام، والذى تم علاجه بنجاح باستخدام دقيق البلح.

وفى أربع حالات ضمن «كتاب المعدة»، لم تكن المتاعب الأساسية متعلقة بالمعدة فى المقام الأول، وقد تم استعراض هذه الحالات فى الأجزاء الخاصة بها. فالحالة (إيبرز 188) تدور حول الكبد، وإيبرز 191، 190 تتحدثان عن متاعب الجهاز التنفسى، وقد تكون حالة إيبرز 191 قصورًا بالشريان التاجى المغذى لعضلة القلب.

القولون والمستقيم وفتحة الشرج: أعتقد الآن أننا قد فهمنا بعضًا من مصطلحات القوم وطريقة تفكيرهم؛ مما يمكننا من تناول باقى أجزاء الجهاز الهضمى.

لا توجد كلمة مصرية محددة للتعبير عن **الإمساك** غير كلمة «شينا shena» التى تعنى انسدادًا، ودائمًا ما تُذكر عند الحديث عن المعدة. لكن لا شك أن الأطباء المصريين كانوا يتعاملون كثيرًا مع مشكلة الإمساك، ونجزم بذلك لوجود العديد من الأدوية الموصوفة لتفريغ الأمعاء (انظر: الفصل السابع)، وقد وردت جملة «الفتح أو تليين البطن» (بيخا خت pekha khet) كثيرًا، وليس هناك شكًّا فى معناها، والعلاج التقليدى لهذا الغرض ننقله عن إيبرز 7:

«علاج لتفريغ (تليين) البطن: $\frac{1}{16}$ لبن + $\frac{1}{64}$ (25 رو) + $\frac{1}{4}$ الجميز المشقوق + $\frac{1}{4}$ عسل، تُمزج هذه المقادير، وتوضع على النار حتى الغليان، ثم تصفى ويتناولها المريض لمدة أربعة أيام متتالية».

وهناك جمل تُكتب فى مقدمة الوصفات الملينة أو المسهلة:

* لإخراج البراز (هس hes)
* للتفريغ (فيجن fegen) والمقصود تفريغ البراز.
* ليُخرج أو ليُخلى (ويسش wesesh).

وكلمة «ويسش wesesh» (يخرج، يخلى) تعنى أيضًا التبول، إذا صاحبها رمز مخصص على هيئة قضيب يخرج منه سائل. ولكن هناك العديد من المواضع تشير فيها هذه الكلمة إلى الأمعاء (وليس المثانة) كما فى إيبرز 64، وكما جاء ذكرها آنفًا للإشارة إلى التخلص من دودة الأمعاء (هى فات hefat).

ومن الصعب الظن أن الأطباء المصريين القدماء لم يعرفوا مشكلة **الإسهال**؛ إذ إنهم تعاملوا معها. ولكننا فى الوقت نفسه لم نستدل على أى كلمة مصرية تعبر عن هذه المشكلة.

فإيبرز (44 ـ 48) تصف بعض الأدوية لإيقاف التفريغ (ويسش wesesh)، وشرح لوفافر (1956) الكلمة بأنها «وضع نهاية للتبول المتكرر بشكل مَرَضى». هذا فى الوقت الذى تركت فيه الموسوعة الألمانية الباب مفتوحًا أمام كلمة التفريغ (wesesh)، إذ ذكرت (دواء لإيقاف الإخراج). وتشرح إيبرز 251 استعمال زيت نبات الخروع لعلاج مرض «ويهى wehi»، الذى قد يكون الإمساك، وإن كانت الموسوعة ذكرت الإسهال كمعنى محتمل. وللأسف لم تظهر هذه الكلمة فى أى موقع آخر.

وتتمتع **فتحة الشرج** بالاهتمام الشديد فى الطب المصرى القديم، خاصة فى إيبرز 138 ـ 164 وشستر بياتى VI. وهناك العديد من الأدوية لتبريد وإنعاش (سيكيبب seqebeb) الشرج (بيهيوت pehuyt) ولطرد السخونة (تو tau). ومعنى هذه الكلمات واضح، ويمكن إرجاع الأعراض إلى التلوث، أو العدوى، مع احتمالية حدوثها بسبب البلهارسيا كما ذكرنا سابقًا.

وتشير إيبرز 161 بشكل خاص إلى الأوعية (ميتو metu) الشرجية، ويمكن قبول الرأى بأنها تعنى **البواسير** فى هذا الموضع. وذكرت الفقرة علاج الحالة؛ وهو $\frac{1}{64}$ دهن الثور، $\frac{1}{64}$ أوراق التين، وبعد الخلط يوضعا كلبخة فوق البواسير. كما تذكر شستر بياتى (VI, 6) «الدم يتدفق من مؤخرته»[1]، وقد ذُكرت هذه الجملة فى سياق عرض للأدوية المخصصة للشرج.

(1) النزيف الشرجى من أهم أعراض البواسير ـ (المترجم).

وتشير إيبرز 145 إلى «وينخ wenekh» الشرج[1].

والأرجح أن المقصود هو **هبوط وتدلى باطن الشرج** (سقوط الشرج)[2]. وفى هذا الصدد، تضع شستر بياتى VI, 9 عنوانًا جاء فيه «علاج لإرجاع تدلى (أن an) الشرج». وتؤيد الموسوعة أن معنى كلمة «أن an» فى هذه الفقرة هو سقوط الشرج. والعلاج الموصوف هو الملح والزيت والعسل، تخلط وتوضع على الشرج لمدة أربعة أيام. كما يجىء فى شستر بياتى VI, 2 ذكر بعض متاعب الشرج الأخرى مثل التورم والتقرحات.

الكبد والمرارة

بالإضافة لإيبرز 188، هناك أربع فقرات فى البردية ذاتها (477 ـ 481)، تدور حول العقاقير اللازمة لعلاج الكبد (مى ست miset)، لكنها خلت من تشخيص الحالة. أما الحصوات المرارية فكانت نادرة للغاية؛ إذ عُثر على حالة واحدة ضمن مجموعة من الجثامين عددها ثلاثون ألفًا.

المسالك البولية

يحتل الجهاز البولى فصلًا مستقلًا فى بردية إيبرز (216 ـ 216)، بالإضافة إلى فقرات متعددة متفرقة فى البردية، وفى كل من برديتى برلين وهرست. وهناك الكثير من نقاط التطابق بين ما جاء فى برديتى إيبرز وهرست (انظر: جدول 7 ـ 8).

وتستخدم العديد من الفقرات كلمات مثل «ويخا wekha» و«ويسش wesesh» و«خا khaa» وتحمل جميعها معنى واحدًا هو **إخراج البقايا من الجسم**، ويتم التمييز بين التبرز والتبول بناء على سياق الفقرات. كما تستخدم هذه الكلمات عند الحديث عن التبول الدموى، الذى يُعتبر من الأعراض المرضية الهامة فى مصر؛ حيث تستوطن البلهارسيا، لذلك اهتم الدارسون بالبحث عن المراجع التى تدل على أن المصريين القدماء قد تعرفوا إلى هذا العَرَض المَرَضى المهم.

(1) جاء ذكر هذه الكلمة «وينخ wenekh» فى تعليق A على الحالة 31 فى بردية إدوين سميث الطبية بمعنى «الخلع» فى حالات إصابات المفاصل.

(2) Rectal prolapse

ومع ذلك فالمراجع المتاحة عن الإخراج الدموى قليلة، وهى إيبرز 49 (= هرست 18) وبرلين 165، 187. وتبدأ إيبرز 49 بالكلمات الآتية: «علاج آخر للإخراج (ويسش wesesh) الدموى الشديد»[1]. وفى هذه الحالات تُذكر كلمة «ويسش wesesh» بدون إشارة صريحة للبول أو التبول. ويمكن تفسير الكلمة باعتبارها نزول الدم مع البراز، كما يحدث فى مرض البواسير، وهو مرض شائع. غير أنه لا شك فى أن ذكر كلمة بول (مى يوت meuyt) مع كلمة إخراج (ويسش wesesh) يجعلها تعبيرًا عن عملية التبول الدموى، كما يتبين من إيبرز 262:

«علاج آخر لجعل الطفل يخرج (ويسش wesesh) البول (مى يوت meuyt) المتراكم (المحتبس) فى بطنه: يُغلى كتاب قديم فى الزيت وتدهن به بطن الطفل لتنظيم عملية تبوله (ويسيشت weseshet)».

وتدور فقرات إيبرز 274 ـ 275، و277 ـ 280 حول الأدوية التى توصف لإنزال البول. وفى **هذه المواضع تأتى كلمة** (آشا asha) التى تعنى **الكثير** أو **المتعدد**، لذلك قد تكون المشكلة زيادة كمية البول[2] أو تعدد مرات التبول[3] بسبب التهاب المثانة، وهذه الحالة الأخيرة هى الأكثر شيوعًا، والتى يتوجه لها العلاج، مثال ذلك العلاج الموصوف فى إيبرز 276 لمشكلة الحاجة الملحة للتبول[4] (أس as)، وهى العرض الأساسى الذى يعانيه المريض المصاب بالتهاب المثانة.

وفى إيبرز 264، إشارة إلى ضبط (أكا aqa) كمية البول المتزايدة، وهى مشكلة من أسبابها مرض **البول السكرى**. وهناك أكثر من تسعة علاجات من أجل «جعل البول فى الحدود الطبيعية»، ولعل المقصود هو تقليل مرات التبول المتعدد.

وتصف بردية إيبرز 273 دواء «من أجل طفل يعانى السلس البولى (البلل)» والذى يُشكل مشكلة صحية إلى الآن.

أما إيبرز 265، فمعناها غامض ويحتاج للتخمين، تقول: **«دواء آخر للتخلص من سخونة (تو tau) المثانة، عندما يعانى المريض انحباس (هد بو hedbu) البول»:**

(1) تتفق مع هذا العَرَض بردية هرست 18، ولكن بدون ذكر كلمة «ويسش wesesh». كذلك تتشابه بدايتا فقرتى برلين 187، 165 كثيرًا مع إيبرز 49، لكن مُسحت كلمة «ويسش wesesh» وبقى مكانها فراغًا فى بردية برلين 187.

(2) Polyurea

(3) frequency

(4) urgency

فالجزء الأول من الفقرة (سخونة) يشير إلى التهاب المثانة، أما الثانى فيشير إلى احتباس البول بسبب انسداد؛ قد يكون بسبب ضيق قناة مجرى البول أو تضخم البروستاتا. كما يمكن أن ينطبق معنى جُزْأى الفقرة على التهاب قناة مجرى البول. ومما يرجح أن المقصود بالجملة السابقة **الالتهابات البكتيرية فى مجرى البول أو المثانة**؛ ما جاء فى إيبرز 261 عن شىء صلب فى البول: «للتخلص من عُقَد (تجسو tjesu) فى البول»، وما جاء أيضًا فى إيبرز 267 «كعلاج لمن يعانى (هينو henau) فى بوله». وكلمة henau غير معروفة المعنى، وقد تكون مشتقة من كلمة (هى نا hena) التى تعنى (الكل معًا) وتعنى أيضًا (الصديد)، كما تترجمها الموسوعة (تجمعات)، ويترجمها غليونجى (تكتلات). وهذه المعانى كلها تشير إلى **الصديد فى البول**، لكن يمكن أن تشير إلى وجود حصوات صغيرة أو تجلطات دموية فى مجرى البول.

أما **حصوات الكُلَى والمثانة** فنادرة الوجود فى المومياوات التى تم فحصها أو تصويرها بالأشعة. وقد سجلت ثلاث حالات فقط لحصوات الكُلَى واثنتان فى المثانة خلال الفحص الدقيق لثلاثين ألفًا من الجثامين[1].

الفتق والقيلة المائية

الفتق الخارجى هو أكثر أنواع الفتق شيوعًا[2]، وفيه يخرج جزء من الأمعاء من خلال ثغرة ضعيفة فى جدار البطن فى أماكن محددة، ويظهر من حين لآخر كتورم تحت الجلد. ومعظم هذه الفتوق من الصعب اكتشافها فى المومياوات؛ لأنها تختفى إذا رقد الإنسان على ظهره، ويحدث ذلك بشكل أكبر بعد الوفاة؛ حيث تتيبس العضلات. وهناك سبب بديهى لعدم ظهور الفتق فى المومياوات، وهو إزالة الأمعاء أثناء عملية التحنيط ونقلها إلى أحد الأوعية الكانوبية المخصص لها.

وقد لوحظ أن جثمان رمسيس الخامس (الأسرة العشرين) له كيس صفن[3] منتفخ

(1) هذا معدل ضئيل للغاية، مقارنة بالمعدل الحالى المرتفع بسبب انتشار مرض البلهارسيا بين الفلاحين المصريين، ذلك بالرغم من وجود البلهارسيا فى مصر القديمة ـ (المترجم).

(2) هناك عدة أنواع من (الفتق الداخلى) يحدث داخل تجويف البطن، منها فتق الحجاب الحاجز ـ (المترجم).

(3) Scrotum: الكيس الذى يحتوى الخصيتين.

فارغ واعتُبر ذلك فتقًا إربيًا[1] أو قيلة مائية[2] (**القيلة المائية** كيس يتجمع فيه سائل ويحيط بالخصية). وتختلف القيلة المائية عن الفتق الإربى فى أنها ليس لها اتصال بفراغ البطن، وعند الفحص نجد لها حدًا من الناحية العلوية يحددها ويفصلها عن البطن. أما كيس صفن الفرعون مرنبتاح (الأسرة التاسعة عشرة) فلم يتم العثور عليه فى مومياته.

والحالة المشابهة لحالة رمسيس الخامس والصعبة فى تشخيصها، تلك التى يظهر فيها تورم كيس الصفن لرجل يعمل فى تربية الدواجن (مرسومة فى مقبرة أنخ ما هور). وقد تكون هذه الحالة فتقًا إربيًا كبيرًا تدلى داخل كيس الصفن، أو قيلة مائية كبيرة.

ونجد على جدران المقابر العديدَ من الرسوم والنقوش لبعض الخدم والعاملين تُظهِرُ انتفاخًا فى سرة البطن أو فوقها (انظر: شكل 8: 3)، ولأغلب هذه الحالات الشكل المميز **لفتق سرة البطن**[3].

وأهم البرديات التى تدور حول الفتق، بردية إيبرز الطبية 864، (سيأتى ذكرها فى الفصل الثامن) وتذكر أن التشخيص يقوم على علامة طبية مهمة، وهى ظهور التورم عند السعال. ويتوقف نوع الفتق على مكانه (فى المنطقة الإربية أو حول السرة)، ويكون الأخير إما سُريًّا[4] أو فوق سرة البطن[5]، وقد يقع أعلى السرة بمسافة[6]. وقد قام رولنج (1967) بدراسة حول الفتوق فى مصر القديمة.

الجهاز العصبى[7]

كان فهم المصريين القدماء لوظائف الجهاز العصبى قليلًا، والدليل على ذلك أنهم كانوا يقومون باستخراج المخ من جثة المتوفى والتخلص منه أثناء عملية التحنيط[8] (انظر: الفصل الثالث)، غير أنه كان لديهم إدراك جيد لتوابع **إصابات الجهاز العصبى**

(1) Inguinal Hernia

(2) Vaginal Hydrocele

(3) Umbilical Hernia

(4) Umbilical Hernia

(5) para -umbilical Hernia

(6) Epigastric Hernia

(7) يشتمل الجهاز العصبى على المخ والحبل الشوكى والأعصاب الطرفية ـ (المترجم).

(8) يحتاج هذا التصور لإعادة نظر، راجع هامش (1) ص 132 ـ (المترجم).

(سنعرضها فى الفصل الثامن). وباستثناء الإصابات، لا تحتوى البرديات الطبية على الكثير حول اضطرابات الجهاز العصبى، إلا وصف لحالة **شلل عصب الوجه** (شلل بيل)[1] والذى يصيب عادة ناحية واحدة من الوجه، جاء فى برلين 76:

«تبخير (كب kap) لتخليصه من شلل (إتج itj) لناحية واحدة (جس ges) من وجهه (هير her)، وكذلك لجانب (إديبو idebu) من فمه (إر r)».

ويتوقف التشخيص على ترجمة كلمة «إتج itj» بمعنى الشلل، مع أن معناها الأساسى هو (يأخذ) أو (يقهر). والمشكلة الأخرى تخص كلمة «إديبو idebu»، فأصلها «إدب ideb» يعنى (لسان من اليابسة) ويعنى أيضًا (شاطئ النهر أو ضفة النهر)، وقد جاءت الكلمة فى الفقرة موضع البحث بمعنى «زاوية أو جانب الفم»، وهذا مثال جيد لاستعمال بعض الكلمات فى أغراض طبية بجانب استعمالها بمعنى مختلف فى الحياة اليومية.

أما **الصداع النصفى** فسيأتى ذكره لاحقًا فى هذا الفصل.

العظام والمفاصل

قمنا سابقًا فى هذا الفصل بتوثيق حدوث مرض **تدرن العظام** خلال عصور مصر القديمة، وكذلك أثبتنا حدوث حالات **التهابات عظمية بكتيرية غير درنية**، وذكرنا أنها كانت نادرة للغاية على عكس المتوقع.

ولم يتم التوصل إلى حالات من مرض **النقرس**[2] فى العصر الفرعونى، بينما تم العثور على حالة نقرس واحدة تعود للحقبة القبطية المسيحية.

كذلك لم يتم اكتشاف أى حالة من **لين العظام**، ربما بسبب تمتع مصر بالشمس الساطعة التى تساعد على التخليق البيولوجى لفيتامين «د»، الذى يحمى من الإصابة بهذا المرض.

أما **الكسور** فكانت شائعة للغاية، وسيتم عرضها بالتفصيل فى الفصل الثامن.

وقد تم رصد التغيرات العظمية المَرَضية التى تصاحب **تقدم السن** فى العمود الفقرى على نطاق واسع، وتضم **الالتهاب العظمى الغضروفى المزمن**[3] الذى ينتج عنه خشونة

(1) Bell's palsy

(2) Gout

(3) Chronic Osteoarthritis

الفقرات، وتآكل **الغضاريف بين الفقرات. أما التصاق الفقرات المتجاورة** (التهاب الفقرات القسطى)[1] فقد تم العثور على بعض حالاته خلال الفترة من حقبة ما قبل الأسرات إلى العصر القبطى المسيحى.

الآلام والتوجعات

الصداع النصفى

من الفقرات المهمة التى وردت فى البرديات الطبية فقرة إيبرز 250، وقد جاء فيها:

«علاج آخر للمعاناة (ميريت meret) فى نصف الرأس (جس تب ges - tep): جمجمة سمكة القط (نار nar) يتم قليها فى الزيت ويدهن بها الرأس»[2].

ويرجع الصداع النصفى إلى اتساع الأوعية الدموية فى الغشاء المحيط بالمخ، وغالبًا ما يحدث فى ناحية واحدة فقط من الرأس، ويكون الصداع الناتج شديدًا للغاية. ووصف الحالة بكلمة «جس تب ges - tep»، يؤكد أن الصداع النصفى كان معروفًا فى مصر القديمة. ويشير أبوقراط أيضًا إلى الصداع النصفى، ويستخدم كلمة (نصف الدماغ Hemicrania)التى جاء من خلالها اللفظ الإنجليزى الدال على الصداع النصفى migraine. وتعد هذه إحدى حلقات الاتصال النادرة بين الطب المصرى القديم والطب الإغريقى، لكن لا يُستبعد أن يكون اسم المرض قد نشأ تلقائيًا فى كلتا الحضارتين، وانتشر فى البلدين بغير اتفاق[3].

اضطرابات الميتو (الأوعية)

تم شرح معانى كلمة ميتو فى الفصل الثالث، وكيف أنها **تشير لكل ما هو طويل ورفيع** فى جسم الإنسان؛ مما ينطبق على الأوعية الدموية، والقنوات، والأعصاب، والعضلات وأوتارها.

(1) Ankylosing spondylitis

(2) هناك علاج آخر لمرض «جس تب ges tep» جاء فى بردية شستر بياتى V ,4.

(3) هذا مثال واضح لما ذكرناه فى المقدمة، من أن المؤلف يتحيز للطب الإغريقى على حساب الطب المصرى والطب العربى؛ كغيره من المؤلفين الغربيين. فهو هنا يحاول التملص من إثبات تأثر الطب الإغريقى بالطب المصرى القديم ـ (المترجم).

وفى فصل مُركّز من بردية إيبرز، يبدأ بالفقرة 627، نجد هذه العبارة «استعمال المراهم لتقوية الميتو»، وإذا كان هناك صعوبة فى تحديد معنى الميتو فى المواضع المختلفة من البرديات فمن الواضح أنها تشير فى هذا الموضع (إيبرز 627 ـ وأيضًا 694) إلى الجهاز العضلى. وخلاف الأدوية التى توصف لتقوية العضلات، هناك البعض الآخر لتخفيف الألم وتوتر وتقلص وإجهاد العضلات. ومعظم هذه الأدوية عبارة عن دهانات.

أمراض الأنف والأذن

الأنف

تمت مناقشة إصابات الأنف فى بردية إدوين سميث بطريقة مفصلة (انظر: الفصل الثامن)، أما بردية إيبرز فقد عرضت أمراض الأنف فى أربع فقرات فقط.

وتبدأ إيبرز 761، بـ«علاج الـ«رش resh»»، وكلمة «رش resh» فى غير الاستخدام الطبى تعنى «الفرح»، وتفسرها الموسوعة بـ (برد الرأس أو نزلة البرد). وتوصى إيبرز 761 لعلاج هذه الحالة بوضع عصير البلح داخل فتحتى الأنف، بينما تقدم الفقرة 763 من نفس البردية الرُّقى والتعازيم ضد هذا الـ«رش resh» (الذى يسبب المرض لفتحات الرأس السبع)، هذا بالإضافة إلى استعمال اللبن من سيدة أنجبت طفلًا ذكرًا.. ممزوجًا بالصمغ ذى الرائحة الزكية.

وفى إيبرز 418، ذكر لمرض «خى نت khenet»، والذى يعنى أيضًا نزلة البرد، وتصف له هذا العلاج:

«دواء آخر للقضاء على الزكام من الأنف: كيربتيد الرصاص(1)، خت آوا (khet awa)(1)، أبخرة زكية الرائحة (أنتيا antya)(1)، عسل(1): تُخلط وتُدهن لمدة أربعة أيام. جربها، وستعرف قيمتها ونتيجتها، تأكد أنها جيدة».

وفى إيبرز 762 وصفة لعلاج مرض غير معلوم يصيب الأنف يسمى «نيا nia».

الأذن

تمثل الأذنان فتحتان ضمن سبع فتحات فى الرأس، وكان يعتقد أنها طريق مهم لدخول الأرواح الطية وأيضًا الشريرة، كما جاء فى هذه الفقرة من إيبرز 856 g:

«وعنده اثنان من الميتو إلى أذنه اليمنى، تدخل من خلالهما نسمة الحياة. كذلك هناك اثنان آخران من الميتو لأذنه اليسرى تدخل من خلالهما زفرة الموت».

وكان **الصمم** معروفًا لدى المصريين القدماء، وهناك العديد من الكلمات للدلالة عليه.

وقد عُثر على حالة **ثقب بطبلة الأذن** نتيجة لالتهاب الأذن الوسطى، فى مومياء جيدة الحفظ تعود للعصر البطلمى.

وتحوى إيبرز 766 تعليمات مفصلة للتعامل مع إصابة فى صوان الأذن (انظر: الفصل الثامن).

كما نوقشت أمراض الأذن فى بردية إيبرز 764 ـ 770 وبرلين 70 ـ 71 و 200 ـ 203.

الأمراض الجلدية

لا تمدنا المومياوات إلا بالقليل من حالات أمراض الجلد. وجاء ذكر بعض الأدوية التى تعالج **أمراض الجلد** فى الفقرات 708 ـ 721 من بردية إيبرز، و150 ـ 154 من بردية هرست، وكذلك على ظهر بردية إدوين سميث (21، 3 ـ 8). والعديد من هذه الأدوية متكرر فى هذه المراجع، وكثير منها مخصص **للتجميل والعناية بالبشرة**. وللأسف ليس فى مقدورنا التعرف إلى طبيعة الأمراض الجلدية من خلال هذه البرديات.

وتعنى إيبرز 708 ـ 711 بطرق التخلص من «خى نش khenesh» الذى تترجمه الموسوعة على أنه (العَرَق)، بينما يعتبره قاموس فولكنر (1962) الرائحة المقززة. والأدوية الموصوفة موضعية، وتشمل الراتنجات المعطرة، وحبوب الصنوبر المظلى من بيبلوس، والخروب، وبيض النعام، وصدفة السلحفاة. ويبدو أن فقرتى إيبرز 712و 713 ليستا فى موضعهما (إذ تتناولان موضوعات مختلفة). ويُستكمل العرض فى الفقرة 714 «علاج آخر لإعادة نضارة الجلد وطبيعته (سى بينا sepena)»، والكلمة الأخيرة معناها (قلب الصورة) إذ يصحبها رمز مخصص على هيئة مركب مقلوبة، والعلاج الموصوف هنا أيضًا علاج موضعى، يشمل العسل، والنطرون الأحمر، والملح. والفقرة 715 إيبرز موجهة «التجميل (سى نى فر senefer) الجلد (إنم inem)»، والعلاج هنا: بودرة الألابستر، والنطرون، والملح،

والعسل. والفقرات المتبقية من هذا الجزء من إيبرز تدور حول تجعدات الجلد وشده، ويتسم هذا الجزء من البردية بصفة عامة بكثرة الفراغات.

وتتميز أمراض الجلد بوضوح آثارها، وكذلك بكثرة حدوثها؛ مما يجعل أعدادًا كبيرة من المرضى تطلب مساعدة الطبيب (سونو) كما تلجأ إلى الكهنة والسحرة؛ لذلك تجمع علاجات هذا الفرع من الطب بين الوصفات الطبية والأدوية، وبين التعازيم والتمائم.

الشيخوخة

كان المصريون القدماء على وعى تام واهتمام بتأثير عوامل الزمن والشيخوخة.

ويشير إلى ذلك الخطاب بديع الصياغة للوزير بتاح حوتب:

«استعطاف بتاح حوتب لصاحب الجلالة الملك إيزيزى (دام بقاء جلالته طيلة الأيام وإلى انقضاء الدهر)، يقول بتاح حوتب:

مولاى يا صاحب الجلالة، العمر قد تقدم والشيخوخة حلت بى، الأسى يلازمنى، وضعفى يتزايد يومًا بعد يوم، الليل يمضى وقلبى يعانى الألم، كل ليلة وكل يوم. عيناى قد أظلمتا وثَقُل سمعى، وعافيتى ذهبت وبقيت مرارة قلبى، لزمت الصمت وانغلق فمى، القلب على وشك التوقف، لا يستطيع أن يعود كما كان، عظامى أنَّتْ من طول السنين، الخير أصبح شرًّا، ولا طعم للحياة. ماذا تفعلين أيتها السنون بالإنسان؟! أعمالك جميعها شيطانية، الهواء يدخل أنفى بصعوبة وأكاد أختنق من جلوسى ووقوفى ووحدتى، هل يأمر مليكى بقرار عادل، لخادمه، بمساعد يعيننى فى شيخوختى».

لقد كان التدهور الذى ننسبه للمخ هذه الأيام ينسب أيامهم إلى القلب (انظر: الفصل الثالث)[1].

وفى العديد من أجزاء البرديات الطبية نجد تركيزًا على كيفية إيقاف جنون الشيخوخة. فإيبرز 415 ـ 463 تضم وصفات طبية لمنع الشيب من الشعر، وتشتمل هذه الأدوية على أجزاء مختلفة من الحيوانات الداكنة لوضعها على الشعر الأبيض. كما تضم إيبرز 464

(1) لا ينبغى النظر إلى ما جاء فى الخطاب هذه النظرة العلمية! فما زلنا فى زماننا ننسب الشيخوخة والمشاعر والهموم إلى القلب، إنه أسلوب أدبى. وما هذا التعليق من مؤلف الكتاب إلا محاولة للانتقاص من معرفة المصريين القدماء عن المخ ـ (المترجم).

ـ 474 وصفات أخرى تساعد على نمو الشعر فى الرأس الأصلع، وتُستخدم حراشف بعض الزواحف (مثل الأبراص) لهذا الغرض.

وعلى ظهر بردية إدوين سميث نجد فقرات تنتهى بوصف بعض الأدوية التى تعيد الشباب لمن أصابتهم الشيخوخة.

ونختم هذا الفصل الطويل (والمجهد) عن المرض بفقرة من قصة سنوحى[1]، يتحدث فيها البطل عن نفسه حين عودته لمصر:

«يا ليت أعضائى تعود إلى أيام الصبا مرة أخرى، فالشيخوخة قد داهمتنى: الوهن تمكن منى، عيناى قد ضعفتا، وساعداى أصابهما الضعف، قدماى لا تستطيعان حملى، وقلبى مهموم، الموت يقترب منى؛ ليت قدمىَّ تقودانى إلى المدن الأبدية».

(1) تعتبر قصة سنوحى أهم رواية كلاسيكية فى الأدب المصرى القديم، وترجع للدولة الوسطى. والقصة كانت تُدَرَّس للكتبة المبتدئين لما تحويه من بلاغة وعمق واستخدام الكلمات المناسبة. وتوجد أقدم نسخها مكتوبة على شُقافات محفوظة فى متحف الأشموليان بإنجلترا، وفي برديات متحف برلين.

ويصف سنوحى نفسه بأنه «سنوحى النبيل، الأمير، حامل أختام ملك الوجهين القبلى والبحرى... المشرف على أراضى الملك فى البلدان الأسيوية، صديق الملك الحميم، محبوبه وزميله».

ثم حدث أن قُتل الملك أمنمحات الأول، فخشى سنوحى أن يتهم بالاشتراك فى مؤامرة قتله، فهرب من مصر وساح فى الصحراء والبلدان حتى استقر مع أمير فلسطين (بلاد رتنو). ترقى سنوحى فى المناصب حتى صار قائد جيوش البلاد، وتزوج ابنة الأمير، وكبر أولاده وأصبحوا زعماء لقبائل أسيوية، وكان طوال هذه الفترة يعامل المصريين المارين ببلاده معاملة طيبة.

وعندما تقدمت به السن، شعر سنوحى بالحنين لمصر، الأرض الأم، فأرسل لملك مصر سنوسرت الأول يستعطفه ويطلب العفو عنه، قبل الملك المصرى عودته وأغدق عليه الهدايا، وعاش سنوحى فى وطنه حياة هنيئه ما تبقى له من سنوات حياته ـ (المترجم).

الفصل الخامس

السحر والدين فى الطب المصرى القديم

Magic and Religion in medicine

- القوى الخارقة
- القيمة العلاجية للسحر
- الألهة والسحرة المرتبطون بالشفاء
  - الأساطير المرتبطة بالشفاء
  - السحرة
  - آلهة الشفاء

    سركت وكهنتها

    سخمت وكهنتها

    الألهة المعنية بالولادة

    آلهة أخرى
- الشياطين كأسباب للمرض
- التعازيم
  - الأسماء السرية
  - التعازيم كعلاج
  - الحماية من الحيوانات الخطيرة
- الأحجار التذكارية المنقوشة
  - حجر حورس الطفل
  - حجر مترنخ المنقوش
- التمائم
- المصحات والحضانة
- الخلاصة



القوى الخارقة

لم يكن فى العصر الفرعونى تمييز ذو بال بين السحر والدين، وكان **للميتافيزيقيا** تأثير كبير على أحداث الحياة اليومية، ليس فقط حركة الأجرام السماوية وفيضان النيل، بل امتد الاعتقاد فى الظواهر الخارقة للطبيعة إلى اعتبارها سببًا لبعض الأمراض[1]. ومن المؤكد أن المصرى القديم كان يعتقد أن **للغضب الإلهى** ولشياطين المرض وكذلك **لأعمال السحر** التى يقوم بها البعض للنيل من أعدائهم؛ دورًا فى حدوث العديد من الأمراض.

وإذا كان هناك اعتقاد بأن سبب المرض قُوًى خارقة، فمن المنطقى الاستعانة بقوى خارقة أيضًا للوقاية من المرض والشفاء منه، وكذلك لاتقاء هجمات الحيوانات الخطيرة. وقد اتخذ ذلك صورًا مختلفة، منها الدعاء للآلهة، والرُّقى والتعازيم التى توجه مباشرة للشياطين المتسببة فى بعض الأمراض، تمنعهم وتأمرهم بمغادرة جسم الإنسان المريض.

ومن **أسباب التجاء المرضى** فى اليونان وروما القديمة **للأرباب** طلبًا للشفاء - مفضلين إياهم على الأطباء - ارتفاع تكلفة الخدمة الطبية، والاطمئنان إلى الآلهة، وعدم تحصيل الشفاء أو الشك فى ذلك، وكذلك الآثار الجانبية الضارة للعلاجات القديمة، وما قد تسببه من متاعب وآلام تجعل المرضى يحجمون عن استخدامها. ولا شك أن هذا الوضع ينطبق أيضًا - ولكن بصورة أقل - على مصر، خاصة فى العصر البطلمى، حينما وصل تأثير الحضارة الإغريقية إلى المجتمع المصرى. وفى ظل هذا المناخ يرتفع

---

(1) انتشر هذا الفهم فى أوروبا لبضعة قرون، خاصة ما يخص المرض المقدس وهو الصرع، ومرض الشيطان (سل العقد الليمفاوية) وكذلك الجذام.

شأن الطب البديل، واللجوء إلى السحر، ويسود الإيمان بالخرافات. أما اللجوء للآلهة فكان الشاغل الأساسى والأول عند المصريين القدماء فى معظم مناحى الحياة اليومية؛ لذلك كان طلب مساعدة الآلهة هو الطريق الأول، وليس الأخير الذى يُلجأ إليه مع تطور المرض وفقدان الأمل.

وتُحَدِد أسباب المرض الطريق الذى سيسلكه المريض، إما علاجًا طبيًا أو اللجوء إلى السحر. ففى حالات الإصابة مثلًا، يكون السبب معلومًا ويمكن التنبؤ بمصير الحالة، هنا يكون للطب المكانة الأولى. على نقيض ذلك، الأمراض الداخلية أو الباطنية التى تتعدد فيها الأسباب، ويخيم عليها الغموض مع الجهل بمسار الحالة ومصيرها، هنا يلجأ المريض إلى أساليب أخرى غير الطب التقليدى، ومنها السحر؛ لذلك لا يكون غريبًا أن تخلو حالات الإصابات من الرُّقَى والتعازيم، بينما يعلو شأنها فى حالات الأمراض الباطنية.

لقد كانت هذه الموازنة هى الأسلوب السائد وقت كتابة البرديات الطبية (انظر: الفصل الثانى). ومع تقدم الزمن، يتعاظم دور الممارسة السحرية على حساب العلاج الطبى التقليدى؛ لذلك نجد أن بردية إدوين سميث التى يرجع أصلها إلى المملكة القديمة لا تحتوى فى علاجها للإصابات إلا على تعويذة واحدة، بينما نجد الكثير من الممارسة السحرية فى غالبية البرديات اللاحقة.

كان هناك عدد كبير من الآلهة فى مصر القديمة. وكان لبعضها علاقة متناقضة مع المرض؛ فقد يتسبب فى المرض وقد يشفيه. بينما كان البعض الآخر يقوم بأعمال شريرة، ويُعتقد بقدرتهم على إتيان الحظ السيئ والمرض. ويُعد الاعتقاد بوجود الآلهة المؤذية والشياطين من جذور أعمال السحر والشعوذة التى تُمارَس فى أيامنا هذه. وفى المقابل، كانت بعض الآلهة المصرية القديمة ـ وعلى الأخص إيزيس ـ آلهة خَيِّرة، تتمتع بقدرات خاصة، يستعملونها ضد الآلهة الشريرة، ويصلحون الضرر الذى أحدثته؛ لذلك كان العديد من الدعوات والرُّقى المصرية التى تبغى الشفاء توجه إلى هذه الآلهة الخَيِّرة، خاصة الأقوياء منهم. وقد استمرت العلاقة الوثيقة بين السحر والدين فى مصر طوال العصور اليونانية والرومانية، حتى اصطدم السحرة مع الكنيسة المسيحية الوليدة.

إن الاعتقاد بالقوى الخارقة للطبيعة يجب ألا يختلط بالخدع المتقنة التى يقوم بها السحرة والحواة والمشعوذون المحترفون، سواءً قديمًا أو فى أيامنا هذه. وهناك مثال شهير لهذه الخدع جاء فى العهد القديم (التوراة) حول السحرة المصريين؛ فقد جمع فرعون السحرة ليقوموا بأعمالهم فى مواجهة موسى وهارون أمام جموع الناس، فرموا بعصيهم فظهر كأنها تحولت إلى ثعابين، أما عصا هارون فقد تحولت إلى ثعبان حقيقى التهم عِصِّى سحرة فرعون (سفر الخروج 7: 8 ـ 13)[1]، وخدعة تحويل العصا إلى حية ما زال جزءًا من الصورة التى تحيط بالحواة.

القيمة العلاجية للسحر

من الخطأ إنكار تأثير السحر كأسلوب فَعَّال فى العلاج عند المصريين القدماء. فتوقع الشفاء والإيحاء للمريض بإمكانية حدوثه وبث الأمل داخله، يؤدى دورًا كبيرًا فى الشفاء، خاصة فيما يتعلق بالإحساس بالألم. وقد يُقارَن ذلك بتأثير العلاج الإيحائى (التوهمى)[2] الذى يلجأ إليه الأطباء حاليًا (انظر: الفصل السابع). ونظرًا لقلة الأدوية التى لها تأثير علاجى حقيقى فى العصر الفرعونى، فيمكن إرجاع النجاح الذى تحققه بعض العلاجات، وأيضًا السحر (خصوصًا إذا كان يدعمه الدعاء للآلهة)، إلى التأثير الإيحائى.

وفى بعض الحالات، يمكن الوصول إلى تفسيرات علمية لما يبدو للوهلة الأولى مجرد سحر، مثل بعض الأعشاب التى يستخدمها السحرة، ويحددون الاشتراطات لإعدادها، بينما يكون لهذه النباتات تأثير علاجى حقيقى. فإذا أدركنا مثلًا أن تركيز بعض القلويات ذات الفائدة العلاجية (كالمورفين) فى مختلف أجزاء النبات يتغير مع اختلاف ساعات النهار، أدركنا لماذا يتفق جالينوس (الذى لا يؤمن بالسحر ولا بدوره الطبى) مع السحرة فى أن تُجمع بعض الأعشاب التى لها استعمالات طبية قبل سطوع الشمس. إذًا فالأمر ليس توهمات ساحر، لكنه أمر علمى أدركه السحرة (والأطباء) بالممارسة،

(1) جاءت هذه القصة بتفاصيلها فى القرآن الكريم، مع ذكر أن نبى الله الذى ألقى العصا هو موسى وليس هارون ـ (المترجم).

(2) Placebo therapy

وينطبق هذا المثال على عدد من الأعشاب والمستحضرات الحيوانية التى يستخدمها السحرة فى العلاج.

وتحدد بعض الممارسات السحرية للعلاج **جزءًا محددًا** من نبات بعينه، بسبب بعض الشبه بين هذا الجزء من النبات والعضو المريض المراد شفاؤه[1]. ومن جهة أخرى، قد يتم **اختيار مستحضر حيوانى** على أساس صفة معينة تُمَيِّز الحيوان، أو لوجود تَمَيُّز وظيفى فى جزء من أجزاء، مثل قوة الإبصار. وليس هناك تفسير للتحسن بعد استخدام هذه العلاجات، إلا الشفاء التلقائى أو الصدفة أو الإيحاء.

الآلهة والسحرة المرتبطون بالشفاء

الأساطير المرتبطة بالشفاء

تُعتبر بعض الأساطير المصرية المتعلقة بآلهة الكون أساسًا لتفهم بعض التعازيم والطقوس الطبية السحرية والأدوية. ومن أهم الأساطير القديمة التى لها علاقة بالطب ملحمة أوزوريس[2].

وأوزوريس هو حاكم مصر المسالم الأسطورى فى عصر ما قبل الأسرات، وجاء أول ذكر له فى متون هرم أوناس فى نهاية الأسرة الخامسة (2345 ق.م). وقد أثار أوزوريس غيرة أخيه **ست** الذى هاجمه وقتله ومزق جسده إرْبًا وبعثره فى نهر النيل. أما إيزيس، التى كانت توصف بأنها أكثر مهارة من مليون إله، فقد أَلَمَّ بها الكرب والحزن العظيم لفقدانها أخيها وزوجها أوزوريس، وقامت بالبحث عن أشلائه بغير هوادة، واستغلت كل قدراتها ومهاراتها السحرية لإعادة تركيب أجزاء أوزوريس المبعثرة وإعادته للحياة، فعاد على شكل صقر يرفرف بجناحيه ليعطى نسمات الحياة. وقد عادت إليه القوة فقام بمعاشرتها،

(1) وهو ما يعرف بمبدأ «similia semilibus». ومثال ذلك اختيار ورقة نبات تشبه القلب لعلاج أمراض هذا العضو.

(2) تدور تلك الأسطورة حول جب (إله الأرض) وزوجته توت (إلهة السماء) وأبنائهما الأربعة: أوزوريس، وإيزيس، وست، ونفتس. وقد أعاد الكاتب الكلاسيكى بلوتار صياغة ملحمة أوزوريس فى العصر اليونانى، وترجمها جريفت (1970) من اللغة اليونانية إلى الإنجليزية.

وكانت النتيجة **الابن حورس الطفل**. لقد كانت معاشرة أوزوريس لأخته وزوجته إيزيس آخر أعماله على الأرض، قبل أن يصبح مَلِكًا وإلهًا للعالم السفلى. ويظهر أوزوريس دائمًا فى صورة مومياء بأربطة ولفائف، وتخرج ذراعاه من الأكفان تقبضان على المنجل وعصا الحصاد شعار الملكية. وقد أصبح اسمه رمزًا لكل إنسان فارق الحياة، وهناك كتابات لا حصر لها تشير إلى المتوفَّى على أنه أوزوريس.

أما **إيزيس** فقد كرست حياتها لرعاية ابنها حورس الطفل، وقد جعلت منها رعايتها المثالية لابنها - بالإضافة إلى مهارتها فى السحر - **الإلهة التى تختص بالحماية والقدرة على الشفاء**؛ لذلك تضع الرُّقى والتعازيم المريض فى منزلة حورس. وبمعاونة إيزيس انتصر حورس على الحيوانات المفترسة والسامة؛ لذلك أطلق عليه اسم المُخَلِّص الذى يمتلك قدرات خاصة للحماية، **والشفاء**. ويضم حجر مترنخ (ذُكر سابقًا) مجموعة كبيرة من الرقى والتعازيم وكذلك الأحداث الأسطورية المرتبطة بإيزيس وابنها حورس وما حدث له بعد أن لدغه العقرب، وكيف استرد عافيته برعاية أمه إيزيس وتدخل الإلهين العظمين رع وتحوت.

وعندما بلغ حورس سن الشباب، أُطلق عليه صفة «الحافظ»، وكذلك «المنتقم لأبيه»؛ إذ دخل فى صراع استمر أعوامًا طويلة مع عمه ست للجلوس على عرش مصر. وتأجج الحقد داخل ست وبلغ ذروته؛ فقام بالاعتداء الجنسى على حورس، الذى قام فيما بعد بانتزاع خصيتى ست. ويرتبط هذا الحدث الذى ألَمَّ بحورس باعتقاد المصريين القدماء فيما يُطلَق عليه **«المَنىّ السام»** كأحد الأسباب غير الطبيعية للأمراض. والكلمة المصرية القديمة «مى توت metut» تشير إلى المعنيين؛ المَنىّ والسم فى نفس الوقت. وهذا المعنى المزدوج يتمشى مع ما اعتقده المصريون القدماء حول إمكانية حدوث الاعتداء الجنسى على الشخص النائم، وقذف السم داخله من خلال السائل المنوى فيصبح مريضًا.

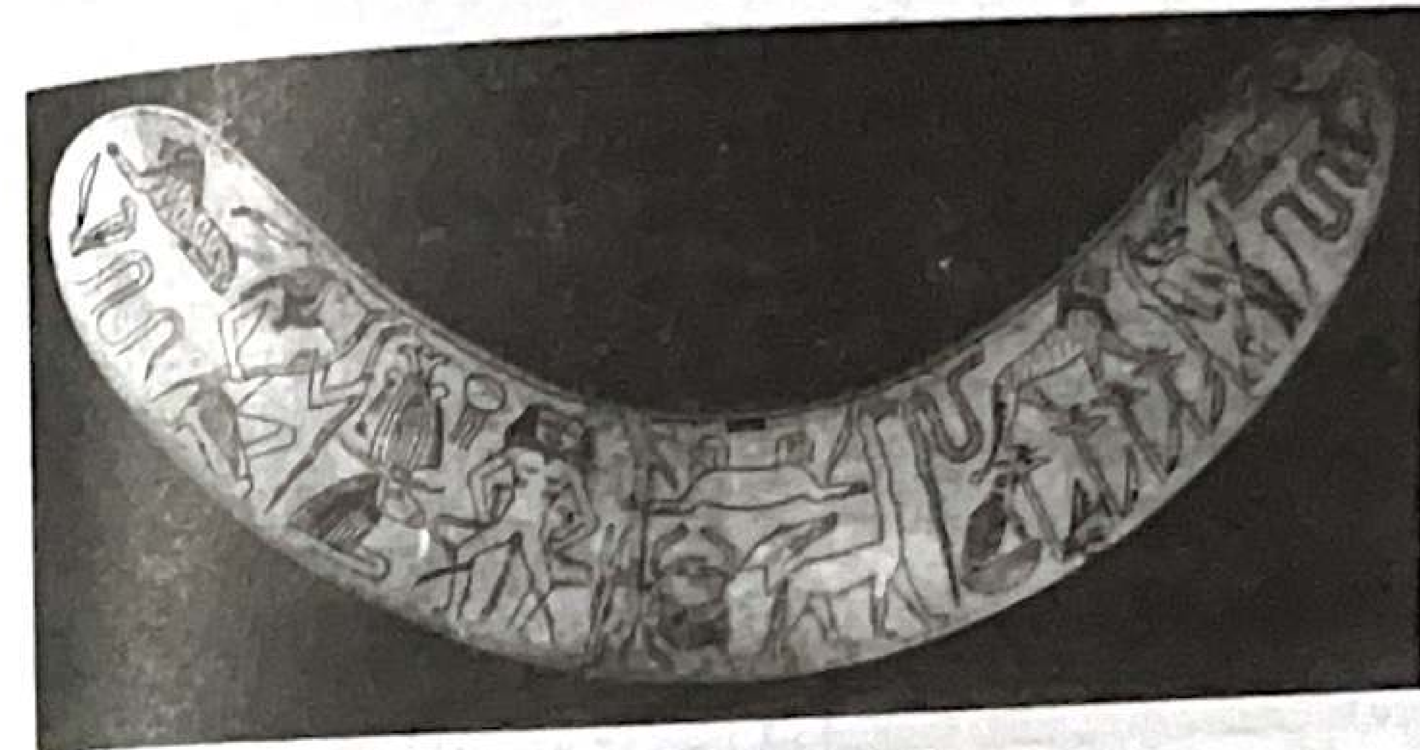
ويمضى الصراع بين الاثنين، ويقتلع ست **عين حورس**، ولكن يعيدها إليه الإله تحوت. وتصبح العين المُستردة (the wedjat eye) أقوى تميمة شفاء بما لها من قدرات خفية خارقة، كما أصبحت وحدة وأساسًا للقياس الحسابى (من 1/ 2 إلى 1/ 64) لتحديد جرعات الدواء (شكل 7 : 3). وفى النهاية كانت لحورس الغلبة واستطاع التفوق على غريمه ست، واعتلى عرش مصر. لكن ست لم يخرج خالى الوفاض، فقد تم تخليده وأصبح **رمزًا وإلهًا للشر**، وهو يقابل الشيطان فى الديانات السماوية.

السحرة Magicians

هناك شواهد قوية على أن العديد من السحرة فى مصر القديمة قد مارسوا الطب بطريقة مختلفة عن الممارسة التى يقوم بها **الطبيب** (**سونو**) الذى قد لا يكون متاحًا فى بعض المجتمعات الصغيرة أو النائية. ومن المحتمل أن يكون بعضهم قد عمل يدًا بيد مع الأطباء. وفى حالات قليلة كان الأطباء يجمعون بين الطب والسحر، فنجد طبيبًا يحمل أيضًا لقب الساحر، فيُسمى **الطبيب الساحر** (انظر: الفصل السادس).

وكلمة **«سو Sau» تعنى الساحر**، وهى قريبة من كلمة «سا sa» التى تعنى تميمة شفاء أو حماية. وما جاء فى بردية إيبرز من خطاب فى بداية الفصل السادس موجه إلى الـ«سو sau»، وكذلك **الطبيب «سونو swnw»**، و**أيضًا إلى كاهن «واب wab»** سخمت، باعتبارهم الثلاثة المنوط بهم الشفاء. والنقش على حجر معبد سيرابيت الخادم فى مناجم سيناء، يحمل أسماء ثلاثة أطباء (swnw) يحملون أيضًا لقب الساحر (سو Sau).

وكلمة **«هيكاى Hekay»** ـ نادرة الاستخدام ـ تعنى أيضًا «الساحر»، وانحصر استعمالها إبان المملكة الوسطى، وترجع لكلمة «هيكا Heka» وهى اسم إله السحر. ويستخدم اصطلاح «هيكاى إن كاب hekay n kap» للإشارة إلى ساحر عائلة الملك. ويُظهر (شكل 5: 1) رجلًا ذى مكانة يقوم بحماية الأطفال بالسحر، يقف وسط ممرضات «مى نات menat» يُمسكن بأيديهن العصا السحرية العاجية.



(شكل 5 : 1)

عصا سحرية عاجية مُعْوَجة، من الأسرة الثانية عشرة، حجاب يضمن الحماية السحرية للأم والطفل (المتحف البريطانى).

ودور الساحر (هيكاى Hekay) فى الطب غير واضح، لكن الطبيب هرى شيف ناخت كان المشرف على السحرة (انظر: الفصل السادس). كما كان اثنان من الأطباء من المملكة القديمة يقومان بدور كهان جنائزيين لـ (هيكا) إله السحر، وهما إيبى، ونى إنخرا ـ رع. ومن

الصعب فهم دورهما ككهنة لإله السحر، وعلاقة ذلك بمهنتهما الأصلية فى ممارسة الطب.

وقد اشترك الإله هيكا مع الإلهة سركت (انظر: لاحقًا) فى قدرتهما على تكميم أفواه الثعابين، وكذلك شفاء الإنسان الذى يتعرض للدغاتها.

ويُطلَق لقب **«خيرى ـ هيبيت» (Khery-Hebet)** على الشخص المسئول عن قراءة الرقى والتعازيم أثناء الاحتفالات، ويعرف **بالكاهن الواعظ**؛ وهو دور مرتبط بالطقوس الدينية والسحر. وتشرح بردية وست كار أعمال السحر المبهرة التى قام بها الكهنة الوعاظ المرموقون، مثل «وبا ـ إينر weba -iner»، و«دجاجا ـ إم ـ أنخ Djadja -em- ankh». وكان بعض هؤلاء الرجال أشرارًا، وتعزى حالة هبوط قلب إنسان إلى زفرة أحدهم خلال أعماله الشيطانية (إيبرز U 855). وقد أُطلق لقب الكاهن الواعظ على اثنين من الأطباء وهما «مريرو ـ كا Mereru - ka» وزير تيتى الأول الذى نال شرف التحدث بلسانه، و«هاى Huy» الذى جاء ذِكره فى مقبرة سيتى الأول فى أبيدويس.

آلهة الشفاء

سركت وكهنتها Serqet

كانت **سركت** (وتعرف بالاسم سلكت أو سلكيس باليونانية) إلهة قديمة للغاية، ترجع للأسرة الأولى من المملكة القديمة، وكان يُرمز لها بالعقرب؛ لذلك تظهر فى صورها وتماثيلها والعقرب فوق رأسها (شكل 5: 2). وبالرغم من هذا الرمز المنفر، كان مظهرها العام جذابًا وأعمالها خيرة، تدور حول **مواجهة العقارب والزواحف** السامة وحماية البشر منها. وكانت سركت إحدى الإلهات الأربع اللاتى



(شكل 5 : 2)

إلهة العقرب سركت، كان كهانها يقومون بالدور الأساسى فى علاج لدغات الحيوانات السامة. وتظهر فى هذه الصورة كحارسة للإناء الكانوبى الخاص بالرئتين لتوت عنخ أمون، الأسرة الثامنة عشرة (متحف القاهرة).

يحمين الأوانى الكانوبية، والثلاث الأخريات هن إيزيس ونفتيس ونيت، وكان دور سركت هو حماية كب هسى نف وهو ابن حورس المسئول عن الإناء الكانوبى الخاص بالأمعاء (انظر: جدول 3 ـ 1).

وسركت، اسم مؤنث مشتق من الفعل «سيرك sereq» الذى يعنى (يجعله يتنفس)، وقد يشير هذا إلى إحدى المشاكل التى يعانيها من يتعرض للدغة العقرب، فيصبح تنفسه عميقًا سريعًا. وقد يكون المقصود توضيح دور سركت فى إنقاذ وعلاج ضحايا لسع العقارب فى الحالات الشديدة التى قد تؤدى إلى فشل حاد بالجهاز التنفسى.

وتحتوى واجهة بردية شستر بياتى VII، والتى كُتبت أثناء حكم الملك رمسيس الثانى، على العديد من **الرُّقى السحرية** التى تحمى الإنسان من لسع العقارب. ومعظم هذه الرُّقى تستعطف زوجات حورس، اللاتى جاء اسم إحداهن صراحة فى الرقية الثامنة، بينما يرى جاردنر (1935) أنها قد تكون ألقابًا لسركت:

«شيء ما يقترب منى..

لست أنا الذى اقترب منك؛ إنها(ويت سيبو) زوجة حورس التى تقترب منك..

أنت أيها السم، اخرج إلىَّ، إننى سركت».

وكان لكهنة سركت دور فى الوقاية من هجمات الثعابين والعقارب، كما كانوا يمارسون الطب، خاصة فى مجال علاج هؤلاء المصابين.

وتسلك بردية بروكلين اتجاهًا علميًا فى التعامل مع لدغ الثعابين وعلاجها، وكانت تضع المريض بين أيدى كبار كهنة سركت دون ذكر أنهم أطباء. وكان خمسة من الأطباء **من كبار كهنة سركت**: إر إن إختى، وخوى، ونمتى إم هات، وطبيب غير معروف الهوية، وبسماتيك سونب. أما أمن موس فقد كان من كبار كهنة سركت، لكنه لم يكن طبيبًا، واعتقد البعض أنه كان طبيبًا وعاملًا فى مدينة الموتى ضمن عمال قرية دير المدينة. وهناك كاهنا آخر يدعى نى عنخ رع كان يحمل لقب (إيمى ـ خت imy - khet) سركت.

سخمت وكهنتها Sekhmet

كانت سخمت الإلهة ذات رأس الأسد (شكل 5: 3)، مع زوجها بتاح وابنها نفرتم يُكَوِّنون معًا ثالوث ممفيس. ويُشتق اسمها مباشرة من كلمة «سيخيم ـ sekhem»، التى

تعنى القوة مع إضافة حرف التأنيث t. وكانت سخمت رمزًا للقوة والعظمة، تنشر الذعر أمامها وحولها، وتملك القدرة على جلب الكوارث والأوبئة. وفى قصة سنوحى، يقارن (آمون نشى) الحاكم الأسيوى بين الرعب من الفرعون سنوسرت الأول (الأسرة الثانية عشرة) وذلك الرعب الذى اقترن بسخمت فى عام وباء الطاعون.

وكما هو الحال مع سركت، كان استشعار سطوة سخمت والخوف منها وراء تقلدها دورًا هامًا فى عملية الشفاء. كان هذا الواقع يفرض نفسه لدرجة أن كهنتها كانوا يحظون بنفس منزلة الأطباء ـ ربما أقل قليلًا ـ فى ممارسة الطب. وتشير كل من بردية إيبرز (854 a) وبردية إدوين سميث (حالة رقم 1 تعليق A) وكذلك رسم «حات نوب»، للدور الطبى الذى يقوم به كهنة سخمت، وليس من المستبعد أن يكون لهؤلاء الكهنة دور فى جراحة الحيوانات.



(شكل 5: 3)

الإلهة سخمت برأس الأسد، كان لكهنتها دور مهم فى شفاء المرضى. وهذا التمثال من معبد موت فى الكرنك، فى عصر حكم أمنحتب الثالث ـ الأسرة الثامنة عشرة (المتحف البريطانى).

الآلهة المعنية بالولادة

لا توجد شواهد مباشرة تشير إلى دور الطبيب فى عملية الولادة، كما كان للسحر القبول الشعبى لتحقيق النهاية السالمة والسعيدة للحمل. وهناك نقش رائع **للإله الحافظ القزم بس** (شكل 5 : 4)، الذى كان يُعتقد أن له نفوذًا خاصًا فى عملية الحمل والولادة، ودائمًا ما كان يُمَثَّل فى دُور الولادة الملحقة بالمعابد «الماميسى mammisi»، ليكفل الحماية والشفاء. كما كانت صورته تميمة يحملها الأحياء وتدفن مع الأموات، ويكفى لبيان منزلته أن رأسه يظهر فى المعابد والمقابر فوق حورس المُخَلص.

وكانت **«تاوى ـ رت Taweret» (التى تعنى العظيمة)** إلهة لها رأس فرس النهر، وذراعاها ورجلاها تشبه ما للأسد، والذيل ذيل تمساح، والجسم مزود بثديى امرأة

متدلين (شكل 5: 5). وبالرغم من هذه التركيبة الجسمية الشاذة، كان لتاوى ـ رت دور هام فى **مساعدة النساء أثناء عملية الولادة**. ومثل بس، كانت تاوى ـ رت شخصية محببة كتميمة.



(شكل 5: 4)

نقش يبين أربعة أشكال للإله الحافظ بس من العصر المتأخر (حوالى 600 ق.م) (المتحف البريطانى).



(شكل 5: 5)

تميمة للإلهة الحافظة تاوى ـ رت، من العصر المتوسط الثالث (1000 ق.م) (المتحف البريطانى).

أما **«مس خى نت Meskhenet»** فكان يرمز إليها بخطين منحنيين على قمة عصا رأسية، وهذا الرمز يمثل الرحم ثنائى القرنين لأنثى العجل. وتعتبر مس خى نت «ربة الولادة»، وإذا كتبت نفس الكلمة دون الرمز المخصص للإلهة، فإنها تشير إلى كرسى الولادة. وتبين عملية الولادة المقدسة التى نجدها فى بردية وست كار (انظر: الفصل التاسع) دور هذه الإلهة بجانب هكت، وإيزيس، ونفتس. كانت **هكت** ربة الضفادع، وقد يشير لقب «خادمة هكت» إلى **القابلة**، ولا توجد كلمة مصرية أخرى للقابلة، كما لا نجد ذكرًا لتفاصيل دورها فى عملية الولادة.

أما **إيزيس**، الإلهة المهمة للغاية ـ الأخت والزوجة لأوزوريس ووالدة حورس ـ والتى حضرت الولادة المقدسة، فقد أخذت دور البقرة الإلهة هاتور، كأم مقدسة؛ إذ

نجد لها العديد من التماثيل الصغيرة وهى ترضع ولدها حورس اللبن المقدس؛ والملك الوليد هو تجسيد حى لحورس. كما كانت إيزيس الإلهة الحافظة للإناء الكانوبى الذى يضم كبد المتوفى. وكانت **نفتس** تشارك أختها إيزيس فى المحافظة والعناية بالملك أثناء ولادته، كما كانت الإلهة الحافظة للإناء الكانوبى الذى يضم الرئتين.

بيت الولادة أو **«الماميسى mammisi»**. كان العديد من المعابد التى ترجع للعصر البطلمى، مثل معابد إدفو ودندرة وفيلة، تضم الماميسى، وهو مبنى منفصل تجمله مناظر ولادة الأرباب والملوك. فمعبد هاتور فى دندرة مثلًا يحتوى على رسم يمثل ولادة «إى هى» طفل حورس وهاتور. ولا توجد شواهد على أن الماميسى كان مكانًا لعمليات الولادة، والأرجح أنه كان مزارًا للنسوة الحوامل فى أشهرهن الأخيرة بغرض التبرك، طالبين مساعدة الآلهة فى ولادة أطفالهن، كما لم يكن الماميسى مكانًا للطقوس اليومية للعبادة.

آلهة أُخرى

«تحوت Thoth» (إله الكتابة) ـ الاسم اليونانى المقابل للاسم المصرى القديم «دجى هوتى Djehuty» ـ له دور هام فى الممارسة الطبية وفى السحر، لذلك كان بيت الحياة (بير أنخ per ankh) تحت حمايته. ذلك بالإضافة إلى دوره الأساسى كإله للكتابة، فهو كاتب متميز وراوٍ متميز لكل ما يُكتب؛ لذلك يأتى ذكره كثيرًا فى تعازيم الشفاء. وكان تحوت يظهر عادة فى صورة جسم إنسان برأس طائر أبى منجل، وقد يظهر فى صورة قرد البابون، كما جاء فى «كتاب الموتى» عند موقف وزن القلب أثناء الحساب فى الحياة الأخرى. (شكل 5 : 6).

وللبقرة المسالمة **الإلهة «حتحور Hathor»** دور خاص كأم رمزية للملوك منذ المملكة القديمة، فجاءت كخَلَف للبقرة الإلهة (غير المسماة) من عصر ما قبل الأسرات. وهناك تمثال لحتحور وهى تُرضع الفرعون إمنحتب الثانى. لكن إيزيس أصبحت تشاركها (فيما بعد) الدور كأم مقدسة للملوك.



(شكل5 : 6)

تحوت (إله الكتابة)، له دور خاص فى الممارسة الطبية والسحر.

إلى اليسار: يُرى مرسوما على بردية برأس أبى منجل. والبردية جنائزية مدونة بالهيراطيقية لـ «نس تا نبت أشيرو» من الأسرة الحادية والعشرين - حوالى 950ق.م (المتحف البريطانى).

والى اليمين: يبدو تحوت فى صورة قرد، وهى صورة غير شائعة له، من «كتاب الموتى» من الأسرة الحادية والعشرين - حوالى 1065 ق. م (المتحف البريطانى).

أما الإله «مِنْ **Min**»(من عصر ما قبل الأسرات) فكان رمزًا للتكاثر (للحيوانات والنباتات)، ويشبهه تمامًا آمون - **كامو تف** (أحد مظاهر الإله آمون العظيم). والإله «مِن» مرتبط كثيرًا بنبات الخس الذى يجىء ذِكره كأحد نواتج الاعتداء الجنسى الشاذ لـ (ست) على (حورس)، ومن هنا جاءت سُمعة الخس كأحد المنشطات الجنسية.

وفى العصر المتأخر، كان هناك اثنان من البشر المؤلَّهين التصق اسمهما بالشفاء، رغم أنهما لم يكونا طبيبين أثناء حياتهما، وهما **إمحتب**، **وأمنحتب بن هابو**. وكان الأول يعمل تحت إمرة زوسر، والثانى تحت إمرة أمنحتب الثالث، ثم صار تأليه الاثنين بعد وفاتهما، وأصبح قبرهما مزارًا للعبادة والشفاء (انظر: الفصل السادس).

الشياطين Demons

كأسباب للمرض

تؤكد البرديات الطبية على أن هناك قوى خبيثة ضارة تدخل الجسم من الخارج، وتعالج بردية إيبرز (854 F) هذا المفهوم مع التميز بين جانبى الجسم:

«تدخل نسمة (زفرة) الحياة فى الأذن اليمنى، كما تدخل نسمة الموت فى الأذن اليسرى»[1].

كما تصف الحالة رقم 8 من بردية إدوين سميث كسرًا واسعًا فى الجمجمة غير مصحوب بجرح فى جلد الرأس، ويأتى التعليق D ليؤكد دخول قوة خارجية خطيرة خبيثة من خارج الجسم:

«بالنسبة للشىء الذى دخل من الخارج، فهو زفرة إله، أو نسمة الموت، وما حدث ليس بسبب دخول شىء (محسوس) من الجلد واللحم إلى الجمجمة».

ويؤكد طبيعة هذا الشىء التعليق (الذى وُجد فى غير مكانه) على (إيبرز 855 Y):

«بالنسبة للـ«نيبا **neba**» التى تدخل من الخارج، فهذا يعنى أن قلبه أصابته نيبا بسبب شىء دخل جسمه من الخارج».

ومعنى نيبا غير معروف. وجملة «تدخل من الخارج» مطابقة لما جاء فى الحالة رقم 8 من بردية إدوين سميث، وتكررت الجملة فى موضع آخر من البردية مصحوبة برمز مخصص يجعل المقصود بها أحد الآلهة. وقد يكون المقصود هو **«شياطين المرض»**.

وهناك أمثلة أخرى، من بينها مرض ليس معروفًا اسمه «نى سييت nesiet» يسببه شيطان يدخل الجسم عن طريق العين. كما تشير إيبرز 209 صراحة إلى البطن التى هاجمها شيطان الـ«نى سييت nesiet». وفى إيبرز e 854 تعليق آخر يتحدث عن صمم بسبب تنفس هواء نفخه شيطان خفى (هى سيك heseq).

وقد تحدثنا عن إدخال المنى السام (مى تُت metut) داخل الجسم عن طريق روح شريرة (تتمثل فى بعض الأحيان فى شكل حمار «آ آ aa»، بناء على اعتداء ست الجنسى الشاذ على حورس. وفى فقرة أخرى من الفصل الثالث جاء ذكر «آ آ آ aaa»، وتحتوى

(1) تمَّ ذكر دلالة الناحية اليسرى فى الفصل الثالث.

البرديات الطبية على ثمانية أدوية لتخليص الجسم من «آ آ آ aaa» والذى دخله بسبب إله أو إلهة أو رجل ميت أو امرأة ميتة. وفى بردية برلين 189، نجد رقية لهذا الغرض.

التعازيم Incantations

تؤكد البرديات الطبية وكذلك البرديات غير الطبية، التى تحتوى على جزء عن السحر، مصداقيتها بجملة تفيد أن هذه البرديات قد عُثر عليها تحت قدمى تمثال لأحد الآلهة. ومن أمثلة ذلك إعلان بردية إيبرز (856 a) أن الكتاب المشار إليه قد عُثر عليه تحت قدمى تمثال أنوبيس فى ليتوبوليس، ثم نُقل وقُدِّم إلى أحد الملوك من الأسرة الأولى. وهذا الادعاء يُضفى مسحة من القدم والأثرية والأهمية على المخطوط (وإن لم تدعى صراحة أن مصدره سماوى) فتزداد قيمة محتوياته.

الأسماء السِّرية

كان المصريون القدماء يعتقدون أن معرفة **الاسم غير المعلن** لإنسان يجعل هذا الشخص تحت رحمة وسلطة من عرف اسمه. وما زال أثر هذا الاعتقاد موجودًا إلى اليوم. ونجد هذا الاتجاه واضحًا فى بعض أجزاء «كتاب الموتى»، التى تدور حول كيفية تخطى العقبات التى تعوق مسار المتوفى فى العالم السفلى. ونجد فى بردية آنى الفصل 125 هذا الشاهد:

يقول حراس الباب «سوف لا نجعلك تدخل»..
«إلا لو ذكرت أسماءنا»
أنت اسمك «ميزان الحقيقة».
يقول الحارس الأيمن للباب
«سوف أمنعك أنا من الدخول إلا لو ذكرت اسمى»
اسمك «كفة ميزان الحقيقة»... إلخ

وفى إحدى الأساطير التى يضمها كتاب عن الطب والسحر.. أن إيزيس بذلت جهدًا هائلًا حتى تتعرف إلى اسم رع السرى؛ لتكون لها اليد العليا عليه (شستر بياتى XI). وللوصول لذلك، استعانت إيزيس ببصاق الإله، وصنعت منه حية لدغت رع، وسببت له

آلامًا شديدة، هنا تعرض إيزيس مساعدتها لرع بأن تزيل آلامه بالسحر، مقابل أن يبوح لها باسمه السرى (الخفى). وكان رع فى حالة من الألم جعلته يرضخ لشرط إيزيس، وبمعرفة اسم رع السحرى أصبحت إيزيس «سيدة الأرباب التى تعرف رع باسمه السرى».

وكان المصريون القدماء يلجئون إلى إطلاق اسم أحد الآلهة على كل جزء من أجزاء جسمهم؛ طمعًا فى أن يحميه هذا الإله، كما جاء فى الرقية رقم 42 فى «كتاب الموتى»، وفيه يُنسب شخص المتوفى إلى رع:

«شعرى هو «نن»، ووجهى «رع»، وعيناى هما «هاتور»، وأذناى هما «وب وا وت»، وشفتاى هما «أنوبيس»، وضروسى هى «سركت»، وقواطعى «إيزيس»... إلخ».

وقد استخدمت التعازيم نفس الأسلوب لإنقاذ قطة لسعها عقرب، كما هو مبين فى حجر مترنخ المنقوش (انظر لاحقًا).

التعازيم كعلاج

تأخذ التعازيم أشكالًا مختلفة فى مجال العلاج، وأبسطها نراه موجهًا مباشرة للمرض أو لشيطان المرض، **بغير اللجوء للأرباب أو الأدوية**. ونرى فى بردية إيبرز 131 تعزيمة موجهة ضد الـ«ويخيدو wekhedu» وهو يشير (كما ذُكر فى الفصل الثالث) إلى مشاكل مرضية لبعضها علاقة بالقوى الخارقة للطبيعة:

«تعزيمة ضد الـ«ويخيدو wekhedu».... أنا أطأ بوسيريس تحت قدمى، أنا أقذف بمندس إلى أسفل. أنا أصعد للسماء لأرى ما يحدث هناك. لا شىء سوف يحدث فى أبيدوس حتى تخرج الشرور التى سببتها الآلهة والإلهات أو الوَخيدو (الذكر wekhedu والأنثى wekhedut) أو غيرهم. كما أتخلص أيضًا من سطوة وأفعال الشر التى تسكن جسدى، فى لحمى وفى أطرافى. سوف لا أعيد ما قلت، لتختفى وتذهب كما جئت لهذا الوجود. وجه هذه الكلمات إلى الشر وكررها أربع مرات، بينما تربت بقوة على موضع المرض، وسيكون ذلك مفيدًا مليون مرة».

وكثيرًا ما يأتى فى التعازيم **ذكر أحد الآلهة للتوسل به**، ومثال ذلك ما جاء على حجر مترنخ المنقوش، موجهًا ضد السم فى حالة لدغه الثعبان (سبرش IIa):

«اخرج أيها السم، اخرج سريعًا، انسكب على الأرض، حورس سيطردك، سيلفظك خارجًا، وسيعاقبك».

وغالبًا ما تُستخدم هذه التعازيم مع الدواء المناسب. وهناك ثلاثة من هذه الرُّقى تتصدر بداية بردية إيبرز، فجاء فى الفقرة الأولى:

«لقد جئت من هليوبوليس مع العظماء من البيت الكبير، أرباب الرعاية والحماية وحكام الآخرة، وجئت أيضًا من سايس تصحبنى أم الآلهة، لقد أعطونى جميعًا حمايتهم. لدى القناعة أن إله الكون سيعمل على إبطال الأعمال الشريرة للآلهة الأشرار والإلهات الشريرات، والموتى من الرجال والنساء... وغيرهم، والتى تسيطر علىَّ وتُمرض رأسى، وفقرات ظهرى وكتفىَّ ولحمى وأطرافى.

تُتلى هذه الرقية أثناء وضع الدواء على أى جزء من أجزاء جسم الإنسان المريض، والتأثير سيكون رائعًا مليون مرة».

ويلى ذلك فى الفقرة الثانية رقية تتلى عند فض الأربطة التى وضعت من قبل على موضع الإصابة أو المرض.

وتؤكد الفقرة الثالثة من إيبرز على فاعلية الجمع بين السحر والدواء:

«تعازيم تتلى أثناء تناول الدواء: الدواء آتٍ، وسيأتى معه ما يطرد الأشياء الشيطانية من قلبى ومن أطرافى. قوىٌّ هو السحر إذا اقترن بالدواء، وكذلك إذا اقترن الدواء بالسحر. هل تتذكر، عندما ذهب كل من حورس وست إلى القصر الكبير فى هليوبوليس، عندما أزال حورس خصيتى ست؟ لقد كان بصحة جيدة كما كان على الأرض. لقد فعل كل ما يريد مثل الآلهة الأُخر الذين كانوا هناك. هذه الكلمات يجب أن تتلى أثناء شرب الدواء.. إنه رائع مليون مرة».

ومع أن تفاصيل وقيمة هذه التعازيم غامضة، ولكنها بالتأكيد تهدف إلى دعم تأثير الدواء بقوة السحر لصالح المرضى. وفى بعض الأحيان، كان للإيحاء النفسى لهذا الاقتران أثر يفوق أى تأثير علاجى للدواء.

وكثيرًا ما تكون التعازيم مخصصة لمرض بعينه، وتُذكر مع العلاج الدوائى الخاص بهذا المرض. مثال ذلك ما جاء فى إيبرز 61، فهى تحدد قائمة من سبعة عشر دواء مصحوبة بالتعازيم للتخلص من دودة «هى فات hefat» من بطن المريض (انظر: الفصل الثالث). ثم تذكر البردية ستة عشر دواء أخرى تُعطى منفردة بدون تعازيم:

«دواء آخر: نبات السعادى (واسى wsi) (5 رو)، نبات (سى ماس semahs) 1/ 4، يُطبخ فى العسل ويُؤكل. ومع الدواء تُتلى هذه التعازيم: لعل عبء المرض يخف عنى، عل السأم يتنحى جانبًا. ما هذا

الذى انتقل من جوف شخص آخر إلى جوفى (دودة أو ثعبان)؟ أهذا من فِعل أحد الآلهة أم سَلَّطه أحد أعدائى علىَّ؟. ما السبيل للتخلص منها؟ أرجو الإله أن يخفف عنى هذه المعاناة».

وتحتوى بردية إيبرز 385 على إحدى الرُّقى المهمة، موجهة للشفاء من تجمع المياه فى العين، هذا الدعاء يتوسل بعيون حورس وآتوم، ويقال إن له تأثيرًا قويًّا ضد العديد من المشكلات المرضية، ومن بينها «ويخيدُت wekhedut ويخيدو wekhedu» التى تصيب العين. وتُتلى هذه الرقية على دهان العين الأخضر بعد أن يُمزج بالعسل وعشب البردى، ثم يوضع على العين. وتوصف هذه التركيبة الدوائية بأنها عظيمة الفائدة.

وتلاوة التعازيم أثناء تناول الأدوية كانت منتشرة فى بلدان العالم القديم، واستمرت عبر آلاف السنين؛ لذلك نجد العجوز بلينى من القرن الأول الميلادى يتساءل:

«هل للكلمات والتعازيم أى فائدة؟ جميع حكمائنا ينكرونها ولا يعتقدون فيها، على الرغم من أن الشعوب جميعها يؤمنون بها بغير وعى (على المستوى اللاشعورى)».

وفى واجهة بردية إدوين سميث الجراحية التى تعنى أساسًا بالإصابات التى لها أسباب واضحة، ومن ثم ليس هناك ما يدعو لإرجاعها لقوى غامضة، نجد أن التعازيم لم تُستخدم إلا فى حالة واحدة من بين 48 حالة إصابة قدمتها البردية. ففى الحالة رقم 9، التى تعانى من جرح فى جبهة الرأس يصاحبه تهشم فى عظام الجمجمة، نجد البردية بعد وصف التوليفة الدوائية الموضعية المكونة من بيض نعامة مسحوق مع الدهن، تمضى فى سردها:

«هذا ما يجب أن يقال كرُقية مع الأدوية: ليُطرد العدو الموجود داخل الجرح، ليخرج الشيطان الكائن فى دمائه.. هذا الشيطان عدو حورس ويحوم حول جوانب فم إيزيس. هذا المعبد لن يقهر، لن يبقى أى عدو داخل أوعيته، أنا أحتمى بإيزيس، وابن أوزوريس»[1].

وتضم خلفية بردية إدوين سميث ثمانى تعازيم، ليس لها علاقة بما تحتويه واجهة البردية من السرد الجراحى:

---

(1) المقصود (بفم إيزيس) المريض ذاته، حيث ذُكر أن المصريين القدماء يطلقون على كل عضو من جسم الإنسان اسم أحد الآلهة أو الإلهات. والمقصود (بهذا المعبد) هو المريض ذاته أيضًا ـ (المترجم).

التعزيمة الأولى موجهة لمقاومة الأوبئة فى ذلك العام؛ وقد يكون المقصود الوباء السنوى الذى يحدث فى أوقات نقص مياه النيل. وهى تستعين بالآلهة الطيبة، مثل أوزوريس، وحورس، ونخ بت، وإيزيس، ونفتس، وهى الآلهة المشهورة بقدرتها على محاربة آلهة الشر التى منها ابن سخمت (ابن إله المرض)، وكذلك هاتور الذى يتحكم فى فيضان النيل. أما التعزيمة الثانية على ظهر البردية فهى الأخرى لإبعاد رياح المرض وآلهة المرض ورجال سخمت، ومن خلالها يُرفع الدعاء لحورس.

والتعزيمة الثالثة موجهة أيضًا ضد أوبئة السنة بأمل الحماية منها (دون ذكر لدور الرياح). ويُرفع الدعاء إلى مسى خى نت:

«أنا المبتلى الآتى من بوتو، آه يا مسى خى نت القادم من هليوبوليس. آه أيها الرجال، أيتها الآلهة، أيتها الأرواح، أيتها الأموات، ابتعدوا عنى أنا المُبتلى».

والتعزيمتان السابعة والثامنة تحددان **بعض الطقوس** التى تحيط بعملية الاستعانة بالتعازيم. ففى السابعة، التى تتلى من أجل التخلص من الأوبئة، يجب تلاوة التعزيمة أمام زهرة «نفرت nefret» المثبتة بقطعة من خشب «دس des» برباط من الكتان. والتعزيمة الثامنة، التى ليس لها استخدام محدد، تتلى بينما يقبض المريض على زهرة «شامس shames» فى يده.

الحماية من الحيوانات الخطيرة

يحتوى «كتاب الموتى» على العديد من التعازيم التى ينبغى أن **ترافق المتوفى**؛ لإبعاد خطر المخلوقات الخطيرة عنه فى العالم السفلى، بما فيها التماسيح (الرقيتان 31، 32) والحيات (الرُّقى من 33 إلى 39). كما تحتوى خلفية بردية شستر بياتى VII على بعض التعازيم التى تطلب حماية الإلهة سركت من العقارب. وبعض هذه التعازيم منقوشة على الأحجار التذكارية (انظر: لاحقًا).

وبالرغم من الخوف الشديد من الثعابين ومحاولة التخلص من أخطارها، الذى كان سائدًا عند المصريين القدماء، فقد كان للحيات دور كبير فى عملية الشفاء، وربما يرجع **اقتران الشفاء بالحيات** إلى الغموض الذى يحيط بها، أو إلى **قدرتها على تغيير جلدها**،

الأمر الذى يرمز إلى الولادة الجديدة. وقد مُثلت الحيات بوضوح على جدران المصحات الملحقة بالمعابد أملًا فى أن تحقق الشفاء لهؤلاء الذين ينامون داخلها (انظر لاحقًا: المصحات).

كذلك نجد للثعابين دورًا هامًّا فى الشفاء فى **الحضارة الإغريقية**. فقد كان أسكليبيوس إله الطب عند الإغريق يحمل عصا تلتف حولها أفعى، الأرجح أنها أفعى (Elaphe longissima) غير الضارة. وفى أيامنا هذه أصبحت الأفعى رمزًا للشفاء، على الرغم من دورها الخبيث وتشجيعها لحواء على ارتكاب الخطيئة، كما جاء فى سفر التكوين الثالث من التوراة[1].

الأحجار التذكارية

المنقوشة Stela

كان العديد من المعابد والمنازل فى العصر الفرعونى المتأخر تضم أحجارًا منقوشة مقدسة تسمى «سيبِّى cippi»، وكان يُظَن أنها تحمى من هجمات بعض الحيوانات والزواحف، مثل العقارب والثعابين، والتماسيح.

وتحوى هذه الأحجار العديد من الرُّقى والتعازيم التى تُتلى للوقاية من لدغ الثعابين أو لسع العقارب، كما تتلى أيضًا بغرض الشفاء من هذه الإصابات.

وهذه الكتابات مختصرة ومنقولة عن متون **الأهرامات** فى المملكة القديمة، ومنها النص رقم 378 الذى يقول:

«أنا حورس.. الطفل الصغير الذى يضع إصبعه فى فمه، إنى قادر على أن أطأ بصندلى الحية نيخى nekhi».

ومن الممكن تعزيز دور هذه التعازيم **بشرب الماء أو الاغتسال** به الذى يُسكب فوق هذه النقوش الحجرية، حيث إنه يمتص تأثير تلك الكتابات السحرية والمناظر التعبيرية.

(1) القرآن الكريم لا ينسب للأفعى دورًا لإغواء حواء، ولا ينسب لحواء دورًا لإغواء آدم. ولكن يبين أن كلًّا من آدم وحواء قد عصيا الله عز وجل عندما أكلا من الشجرة المحرمة - (المترجم).

حجر حورس الطفل

ومن أهم هذه الأحجار، ذلك الحجر التذكارى من الحقبة المتأخرة (شكل 5 : 7)، الذى يُظهر حورس الطفل واقفًا فوق ظهر التماسيح، وممسكًا بعدد من الحيوانات الخطيرة، مما يرمز إلى الانتصار على القوى الخبيثة. ويجسد هذا العمل الفنى حورس باعتباره **حورس المُخَلص** (شد shed)، وتعطى رأس الإله بس التى تظهر فوق نقش حورس المزيد من الحماية. وباعتباره **الحامى أو الحارس** من أخطار الحيوانات والزواحف الخطرة، يُعتبر حورس سلفًا لـ(شد shed) الإله الحارس الذى يقوم بنفس الدور فى المملكة الحديثة.



(شكل 5: 7)

حجر تذكارى من الحقبة المتأخرة ـ يظهر فيه حورس الطفل، القاهر للحيوانات السامة والخطيرة. وكالمعتاد يظهر رأس الإله بس فوق حورس.

وتضم اللوحة أسماء العديد من الآلهة والإلهات، من بينها سركت. وتوجد أيضًا كتابات أخرى على الظهر والجانبين والقاعدة (المتحف البريطانى).

حجر مترنخ المنقوش Metternich Stela

والنصوص التى تتمتع بالكمال والبعد عن التشويه نجدها على **حجر مترنخ**، منقوشة بدقة وإتقان. والحجر موجود فى متحف المتروبوليتان للفنون فى نيويورك (شكل 5: 8).

وترجع قصة هذا الحجر إلى الجهود الجبارة التى قام بها الكاهن نس أتوم، أثناء حكم نكتانيبو الثانى الفرعون الأخير من الأسرة الثلاثين قبيل الغزو الفارسى الثانى عام 343 ق.م، فقد كان من المهتمين بالأسرار المصرية القديمة، ومن أجل انقاذ التعازيم الهامة،

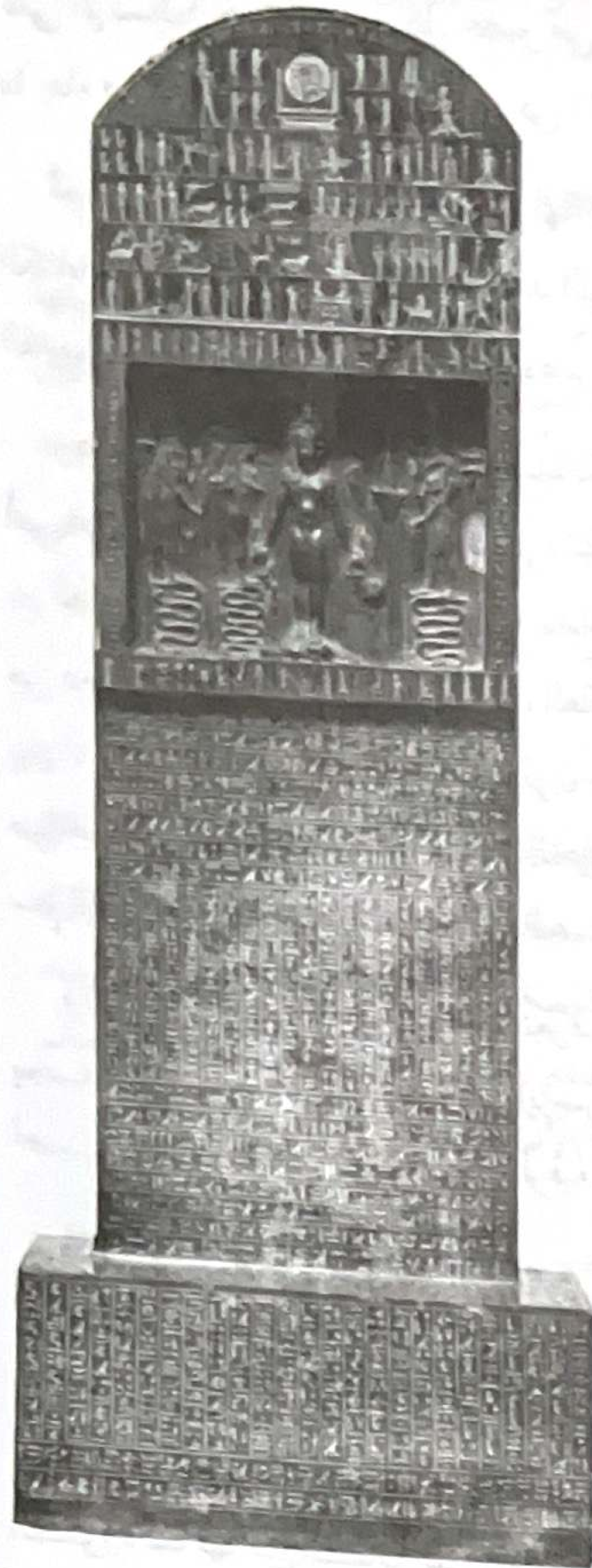
واجه العديد من المتاعب فى جمع أهم الكتابات من على الأحجار التذكارية ومن أماكن دفن الصكوك المقدسة فى هليوبوليس، وقد تم نقش ما جمعه من كتابات بعناية شديدة على جوانب حجر أملس من الحجر الأخضر الداكن يبلغ ارتفاعه مترًا.

وطبقًا للأسلوب المعهود فى النقش على الأحجار التذكارية، يظهر على الجزء العلوى من **الواجهة الأمامية** للحجر حـورس الطفل، واقفًا على ظهور التماسيح، وممسكا بيديه عددًا من الحيوانات الضارة، كما يقف الآلهة الموجودون فى النقوش فوق الحيات، والجميع يظهرون قوتهم وانتصارهم على قوى الشر.

ثم تأتى التعويذة الأولى على الحجر، وهى ضد الحيات، وتتبعها رقية رائعة لقطة لسعتها عقرب، وأطلق عليها (للتبرك والحماية) اسم ربة القطط باستت:

«أوه.. رع تعال إلى ابنتك باستت التى لسعتها عقرب فى طريق موحش؛ صراخها وصل إلى السماء. اصغ باهتمام لعويلها أثناء مرورك».

وتمضى الرقية طويلًا، وتضع كل جزء من جسد القطة تحت عناية أحد الآلهة، ودُعِىَ الإله رع شخصيًا لحماية الرأس. إنه نفس الأسلوب الذى يُطَبَّق



(شكل 5 : 8)

حجر مترنخ المنقوش عليه ثروة من الكتابات المختصة بالسحر، الموجهة للحماية من عقر الحيوانات السامة (نهاية الأسرة الثلاثين). واجهة الحجر تبين رسمًا يمثل الطفل حورس كما ظهر فى الحجر التذكارى فى (شكل 5 : 7) (متحف المتروبوليتان ـ نيويورك).

على الإنسان؛ حيث يوضع كل عضو من جسم المتوفى تحت حماية أحد الآلهة، حسب ما جاء فى الفصل الثانى والأربعين فى «كتاب الموتى».

ثم تأتى بعد ذلك رقية موجهة للإلهة باستت تطلب منها مساعدة قط مريض. وتتوالى الكتابات لتضيف العديد من الشواهد التى تبين عِظَم مكانة القط فى المجتمع المصرى القديم، وتبين كذلك مدى اهتمام المصريين بالحيوان بصفة عامة.

وعلى ظهر حجر مترنخ نجد وصفًا **لقصة إيزيس وحورس والعقرب** الشهيرة، والتى أصبحت أساسًا لجميع التعازيم التى تتلى ضد لسعات العقارب. وتذكر القصة كيف خرجت إيزيس ذات ليلة فى حماية سبع عقارب، وحدث أن مُنعت إيزيس وحاشيتها من دخول أول منزل صادفته، فقامت العقارب المحتجة على هذا الموقف بالتشاور فيما بينها، واتفقت على نقل كل ما يحملون من سم إلى زعيمتها تيفن التى قامت بلسع ابن صاحبة المنزل. لكن إيزيس أسرعت نحو الطفل المصاب، وقامت بتدليك حلقه وأمرت سم تيفن بالخروج من جسم الطفل المسموم.

وتتوقف القصة عند هذا الحد، لتُعرِّف من يريد استخدام هذه التعزيمة بالطريقة التى يجب اتباعها، وذلك بأن يوضع ابن إيزيس (حورس الطفل) مكان هذا الطفل أو أى طفل أصيب بلسعة عقرب، ثم تُرَدَّد هذه الرقية:

«فلينجو الطفل ويعيش، ويموت السم. وكما شُفى الطفل حورس من أجل أمه إيزيس؛ سيشفى أيضًا كل من يعانى هذا المرض».

ثم يستأنف السرد، وفى الجزء الثانى من القصة تكتشف إيزيس (سبرش XIV) أن حورس نفسه قد فقد الوعى بعد لسعة العقرب، فلجأت إيزيس إلى سركت طالبة المشورة لما لها من سلطان على العقارب، ثم تضرعت للآلهة وبالأخص للإله رع بهذه الكلمات:

«لقد لُدغ حورس.. أوه.. رع، لقد لُدغ ابنك حورس الذى هو بلا خطية».

ثم قامت إيزيس بإيقاف دوران الشمس؛ مما أدى إلى اختلال النظام الكونى وقَوَّض تماسكه واتزانه، وكان هذا الأمر خطيرًا للغاية؛ مما جعل تحوت يهب لمساعدتها، واستعان تحوت بهذه التعزيمة:

«استيقظ يا حورس، أنا تحوت أُرسلت لشفائك من أجل أمك إيزيس، ولشفاء كل الذين يعانون مثلك؛ لقد مات السم وانطفأت ناره المتأججة».

التمائم Amulets

يشهد جميع ما اُكتشف من الآثار المصرية على **الأهمية القصوى للتمائم** وشعبيتها وشيوعها عند المصريين، حتى إن الأحياء كانوا يتحلون بها، ثم تدفن مع الموتى. وكان لهذه التمائم **أغراض سحرية متعددة**، مثل الحفاظ على الجسد وحمايته أثناء الحياة وبعد الموت. ويمكن تقسيم التمائم إلى **عدة أنواع**، ثلاثة منها لها علاقة وثيقة بالطب، وهى التمائم التنظيمية (التعبيرية أو التشبيهية)، وتمائم الحماية، وتلك التى على صورة الآلهة.

التمائم التنظيمية (Homopoeic)

وهى تجسم المخلوقات الحية أو أجزاء منها، تلك التى يأمل من يحملها أن يتمثل بها، بناء على مبدأ أن المتشابهات تُشفَى بمثلها(1). وبعض هذه التمائم على شكل **أجزاء من جسم الإنسان** (التمائم التعبيرية)، خاصة القلب، ثم العيون، والآذان، والقضيب. والبعض الآخر على **شكل الحيوانات** التى تتمتع ببعض الصفات المميزة (التمائم التشبيهية) كالقوة والسرعة وحدة الإبصار، ومنها الأسد، والبقرة، والقرد، والقنفذ.

تمائم الحماية (Phylactic)

تشمل التمائم الخاصة بالآلهة (بس) و(تاورت) و(ودجات) أى عين حورس، والتى سبق الإشارة إليها. وجزء من هذه التمائم على شكل **الحيوانات الضارة** التى يرجو حاملها أن تحفظه من خطرها، مثل فرس النهر والتماسيح والعقارب.

تمائم على صورة الآلهة (Theomorphic)

تشمل هذه التمائم معظم الآلهة. أما تلك المتعلقة بالطب فكانت لإيزيس وحورس وإمحتب وسركت، وتمت الإشارة إليها سابقًا. أما التميمة التى تظهر الحزام الحوضى لإيزيس فكانت تستخدم فى حالات الإجهاض لوقف نزيف الدم.

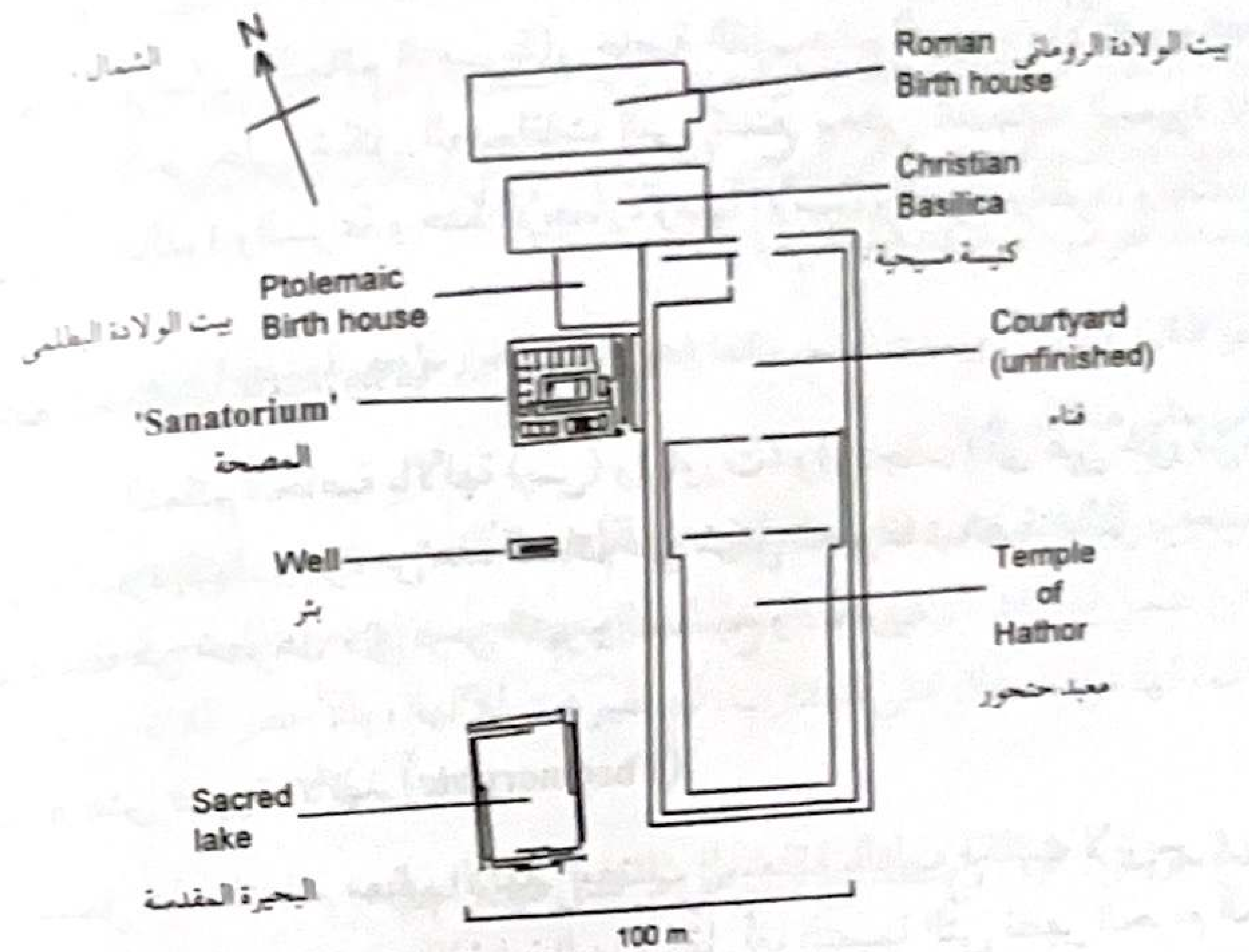
(1) similia similibus

المصَحّات والحِضَانة

Sanatoria and incubation

تُطلق كلمة مصحة فى كتابات المصريين القدماء على ساحة مغلقة يُغمَر فيها المرضى كليًا أو جزئيًا فى مياه الشفاء المقدسة، أو يمارسون الحِضَانة (نوم المعبد) على أمل أن يروا فى نومهم أحد الآلهة؛ مما يحقق الشفاء للمريض. ويعطى حجر كن هرخبى شف (شكل 2: 3) فكرة عن بداية هذه الممارسات، غير أنه لم يتم التيقن من حدوثها إلا مؤخرًا، بعد اكتشاف إحدى المصحات فى المنطقة الأثرية غرب فناء المعبد الكبير لحتحور فى دندرة (شكل 5: 9)، ويرجع المبنى الأساسى الحالى للمعبد للعصر البطلمى والرومانى، وقد بُنى مكان معبد آخر أقدم منه كثيرًا.

وإلى الشمال من تلك المصحة توجد غرفة أو بيت الولادة (ماميسى mammisi).



(شكل 5: 9)

شكل عام للمصحة الملحقة بمعبد حتحور فى دندرة، المربعات الصغيرة فى المصحة قد تكون غرف الحضانات التى يحيط بها المجرى المائى المقدس.

وجنوبها توجد بئر تقع خلفها البحيرة المقدسة. ولا يوجد ما يشير إلى أن هذه المصحة كانت تُستخدم لممارسة أعمال الطب العادية.

وتشمل بقايا هذا البناء (من الحجر الطينى) عدة غرف صغيرة تحيط بمجرى مائى، ويُعتقد أنها كانت تستخدم فى **عملية الحِضَانة**، ويقود المجرى إلى العديد من الأحواض التى تُملأ بالماء من البحيرة المقدسة، وتُستخدم فى غمر أجزاء من جسم الإنسان أو حتى غمره بالكامل، ولتعظيم فاعلية هذه المياه المقدسة، كانت تُمرر فوق بعض **تماثيل آلهة الشفاء**.

ويضم «كتاب الأحلام» الذى يعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد[1] قائمة طويلة من الأحلام التى رآها المعتكفون، والتى قد تكون سعيدة أو سيئة. وفى واحدة من هذه الأحلام يقول المريض:

«... لقد أمضيت الليل بطوله فى هذا الفناء الأمامى، لقد شربت الماء، وتغنى جسدى الليل كله يسبح فى ظل وجهك...».

ولم يتبق من **تماثيل الشفاء** فى معبد دندرة إلا بعض الكتابات على قطعة من الحجر وُجدت فى إحدى الغرف الصغيرة. كما تم العثور على أحد هذه التماثيل (مصنوع من الجرانيت الأسود) فى منطقة تل أتريب، ويخص رجلًا يدعى «دجدهور Djed hor» (شكل 5: 10). ويوجد أسفل قاعدة التمثال حوض صغير يتجمع فيه الماء الذى



(شكل 5: 10)

تمثال الشفاء لـ «دجدهور» من الحقبة المقدونية (حوالى 320 ق. م)، وجد فى تل أتريب. أمام قدميه وأسفلهما يوجد حوض لتجميع المياه المقدسة، وأمام ساقيه يوجد حجر تذكارى (متحف القاهرة).

(1) موجود داخل بردية شستر بياتى رقم III الموجودة فى المتحف البريطانى.

كان يسكب على التمثال، وبمرور الماء فوق الكتابات السحرية المنقوشة علية، تنتقل إليه كرامات وقدرات هذه الكتابات، وتصبح مياهه مقدسة مشفوعة بالقدرات الغيبية التى تنتقل للإنسان الذى يستخدمه.

وتكشف المصحة الموجودة فى معبد دندرة الكثير عن مفاهيم الشفاء الإلهى الذى مارسه **اليونانيون القدماء**، وكان منتشرًا فى ثقافتهم الدينية. وكان الإله الإغريقى أسكليبيوس أقدم أرباب الشفاء، وتساعده ابنته هيجيا، وكانت أكبر الهياكل المقدسة لأسكليبيوس تقع فى مدن إبيداروس، وكوس، وبرجاموم، وكانت تمارس بها مراسم التطهير بالماء. وكان الممارسون لهذه الطقوس ينامون فى مجموعات داخل عنابر مقدسة تماثل الغرف الصغيرة فى دندرة، كما كان الكهنة يتواجدون فى المكان لمساعدة المرضى على تفسير أحلامهم.

الخلاصة

كان السحر والدين لا يفترقان فى وجدان الشعب المصرى القديم، ويؤديان دورًا كبيرًا فى علاج المرضى. لقد كان المصريون يعتقدون أن القوى الشريرة تتسبب فى العديد من الأمراض؛ لذلك كانوا يلجأون إلى الآلهة الخَيِّرة الحافظة لمحاربة هذه القوى الشريرة عن طريق استعمال التمائم وقراءة التعازيم المكتوبة على الأحجار التذكارية. وكانت التعازيم تتلى بمفردها أو بالإضافة إلى العلاج الطبى التقليدى.

لذلك كان السحرة والكهنة المنتمون إلى الآلهة المختلفة يؤدون دورًا فى الشفاء بجانب الطبيب. ومع وجود عدد قليل نسبيًّا من الأدوية المؤثرة والعمليات الجراحية المحدودة المتاحة، لا يمكن تجاهل التأثير النفسى والقيمة العلاجية للإيحاء، وكذلك قيمة توقع الشفاء المرتقب عند اللجوء إلى السحر.

* * *

الفصل السادس

المعالجون

The Healers



- الأطباء.. والكهنة.. والسحرة..
- الممارسون للطب التقليدى
  - الطبيب
  - الطبيب فى اللغة المصرية القديمة
  - ألقاب الأطباء
  - الأطباء ذوو العلاقات الملكية
  - الأطباء ذوو الألقاب الكهنونية
  - العلاقة بين الطبيب والسحر
  - التخصصات الطبية
  - الجراح البيطرى
  - رواتب الأطباء وتنظيم المهنة
- من أعلام الطب المصرى القديم
  - أطباء خالدون (أسطوريون)
  - عشرة أطباء مصريين مختارين
  - أطباء تم التوصل إليهم مؤخرًا
  - السمعة العالمية للأطباء المصريين
- تدريب الأطباء
  - نقل المعرفة عبر العائلة
  - البرديات كمراجع طبية
  - هل كان بيت الحياة مدرسة للطب؟
- الخدمات الطبية المعاونة
  - الصيادلة
  - المرضات
  - القابلات
  - ممارسو العلاج الطبيعى
  - المضمدون
- ممارسة الطب التقليدى على يد الكهنة
  - كهنة سخمت
  - كهنة سركت
- الخلاصة

الأطباء .. والكهنة .. والسحرة ..

يبحث من يعانون المرض والألم والإصابات عمن يمد لهم يد المساعدة، وفى كل مجتمع إنسانى - سواء كان نظامه بسيطًا أو معقدًا - نجد من يملكون - أو يدعون أنهم يملكون - قدرات عالية على الشفاء. ويعتمد بعض هؤلاء على صلواتهم وطلب الشفاء من الإله، والبعض الآخر قد يلجأ إلى السحر، وقد يمارس البعض **الطب البديل**، ذلك بالطبع إلى جانب من يطبق المبادئ العلمية فى **ممارسة فن الطب**.

وليس هناك شك فى أن كلًا من **الأطباء والكهنة والسحرة** فى مصر القديمة قد شاركوا فى عملية العلاج. وتحتوى بردية إيبرز (854 a) على تعليق يوضح ذلك جليًّا، كذلك تضم بردية إدوين سميث تعليقًا مشابهًا (مع بعض الاختلاف اللفظى) على الحالة رقم 1 (تعليق A):

«هناك أوعية بداخل جسم الإنسان تتجه لجميع أطرافه؛ لذلك فأى طبيب (سونو swnw) أو كاهن (واب wab) من كهنة سخمت أو ساحر (ساو sau)، إذا وضع يديه أو أصابعه فوق رأس المريض، وفوق مؤخرة رأسه، وعلى مكان القلب وذراعيه وساقيه يستطيع أن يتعرف إلى حالة القلب عن طريق أوعية تلك الأعضاء المتصلة به؛ حيث إن القلب يتكلم من خلال أوعية الأطراف جميعها»[1].

ويتضح من هذه الفقرة الدور المتوازى للأطباء والكهنة والسحرة، لتقديم ما نسميه الآن «**الرعاية الصحية الأساسية**»، ولم يجد أجدادنا قديمًا أية غضاضة فى مشاركة الكهنة والسحرة فى عملية العلاج.

ولا يُعتبر ما ذكرنا أمرًا غريبًا كما يبدو لبعضنا، فقد مارس **الرهبان** الجراحة حتى القرن

---

(1) تحوى هذه الفقرة شواهدَ مقنعة تفيد معرفة المصريين القدماء للعلاقة بين دقات القلب والنبض الطرفى (انظر: الفصل الثالث).

الثانى عشر، حينما أصدر البابا قرارًا يمنع غير المتخصصين من إراقة الدماء. ومع ذلك، استمر هؤلاء فى تقديم النصح والإرشاد فى الأمور الطبية، وعاد بعضهم فى بريطانيا إلى ممارسة الجراحة علانية بعد انتهاء سطوة المؤسسة الدينية عام 1536م. أما جماعة الحلاقين التى ظهرت عام 1462م، فقد كان لها باع طويل فى الممارسة الجراحية، حتى إنهم اندمجوا مع رابطة الجراحين عام 1493م، وقد وافق الملك هنرى الثامن عام 1540م على اتفاق العمل المشترك بين الحلاقين والجراحين. كذلك كان يُسمح للصيادلة ـ وحتى الآن ـ بتقديم المشورة الطبية. وفى العصور الوسطى تخصص الجراحون الجائلون غير الدارسين فى إجراء بعض العمليات الجراحية، مثل عملية استخراج حصوة المثانة. من ذلك ندرك أن التنظيم الدقيق للممارسة الطبية وقصرها على الأطباء المؤهلين فقط يعتبر نظامًا جديدًا فى عالمنا الحديث.

الممارسون للطب التقليدى

يكتنف دراستنا هذه عدد من الصعاب، منها صعوبة تعريف الطب التقليدى، وكذلك إشكالية تقويم الطب القديم من منظور ممارسات الطب المعاصر؛ لذلك فالأصح أن تكون نقطة بدايتنا هى النظر فيما عند المصريين القدماء (وهذا ما سنفعله فى هذا الفصل)، ثم ندرس (فى الفصول القادمة) مدى المطابقة بين ذلك وبين ما بأيدينا.

هناك شواهد متعددة فى بردية إدوين سميث وأجزاء من بردية إيبرز تشير إلى أن المعالجين المصريين القدماء كانوا يتبعون فى تعاملهم مع مرضاهم منهجًا ثلاثى الخطوات:

أولًا: كانوا **يستمعون** لشكوى المرضى، **ويسجلون** الأعراض المرضية، ثم يقومون **بفحصهم** مستخدمين أعينهم وأيديهم، كما يظهر من هذه الحالة:

«إذا قمت بفحص رجل يعانى انسداد معدته، ويعانى أثناء تناول الطعام، وبطنه متشنجة، وقلبه ضعيف للغاية، ويعانى السخونة والتهاب فتحة الشرج: عليك أن تفحص هذا المريض وهو راقد على ظهره، ستجد بطنه ساخنة، وستجد انسدادًا فى معدته (إيبرز 188).

ثم عليك أن تضع يديك فوق معدته؛ ستجد معدته متقلصة (سك sic)، تتحرك جيئة وذهابًا تحت أصابعك» (إيبرز 189).

ولفحص حالة أخرى، يبدو أنها أصيبت فى حادث، جاءت هذه التعليمات فى إدوين سميث حالة رقم 7:

«وعليك بعد ذلك أن تفحص جرحه بمجس، بالرغم من أنه يرتعد بشدة، ثم عليك أن تأمره بأن يرفع رأسه، ستجده ينزف دمًا من فتحتى أنفه ومن أذنيه».

ثانيًا: من التاريخ المرضى والفحص، يصلون إلى **التشخيص النهائى** للحالة. ونجد دائمًا فى بردية إدوين سميث ـ وأحيانًا فى بردية إيبرز ـ إعادة مُنمَّقة جامعة لأهم الأعراض الإكلينيكية، ويبدأ هذا الجزء دائمًا بجملة تقليدية «فيجب عليك أن تقول حول هذه الحالة (أو حول هذا المرض)»... وفى بردية إدوين سميث ينتهى هذا الجزء حول الحالة بإعلان ما إذا **كانت الحالة قابلة للعلاج من عدمه**.

وعادة نجد أن تسلسل العرض الإكلينيكى منطقى، ويقودنا إلى تشخيص دقيق. انظر إلى الحالة رقم 7 من بردية إدوين سميث التى ذكرناها آنفًا:

«رجل يعانى جرحًا منفرجًا فى الرأس، الجرح عميق وصل إلى العظام، والعضلة الصدغية متقلصة، والدم ينزف من فتحتى الأذن، ويعانى تيبس رقبته».

فى هذه الحالة يكون التشخيص الذى يتلو الفحص الإكلينيكى دقيقًا: «هناك تقلص بالفك السفلى، وكسر فى قاع الجمجمة، وتهيج سحائى، وهو مرض سأبذل طاقتى لعلاجه».

وفى بعض الحالات الأخرى يكون من الصعب الوصول إلى تشخيص نهائى، فالفحص فى حالة إيبرز 188 (الموصوفة سابقًا) يتبعه الاستنتاج «إنها حالة تتعلق بالكبد» فقط.

وتبين الفقرات السابقة منهج الطبيب حتى يصل إلى تشخيص، بناءً على ما وصل إليه من أعراض وعلامات للمرض وتصور للحالة، فتكون له **نظرته الذاتية**؛ بالإضافة إلى **ما يُنصح به شفاهة، وما يقرؤه** من خبرة الآخرين فى البرديات الطبية التى تضم المعلومات التى توصل إليها من سبقوه، ومن ثم يستطيع أن يضع مخططًا للتدخل الطبى.

ثالثًا: بعد التوصل إلى تصور عام عن الحالة **وتشخيص نهائى**، يبدأ المعالج فى الخطوة الثالثة وهى **العلاج**، الذى يعتمد أساسًا على خبرات سابقة فى التعامل مع حالات مشابهة. لذلك نجد دائمًا فى بردية إيبرز، عقب وصف العلاج الذى سبق تجربته، هذه العبارة: «رائع حقيقة... مليون مرة».

وهذه المراحل الثلاث للتعامل مع الحالة المرضية يمكن أن تكرر مرة أخرى فى حالة تَغيُّر مسار المرض، وقد يُشفَع تقرير المتابعة بهذه الملاحظة «إذا قمت بفحصه مرة ثانية بعد أن فعلت ذلك...» (إيبرز 189).

إن هذا النظام المُوَثّق والتعامل المنطقى مع المريض، هو نفس أسلوب التعامل مع الحالات المرضية فى الزمن الحالى، وقد استمر اتِّباعه فى سلسلة لم تنقطع عبر الزمن منذ أيام المصريين القدماء، ثم أبقراط وجالينوس، ثم فى الطب العربى الإسلامى، وحتى طبيب اليوم. والاختلاف عبر هذه الحقب الزمنية يكمن فى المزيد من تفهم طبيعة المرض، وأسبابه الحقيقية، ودقة التشخيص، والتطور التكنولوجى الهائل، وفاعلية الأدوية الجديدة، مع اتساع نطاق التدخل الجراحى، لكن الفلسفة الأساسية للتعامل مع المريض لم تتغير.

وبعد هذا العرض للتعرف إلى الطب التقليدى، نعرج إلى السؤال الصعب، وهو مَن كان يقوم بهذه الممارسة الطبية أيام المصريين القدماء؟ وبلا شك فإن العنصر الأساسى فى هذا المجال كان الطبيب، ولكنه لم ينفرد بممارسة الطب التقليدى كما ذكرنا فى مقدمة هذا الفصل، فمن الواضح أن بعض الكهنة لم يكتفوا بالدعاء للأرباب أو ممارسة السحر، ولكن اقترن هذا النشاط بالعمل فى مجال الطب التقليدى. وعلينا أن نلقى أولًا مزيدًا من الضوء حول الطبيب.

الطبيب (سُونُو swnw)

تشير الشواهد الكثيرة أن الكلمة المصرية القديمة «سونو swnw» أو «سينو sinw» تعنى طبيبًا، أو من يمارس الطب التقليدى. وبعد الأسرة السابعة والعشرين، أصبحت كلمة «سونو swnw» تُطلق أيضًا على المُحَنِّط، بالإضافة إلى الطبيب؛ لذلك يحدث لبس فى معرفة المهنة المقصودة عند مطالعة كتابات هذه الفترة المتأخرة.

وكما ترمز السماعة للطبيب هذه الأيام، تأتى جملة «وضع اليد» (التى جاء ذكرها مرات عديدة فى البرديات الطبية) كعلامة مميزة للطبيب فى مصر القديمة. ويتبقى تساؤل مهم حول جملة «وضع اليد»؛ هل تعنى فحص المريض أم تعنى أن يكون المريض تحت رعاية الطبيب، وقد يكون المقصود المعنيين.

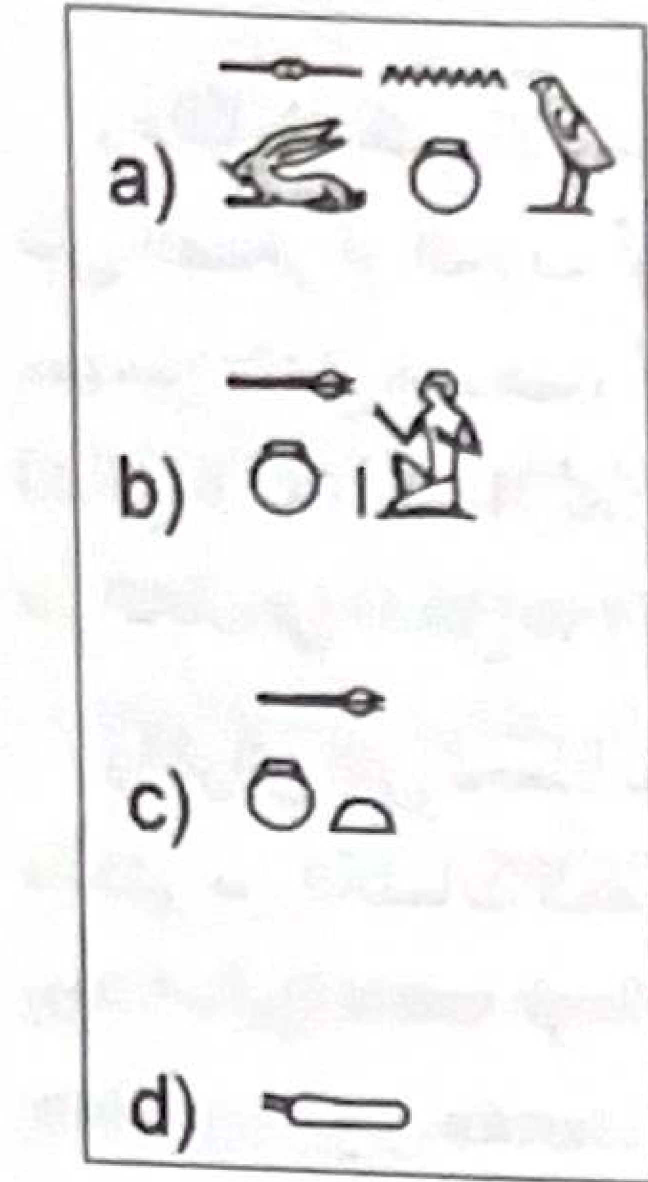
الطبيب فى اللغة المصرية القديمة

تظهر الكتابة الهيروغليفية لكلمة «سونو swnw» فى (شكل 6 : 1)، وتُنطق باللغة الإنجليزية فى بريطانيا «سونو sewnew». وينطقها البعض «سينو sinw» لتكون قريبة لكلمة طبيب فى اللغة القبطية وهى «ساين saein».

وهناك معنى آخر لكلمة «سونو swnw» وهو «المرض»، وتُكتب بالشكل نفسه فى بردية برلين (161)، وقد قبلت الموسوعة VII 2 هذه الترجمة.

ويظهر الرسم المستخدم عادة للكلمة فى (شكل 6: 1 b). وفى الشكل، يُعبر السهم عن النطق الصوتى للثلاثة أحرف (swn)، بينما يعبر «القِدْر» عن النطق الصوتى للحرفين (nw)، أما «الرجل الجالس» فيعبر عن الذكورة (رجل)، وللتعبير عن الطبيبة الأنثى يُستعان برسم **رغيف الخبز** نصف الدائرى الذى يقابل حرف t؛ بذلك تكون الطبيبة الأنثى (سونوت swnwt) (شكل 6 : 1 C). وبينما لا يهتم المصريون القدماء بصيغة الجمع المرتبطة بالاسم، نجد فى حالة الطبيب أن صيغة الجمع يُعَبَّر عنها بثلاثة خطوط بجوار الرجل أو بثلاثة رجال جالسين.

ومن الممكن أن يكون المقصود من السهم وصف الطبيب بأنه «رجل السهم»، أى الرجل المختص بإخراج السهام من الجنود المصابين، وهو العمل الصعب شديد الأهمية لحياة المصابين والذى يُنتظر من الطبيب أن يقوم به.



(شكل 6 : 1)

الكتابات الهيروغليفية لكلمة «سونو swnw» التى تعنى طبيبًا:

(a) الكلمة كاملة، وهى نادرًا ما كانت تُستخدم.

(b) الشكل الذى يُستخدم عادة.

(c) شكل كلمة طبية (swnwt) بالنهاية t الدالة على التأنيث، ممثلة برغيف نصف دائرى من الخبز (انظر: شكل 6: 5).

(d) شكل غير مألوف؛ وفيه أُستبدل بالسهم فى الشكلين العلويين جراب السيف وطرفا سهمين (انظر: شكل 6 : 9).

ومن الخطأ القول أن السهم يشير إلى مبضع الطبيب، وأن القِدْر يرمز إلى جرة الدواء. فالكثير من الرسومات الجميلة، التى يظهر فيها السهم، لا تترك شكًا فى أنه يشير إلى

السهم الحقيقى، كما نجد سهمين داخل غمدهما فى أكفان الطبيبين «سبنى» و«اجوا» من المملكة المتوسطة (شكل 6: 1 d) فى المتحف البريطانى (انظر: لاحقًا).

وغالبًا ما تُكتب الأسماء المصرية القديمة مختصرة، خاصة الهيروغليفيات المحفورة على الصخر أو الخزف أو الخشب؛ لذلك قد تأتى كلمة طبيب مختصرة، ويُعبَّر عنها بسهمين داخل غمدهما، أو بالسهم فقط كما هو الحال فى النقش الخشبى لِهِسى ـ رع (شكل 6: 4)، كما قد يُعبَّر عنها بالقِدْر (نو nw)، ومن النادر أن يُكتب الاسم كاملًا كما هو الحال فى (شكل 6: 1 a).

والقرائن التى تجعلنا نعتقد أن كلمة «سونو swnw» تعنى الطبيب قرائن قوية للغاية. فالكثير من الكلمات المصرية القديمة استمرت وعاشت من خلال اللغة القبطية؛ حيث نجد «ساين saein» فى اللغة القبطية تعنى الطبيب، وهى قريبة لكلتا الكلمتين «سينو sinw» و«سونو swnw». والدليل نجده أيضًا فى البرديات الطبية المصرية؛ حيث نجد عددًا من الفقرات التى تربط بين «سونو swnw» وبين معالجة بالمرضى:

«يقدم تحوت المعرفة المفيدة والمساعدة للمتعلمين، وكذلك للأطباء (سونو swnw) الذين يتبعونه؛ هؤلاء الذين يسخرهم الإله من أجل أن يبقى المرضى على قيد الحياة» (إيبرز 1).

«عليك أن تُحْضِر عشبًا سريًّا كعلاج، والذى يصنعه هو الطبيب (سونو swnw)» (إيبرز 188).

«معجم للأطباء (سونو swnw) يضم مجموعة من العقاقير» (شستر بياتى 8، VI).

«وعندما يصيبك المرض، فإنى سأبحث عن رئيس الأطباء (سونو swnw) الذى سيقوم بتحضير الدواء» (بردية ليدن I : 371).

وتحمل بردية برلين الطبية ما يبدو من الوهلة الأولى أنه توقيع طبيب (سونو swnw):

«مختوم بختم يضم كلمات الإله، رب الطبيب الماهر (سونو swnw) نت جر هت بو» (برلين a 163).

أو مخطوطات عن وش بتاح وزير نفركارع (الأسرة الخامسة):

«نُقل وش بتاح إلى مقر جديد، وأمر جلالة الفرعون أطفال العائلة المالكة والرفقاء والكهنة الوعاظ وكبير الأطباء (سونو swnw) أن يذهبوا إلى هناك وقدم له جلالة الفرعون حقيبة مكاتيب. وبعد ذلك مات وش بتاح».

وتأتى شواهد أخرى تبين أن معنى «سونو swnw» هو (الطبيب) من التوجيهات الصادرة إلى امنحتب بن هابو، ومن تعليمات هات نوب بخصوص هرى شف ناخت، وكذلك التعليمات المكتوبة على تمثال الطبيب ودجاهور رسنت. وسيأتى تفاصيل هذه الشواهد لاحقًا.

ألقاب الأطباء

كان يُطلق على جميع الأطباء اسم «سونو swnw»، غير أن بعض الأطباء المتميزين للغاية كانت لهم ألقاب خاصة، كما أُنعم عليهم عند دفنهم بمقابر متميزة. ومن الممكن تمييز ست مراتب خاصة لصفوة من الأطباء، تعكس تدرجًا فى السلطات الإدارية (جدول 6ـ1)، وإن كان من الصعوبة تحديد الترتيب الصحيح لهذه المراتب.

وأكبر الرتب على قمة هذا الهرم قد تكون «خريب سونو kherep swnw» التى تعنى المُنَظِّم أو مدير الأطباء. والشخصية الوحيدة التى حملت هذا اللقب ـ كما نعلم ـ هو «ميدو ـ نفر Medu-nefer»، وهو طبيب عيون القصر من المملكة القديمة. و«هيرى سونو Hery swnw» هو الطبيب الذى له سلطة على أقرانه الأطباء، وأغلب هؤلاء ينتمون للمملكة الحديثة. ولقب «إيمى ـ إر سونو imy – r swnw» شائع فى المراجع المختلفة، ويترجم إلى مراقب الأطباء. أما «سى هيدج سونو sehedj swnw» فهو الطبيب المفتش، وجميع الأربعة عشر مفتشًا كانوا من المملكة القديمة.

أما اللقب الأكثر شيوعًا فهو السيد الطبيب «ور سونو wer swnw»، الذى أعطى لـ 52 طبيبًا ينتمون لجميع العصور الفرعونية[1].

وللطبيب ميروكا من الأسرة السادسة لقب فريد له علاقة بعمله فى خدمة الملك، سيأتى ذكره لاحقًا.

(1) فى اللغة المصرية القديمة تأتى الصفة بعد الاسم؛ لذلك فمن المستبعد أن تكون wer هنا هى الصفة (الكبير ـ الرئيس) بل على الأرجح هى اللفظ الدال على أن الطبيب كبير أو رئيس. لذلك تُترجم (wer swnw) إلى «السيد الطبيب». وقد رُمز إلى «ور سونو wer swnw» فى سبعة مواضع برجل منحنى الظهر يتكئ على عصا، ويُقرأ هذا الرمز «سم سو semsu» ومعناها الكهل أو المتقدم فى السن؛ لذلك اقترح جون خيير أن يكون المعنى «عميدًا». أما غليونجى (1983) فقد أشار إلى أنه فى بعض هذه الحالات لا تكون العصا مقسومة لفرعين، وتلك تعنى «عصفور السنونو»، وقد قمت بوضع هؤلاء جميعًا فى القائمة تحت لقب (wer swnw).

(جدول 6 - 1) الألقاب الرسمية للأطباء

	المملكة القديمة والمرحلة المتوسطة الأولى	المملكة الوسطى	المرحلة المتوسطة الثانية والمملكة الحديثة	المرحلة المتوسطة الثالثة والحقبة المتأخرة
مدير أطباء (خريب سونو kherep swnw)	1	–	–	–
من له سلطة على الأطباء (هرى سونو Hery swnw)	2	–	5	1
مراقب أطباء (إيمى إر سونو imy r swnw)	2	1	1	–
طبيب مفتش (سى هيدج سونو sehedj swnw)	14	–	–	–
السيد الطبيب (ور سونو wer swnw)	12	15	16	9
رئيس الأطباء على جانبى قارب أطباء القصر (imy-r geswy depet per aa swnw)	1	–	–	–
طبيب (سونو swnw)	30	5	25	6
أطباء غرباء	–	–	4	–
المجموع	62	21	51	16

وفى بعض الأوقات، يُلحق باسم الطبيب الإدارى ولقبه **النطاق الجغرافى** لسلطته، مثل مصر العليا أو مصر السفلى، أو كليهما. مثال ذلك الطبيب بو رع من المملكة الحديثة الذى كان طبيبًا سيدًا (ور سونو wer swnw) فى مدينة الموتى (المقصود به المقابر).

وتثير بعض الألقاب مثل المراقب والمفتش ومَن له سلطة سؤالًا مهمًّا حول ماهية هؤلاء الأشخاص؛ **هل هم أطباء فعلًا؟ أم يقومون بوظائف تنظيمية فى الممارسة الطبية؟**

غير أشخاصًا الإدارية الأعمال هذه بمثل يقوم من معظم نجد اليوم المتحدة المملكة فى أطباء؛ فهل يكون هذا النظام مطبقًا فى مصر القديمة؟ وذلك التساؤل قد يكون له أهمية خاصة فى حالة السيدة بس شت (انظر: لاحقًا).

الأطباء ذوو العلاقات الملكية

اللقب «سونو بير آ آ swnw per aa» لقب غير نادر، ويعنى «طبيب البيت الكبير» أو «**طبيب القصر**» (جدول 6 ـ 2) وربما تكون «طبيب البلاط» هى الترجمة المثلى فى اللغة الإنجليزية. وفى اللغة الهيروغليفية تسبق جملةُ «البيت الكبير» كلمةَ «سونو swnw»، وليست بعدها، كنوع من التعظيم والتبجيل للقصر. وبمقْدِم المملكة الحديثة أصبحت كلمة «بير آ آ per aa» تعنى المَلِك، ومن كلمة «بير آ آ per aa» جاءت كلمة فرعون.

كذلك يعنى اللقب «سونو إن نيسو swnw n nesu» **طبيب الملك**، خلال المملكة الحديثة. واللقب «سونو إن نب تاوى swnw n neb tawy» يعنى **طبيب سيد القطرين (القبلى والبحرى)**، والمقصود بالطبع طبيب جلالة الملك ذاته. أما اللقب «سونو إن بير هيمت نيسوت swnw n per hemet nesut» فيعنى «**الطبيب الخاص بزوجة الملك أو الملكة**». وهناك طبيبان من المملكة القديمة يحملان لقب (رخ نيسو rekh nesu» (نسبة للملك).

وبالتقريب، كان لنصف الأطباء المعروفين، وكذلك أطباء الأسنان فى المملكة القديمة علاقات بالقصر الملكى؛ مما يضفى عليهم **منزلة مميزة فى المجتمع**. وكان يتم تكريم هؤلاء بطريقة خاصة؛ فقد توهب لكل منهم مقبرة، أو يُخَلَّد ذكرهم بنقش أسمائهم على جدران مقابر الشخصيات البارزة. وبعد المملكة القديمة ومع مرور الوقت، أصبح من السهل للأفراد العاديين أن تكون لهم مقابرهم الخاصة؛ لذلك بدأ تميز الأطباء الملكيين فى الأفول.

(جدول 6 – 2) أطباء معروفون بصلاتهم الملكية

	المملكة القديمة والمرحلة المتوسطة الأولى	المملكة المتوسطة	الفترة المتوسطة الثانية والمملكة الحديثة	الفترة المتوسطة الثالثة والحقبة المتأخرة
مفتش أطباء القصر (sehedj swnw per aa)	3	-	-	-
كبير أطباء القصر (wer swnw per aa)	7	1	1	-
مراقب جانبى قارب أطباء الملك = imy-r geswy depet (peraa swnw)	1	-	-	1
طبيب القصر (swnw per aa)	14	-	-	-
مدير أطباء القصر (kherep swnw per aa)	1	-	-	-
مفتش أطباء الملك (sehedj swnw n nesu)	1	-	-	-
كبير أطباء الملك (wer swnw n nesu)	-	1	-	-
طبيب سيد القطرين (swnw n neb tawy)	-	-	1	-
رجل ذو نفوذ على أطباء سيد القطرين (hery swnw n neb tawy)	-	-	2	-
كبير أطباء سيد القطرين (wer swnw n neb tawy)	-	-	1	1
طبيب الملك (swnw n nesu)	-	-	1	-
كبير أطباء الملكة (wer swnw per hemet nesut)	-	-	1	-
طبيب الملكة (swnw n per hemet nesut)	-	-	1	-

* لم نضع فى الجدول النطق العربى للألقاب من باب التيسير، واكتفينا به فى الشرح.

الأطباء ذوو الألقاب الكهنوتية

كان الكثير من الأطباء يحملون ألقابًا كهنوتية، فهناك أربعة معروفون ككهنة للإلهة سخمت ويحملون لقبى «واب wab» و«إمى ـ إر واب imy-r wab» (جدول 6 ـ 3)، وهم «ونن نفر wenen ـ nefer» الذى كان له دور فى مجازر الحيوانات، و«ندجى

مو «Nedjemu»، و«هرى شيف ناخت Hery ـ shef ـ nakht» من المملكة المتوسطة، و«أمنحتب Amenhotep» من المملكة الحديثة. وهناك آخرون يحملون ألقابًا مثل خادم الرب«هم نتجر hem netjer»، والكاهن الملكى«واب نيسو wab nesu». كما أن هناك ألقابًا كهنوتية لمن يعملون بالسحر، ويأتى ذكرهم لاحقًا فى هذا الفصل وفى الفصل الخامس.

وقد كان بعض أطباء المملكة الحديثة يعملون فى الممتلكات المخصصة للآلهة؛ فكان «أمنحتب» و«باهاتيو» رئيسيا الأطباء فى ممتلكات آمون، وكان إيناى رئيسًا لأطباء بتاح، وكان «بو رع» طبيبًا سيدًا فى «مكان الحق» (مدينة الموتى).

العلاقة بين الطبيب والسحر

ناقشنا فى الفصل الخامس دور السحرة فى الرعاية الصحية، وفى هذا المجال نصادف بعض الأطباء الذين يحملون ألقابًا تشير إلى أنهم كانوا سحرة محترفين (جدول 6 ـ 3).

(جدول 6 ـ 3) أطباء يحملون ألقابًا كهنوتية أو يعملون بالسحر

	المملكة القديمة والمرحلة المتوسطة الأولى	المملكة الوسطى	المرحلة المتوسطة الثانية والمملكة الحديثة	المرحلة المتوسطة الثالثة والحقبة المتأخرة
كاهن (إمى ـ إر واب imy - r wab) سخمت	-	2	-	-
كاهن (واب wab) سخمت	1	-	1	-
كاهن (خى رب kherep) سركت	2	2	-	1
كاهن (واب wab) الآلهة	-	-	-	1
كاهن (إمى ـ إر واب imy - r wab) البلاط	1	-	-	-
كاهن (واب wab) الملك	4	-	-	-
كاهن (واب wab)	2	-	1	-
كاهن (هم نت جر hem netjer)	1	-	1	-
السحرة				
كاهن واعظ	1	-	-	1
ساحر (إيمى ـ إر imy –r) هيكاو	-	1	-	-
كاهن (هم نت جر hem netjer) هيكاو	2	-	-	-
ساحر (ساو sau)	-	2	-	-

تعنى كلمة ساو «sau» التى جاءت فى بردية إيبرز «ساحرًا» (أشرنا إليها فى بداية هذا الفصل)، وأول من حمل هذا اللقب طبيبان؛ هما «أكمو Akmu» وطبيب آخر مجهول اسمه من المملكة المتوسطة (انظر: الفصل الخامس).

وكان العاملون فى كهنوت الإله هيكا والإلهة سركت سحرة محترفين. وهيكا يعنى أيضًا (السحرة). وقد كان الطبيب هرى شيف ناخت رئيسًا لـ «هيكاو hekaw» (انظر: لاحقًا). وهناك ألقاب أخرى مثل «خى رب سركت» (kherep) الذى أطلق على «إر ـ إن ـ أختى Ir ـ en ـ akhty»، وكان الكاهن الساحر «خيو khuy» طبيبًا متعدد التخصصات. ومن الكهنة السحرة الأطباء أيضًا «نمتى إم هات Nemty ـ em ـ hat» و«بسماتيك سونب Pasmtek ـ soneb».

أما «مرى روكا Mereruka» «وهيو Huy» فكانا من الكهان الواعظين «خرى ـ هبت khery ـ hebet» وهو لقب مرتبط بالسحر، خاصة تلاوة الرُّقى والتعازيم.

التخصصات الطبية

فى عام 430 ق.م، قام هيرودوت بزيارته التاريخية لمصر، وعلق فى كتاباته على تنوع التخصص فى مجالات الطب المختلفة؛ إذ لفت أنظاره ذكر التخصص أو أعضاء الجسم المختلفة بعد ذكر كلمة «سونو swnw» فى النقوش الحجرية.

وعلى سبيل المثال يأتى ذِكر اللقب «سونو إرتى swnw irty» تسع مرات وهو يعنى طبيب العيون. كما يأتى لقب «سونو خت swnw khet» الذى يعنى طبيب البطن، ويمكن أن نترجمه فى تخصصاتنا الآن «طبيب الجهاز الهضمى» وجاء ذلك فى ثلاث حالات.

لكن هناك بعض التخصصات التى يصعب فهمها، مثل الطبيب الذى يوصف بأنه متعدد الاختصاصات «إر إن أختى ir-en-akhty» ويشار إليه فى نفس الوقت بـ «نيرو بيهيوت neru pehuyt» التى يمكن ترجمتها إلى «راعى الشرج»، وغالبًا هو ليس المقصود براعى شرج الفرعون «نيرو بيهيوت بير آآ neru pehuyt per aa». كذلك هناك ما هو أكثر غموضًا وهو اللقب «آآآ مم خينو نت نتت aaa mum-khenu netnetet»، وترجمته «من يميز السوائل فى الـ «نت نتت netnetet» والكلمة الأخيرة غير معروفة المعنى.

والغريب أنه لم يتم الكشف عن اختصاصيين طوال المملكتين الوسطى والحديثة، والغالبية تم رصدهم فى المملكة القديمة، وهناك ثلاثة ينتمون إلى الحقب المتأخرة إبان زيارة هيرودوت لمصر (جدول 6 ـ 4).

(جدول 6 ـ 4) الاختصاصيون المعروفون

	المملكة القديمة والمرحلة المتوسطة الأولى	المملكة الوسطى	المرحلة المتوسطة الثانية والمملكة الحديثة	المرحلة المتوسطة الثالثة والحقبة المتأخرة
أمراض العيون	7*	-	-	2*
أمراض الجهاز الهضمى	2*	-	-	1*
أمراض الشرج	2	-	-	-
أمراض الأسنان والطب العام	3*	-	-	1
أمراض الأسنان فقط	2	-	-	-
الإشراف على الجزارين (طبيب)	3	-	-	-
فحص وتمييز السوائل فى الـ (نت نتت netnetet)	2*	-	-	-
العاملون فى أكثر من تخصص واحد	16*	-	-	3*

* الأطباء العاملون بأكثر من تخصص واحد.

ويحمل أطباء الأسنان لقبًا خاصًا بهم هو «إبه ibeh»، وكان ثلاثة من ضمن خمسة أطباء أسنان معروفين فى المملكة القديمة يحملون أيضًا لقب (سونو swnw) كما يحدث أحيانًا فى أيامنا هذه؛ حيث يوجد أطباء يحملون شهادتى تخصص: واحدة فى الطب، والأخرى فى طب الأسنان. وكان بعض الأطباء القلائل يعملون فى الكتابة بجانب مهنة الطب؛ مما يظهر ما كانت تحظى به مهنة الكتابة من التقدير والاحترام.

ولا يوجد فى البرديات وفى الكتابات الجنائزية ما يفيد أن الجراحة كانت فرعًا منفصلًا من فروع الطب، كما هو الحال الآن. وتحتوى بردية إيبرز على وصف لبعض العمليات الجراحية البسيطة، بالإضافة إلى ما تحوى من وصفات تُستعمل للأمراض

الباطنية العامة، كما لم يتم العثور إلا على بعض الرسومات القليلة لإجراءات جراحية بسيطة (انظر: الفصل الثامن). وفى مقدمة الفقرة (854 a) من بردية إيبرز الطبية، تقدَّمَ لقب طبيب (سونو swnw) على لقب كاهن (واب wab) لأحد كهنة سخمت، بينما انقلب هذا الترتيب فى بردية إدوين سميث الجراحية، فجاء لقب كاهن (واب wab) متقدمًا على لقب طبيب (سونو swnw)؛ مما قد يشير إلى أن الأول كان طبيبًا وأن الثانى كان جراحًا، حيث كان الكثير من الكهنة يمارسون الجراحة.

الجراح البيطرى

اقترح غليونجى أن كاهن (واب wab) سخمت قد يعنى جراحًا بيطريًا، ولم يأتِ ذكر عن هذا التخصص الأخير فى القاموس المصرى القديم إلا لقب «رخ كاو rekh kau» ومعناه (الرجل الذى يعرف الثيران)، والذى يمكن أن نعتبره الكاهن المسئول عن سلامة الحيوانات التى تقدم كقرابين.

وهناك ثلاثة من أطباء المملكة القديمة يظهرون فى الرسوم وهم يراقبون عملية ذبح المواشى؛ أحدهم هو «ونن نفر wenen-nefer» من الأسرة الخامسة؛ وكان أحد كهنة سخمت، كما كان فى الوقت نفسه «سى هيدج سونو sehedj swnw»؛ أى مفتش على الأطباء. أما الاثنان الآخران فكانا يحملان لقب كاهن (واب wab) قبل كلمة طبيب (سونو swnw) بغير ذكر لسخمت، ولما كانت الكلمة الهيروغليفية (واب wab) التى تعنى كاهنًا تعنى أيضًا «صِرْفًا أو فقط»؛ فيمكن أن نفهم أن هذين الآخرين كانا طبيبين بالفهم الحديث لطبيب الصحة العام، ولم يكونا كاهنين.

وفى مقبرة بتوسيريس التى تنتمى لبداية العصر البطلمى، نجد ما يشير إلى «مواشيه التى أصبحت كثيرة للغاية داخل الحظيرة بفضل مهارة كاهن سخمت»، إلا أن بردية كاهون البيطرية لا تذكر أى شىء عن دور كهنة سخمت فى العناية بالحيوانات.

أما النقش الموجود فى محاجر هات نوب، الخاص بـ «هرى شف ناخت Hery-shef-Nakht» فيظهر أيضًا زميله «أهـ ـ ناخت Aha-nakht» باعتباره كاهن سخمت بغير إضافة لقب طبيب، لكنه يحمل لقبًا إضافيًا وهو «رخ كاو rekh kau»، ويشارك صاحب المقبرة فى القيام بالمهام الطبية

رواتب الأطباء وتنظيم المهنة

لا نعلم بالتحديد كيف كان الأطباء يؤجَرون على عملهم فى العصور الفرعونية. لقد كان نظام المقايضة هو المعمول به قبل إدخال نظام النقود فى العصر المتأخر. وفى (جدول 1 ـ 4) نجد الهبات العينية اليومية الإضافية التى تعطى كبدل للأطباء العاملين فى مقابر قرية دير المدينة فى الأسرة التاسعة عشرة مترجمة إلى سعرات حرارية، ذلك بالإضافة إلى احتياجاته الأساسية التى يحصل عليها نظير عمله الأساسى الآخر فى هذه القرية.

وهناك المزيد من المعلومات حول تنظيم عمل الأطباء فى العصر البطلمى، فقد كتب ديودور الصقلى فى القرن الأول قبل الميلاد:

«يتلقى الجنود والعاملون فى الجيوش المصرية (سواء فى معسكراتهم أو فى رحلاتهم) الرعاية الطبية بدون مقابل؛ حيث كان الأطباء يتلقون رواتبهم من الدولة، ويقومون بوظائفهم حسب الأعراف المتبعة والقوانين التى سنها بعض أعلام الأطباء فى الزمن القديم.

وإذا لم يستطع الأطباء إنقاذ مريض ما بالرغم من اتباعهم هذه الأعراف والقوانين التى اطلعوا عليها فى الكتب المقدسة، لا يعاقبون ولا يساءلون.

أما إذا خالفوا القوانين المحددة بأى صورة فيقدمون للمحاكمة، وفى حالة إدانتهم قد يحكم عليهم بالموت. ولا ينبغى للأطباء أن يجعلوا أنفسهم فى منزلة أعلى ممن وصفوا هذه القواعد وأحكم منهم، وهى قوانين اتبعها الأطباء أجيالًا طويلة، ووضعها أكبر الأطباء معرفة وقدرًا».

هذا النظام لتقديم الخدمة الطبية يتفق مع ما يتسم به المصريون القدماء من تَحَفُّظ، لكننا لا نعرف ماهية الفئات التى تقدم لها الدولة الرعاية الصحية المجانية؛ هل القوات المسلحة والعاملون بالخدمة المدنية فى الدولة فقط؟ أم تغطى جميع فئات الشعب؟ وتصورنا أن بعض الأطباء لم يلتزموا بهذه القوانين الصارمة التى تحكم الممارسة الطبية، وقاموا بتقاضى أتعابهم بشكل مباشر من المرضى العاديين من الشعب.

من أعلام الطب المصرى القديم

أطباء خالدون (أسطوريون)

دى جير Djer

كان دى جير (أثوثيس) فرعونًا من الأسرة الأولى، دُفِنَ فى أبيدوس (حوالى 3000 ق. م). وتأتى المعلومات عن دوره فى الطب من مصدر وحيد، هو «تاريخ مصر» الذى خطه الكاهن المصرى «مانيتو Manetho» لليونانيين فى القرن الثالث قبل الميلاد، وفى مقدمة الفصل الثالث فقرة تصف دى جير بأنه **طبيب وعالم فى التشريح**. ولا توجد أى كتابات مصرية قديمة تؤيد ادعاءات مانيتو حول دى جير، وإن كان من الصعب أن تصدق أن فرعونًا يمكن أن يكون طبيبًا، وأن ينخرط فى الدراسات التشريحية فى هذا الوقت المتقدم للغاية.

إمحتب Imhoteb

كان إمحتب وزيرًا للملك زوسر (نت جرخت Netjerkhet) فى الأسرة الثالثة، وهو **مهندس ومؤسس هرم سقارة المدرج**، أقدم بناء حجرى فى التاريخ باقٍ حتى اليوم. وقد وصفه الكاهن مانيتو بأنه «الرجل الذى بفضل **مهارته الطبية** ذاع صيته وسط المصريين مثل أسكليبيوس عند اليونانيين».

وفى حوالى الأسرة التاسعة عشرة أصبح إمحتب من المؤلَّهين، وأُطلق عليه لقب «ابن بتاح». وفى الأسرة الثلاثين، ذُكر إمحتب باعتباره «الذى يستجيب لمن يلجأ إليه يطلب الشفاء وزوال المرض».

وفى العصر البطلمى، كان اليونانيون يعتبرونه مع أسكليبيوس **إلهى الطب** عندهم؛ لذلك أقام بطليموس الثامن ـ فى القرن الثانى قبل الميلاد ـ مقامًا لإمحتب فى معبد حتشبسوت فى الدير البحرى، أصبح فيما بعد مزارًا لطالبى الشفاء.



(شكل 6 : 2)

التمثال النحاسى الشهير لإمحتب جالسًا وعلى ركبتيه لفافة ورق بردى (الأسرة السادسة والعشرين ـ المتحف البريطانى).

ويُظهر (شكل 6 : 2) تمثالًا لإمحتب ضمن عدد لا يحصى من تماثيله الصغيرة التى شُكلت على نفس الهيئة وكانت تستخدم كتمائم. أما قبر إمحتب فلم يتم الاستدلال عليه.

وعلى الرغم من مواهب إمحتب المتعددة عظيمة القدر، يُرَجِّح علماء المصريات أنه لم يكن طبيبًا. إلا أن الطبيب البريطانى الكبير سير ويليام أوسلر أعلن فى عام 1923 أن «إمحتب هو أول طبيب يبزغ بجلاء منذ فجر التاريخ، وإن لم يمكن إثبات ذلك بشكل قاطع حتى وقتنا الحاضر، فإن عظمة هذا الرجل وقيمته تبقى شامخة حتى اليوم».

امنحتب بن هابو Amenhotep - Son - of - Hapu

عُثر فى معبد الكرنك على قاعدة لتمثال، نقشت عليها هذه العبارة التى نُسبت لإحدى بنات بسماتيك الأول من الأسرة السادسة والعشرين.

«أوه.. **أيها الأمير** إمنحتب بن هابو ـ لك الرحمة ـ تعال أيها الطبيب الماهر، استمع إلىَّ، إننى أعانى من عَيْنَىَّ.. اشفنى على الفور فقد صنعتُ لك هذا التمثال».

كان أمنحتب بن هابو كاتبًا ملكيًا ذا شأن عالٍ تحت إمرة أمنحتب الثالث من الأسرة الثامنة عشرة، **لكن ليس هناك ما يشير إلى أنه كان طبيبًا**، وقد أقام له الملك جنازة رسمية عظيمة «تقديرًا لشخصيته الرائعة»، ويُظَن أنه صار عَلَمًا منذ الأسرة السادسة والعشرين.

وهناك العديد من أضرحة الشفاء جمعت رموزًا لإمحتب وأمنحتب بن هابو جنبًا إلى جنب، ويُظهر (شكل 6 : 3) نقشًا على الحائط الشرقى لمعبد بتاح فى معبد الكرنك، وقد أصبح كل منهما يتميز بأيقونته الخاصة الشهيرة.

نت جر ـ حوتب Netjer - hotep

جاء ذكر نت جر ـ حوتب ثلاث مرات فى بردية برلين 163، على أنه الطبيب مؤلف البردية (انظر: الفصل الثانى). ومع ذلك هناك شك كبير فى وجوده كشخصية حقيقية، لذلك ربما يكون المقصود من كلمة «هى تب hetep» (من يهدئ) آلهة الشر وشياطين المرض (نت جر Netjer).



(شكل 6 : 3)

إمحتب (على اليمين) وأمنحتب بن هابو (على اليسار) تم تبجيلهما بعد وقت طويل من وفاتهما، وأصبحا رمزًا للشفاء. هذا النقش موجود على الناحية الخارجية للحائط الشرقى لمعبد بتاح داخل معبد الكرنك (الأسرة السادسة والعشرون أو بعدها).

عشرة أطباء مصريين مُختَارين

فى هذا الجزء، قمت باختيار عشرة أطباء من ذوى الشهرة الخاصة، سيتيحون لنا التعرف إلى مهنة الطب أيام المصريين القدماء. وقد حرصت على اختيار أمثلة من مختلف القطاعات الاجتماعية، وكذلك من مختلف أزمنة التاريخ الفرعونى، وقد حاولت إبراز الظروف المختلفة التى دفعت بهم إلى عالم الشهرة.

هسى رع Hesy - ra

الأسرة الثالثة، المملكة القديمة

يتفرد هسى رع بأنه **أول طبيب فى العالم**، حوالى (2650 ق.م). وهو رجل شديد التميز وذو مقام عالٍ، وحصل على العديد من الألقاب أيام حكم الملك زوسر، وكان معاصرًا لـ «إمحتب».

وتوجد مقبرته شمال هرم سقارة المدرج، والمقبرة تحتوى على ست لوحات رائعة مصنوعة من الخشب ومحفوظة فى حالة ممتازة، وقد نقلت جميعها للمتحف المصرى. وعلى الناحية اليمنى من قمة إحدى اللوحات (شكل 6 : 4) نجد نقوشًا لعصفور السنونو والحربة والسهم، تمثل لقب **كبير الأطباء وأطباء الأسنان** (ور إبه سونو wer ibeh swnw).

ومن الصعب تصور كيف استطاع هسى رع أن يجمع بين كل المراكز المرموقة التى كان يشغلها وبين ممارسة الطب وطب الأسنان؛ لذلك نتساءل، هل كان لقب «ور إبه سونو» لقبًا فخريًا؟ أم أن هسى رع كان طبيبًا ارتفع قدره فى مجالات أخرى، لكنه ظل معتزًا بمهنته ومؤهلاته العالية فى الطب وطب الأسنان، ووضعها على قمة لوحاته التذكارية؟. وربما لم يكن طبيبًا، ولكن يعمل فى إدارة



(شكل 6 : 4)

نقش خشبى ـ هسى رع الأسرة الثالثة ـ يظهر لقبه أعلى النقش على الناحية اليمنى «كبير الأطباء وأطباء الأسنان» (متحف القاهرة).

الخدمات الصحية مثلما ذكرنا مع ألقاب أخرى مثل مدير الأطباء ومفتش الأطباء. وإن كان من الصعب أن يكون قد حمل اللقب لمجرد الإدارة، وليس لأنه كان طبيبًا.

بس شت Peseshet

الأسرة الخامسة إلى السادسة. المملكة القديمة

للسيدة بس شت لوحة حجرية منقوشة فى مقبرة إِخت حوتب (الذى قد يكون ابنها) فى الجيزة. ونرى فى ثلاثة مواضع من اللوحة (شكل 6 : 5) جملة هيروغليفية «إيمى - إر - سونت imy - r - swnwt» تثير العديد من التساؤلات. فكلمة «إيمى - إر imy-r» تعنى «مراقِب» لذلك فالمراقِبة يجب أن تكتب «إيمت - إر imyt-r» حيث تجىء t للتأنيث، وعمومًا فإن المصريين القدماء لم يكونوا حريصين على تأكيد التأنيث فى الصفات. وفى اللوحة لقب آخر لـ«بس شت» وهو «إيمى - إرهم - كا imy-r hem-ka» وترجمته مراقب الكهنة الجنائزيين، والأرجح أنه خطأ فى التدوين، وكان ينبغى أن يكون «إيميت - إر - سونت imy (t)-r swnwt» كسابقتها، وقد ترجمه غليونجى إلى «**السيدة مديرة السيدات الطبيبات**».



(شكل 6 :5)

عمود للسيدة بس شت (الأسرة الخامسة إلى السادسة) يظهر لقبها «رئيسة الطبيبات» فى ثلاثة مواضع (مميزة بسهم عريض)، من مقبرة إخت حوتب بالجيزة (حسن، 1932).

والمعروف أن المصريين لا يستخدمون أداة التأنيث بالخطأ مع الاسم المذكر؛ وبالتالى فوجود حرف t (حرف التأنيث) فى الكلمة (swnwt) يعنى أنها طبيبة وليست طبيبًا، لذلك فالصفة (imy-r) سواء بوجود حرف التأنيث t أو عدم وجوده، تشير إلى بس شت، وتعنى «طبيبة رئيسة».

وهناك شاهد آخر على صحة ترجمة غليونجى، ففى المملكة القديمة يُستبعد أن تكون هناك امرأة رئيسة على الأطباء الذكور؛ لهذا فإننى أعتقد أن اللقب ينبغى أن يُترجم «رئيسة (امرأة) للطبيبات». وبذلك يمكن اعتبار بس شت أول طبيبة (امرأة) عُرفت فى عالم الطب. حتى إذا كانت بس شت امرأة مشرفة على الطبيبات «إيميت - إر سونت imyt-r swnwt» وليست طبيبة، فهذا يعنى وجود الطبيبات فى المملكة القديمة، أى منذ أربعة آلاف عام قبل ظهور إليزابيث جاريت أندرسون[1]، وإن لم نعرف اسم طبيبة مصرية أخرى حتى العصر البطلمى على الأقل.

مرى روكا Mereruka

الأسرة السادسة - المملكة القديمة

كان مرى روكا **وزيرًا للملك تيتى وزوجًا لابنته**، وكما يُتوقع فقد حظى بمقبرة عظيمة ملاصقة لهرم تيتى بسقارة (شكل 6 : 6). وتحتوى مقبرة مرى روكا على قدر من الألقاب يفوق ما تحتويه أى مقبرة أخرى، ومنها لقب فريد هو «إيمى - إر جيسوى دبت سونو بير آ آ imy-r geswy depet swnw per aa»، وترجمته حرفيًا «**مراقب جانبى قارب أطباء البيت الكبير (القصر)**». ويبين ذلك قواعد الملاحة التى تقسم طاقم ملاحة الزوارق (أو المراكب) إلى قسمين: طاقم تجديف على اليمين، وآخر على اليسار، وما زال هذا النظام يطبق حتى الآن فى البحرية الملكية البريطانية، حيث يقسم طاقم مراقبة السفن إلى مجموعتين: إحداهما للجانب الأيسر، والأخرى للجانب الأيمن من السفينة. والكلمات «إيمى إر جيسوى imy-r geswy» التى تعنى «مراقبة الجانبين» لها



(شكل 6 :6)

روح مرى روكا يظهر خارجًا من الباب السرى لمقبرته فى سقارة - الأسرة السادسة. ضمن ألقابه العديدة «مراقب جانبى قارب أطباء البيت الكبير (القصر)».

(1) أول امرأة (1836 - 1917م) حصلت على شهادة فى الطب فى بريطانيا، وأول امرأة اختيرت لمنصب العمدة - (المترجم).

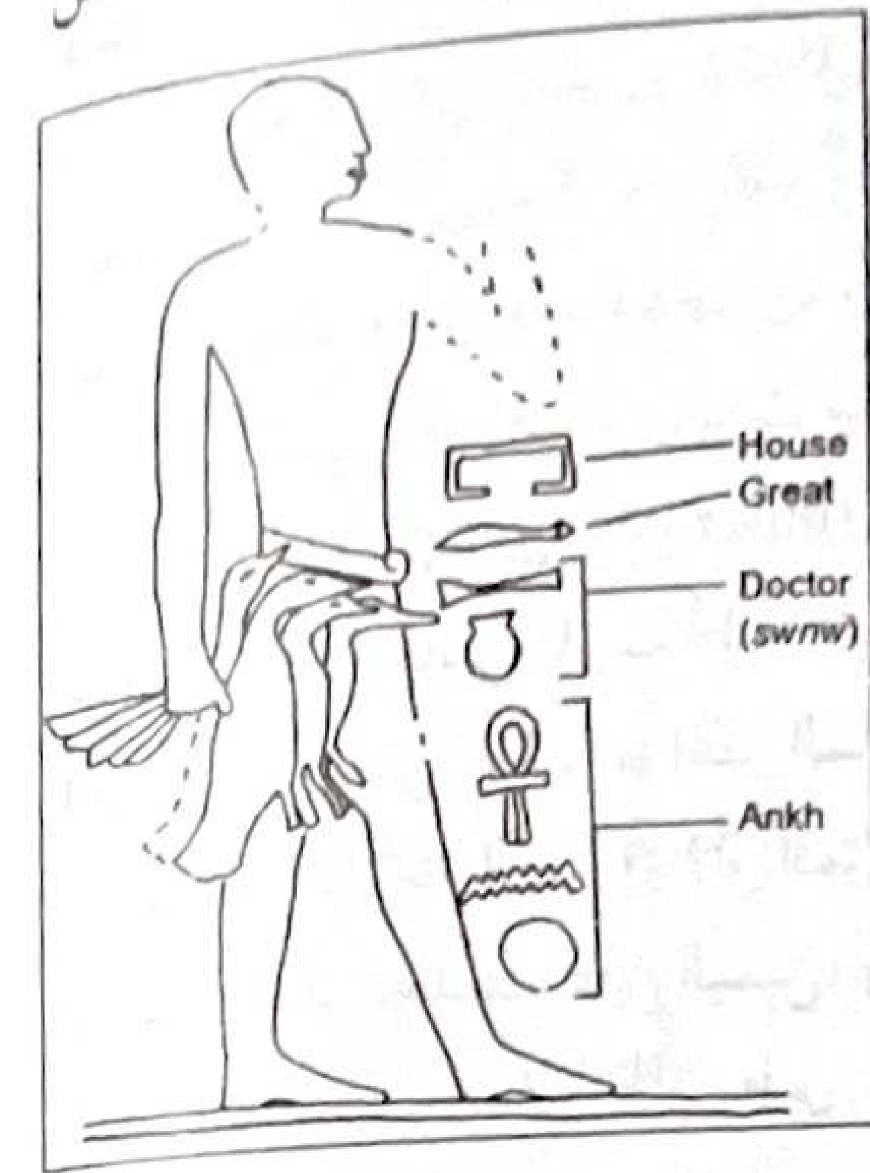
استخدامات أصلية خارج الحقل الطبى، منها تقسيم مجاميع العاملين فى المقابر الملكية فى وادى الملوك إلى فريقين، ثم تم استعارة هذه الجملة إلى المجال الطبى.

وقد اختلف علماء المصريات حول انتساب حامل هذا اللقب إلى الأطباء، والأرجح اعتباره ضمن الأطباء؛ لأن أدلة ذلك لا تقل عن أدلة اعتبار آخرين، مثل مدير الأطباء ومراقب الأطباء ومفتش الأطباء، وإن كان من الصعب تصور زوج ابنة الفرعون يعمل بالطب[1].

عنخ (أنخ) Ankh

الأسرة السادسة ـ المملكة القديمة

لم يتم العثور على قبر عنخ؛ لذلك يُعتبر مثالًا لبعض الأشخاص الذين اعتبرتهم الأجيال التالية أطباء؛ بسبب ذكر أسمائهم فى أحد النقوش على حائط مقبرة شخص ما. والمقبرة المقصودة فى حالة عنخ هى مقبرة الوزير عنخ ماهور، وهى ذات أهمية فريدة من وجهة النظر الطبية. ويظهر عنخ فى النقش (شكل 6: 7) قابضًا على أربع من البط كهبة جنائزية لصاحب المقبرة، وأمامه على اللوحة نجد نقشًا يحمل اسمه ولقبه «سونو بير آآ أنخ swnw per aa Ankh» أى (طبيب البلاط الملكى)؛ لذلك قد يكون صديقًا شخصيًا لعنخ ماهور أو قد يكون طبيبه الخاص، أو الاثنين معًا. وقد كان من المعتقد أن الأشخاص الذين يأتى ذكرهم على حوائط المقابر؛ يكونون أتباعًا لصاحب المقبرة فى الحياة الأخرى، ألا تكون محظوظًا إذا رافقك طبيبك الخاص فى حياتك الأخرى[2].



(شكل 6 : 7)

نقش يُظهر عنخ كمعطٍ للهبات فى مقبرة عنخ ماهور، مكتوب إلى اليمين (طبيب البيت الكبير عنخ) (الأسرة السادسة، سقارة).

(1) لم يذكر المؤلف سببًا لصعوبة تصور أن يعمل زوج ابنة الفرعون بالطب ـ (المترجم).

(2) وهل تحتاج إلى أن يرافقك طبيب فى الحياة الأخرى، سواء كنت فى الجنة أو فى جهنم! ـ (المترجم).

وكان عنخ ماهور، مثل مرى روكا، وزيرًا للملك تيتى، وكان لكل منهما مقبرة على هيئة مصطبة، وكانت المقبرتان متجاورتين وتقعان شمالى هرم مليكهما تيتى مباشرة. وكان لعنخ ماهور عدة ألقاب مهمة، لكن ليس من بينها ما له علاقة وثيقة بالطب، إلا أن مقبرته تحتوى على ما لا يقل عن سبعة شواهد ذات أهمية طبية لنا اليوم:

* صورة شخصية مرسومة لطبيب القصر عنخ.
* شرح لعملية الختان.
* منظر لتدليك أصابع اليدين والقدمين (شكل 6 : 14).
* صورة للقيلة المائية (انظر الفصل الرابع).
* رسم للأقزام من نوع نقص التعظم الغضروفى للعاملين على المراكب، يقومون بأعمال يدوية.
* صورة لإحدى حالات السمنة (شكل 4 : 11).
* صورة لتضخم الثديين عند الرجال (شكل4 : 11).

ولحسن الحظ أن عنخ ماهور حرص على تسجيل هذه المعلومات الطبية المهمة، وهناك ما يشير إلى أنه بذل جهودًا كبيرة فى تنفيذ هذه النقوش الموجودة فى مقبرته، إذ قام بطمس وإعادة نقش بعضها.

إر إن أختى Ir - en - akhty

فترة الاضمحلال الأولى

اكتشف الأثرى جنكر (عام 1928) فى الجيزة باب إر ـ إن أختى الوهمى (شكل 6 : 8)، وتتمثل أهمية هذا الأثر فى التخصصات الطبية المتعددة المدونة عليه، والتى كان هذا الطبيب يمارسها ويحمل ألقابها، وهى تشابه إلى حد كبير التخصصات الحديثة. فالنقوش على هذا الباب الوهمى تضم الآتى:

* طبيب القصر: (تظهر خمس مرات). «سونو بير آآ **swnw per aa**»
* مراقب أطباء القصر (البلاط). «سى هيدج سونو بير آآ **sehedj swnw per aa**»
* طبيب العيون فى البلاط. «سونو إرتى بير آآ **swnw irty per aa**»
* طبيب الجهاز الهضمى فى البلاط. «سونو خت بير آآ **swnw khet per aa**»
* طبيب الشرج. «نيرو فيوت **neru phuyt**»
* مختص السوائل فى الـ «نت نت» «آآ مم ـ خينو نت نتت **aaa mum-khenu netnetet**»

طبيب القصر الملكى
Doctor of the Royal Palace

المفتش على أطباء القصر الملكى
Inspector of Doctors of the Royal Palace

طبيب القصر الملكى
Doctor of the Royal Palace

إخصائى أمراض الجهاز الهضمى فى القصر الملكى
Gastroenterologist of the Royal Palace

إخصائى الشرج
Proctologist

طبيب القصر الملكى
Doctor of the Royal Palace

إخصائى طب العيون
Ophthalmologist of the Royal Palace

طبيب القصر الملكى Doctor of the Royal Palace

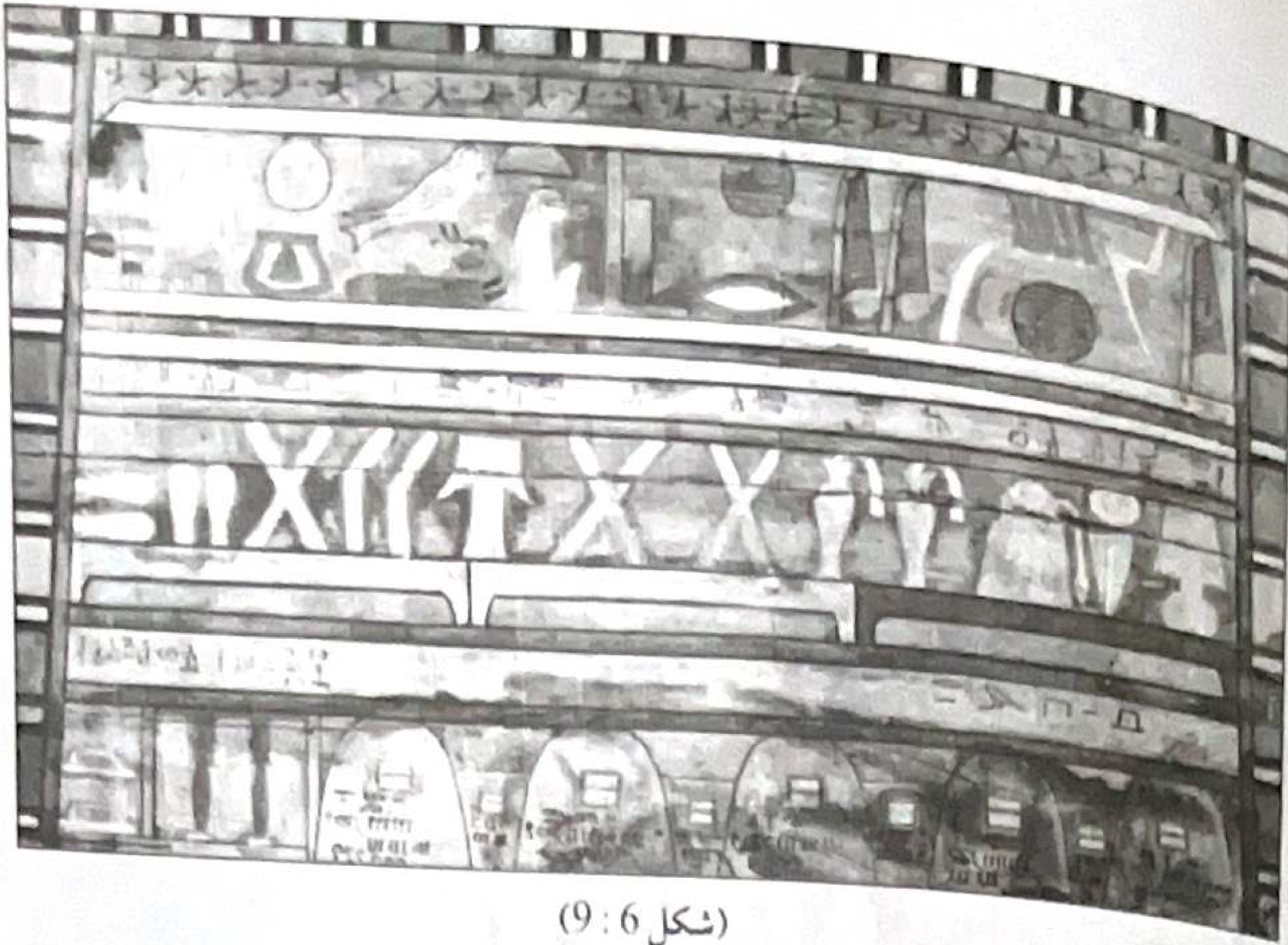
(شكل 6 : 8)

الباب الوهمى لـ «إر - إن - أختى» (فترة الاضمحلال الأولى) يُظهر التخصصات الطبية المشابهة لمثيلاتها الحديثة، والتى كانت تمارس فى البيت الكبير (القصر)، عثر على هذا النقش فى الجيزة.

الأخوان جوا وسينى Gua & Seni

الأسرة الحادية عشرة / الثانية عشرة - المملكة الوسطى

كان الشقيقان جوا وسينى من الأطباء السادة (ور سونو wer swnw). والتابوت الخارجى لكل منهما يُعتبر تحفة فنية رائعة من الخشب يعكس الطراز التقليدى للمملكة الوسطى، والتابوتان متجاوران فى المتحف البريطانى. وعلى كل تابوت نجد الرسم المعبر عن الطبيب (جراب يحتوى على سهمين) (شكل 6: 9). كما نجد فى موضع آخر نقشًا هيراطيقيًا يشبه لفافة من الخبز، يُعبر أيضًا عن السهام.



(شكل 6 : 9)

رسومات وكتابات من التابوت الخشبى لكبير الأطباء جوا (من البرشة - المملكة الوسطى). وتأتى كلمة طبيب هنا مختصرة على هيئة جراب داخله سهمان (تحت العصفور) (انظر أيضًا: شكل 6 : d1) (المتحف البريطانى).

رى نف - سى نب Renef - seneb

الأسرة الثانية عشرة . المملكة الوسطى

كان رى نف سى نب يحمل لقب طبيب سيد (ور سونو wer swnw)، وهو نفس اللقب الذى كان يحمله بعض الأطباء العظام الذين عانوا كثيرًا حتى يحملوا هذا اللقب، مثل هسى رع، وودجا هور رسنت. هذا بالرغم من أنه كان (طبيب موقع) فى بيئة صناعية غير مأهولة، ولم نجد ذكرًا لاسمه إلا ضمن أكثر من مائة اسم آخر فوق لوحة حجرية فى أحد محاجر سيناء (سيرابيت الخادم).

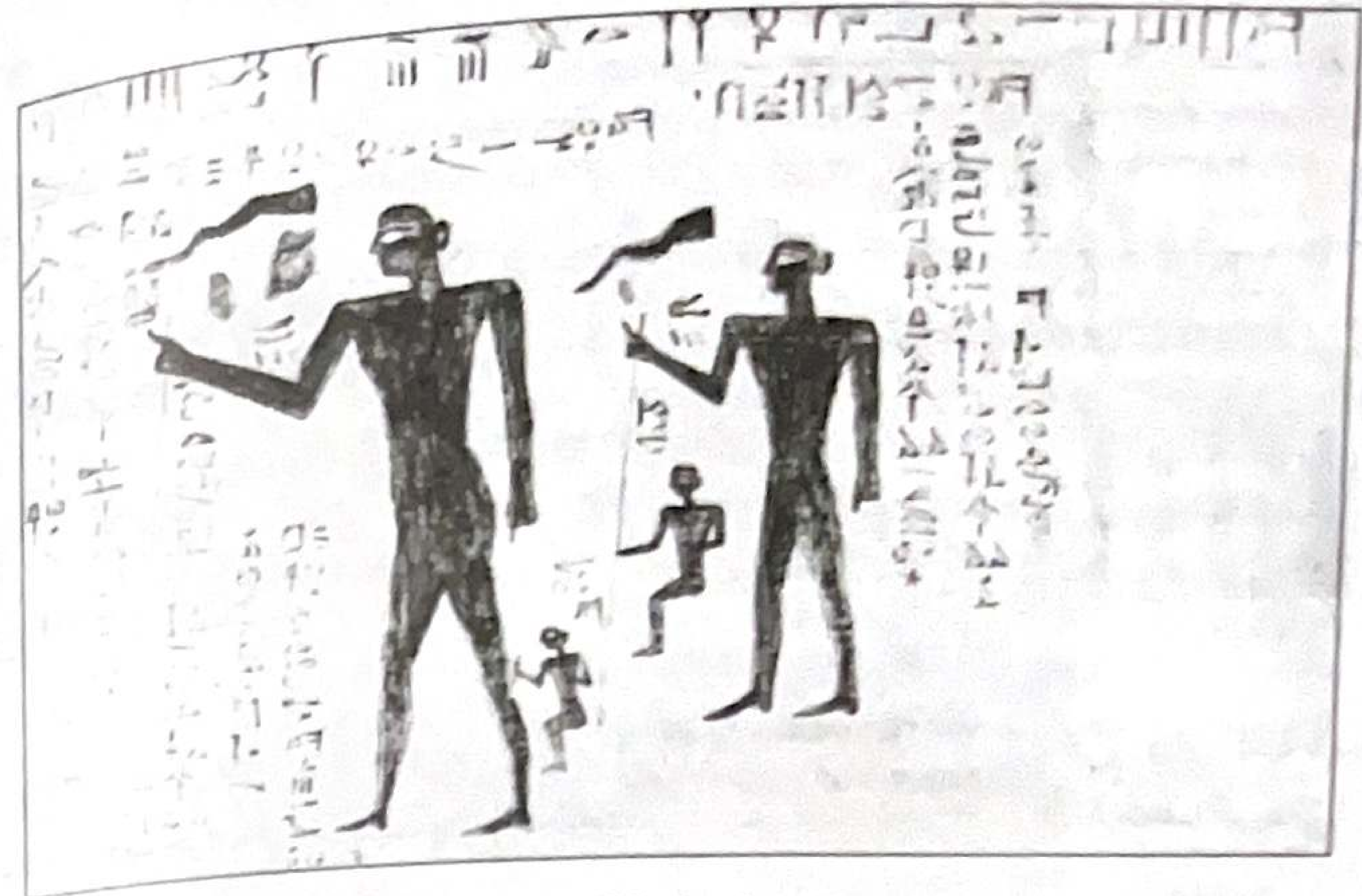
وقد عُثر فى نفس الموقع على نقوش حجرية أخرى تحوى اسمى طبيبين آخرين؛ وهما أكمو، والآخر مطموس الاسم ويحمل أيضًا لقب ساحر (ساو sau).

هرى - شف - ناخت Hery - shef - nakht

الأسرة الثانية عشرة - المملكة الوسطى

تحققت معرفتنا بالطبيب هرى - شف - ناخت من خلال نقش هيراطيقى (شكل 6 : 10) عُثر عليه فى محاجر الرخام فى هـاتنوب بالقرب من تل العمارنة. ويتفرد هرى -

شف ـ ناخت فى أنه كان يحمل ثلاثة ألقاب، فبالإضافة إلى أنه كان «ور سونو إن نيسو wer swnw n nesu» أى (كبير أطباء الملك)، فقد كان كاهنًا لسخمت)، وكذلك (مراقبًا لسحرة هيكاو). وتتضح قدراته الطبية من خلال هذه الفقرة:



(شكل 6 :10)

نقش هيراطيقى من محاجر الرخام فى هاتنوب (الأسرة الثانية عشرة)، يظهر كبير أطباء الملك هرى ـ شف ـ ناخت وزميله أها ناخت (خلفه وأصغر منه حجمًا).

«يقرأ لفائف البردى يوميًا[1]. وعندما يكون أحد مريضًا، فهو الذى يضع يديه عليه، ويعرف مرضه، وهو الذى يتمتع بمهارة فائقة فى فحص المريض».

ومن اللافت للنظر فى اللوحة (شكل 6 : 10) أن هرى ـ شف ـ ناخت يظهر خلفه وبحجم أصغر زميله أها ناخت؛ مما يوحى بأنه أقل مكانة منه. وكان أها ناخت كاهنًا لسخمت، ولم يكن طبيبًا ولا ساحرًا، إلا أنه يعمل بنفس الطريقة التى يتبعها هرى ـ شف ـ ناخت، فهو يضع يده على المريض (لعلاجه) بمهارة شديدة. ولم يذكر أنه كان يقرأ لفائف البردى وما بها من رُقى؛ مما يبعد عنه احتمالية العمل بالسحر. وقد كان أها ناخت أيضًا «رخ كاو rekh kau» أى يعرف الكثير عن الثور، وبذلك قد يكون طبيبًا بيطريًا.

---

(1) قد يكون المقصود أنه كثير الرجوع إلى المصادر الطبية، أو أنه يقرأ من اللفائف الرُّقى والتعازيم المطلوبة لشفاء المرضى ـ (المترجم).

بذلك يؤكد النقش بوضوح الدور المتوازى للطبيب وكاهن سخمت فى الممارسة التقليدية فى الطب، كما جاء فى فقرة من بردية إيبرز فى بداية هذا الفصل.

ودجا ـ هور ـ رسنت Wedja - hor - resnet

الأسرة السابعة والعشرون. الفترة المتأخرة

ودجا ـ هور ـ رسنت له تمثال دقيق مصنوع من البازلت الأخضر فى الفاتيكان (شكل 6 : 11). وكانت الرأس والكتفان والذراعان مفصولة عن جسم التمثال، ربما بواسطة الكهنة المصريين، وتم تركيب هذه الأجزاء (باستثناء الرأس) فى العصر الرومانى.



(شكل 6 : 11)

تمثال لكبير الأطباء ودجا ـ هور ـ رسنت (الأسرة السابعة والعشرين). على التمثال نقوش حول سيرة ودجا ـ هور ـ رسنت. الرأس مفقودة، ويتم تركيب ورفع بدائل عنها من وقت لآخر (متحف الفاتيكان).

وتوجد الكثير من الكتابات على التمثال وفوق قاعدته، وأيضًا على جدران الحجرة التى وُجد بها داخل أحد المعابد. وتمدنا هذه الكتابات بمعلومات كثيرة عن صاحب التمثال وعن ظهور الأسرة السابعة والعشرين الفارسية على يد قمبيز الثانى الذى أسند إلى ودجا ـ هور ـ رسنت منصب كبير أطباء.

وقد حمل الرجل العديد من الألقاب المرموقة، من بينها حامل خاتم الملك، ورفيق الملك الأوحد، ومدير القصر، وقائد البحرية الملكية. وعلى الرغم من شَغله كل هذه المناصب، فقد وصف نفسه بكبير الأطباء فيما لا يقل عن عشرة مواضع؛ مما يعكس اهتمامه الكبير بهذا اللقب.

وعلى خلفية قاعدة التمثال، نجد عبارة مهمة، تشير إلى تكليف صَدَر إلى ودجا ـ هور ـ رسنت من داريوس الأول (ثانى ملوك الأسرة السابعة والعشرين) بإعادة ترميم وبناء بيت الحياة «بيرأنخ per ankh»، الذى أصابه التصدع والخراب، وستتعرض لاحقًا لهذه الفقرة وما تحتويه من شواهد على دور «بيت الحياة» فى تعليم الطب.

أطباء تم التوصل إليهم مؤخرًا

نتيجة لدقة العمل والبحث الذى قام به علماء المصريات[1]، كان من الصعب أن يتم إغفال اسم أىٍّ من الأطباء. ومع ذلك فإن بعض الأطباء لم يتم حصرهم وتسجيلهم فى فترات البحث النشطة، ولكن تم التوصل إليهم لاحقًا، وهم:

دجاو جاو خوف Djuaw - khuf: كان مفتشًا على الأطباء، وطبيب العيون فى البلاط الملكى، ووصف بأنه «معروف لدى الملك». وقد ظهر اسمه فى لوحة فى مقبرة واش دوا بالجيزة، والتى ترجع إلى الأسرة الخامسة فى المملكة القديمة.

سانخو بتاح Sankhu - ptah: جاء ذكره كمراقب للأطباء فى رسم داخل مقبرته التى ترجع للأسرة السادسة.

تجاو Tjau: يظهر اسمه فى نقش داخل مقبرة «هم مين» فى الحواويش، ويرجع إلى بداية الأسرة السادسة. ولقب تجاو غير واضح، ولكنه قد يكون مراقبًا للأطباء (إيرى - خت سونو iry - khet swnw).

أنون Anon: على نقش فخارى من دير المدينة، يجىء ذكر طبيب طمس اسمه، فى إحدى المدائح لرع:

«الثناء على رع حين يذهب للراحة.. فى المركب المقدس الذى يطوف به من أرض إلى أرض، من أجل الراحل (أوزوريس) الكاتب والطبيب ... الذى قال: المجد لك.. رع .. المجد لك .. حين تستقر فى السماء».

ومن اللافت للنظر أنه لم يتم تسجيل أى من الأطباء بعد الأسرة السابعة والعشرين. وخلال العصر البطلمى كانت تظهر أحيانًا كلمة (سونو)، لكن فى هذا العصر أصبح معناها ـ بالإضافة إلى طبيب ـ يعنى أيضًا الحنوطى، فلا ندرى أيهما المقصود.

السمعة العالمية للأطباء المصريين

كان ينظر إلى الأطباء المصريين بالتقدير والاحترام فى الدول المجاورة. ففى المراجع الأكادية، أن رمسيس الثانى بعث بطبيب معروف يدعى بارياماخو، بناءً على طلب البلاط الحيثى «من أجل تحضير الأعشاب لأجل كارنتا ملك أراضى تارهنتاس». أما الطبيب

(1) جون خير، وفان دى فال، ودى مولينير، وغليونجى، وريتشارد باركنسون، وبيير كيرنسى، وروزالين بارك.

«نب إمن» من المملكة الحديثة، فقد وُجد مصورًا وهو يتلقى الهدايا مقابل الخدمات التى قام بها لأمير من سوريا.

والمعلومات حول سمعة الطب فى مصر قد تكون أكثر إقناعًا إذا جاءت من الخارج. ففى ملحمة الأوديسا، نجد هيلين تتعاطى عقارًا لعلاج الألم والحزن، وهذا العقار أعطته لها بولى دامنا ابنة تون المصرى:

«فى هذا المكان (مصر) نجد الأرض الطيبة تعطى الدواء الكثير؛ منه المفيد ومنه الضار، وهناك كل رجل يُعتبر طبيبًا، ويعرف عن الطب ما يفوق معرفة كل البشر».

ويصف هيرودوت ما حدث قبل الغزو الفارسى لبابل، حين طلب سيروس الثانى[1] من أحمس الثانى أن يُرسل إليه أكبر الأطباء المتخصصين فى طب العيون.

وعلى الرغم من الاعتزاز القومى الشديد، فإن المصريين أتاحوا لبعض الأطباء الغرباء العمل فى مصر؛ إذ توجد أدلة على أن أربعة أطباء بابليين (لا تُعرف أسماؤهم) عملوا فى مصر خلال المملكة الحديثة.

تدريب الأطباء

نقل المعرفة عبر العائلة

تحمل الكثير من النقوش الحجرية ما يثبت اتّباع الأبناء للآباء فى احتراف مهنة الطب، وقد كتب ديودور الصقلى المؤرخ اليونانى فى القرن الأول قبل الميلاد يقول:

«كانوا يتلقون العلم والنصائح منذ صغرهم على يد آبائهم وأقاربهم؛ كى يتعلموا الممارسات الصحيحة فى مختلف مناحى الحياة. وهم الأناس الوحيدون دون غيرهم الذين يحق لهم ممارسة هذه المهنة؛ لأن أسرار المهنة قد سُلِّمت إليهم من آبائهم».

ونجد التأييد لهذا الرأى فى بردية إيبرز (206):

«يجب عليك أن تحضر له الأدوية، وليكن ذلك سرًّا، لا يعرفه أحد، تحت إمرة الطبيب باستثناء ابنتك».

والجملة «تحت إمرة الطبيب» تعنى مَن يعمل معه فى هذا المجال، وليس مَن هم تحت

(1) كان سيروس الثانى الملك الفارسى الذى استولى على بابل عام 539 ق.م، وكان ابنه قمبيز هو الذى أسس الأسرة السابعة والعشرين (الفارسية) فى مصر عام 525 ق.م.

رعاية الطبيب. وبصرف النظر عن جنس هؤلاء العاملين (ذكورًا أو إناثًا) فإن الجملة أتت بصيغة الجمع، وترجمتها الموسوعة الألمانية إلى (الأقارب). وليس واضحًا من خلال الفقرة لماذا اختصت الابنة وليس الابن، وعلى كلٍّ فإن الفقرة تشير إلى انتقال المعرفة والممارسة داخل الأسرة[1].

ويحتوى حجر الأشمونيين المنقوش لـ«لونى» على اسمين لطبيبين كبيرين هما: «هوى Huy» و«خاى Khay»، وقد وُصِفت علاقة «خاى» بـ«هوى» بأنه «ابنه الذى خلد اسمه من بعده» (شكل 6 : 12). كما يبين (شكل 6 : 13) حجرًا آخر يُنسب إلى لونى أيضًا (متحف اللوفر)، ويشير إلى ابن آخر لـ«هوى» غير «خاى»، وهو الطبيب «خا - إم - واست». كذلك توصل الباحثون إلى عائلتين أخريين كانت الأولى تضم طبيبين، والثانية تضم ثلاثة أطباء، دون علاقة بنوة.



(شكل 6 : 12)

حجر لونى يُظهر (فى الفقرة الثانية) كبير الأطباء هوى وابنه كبير الأطباء خاى (الأسرة التاسعة عشرة) - انظر (شكل 6 : 13) (متحف الأشمونيين).



(شكل 6 : 13)

حجر آخر لـ«لونى»، فى الفقرة السفلية كبير الأطباء هوى وهو يتلقى البخور المقدمة إليه من ابنه، الطبيب خا - إم - واست (الأسرة التاسعة عشرة) - انظر (شكل 6 : 12) (اللوفر).

---

(1) وتؤكد الفقرة أيضًا معنى شديد الأهمية، وهو أن النساء كن يقمن بأعمال الطب (أو الصيدلة) فى مصر القديمة - (المترجم).

البرديات كمراجع طبية

كان للبرديات الطبية دور لا يقل أهمية عن المراجع الطبية فى وقتنا المعاصر (انظر: الفصل الثانى). وقد أخذت بعض البرديات صورة مراجع علم الأدوية الحديثة فاكتفت بأن ألحقت أسماء الأدوية بأسماء الأمراض، ذلك لأن الأدوية فى مصر القديمة كانت من الكثرة بحيث يصعب على الطبيب أن يتذكرها. وفى المقابل، تبنت بردية إدوين سميث وأجزاء من بردية إيبرز أسلوبًا آخر، قد يكون أكثر فائدة للطبيب؛ حيث استعرضت الحالات المرضية بطريقة منطقية منظمة؛ ابتداء من شكوى المريض، ثم الفحص الإكلينيكى، حتى الوصول إلى التشخيص النهائى، وأخيرًا يأتى دور وصف الدواء المناسب. وإذا كان من الصعب معرفة نسبة المتعلمين بين القطاعات المختلفة من الشعب، فلا شك أن الأطباء المطالعين لهذه البرديات كانوا على علم بالقراءة والكتابة. بل إن بعضهم كانوا يعملون ككتبة.

ومن المُرَجَّح أن أصول هذه المخطوطات الطبية كانت محفوظة فى «مدرسة الطب»، وأن الأطباء المحظوظين كانت لديهم نسخ لهذه المراجع. ولم تكن البرديات الطبية فى حوزة الأطباء فقط، فقد كانت بردية شستر بياتى (انظر: الفصل الثانى) ضمن مقتنيات عائلة غير طبية تقطن دير المدينة. وقد وُجدت نسخ البرديات التى وصلت إلينا فى مقابر مجهولة، وربما آلت إلى بعض الأطباء الذين لم يكونوا الورثة الحقيقيين لها.

هل كان بيت الحياة (بير أنخ per ankh) مدرسة للطب ؟

ذكر بعض علماء المصريات أن الأطباء المصريين القدماء كانوا يتلقون التدريب على ممارسة الطب فى بيت الحياة (بير أنخ per ankh) واعتبروه **أصلًا لمدارس الطب** فى أثينا والإسكندرية. ويؤكد ذلك ما وُجد على ظهر قاعدة تمثال ودجا - هور - رسنت (جاء ذكره سابقًا):

«أمرنى صاحب الجلالة الملك داريوس بالعودة إلى مصر؛ من أجل إعادة ترميم أجزاء بيت الحياة (الذى يُعنى بالطب) بعد أن أصابه التدمير والخراب. وقد فعل جلالته ذلك بسبب ما يراه من قيمة عظيمة لهذا الفن الذى يعمل على إنقاذ كل مريض».

ويرى أثريون آخرون أن بيت الحياة لم يكن جامعة أو مدرسة، ولكن كان مكتبة داخل المعابد لتجميع الكتب التى تعالج العقيدة والمعارف الأخرى، بذلك لا نرى أن يكون مدرسة للطب بالمعنى المعروف لدينا الآن.

الخدمات الطبية المعاونة

الصيادلة

إذا كانت البرديات الطبية (بما تحويه من وصفات علاجية) مكتوبة وموجهة للأطباء، فهل كان هؤلاء الأطباء يقومون بتحضير أدويتهم بأنفسهم؟ لقد كان هناك دائمًا جملة تسبق وصفة تحضير الدواء، وهى: «ثم عليك أن تُحضِّر له»، وفى بعض الأحيان نجد الجملة: «ثم عليك أن تكلف أحدًا بتحضير الدواء له». وهذه الجملة الأخيرة توحى بوجود أشخاص آخرين - غير الأطباء - تخصصوا فى تحضير الدواء، ولكننا لم نعثر فى اللغة المصرية القديمة على كلمة بمعنى صيدلى.

وهناك نقش خزفى مهم من دير المدينة يشير إلى حالات غياب عن العمل فى العام الأربعين من حكم رمسيس الثانى(1279 - 1212 ق.م). والسطر رقم 21 على واجهة النقش يوضح أيام غياب «با - هرى - بدجت pa - hery - pedjet»، والتكملة فى السطر رقم 22 توضح أن غيابه (مع غياب خنسو وحورمويا) فى بعض الأيام كان لتحضير الأدوية. ويوضح نفس النقش الخزفى أن كلًّا من خنسو وحورمويا قد غابا عن العمل بسبب المرض لمدة خمسة أو ستة أيام أخرى.

وبذلك قد يكون با - هرى - بدجت أول صيدلى عرفه التاريخ.

الممرضات

هناك العديد من الكلمات المصرية القديمة بمعنى الممرضة، وأغلبها يشير إلى «ممرضة البلل» أو «الممرضة المعنية برعاية الأطفال». والرموز الهيروغليفية المخصصة لهذه الممرضة هى امرأة ترضع طفلًا، وامرأة جالسة على كرسى تحمل طفلًا على

حجرها، وثدى امرأة. أما الكلمة المصرية القديمة «خن مت khenmet» والتى يُرمز لها بامرأة جالسة فتترجم إلى «ممرضة الجفاف»، ولم أعثر على ما يبين حقيقة عمل هذه الممرضة فى المجال الطبى[1].

القابلات

لا توجد كلمة مصرية قديمة بمعنى القابلة، كما لا توجد برديات طبية تشرح عملية الولادة، ومع ذلك لا يُتصور أنه لم يكن هناك سيدات لهن خبرات ومهارات فى مساعدة الأم فى عملية الولادة. وفى التوراة فى سفر الخروج (1 : 15)، أمر فرعون مصر القابلتين العبريتين شيف رع، وبوا بقتل جميع الأطفال الذكور الذين يقمن بعملية توليدهم. وفى المرجع الوحيد الذى يصف عملية ولادة (بردية وست كار) نجد الأم تساعدها أربع إلهات وليست قابلة أو طبيبًا، وبالطبع كانت هذه ولادة مقدسة. وسيتم مناقشة علم التوليد فى الفصل التاسع.

ممارسو العلاج الطبيعى

لا شك أن المصريين القدماء قد توصلوا إلى فوائد التدليك وتحريك مفاصل الإنسان، كما أدركوا ما يسببه ذلك من استرخاء. ونجد فى بردية وست كار (VII.15): «الساحر جى دى وقد وقف خادمه خلف رأسه ليدهنه بالزيوت، و يقوم آخر بتدليك ساقيه».

وفى (شكل 6 : 14) نرى رسومًا فريدة من مقبرتى عنخ ماهور وخن تيكا. وتبين الرسوم ما يمكن أن يكون تمرينًا لأصابع اليدين والقدمين لتحقيق الاسترخاء، بالإضافة إلى ما يُمارَس الآن من (مانيكير، وبيدى كير)[2]. وورود كلمتى «المريض» و«المعالج» فى الرسم يوحى بأن هذا علاج طبيعى مقصود لحالة مرضية. والتفاصيل

(1) إذا كانت الأشكال الثلاثة الأولى تشير إلى «ممرضة البلل» التى هى الممرضة المعنية برعاية الأطفال، فيمكن اعتبار أن «ممرضة الجفاف» هى المسئولة عن مهام التمريض الأخرى. ولا شك أن تخصيص بعض الممرضات للعناية بالأطفال أمر شديد الأهمية من الناحية الطبية، ويؤكد رُقى ما وصل إليه المصريون القدماء من حضارة - (المترجم).

(2) علاج اليدين والقدمين والأصابع والأظافر من البثور والتكلسات... إلخ.

الحديثة لهذا النوع من العلاج تتفق تمامًا مع هذه النقوش القديمة.

الضمدون

أظهرت عمليات التحنيط ما يتمتع به المصريون من مهارة فى لف الضمادات. وليس من الواضح ما إذا كانت كلمة «وت wet» تشير إلى الحنوطى (الذى يقوم بعملية التحنيط) فقط أم أنها تعود أيضًا على الرجل الذى يقوم بتضميد الإنسان الحى. والمرجع المهم يوجد فى بردية إدوين سميث (تعليق A على الحالة رقم 9) ويذكر «لف الضمادة التى فى يد الحنوطى (وت wet)». وإذا كان لا يوجد خلاف حول كلمة «سى شد seshed» التى تعنى ضمادة، فالسؤال هنا هو هل يقوم الحنوطى بلف الضمادة أم أنه يناولها للطبيب ليقوم بهذا العمل؟ وقد جاء فى الفصل الثالث ما يشير إلى انتقال المعلومات من الحنوطى للطبيب.



(شكل 6 : 14)

العلاج الطبيعى وعلاج اليدين والقدمين، (مانيكير وبيدى كير) أو للاسترخاء. مقبرتا خن تيكا وعنخ ماهور، تنتميان للأسرة السادسة، وتقعان بالقرب من هرم تيتى بسقارة.

ممارسة الطب التقليدى على يد الكهنة

لا شك أن بعض الكهنة قاموا بممارسة الطب بالطريقة التقليدية، وأشهر هؤلاء هم كهنة سخمت، وكهنة سركت.

كهنة سخمت

استشهدنا فى بداية هذا الفصل بما جاء فى بردية إيبرز وبردية إدوين سميث، من أن كلًّا من الطبيب وكهنة سخمت كانوا يقومون بوضع أياديهم على المريض لفحص النبض. كما يظهر دور كهنة سخمت فى ممارسة الطب التقليدى فى رسم «هاتنوب» التوضيحى، الذى يبين الكاهن أها ناخت واقفًا مع الطبيب هرى - شف - نخت (شكل 6 : 10) مما يعنى أن دوريهما متشابهان، وما جاء عن أها ناخت يثبت ذلك:

«أنا أها ناخت كاتب ساحة القضاء.. وكاهن سخمت القادر الماهر، الذى يضع يده على المريض ليعرف مرضه. مهارته رفيعة فى فحص المرضى. ويعرف الكثير عن الثيران».

ويبدو من ذلك جليًا أن كبار كهنة سخمت كانوا يمارسون الطب التقليدى، واستخدموا القواعد الطبية التى جاءت فى البرديات الطبية والتى يستخدمها الأطباء. وتعنى جملة «الذى يعرف الكثير عن الثيران» أن أها ناخت كان أيضًا طبيبًا بيطريًا.

كهنة سركت

كانت سركت ربة العقارب، وقد تأكد قيام كهنتها بدور مهم فى علاج لسعات ولدغات الحشرات والزواحف السامة. و يُظهر الحجر المنقوش لـ«باكى» من قرية عمال المقابر فى دير المدينة أن «إمن موس» كان يحمل ألقابًا مختلفة، من بينها خادم دار الحق (قرية الموتى)، ومدير سركت، وخادم سيد الواديين فى دار الأبدية، ويُعْتَقَدُ أنه كان يقوم بمتابعة مرضى القرية تحت إشراف طبيب جاء ذكره فى قائمة العطايا التى كانت تصرف للعاملين بالقرية.

وأهم الشواهد على دور كبار كهنة سركت فى ممارسة الطب التقليدى، نجده فى

بردية بروكلين التى تتناول مشكلة لدغ الثعابين. وبداية الجزء الأول من البردية مفقود، لكن الفقرة الأولى من الجزء الثانى (رقم 39) جاء فيها:

«الأدوية اللازمة للتخلص من سم جميع الثعابين وجميع العقارب وجميع العناكب وجميع الحيات، وكذلك لطرد جميع الثعابين وغلق أفواهها، والتى يستخدمها كبار كهنة سركت».

ويلى ذلك عدد كبير من الرُّقى والتعازيم، ومن العقاقير، المرتبة بطريقة تشابه البرديات الطبية. وتم تصنيف هذه العقاقير حسب كل نوع من أنواع الثعابين التى تلدغ الإنسان، وأيضًا حسب الأعراض الإكلينيكية التى يعانيها المصاب. وهذا يعطى شواهد أكيدة على أن دور كهنة سركت فى مجال العلاج لم يكن قاصرًا على السحر والاستعانة بقوة الآلهة، لكن اتبع أيضًا الطرق العلمية فى التصرف حيال المشكلات الطبية بطريقة تشابه ما يقوم به الأطباء.

الخلاصة

لا شك أنه كانت هناك طبقة من **الأطباء المحترفين** طوال الحقب الفرعونية المتتالية، وكان من بينهم من ينعمون بقمة المستوى الاجتماعى، ومنهم من يعملون كأطباء بسطاء. كذلك كانت بعض الشخصيات البارزة فى المجتمع، والبعيدة عن مجال الطب، تطلق على نفسها لقب طبيب (سونو) من باب الوجاهة الاجتماعية.

ولم تكن الممارسة الطبية قاصرة على **الأطباء فقط**، لكن نجد **لكهنة** سخمت وكهنة سركت والكثير من **السحرة** دورًا فى الرعاية الطبية الأولية، وإن كان بإسهامات متواضعة. أما **الخدمات الطبية المعاونة** فدورها أقل وضوحًا فى المصادر الطبية.

* * *

الفصل السابع

العلاج الدوائى

Drug Therapy



- البدائل العلاجية
- أساسيات العلاج الدوائى
  - مبادئ عامة للعلاج الدوائى
  - جمع وتحضير الدواء
  - جرعات الدواء
  - طرق تناول الأدوية
- دستور الأدوية عند المصريين القدماء: مصادر الأدوية
  - الأدوية ذات الأصل المعدنى
  - الأدوية ذات الأصل الحيوانى
  - الأدوية ذات الأصل النباتى
- دستور الأدوية عند المصريين القدماء: استخدامات (مجموعات) الأدوية
  - المخدرات والمهدئات ومسكنات الألم
  - أدوية لأمراض الجهاز الهضمى
  - أدوية لأمراض الجهاز البولى
  - أدوية للتخلص من السعال
  - أدوية لأمراض النساء
  - أدوية لأمراض العيون
- الخلاصة

من البديهى أن دستور الأدوية[1] عند المصريين القدماء كان فقيرًا إذا قورن بالدساتير الحديثة. وقد كان استخدام الأدوية موجهًا للتخلص من الأعراض المصاحبة للمرض أو تقليلها، وليس للقضاء على مسببات المرض والتخلص من المرض ذاته. لهذا كان العلاج مبنيًا على التجريب فى معظم الأحوال، ولم يكن ذلك مستغربًا، بل لا مناص منه؛ لأن اكتشاف مسببات الأمراض وطبيعتها لم يأت إلّا متأخرًا.

ومن المفيد هنا أن نعرض البدائل العلاجية، التى كانت متاحة فى الألفيتين الثانية والثالثة قبل الميلاد.

البدائل العلاجية

تُعتبر الرعاية بالعطف والحب (TlC)[2] أسلوبًا علاجيًا شديد الأهمية للتعامل مع المرضى، وله تأثير إيجابى فى كثير من الأحيان، خاصة حالات الألم المزمن والأمراض النفس جسمية[3]؛ لذلك عند تجربة أى نـظام علاجى أو عقار جديد لمعرفة مدى إيجابيته، ينبغى أن تُقارن نتائجه بنتائج الرعاية بالعطف والحب. وتدل الاعترافات التى يقر بها الموتى عند محاسبتهم فى الحياة الأخرى (الفصل 125 من «كتاب الموتى») على أن المصريين القدماء كانوا يتعاطفون كثيرًا مع مرضاهم، وأن الأطباء وغيرهم من القائمين على العلاج اهتموا بالرعاية النفسية للمرضى.

(1) دستور الأدوية pharmacopia هو مرجع يحتوى على الأدوية المختلفة المسموح باستخدامها فى العلاج، مع ذكر استخداماتها وجرعاتها وآثارها الجانبية. ولكل دولة دستور الأدوية الخاص بها، وأشهرها دستور الأدوية الأمريكى والبريطانى ـ (المترجم).

(2) Tender loving car أسلوب علاجى يُستخدم فى العصر الحديث ـ (المترجم).

(3) الأمراض النفس ـ جسمية Psychosomatic diseases: مجموعة من الأمراض يشكو فيها المريض من أعراض عضوية بسبب اضطرابات أو توترات نفسية، ومنها القولون العصبى وبعض حالات رفرفة القلب والصداع وغيرها ـ (المترجم).

وقد لجأ المصريون القدماء كثيرًا إلى **السحر والتوسل إلى الآلهة** الخيرة من أجل شفاء المريض، ونجد فى البرديات العديد من **الأدعية والرُّقى والتعازيم** التى كانوا يستخدمونها منفردة أو بمصاحبة الأدوية والعلاج التقليدى، وقد عرضنا هذه الأساليب بالتفصيل فى الفصل الخامس. كما تشير المصادر إلى العديد من الحالات التى تحسنت باستخدام هذه الأساليب غير الطبية، والتى تُمارَس فى جميع الحضارات منذ فجر التاريخ وحتى أيامنا هذه.

وكان **الغذاء** يحظى بقدر كبير من الاهتمام من أجل المحافظة على الصحة والحالة العامة. ومن خلال فحص البقايا الآدمية وقراءة البرديات الطبية لا نجد ما يشير إلى اضطرابات غذائية خلاف السمنة المفرطة والنحافة؛ لذلك نعتقد أن الأطباء المصريين قاموا بواجبهم وقدموا النصائح بتناول الطعام المفيد واتباع نظام غذائى صحى. وهناك فى البرديات الطبية العديد من الوصفات التى تضم العناصر الغذائية التى كانوا يستخدمونها كعقاقير طبية، وليس فقط بهدف إصلاح النظام الغذائى.

أما **الجراحة**، فكانت خيارًا علاجيًا مهمًا فى بعض الحالات، وتكشف بردية إدوين سميث عن تدخلات جراحية مناسبة تمامًا فى **حالات الإصابات**؛ مثل خياطة الجروح وتثبيت الكسور العظمية واسترجاع خلع المفاصل. وحتى بداية العصر اليونانى - الرومانى، لم يكن هناك (بالإضافة للإصابات) سوى التدخلات الجراحية البسيطة، مثل فتح الخراريج، وإزالة بعض الأورام البسيطة السطحية، وستتم مناقشة ذلك تفصيليًا فى الفصل القادم.

كما كانت هناك ممارسة لبعض أشكال **التدليك والعلاج الطبيعى**. وفى الفصل السادس ذكرنا بعض الشواهد من بردية وست كار، كما درسنا بعض نقوش المقابر التى تصور جلسات للعلاج الطبيعى (شكل 6: 14). ولا يوجد فى المراجع الطبية ما يدل على قيام الطبيب بهذا النوع من العلاج؛ مما يشير إلى وجود من يقابل إخصائيى العلاج الطبيعى فى عصرنا الحديث.

ومع البدائل العلاجية التى ذكرناها نجد أن أهم الطرق وأكثرها شيوعًا هو **العلاج الدوائى** بمصادره المتعددة، من مواد معدنية وحيوانية ونباتية، ويتم استخدامه وتناوله بعدة طرق، وقد عُرف عن المصريين القدماء براعتهم فى هذا المجال.

أساسيات العلاج الدوائى

مبادئ عامة للعلاج الدوائى

كان التعامل مع العقاقير فى مصر القديمة يتبع درجة كبيرة من **العقلانية** بمقاييس هذه العصور، وإن كان يبدو غريبًا إذا نظرنا إليه فى ضوء التقدم الطبى العلاجى الحالى. وحتى نستطيع أن نتفهم ما حدث فى القديم الغابر ينبغى أن نستدعى التغيرات الهائلة التى مرت بنا فى العصر الحديث، والتى تمثل **ثورة دوائية** ذات ثلاثة جوانب:

أولًا وقبل كل شىء؛ لقد حدث تغير مهم فى إستراتيجية العلاج، فأصبح موجهًا **للقضاء على مسببات الأمراض** (التى تم التوصل إلى معظمها) وليس لمجرد تخفيف الأعراض المرضية.

ثانيًا؛ الاستخدام الأقل **للمستحضرات الطبية الطبيعية** (كالأعشاب) كأدوية، رغم أن حوالى 25٪ من المواد الفعالة التى تدخل فى الأدوية الحديثة تم اكتشافها فى النباتات، وبعد التوصل إلى المادة الفعالة بها تم تحضير الجزىء الفعال بالشكل الأمثل، ثم استخدامه ضد مرض معين كدواء جديد؛ لذلك لم يعد لدراسة علم النبات أهمية لطلاب الطب.

أما التغير الثالث الذى كان له تأثير فى الثورة الدوائية، فهو **تحسن طرق تقدير فاعلية العقار، وكذلك سُمِّيته**.

لقد كانت هذه العوامل غائبة عن الممارسة الطبية عند المصريين القدماء، وكذلك فى أوروبا حتى حوالى مائة عام مضت. فقد كان الفراعنة يعرفون القليل عن أسباب الأمراض الداخلية؛ لذلك **كان من النادر توجيه العلاج لأسباب المرض**. كما أن معظم الأدوية الطبيعية والمواد الكيميائية البسيطة التى تُستخدم الآن **ليس لها إلا القليل من التأثير العلاجى**. وحتى وقتنا الحاضر، فإن أقل من 10٪ من الـ 250.000 جنس من النباتات المزهرة فى العالم قد دُرست لاستكشاف قيمتها الطبية. وإذا تم التوصل للنبات ذى الفائدة المأمولة، فإن المواد الفعالة تحتاج إلى عمليات استخلاص معقدة.

ثم يأتى دور تقدير **الفاعلية الدوائية، الذى ثبت أنه أصعب كثيرًا** مما يعتقد البعض، ذلك أن توقع الشفاء عند استخدام عقار ما له تأثير نفسى قوى على المريض، خاصة فى

حالات الألم (جدول 7 ـ 1)؛ لذلك لا بد من استبعاد هذا العامل النفسى عند تقييم التأثير الفعلى لأى دواء. ولتحقيق ذلك، يقوم الأطباء قبل طرح الدواء للاستعمال البشرى بمقارنة فاعليته بفاعلية هذا التأثير النفسى، ويتم ذلك باستعمال مركبات خالية من المادة الفعالة (**دواء إيحائى Placebo**) موضع البحث؛ بشرط ألا يعرف كلٌّ من الطبيب والمريض أيًا من الدواءين قد أعطى للمريض؛ الدواء الأصلى أم الدواء الإيحائى. ويطلق على هذا الإجراء (العمى المزدوج)، أى جهل كل من المريض والطبيب بحقيقة الدواء محل الاختبار. وبالتأكيد لم يهتم الطبيب المصرى القديم بالتفرقة بين التأثير الحقيقى والتأثير الإيحائى لأى دواء.

ويزيد من صعوبة تقييم فاعلية الدواء، ميل المصريين القدماء لاستخدام خلطات معقدة من التركيبات الطبية. وتضم بردية إيبرز (663) 37 دواء كان بعضها يستخدم معًا، ولا نعرف أيًا من هذه العقاقير كان الطبيب المصرى يعتبره الدواء الأكثر فاعلية.

علـى أن هـناك جانبًا إيجابيًا فى هذه المشكلة؛ فإن عددًا لا بأس به من المرضى يستفيد من هذا التأثير الإيحائى لمستحضر قد يكون غير مؤثر. ولا يفيد ذلك فى مجال العقاقير فقط، بل هناك التأثير النفسى للرقى والتعازيم السحرية التى يتلوها كهنة سخمت، والتى قد تحقق قدرًا من التحسن فى بعض الأمراض دون اللجوء للطبيب ووصفاته الدوائية.

جدول 7 - 1. الدراسات الأولى لتقويم «العلاج الإيحائى Placebo» للتخلص من الألم بعد العمليات الجراحية (1953م).

المادة المستخدمة	نسبة المرضى الذين تخلصوا من الألم
الأسبرين (300 مجم)	50%
علاج إيحائى	40%
مورفين (10 مجم)	41%
علاج إيحائى	32%
كودايين (60 مجم)	39%
علاج إيحائى	34%

الفرق بين نسبة المرضى الذين تخلصوا من الألم بواسطة الأدوية والذين أُعطوا علاجًا إيحائيًا، الفرق لا يعتد به وليس ذا دلالة من الناحية الإحصائية.

كذلك كان للاعتبارات السحرية تأثير فى عملية اختيار الدواء. فقد كان قدماء المصريين ـ كما هو الحال فى معظم أنحاء العالم القديم ـ يصفون بعض المواد (من أصل حيوانى أو نباتى أو غير عضوى) ذات الصفات التى يأمل المعالج أن تنتقل إلى المريض، على مبدأ أن «المعلولة تُشْفَى بمثيلها». وكمثال لذلك، الوصفة التى تضم بيض النعام لعلاج كسر فى الجمجمة؛ باعتبار أن الجمجمة مثل قشرة البيض (إدوين سميث الحالة رقم 9).

جمع وتحضير الدواء

جمع الدواء

لم يصل إلينا الكثير حول طريقة الحصول على المواد الأولية اللازمة لتحضير العقاقير. فبعض المواد الحيوانية كان مصدرها حيوانات الحقل أو الحيوانات المنزلية، وكان هذا المصدر متيسرًا. والبعض الآخر يتم الحصول عليه من الحيوانات البرية والمفترسة مثل الأسد؛ مما يتطلب ترتيبًا خاصًا مع الصيادين. وكانت عملية الحصول على إفرازات التمساح (كانت تستخدم كوسيلة لمنع الحمل - بردية كاهون 21) لا تخلو من المخاطرة. كذلك بول الفتاة العذراء (إيبرز 729، برلين 60، و64، و109) كان له عدة استخدامات، فهل كانت هناك سوق لتداول هذا البول؟ ولا شك أن الحصول على بعض المواد كان يمثل تحديًا لمن يجمعها؛ مثل العصارة الصفراوية للسلحفاة (إيبرز 347)، وبقايا براز الذباب من على الحوائط (إيبرز 782).

وقد كانت معظم المستحضرات المعدنية المستخدمة لتحضير الأدوية متوفرة فى مصر القديمة، ومن السهل الحصول عليها، غير أن بعض المركبات مثل العقيق الأبيض، الذى كان يستخدم فى بعض حالات العين المرضية كان يستورد من أفغانستان؛ لذلك كان غالى الثمن.

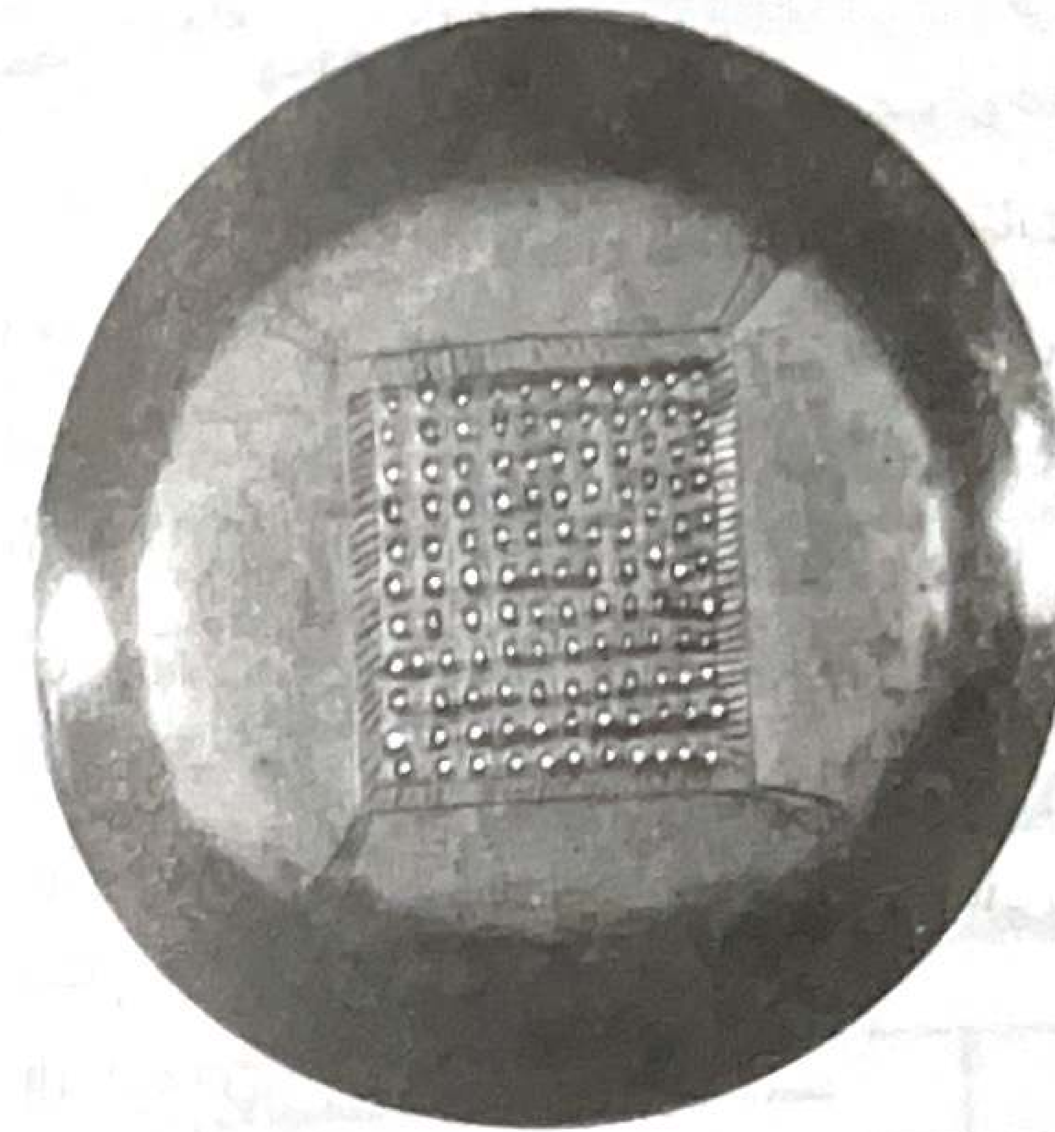
وكان يتم تحضير الكثير من الأدوية من النباتات؛ وكان بعضها نباتات غذائية فى متناول اليد (انظر: جدول 1-1، و1-2، و1-3). ولا نعرف إن كان المصرى القديم قد خصص حقولاً لزراعة الأعشاب الطبية، أم كان يقوم بتجميع هذه النباتات من الحقول المتناثرة والمناطق البرية؟ كما لا نعرف من كان يقوم بتجميع تلك الأعشاب والنباتات الطبية؛ هل

الطبيب والعاملون فى مجال العلاج، أم كان هناك أشخاص متخصصون فى جمع هذه المواد؟. وتعطينا بردية إيبرز 294 (والمطابقة لبردية هرست 35) صورة موجزة لعملية جمع أحد الأعشاب غير المعروفة والمسماه «سى نو تت Senutet»:

«أول الأدوية التى تستخدم للتخلص من المخاط (سى تت setet)(1) ودفعه للخارج عن طريق الحوض (نى فو nephu) هو عشب «سى نو تت»، وهو نبات زاحف مثل نبات الـ «كادت».. ويعطى زهرة مثل زهرة اللوتس.. إذا عثرت على أوراقه التى تشبه الخشب الأبيض، فاجمعها وقم بدعك الحوض بها، عندها سيخرج المخاط على التو. أما الثمرة، فتُعطَى مع الخبز للمريض الذى يعانى من (ويخيدو wekhedu)(1).. لكى يخرج المخاط من الحوض».

تحضير الدواء

يقوم المعالج بتحضير الدواء اللازم لأى حالة مرضية من بين ما فى حوزته من عقاقير؛ لذلك نجد أول جملة فى علاج الحالة المرضية تنص على: «وعليك فى هذه الحالة أن تُحَضِّر «إر ir» له..». ثم تأتى بعض العبارات عن **خطوات وطرق التحضير**، مثل طحن (ندج nedj) وطبخ (بس pes)، أما كلمة (أتخ atekh) فتعنى عصره (الضغط عليه) ثم تصفيته عن طريق مصفاة نحاسية مخرمة (شكل 7 : 1). وفى بعض الأحيان نجد تعليمات مشددة للحصول على مزيج متجانس (كأنها شىء واحد ـ إم خت وات m khet wat) لمجموعة من المكونات لتحضير عقار ما.



(شكل 7: 1)
مصفاة من سبيكة نحاسية (العصر البطلمى ـ 200 عام ق.م)
(المتحف البريطانى).

ويمكن الحصول على مُستخلَص المواد العشبية باستخدام الماء أو الكحول أو الزيت،

(1) كلمتا setet، و wekhedu صعبتا الفهم، وتم تناولهما فى الفصل الثالث.

تبعًا لقابلية ذوبان المادة الفعالة. فإذا كانت المادة الفعالة من أشباه القلويات (مثل الأتروبين، والنيكوتين، والكينين، والمورفين) فيتم استخلاصها بالكحول، ولا شك أن النبيذ والجعة يحتويان على أكبر قدر من الكحول من بين المشروبات المتاحة فى مصر القديمة.

وتستخدم كلمة «سيدجر sedjer» التى تعنى «الشخص الذى يقضى الليل»، ويُرمز لهذا المعنى بشخص راقد فى فراشه، للتعبير عن استخلاص السوائل، كما جاء فى هذه الفقرة:

«فى هذه الحالة يجب عليك أن تحضر له مشروبًا من: تين $\frac{1}{8}$، لبن $\frac{1}{16}$، جميز مشقوق $\frac{1}{8}$، وتقضى جميعها الليل فى جعة محلاة $\frac{1}{10}$، ثم يُصفَّى، ثم يُشْرَبُ بالقدر الكافى، وسيشعر المريض بالراحة فى الحال». (إيبرز 202).

وهناك وصفة غريبة، وهى «كتاب قديم يغلى فى الزيت» (إيبرز 262) وقد وُصف لمساعدة طفل (يعانى احتباسًا بوليًا) على التبول، لكن ليس من الواضح إذا كان هذا مقصودًا كعلاج طبى أم محاولة ساحر الاستعانة بما فى الكتاب القديم من حكمة!!

السوائل الحاملة

يعتبر **الماء** أهم السوائل الحاملة للمركبات الطبية، وجاء التعبير عنه فى الطب المصرى القديم بكلمات أخرى مثل «ندى»؛ لذلك هناك إحدى التعليمات التى توصى بوضع مكونات أحد الأدوية «طوال الليل فى الطراوة، قبل تناولها» (إيبرز 19و 21). وهناك سوائل ناقلة أخرى مثل **العسل**، و**اللبن**، و**الزيت**، و**النبيذ**، و**الجعة**.. وقد يستخدم اثنان من هذه السوائل معًا. وكل من هذه السوائل الخمسة كان يعتبر فى بعض الأحيان دواءً قائمًا بذاته، خاصة العسل، انظر هذه الفقرة عن رجل يعانى من معدته:

«يجب عليك أن تحضر لهذه الحالة دواء: هيماتيت (أحد أكاسيد الحديد) يطحن جيدًا، وأضف له «دش desh» (غير معلوم) وخروبًا. يطهى المزيج فى زيت وعسل ـ ويتناوله المريض فى الفجر أربعة أيام متتالية». (إيبرز 197).

وكان **الزيت أو الدهن** «مير هت merhet» سلعة ذات قيمة؛ حيث كان يستخدم للإضاءة بجانب استخدامه فى الطبخ والطب. وحين كان يُستخدم كسائل حامل نادرًا ما كان يذكر نوع الزيت المستعمل. ولم يكن زيت الزيتون معروفًا حتى أدخله اليونانيون مصر، وكان

أهم مصدر له هو شجر المورنجا (باج bag) وثمار (إشد Balanites aegyptiaca - ished)، وأيضًا الـ (سيفت sefet)، والأخير نوع من الزيوت التى تستخلص من شجر التلوب (آش ash) وكان له استخدامات طبية مهمة، ويعتبر واحدًا من الزيوت السبعة المقدسة التى تم التعرف إليها. وجاء ذكر زيت الخروع فى العديد من العلاجات كمادة فعَّالة (انظر: لاحقًا). وجاء أول ذكر لاستخدام زيت بذرة الكتان فى العصر البطلمى.

وكان النبيذ يُصنع من العنب، وأمكن الوصول فيه إلى نسبة كحول تبلغ ما بين 10 - 20٪، وهى نسبة كافية لاستخلاص أشباه القلويات، ولا يوجد ذكر لاستعمال النبيذ للحصول على أشباه قلويات محدودة الاسم من نباتات بعينها. وتذكر إيبرز 287 دواء «يجعل القلب يحصل على غذائه»، ويتم تحضيره بخلط النبيذ وجريش القمح «ويترك طوال الليل» قبل تناوله. وبخلاف استخلاص النبيذ لأشباه القلويات، فقد كان جيد المذاق، يطغى على المذاق غير المستحب لبعض مكونات الأدوية، كما كان يُحدث قدرًا من الثمالة التى تقلل آلام ومتاعب بعض الأمراض.

وهناك العديد من المناسبات التى وُصفت فيها الجعة (البيرة) «هنكت henqet» كمادة حاملة لبعض المواد على أن «تظل فيها طوال الليل»، وربما سمح ذلك باستخلاص بعض أشباه القلويات (إيبرز 58، و63، و209، و210). وقد تم تصنيف عدة أنواع مختلفة الجودة من الجعة، مثل الجعة التى فسدت، والجعة المحلاة، والجعة ذات صفات خاصة رفيعة، وقد يجىء ذكر الخميرة والرواسب الموجودة فى بعض أنواع الجعة مع الإشارة إلى تأثيرها المُسكر بالتحديد.

ادوية غير مقصودة

لحسن حظ كلٍّ من المرضى والمعالجين، قد تتسلل بعض الأدوية إلى الإنسان بغير قصد. مثال ذلك اكتشاف وجود عقار المضاد الحيوى التراسيكلين مصادفة أثناء فحص شريحة من العظم تنتمى للعصر الرومانى. ويبدو أن التراسيكلين فى تلك الحالة تَكَوَّن نتيجة تلوث شراب الجعة بفطر الستربتوميسيتس من الجو، ويؤدى كثرة احتساء الجعة إلى التعرض المستمر لهذا المضاد الحيوى؛ مما يؤثر على التوازن الميكروبى داخل الجسم ويغير من نمط الالتهابات البكتيرية.

جرعات الدواء

نادرًا ما كان المصريون القدماء يستعملون الأوزان فى تحضير الأدوية؛ لذلك نرجح أن الميزان الذى يظهر ضمن الآلات الطبية فى كوم أمبو (انظر: شكل 8 : 2) ليس له علاقة بالطب الفرعونى. أما ما كان شائع الاستخدام فهو القياس بالحجم، ويوضح (شكل 7 : 2) المكاييل المُستخدمة، ونجد فى (جدول 7 ـ 2) تحديدًا لأهم هذه المكاييل.

(جدول 7 - 2) مقاييس الحجم (المكاييل)

الاسم المصرى	مضاعفات او أجزاء الهيكات[1]	القيمة اللترية بالتقريب
أربعة هيكات	4	18 لترًا
اثنان من الهيكات	2	9 لترات
هيكات واحد	1	4.5 لترات
هينو[2]	$\frac{1}{10}$	450 مليلترًا
رو	$\frac{1}{320}$	14 مليلترًا

كان المكيال الأساسى عند المصريين هو الـ «هيكات ـ heqat»، وتعادل سعته أربعة لترات ونصف، وكان يستخدم من الهيكات الضعف والأربعة أمثال. ومن البديهى أن هذا الـ «هيكات» كان من الضخامة بحيث لا يمكن أن يُستخدم فى مجال الطب والدواء، ويؤكد ذلك أنه لم يظهر فى أى من البرديات الطبية كمقياس دوائى.

أما الـ «هينو henu» فهو عُشر ($\frac{1}{10}$) الهيكات، ويعادل 450 مليلترًا، ويمكن أن يُستخدم فى القياسات الطبية، ويُذكر كثيرًا مرتبطًا بالمواد الأولية المستخدمة لتحضير الدواء (إيبرز 37)، أو لتحديد مقدار دواء ما فى مزيج (إيبرز 323)، أو لتحديد جرعة الدواء التى يتناولها المريض (إيبرز 166).

(1) كان «الهيكات» مقياسًا للحبوب.
(2) «هينو»؛ بالإضافة لاعتباره مكيالًا فهو يعنى أيضًا جَرَّة ـ (المترجم).

(شكل 7 : 2).

مقاييس أحجام صغيرة، كل واحدة تقدر بضعف حجم تاليتها (ما بين 0.1 ـ 6 مليليترات)، من الأسرة الثامنة عشرة، عُثر عليها فى المدينة الجنوبية التى تدعى نبط (متحف بترى ـ جامعة لندن).

ومن أمثلة القياس بوحدة الهينو ما جاء فى الفقرة التالية:

«دواء آخر للسعال (سيريت seryt): عسل (1) هينو ـ دهن ثور (1) هينو ـ ماء (سا ـ إر ـ يم sa - r - em) (غير معروف) (2) هينو ـ حبوب قمح الإمر المجففة (1) هينو....» (إيبرز 323).

وأصغر وحدات القياس بالحجم هو الـ«**رو ro**» ويعادل $\frac{1}{320}$ من الهيكات أو حوالى 14 مليلترًا، وهو يعادل ملء الفم تقريبًا، ويكتب العدد الذى يشير إلى مضاعفات الرو لتحديد الجرعة أعلى علامة «رو» التى يُرمز إليها بشكل الفم (شكل 7 : 3 ـ العمود الأيمن). وهناك أيضًا وحدة الـ«**دجا dja**» وتبلغ أكثر من 20 رو، وتقدر بـ 320 مللیلترًا، غير أن هذه الوحدة غير مستخدمة فى البرديات الطبية التى عُثر عليها حتى الآن.

وأكثر الطرق شيوعًا لتحضير أى مركب دوائى هى **تعيين نسبة كل جزء من مكوناته**. وقد كان للمصريين القدماء ـ مِثل غيرهم فى العالم القديم ـ أسلوبهم الخاص فى استخدام أجزاء الوحدات القياسية، فهم يتمسكون بأن يكون الرقم العلوى (**البَسط**) واحد، ويكون الرقم السفلى (**المقام**) **الرقم** (2) ومضاعفاته، وهذا هو المتبع فى البرديات الطبية؛ فنأتى

النسب هكذا: $\frac{1}{2}$، $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{8}$، $\frac{1}{16}$، $\frac{1}{32}$، $\frac{1}{64}$. وهناك ثلاثة استثناءات لهذه القاعدة: $\frac{1}{3}$، $\frac{2}{3}$ ونادرًا $\frac{3}{4}$ (شكل 7:3 ـ أسفل).

وكانت القاعدة العامة فى كتابة النسب (الكسور) هى كتابة المقام تحت رمز الفم (شكل 7 : 3 العمود الأوسط) الذى أُستخدم أيضًا كرمز لمكيال الـ«رو» كما ذُكر قبلًا. والنسبة $\frac{1}{2}$ كان يُرمز إليها فى الهيروغليفية بنصف الفم، بينما يُعبر عن $\frac{1}{4}$ برمز x. وقد كُتب الكثير من نسب تحضير الوصفات بالهيئة التالية:

«عليك أن تحضر له أدوية قوية ليتناولها: خبزًا طازجًا مطبوخًا فى الزيت والعسل، خشب الدود $\frac{1}{32}$، راتنج الصنوبر المظلى من بيلوس (بريت ـ شينى peret ـ sheny) $\frac{1}{16}$، فاليريانا (شاشا shasha) $\frac{1}{8}$، يخلط الجميع تُطهى معًا كوحدة واحدة ـ ويتناولها المريض أربعة أيام». (إيبرز 190).

The wedjat eye of Horus

Horus eye fractional notation		Hieroglyphic notation	Ro measures (320 ro = 1 heka̱t)
1/2			
1/4		or	
1/8			
1/16			20 (280 ml)
1/32			10 (140 ml)
1/64			5 (70 ml)

Hieroglyphic fractional notation seldom used for drugs

1/3 2/3 3/4

(شكل 7 : 3)

العمود الأوسط، أجزاء الوحدة (الكسور) بالتعبير الهيروغليفى كما كانت تُستعمل لتركيب الأدوية.

العمود الأيمن، معايير الـ «رو» وما يقابلها كأجزاء من الـ «هيكات».

العمود الأيسر، الكسور تبعًا لأجزاء عين حورس. أسفل، القياسات نادرة الاستخدام.

(انظر التفاصيل فى النَص).

وهناك طريقة أخرى للتعبير عن الجرعة، على أساس أجزاء من عين حورس (شكل 7 : 3 ـ العمود الأيسر)، أصغرها يعادل $\frac{1}{64}$ جزءًا من الهيكات ويعادل 5 رو أو 70 مليلترًا، بذلك يمكن استخدام الكسر $\frac{1}{64}$ للتعبير عن مقدار خمسة رو (إيبرز 318)، وكذلك $\frac{1}{32}$ للتعبير عن 10 رو، و $\frac{1}{16}$ لـ 20 رو (إيبرز 5، 6، 7، 219، ..).

ويلاحظ هنا عدم ذكر **المقدار الكامل للوصفة**، فقط تُذكر نسبة كل عنصر فيها؛ مما يعطى مركبًا متجانسًا بصرف النظر عن الحجم النهائى. وإذا كان ذلك يتعارض مع الممارسة الطبية الحديثة، فالأغلب أن كمية الدواء الكلية كانت معروفة ومتفقًا عليها فى جميع الحالات، ولا لزوم لتكرارها فى البرديات.

طرق تناول الأدوية

كانت هناك خمس طرق رئيسية لتناول العقاقير؛ عن طريق الفم والشرج والمهبل، وكذلك الطرق الموضعية والتبخير.

وقد كان **الاستخدام الفمى** أكثر الطرق شيوعًا، وتأتى التعليمات بخصوصه كالآتى:

«يأكله (ونم wenem) المريض عند الفجر لمدة أربع أيام متالية (إيبرز 199).

يشربه (سوارى swari) المريض» (إيبرز 191).

كما يمكن أن تُدخَل الأدوية **كلبوسات أو حقنة شرجية إلى المستقيم**. وينطبق ذلك على السوائل وأيضًا المستحضرات الجافة:

«يصب (ويده wedeh) داخل فتحة الشرج (بهوى pehwy)» (إيبرز 143).

«يوضع (ريدى redi) داخل فتحة الشرج، لمدة أربعة أيام» (إيبرز 144).

وكل من الكلمتين (ويده) و (ريدى) شائع الاستعمال خارج نطاق البرديات الطبية.

وفى حالات أخرى نجد تعليمات لتحضير الدواء على شكل لبوس:

«يحضر كلبوس (مت met) ويوضع داخل الشرج» (إيبرز 140).

ويرى هيرودوت أن تعاطى العلاج عن طريق الفم والشرج يتمشى مع عقيدة المصريين بأن الكثير من الأمراض يصيب الجسم بسبب تناول الطعام.

وتحتوى البرديات الخاصة بأمراض النساء على عدد من الأدوية وموانع الحمل محضرة خصيصًا لكى توضع **داخل المهبل**.

«عليك أن تحضر من أجلها؛ زيتًا طازجًا (1)، يُرَج (هينو henu)، يصب (إيوه iweh) داخل مهبلها (كات kat)» (كاهون 4).

وهناك بعض العلاجات التى تُستعمل **ظاهريًا بوضعها على الجلد مباشرة**، لعلاج مشاكل موضعية مثل الجروح والقرح، أو لإحداث تأثيرات عامة، كما فى حالات لدغ الثعابين. ومن الطرق الشائعة للعلاج الموضعى فى حالات الجروح، وضع قطعة من اللحم النِّيء، ثم الزيت والعسل (انظر: الفصل الثامن). وفى بعض الحالات كانت مريضات أمراض النساء يتلقين التعليمات بأن يجلسن على الدواء وهن عاريات (إيبرز 797).

وفى حالات كثيرة نجد تعليمات بوضع الدواء **تحت ضمادة**:

«يطحن ويطبخ مع تِفل الجعة المحلاة، ضعها تحت ضمادة (كلبخة) لمدة أربعة أيام، عندها يتم شفاؤه بالتأكيد» (إيبرز 200).

وكانت الوصفات الموضعية تستخدم فى أمراض الجلد والشعر والعيون والأذنين وفتحة الشرج، وستأتى الأمثلة فى المواضع التى تغطى هذه الأمراض.

وكان **التبخير** يستعمل لعلاج عدة مشاكل صحية، مثل لدغة الثعبان، والمتاعب الخاصة بأمراض النساء. والكلمة المقابلة للتبخير «كاب kap»، لها استخدامات كثيرة خارج البرديات الطبية، وتعنى أساسًا رائحة الحريق (الشياط)، وتأتى التعليمات بالتبخير بأسلوب واضح لا يدع مجالًا للشك فى أنه هو المقصود:

«بقايا آدمية جافة تضاف إلى راتنج زيت التربنتينا، وتبخر (كاب kap) المرأة به، بحيث تدخل الأبخرة (هيتى hety) داخل مهبلها (إيوف iuf)» (إيبرز 793).

وكلمة «إيوف iuf» تعنى عادة (لحمًا) ولكن تستخدم فى بعض الأحيان بمعنى (مهبل) (انظر: الفصل الثالث).

دستور الأدوية عند المصريين القدماء

مصادر الأدوية

يضم دستور الأدوية المصرى القديم مئات الأسماء، الكثير منها لا يمكن ترجمته، وبعضها موصوف لعلاج أمراض مجهولة الهوية. وكما أشرنا سابقًا، بعد أن يُحَدِد الطبيب تشخيص حالة المريض، تأتى فى بداية العلاج جملة «**عليك إذًا أن تُحَضِّر له**». وكثيرًا ما

نجد بعد العلاج عنوان «علاج آخر» أو «آخر». وإذا كان المنطقى أن الأدوية الموصوفة فى فقرة أخرى موجهة لعلاج المرض المذكور فى الفقرة السابقة، فإن النَّسْخ المتكرر للبرديات عبر الأجيال المتعاقبة، جعلنا نجد أحيانًا ـ من باب الخطأ ـ علاجًا موجهًا لمرض موصوف فى فقرة أخرى.

ونكرر هنا التساؤل الذى ذكرناه فى الفصل الثانى حول وجود كتب متخصصة فى الأدوية كما ذكر كليمانتوس. ويرجح ذلك ما تحت أيدينا عن مستحضرات زيت نبات الخروع (ديجم degem)، فقد حظيت بعرض مستفيض ومناقشات موضوعية فى جزء خاص فى بردية إيبرز (251). وهذه المعالجة تزيد كثيرًا عن مجرد ذكر الأدوية كما هو معتاد مع المستحضرات الأخرى فى البرديات الطبية؛ مما يشير إلى أن هذا الجزء الخاص بنبات الخروع قد تبقى من أحد هذه الكتب. ولأهمية هذا الجزء سنذكره بالتفصيل:

«معلومات حول المستحضرات التى تجهز من (نبات الخروع) كما جاءت فى كتابات القدماء، من أجل أن يستفيد منها الناس:

(أ) تطحن «الجذور» فى الماء وتوضع فوق رأس المريض، سيشعر بالتحسن فى الحال كما لو لم يكن مريضًا.

(ب) قليل من «ثماره» (حباته) يمضغها المريض مع الجعة، إذا كان يعانى حالة «ويهى wehi» فى برازه. هذه الوصفة تطرد المرض من جوف الإنسان.

(ج) لبذوره تأثير على نمو شعر السيدات، تطحن «البذور» جيدًا ويضاف إليها الزيت. ثم تدهن المرأة رأسها بهذا الخليط.

(د) أما «الزيت» فيمكن الحصول عليه من ثماره (حباته)؛ لكى يدهن به الرجل جلده الذى يعانى مرض «ويهاو wehau» والمصاب بـ«إتجيتجيت itjetjet» الذى يسبب الألم. عندها ستوقف الـ «ريومو riumu» عند هذا الحد كما لو لم يكن قد أصيب بشىء. وعلى المريض أن يبدأ باستخدام العلاج مع بداية المرض حتى يضمن الشفاء، وأن يداوم على استعمال المرهم لمدة عشرة أيام، ... إنه شىء عظيم.. مليون مرة».

وللأسف تحوى الفقرة السابقة، العديدَ من الأمراض التى لم يمكن ترجمتها فى وقتنا الحاضر. ومن الغريب أن تخلو هذه القائمة من الأمراض التى تُعَالج فى عصرنا بزيت الخروع مثل مرض الإمساك.

ونفس المنهج المفصل الذى يوحى بوجود كتب متخصصة فى الأدوية، نجده عند

عرض استخدام البصل فى حالات لدغ الثعابين، كما جاء فى بردية بروكلين (انظر: الفصلين الثانى والثامن):

الفقرة 41: «أدوية عظيمة الفائدة تُحضر من أجل هؤلاء الذين يعانون لدغ جميع أنواع الثعابين: البصل.. يدهس جيدًا فى الجعة. يتناول المريض المزيج ليتقيأ يومًا واحدًا (ثم اقرأ التعازيم)».

الفقرة 42: «بالنسبة للبصل، فيجب أن يكون بين يدى كاهن سركت، أينما ذهب؛ لأنه يقضى على السم الخاص بأى ثعبان، ذكرًا أو أنثى. وإذا دُهس البصل فى الماء ومُسِحَ به جسم الإنسان فسوف لا تلدغه الثعابين. وإذا خلطه إنسان بالجعة وسكبه فى كل أنحاء المنزل فى أحد أيام السنة الجديدة فلا يمكن لأى ثعبان ذكرًا أو أنثى أن يدخل المنزل».

ثم يأتى ذكر العديد من الأدوية الخاصة بلدغ الثعابين على نفس الوتيرة، وكثير منها يحتوى على البصل.

ويمكن تقسيم الأدوية المصرية تبعًا لمصادرها إلى **معدنية وحيوانية ونباتية**، وسوف نتبع هذا التصنيف فى عرضنا. وقد جمعت الموسوعة الألمانية أجزاء البرديات الطبية التى تضم الأدوية متشابهة المصدر فى مكان واحد فى المجلد السادس.

وليس من السهل أن نقرن الأدوية الواردة فى دستور الأدوية المصرى بالأمراض المستخدمة فى علاجها؛ أى **ربط كل دواء بمرض معين**. وتأتى **الصعوبات الكبيرة** من عدم القدرة على ترجمة أسماء العديد من الأمراض، وكذلك غموض أسماء حوالى 80٪ من أنواع النباتات، خاصة وأننا اليوم نطلق اسم بعض الحيوانات البرية على نبات ما، مثل «الرخ العضاد» [1]. وأحيانًا يتم استخدام العديد من العناصر لتحضير دواء واحد، حتى إنها بلغت 37 عنصرًا فى إحدى التركيبات، ولا ندرى أى هذه المكونات مواد مؤثرة نشطة وأيها حاملة وأيها إضافة لتحسين المذاق، والعسل (كمثال) يقوم بالوظائف الثلاث معًا. وأحيانا يستخدم دواء واحد لعلاج أمراض مختلفة فيصعب معرفة حقيقة تأثيره العلاجى، ومن هذه الأدوية ما يسمى بـ «دجارت djaret». وهناك أيضًا العديد من المواد التى تُستخدم لتأثيرها السحرى، بينما نجهد أنفسنا فى البحث عن تأثيرها الطبى. وفى النهاية، نلاحظ أن القاموس الصيدلى بصفة عامة لم يكن بعيدًا عما يستخدمه بعض العامة من المصريين الآن فى العلاج بعيدًا عن الأطباء.

(1) Snapd ragon: نوع من النباتات لها زهرة تغلق فمها عندما يُمسَك بها؛ أى تعض مثل طائر الرخ، وقد يكون لها علاقة بالنبات المسمى حنك السبع ـ (المترجم).

الأدوية ذات الأصل المعدنى

هناك مجال واسع لاستخدام المركبات المعدنية طبيًّا، وفى هذا الجزء من صيدلية مصر القديمة لا نواجه صعوبات ذات بال فى تمييز الأدوية المختلفة (جدول 7 ـ 3).

(جدول 7 - 3) العقاقير من أصل معدنى

الاسم	الاسم المصرى	التركيب
الألبستر	شس shes	كربونات الكالسيوم
الشَّبَّة	إبنو ibnu	هيدروكسيد وكبريتات البوتاسيوم والألومنيوم
جالينا (مس العين الأسود)	مس دمت mesdmet	كبريتيد الرصاص
الحجر	دجبت djebet	متنوع
كالامينا؟	هتم hetem	أكسيد الزنك
العقيق الأبيض	سيهرت seheret	ثانى أكسيد السيليكون
بيريت النحاس	جسفن gesfen	كبريتيد الحديد والنحاس
طَفل ـ طين	إم دبن im - deben أو بيسن besen	سليكات الألومنيوم
النحاس (قشور)	هيمت hemet	نحاس
الندى	إيادت iadet	الماء
بودرة الزجاج	تجيهنت tjehenet	
جرانيت	مات mat	مركب معقد
مالاكايت (مس العين الأخضر)	وادجو wadju	هيدروكسيد وكربونات النحاس
الجبس	بيسن besen	كبريتات الكالسيوم المائى

هياتيت (الحجر الأحمر)	دى دى dedi	أكسيد الحديد
حجر اللازورد [1]	خس بدج khesbedj	سليكات الصوديوم والألومنيوم وكبريتات الصوديوم
النفط (؟)	ميرهت خاصت merhet Khast	زيت قطران الفحم/ بتيومين؟
النطرون	هس من hesmen	أملاح الصوديوم (كلوريد وكبريتات وكربونات وبيكربونات)
طمى النيل	كاه qah	متنوع
أوكر	سيتى Sety	أكسيد الحديد المائى وطين
صبغة أوربيمنت الصفراء	سيا Sia	كبريتيد الزرنيخ
رصاص أحمر	بيرش Peresh	أكسيد الرصاص الأحمر
معدن أحمر	تجيرو Tjeru	حبر أحمر
النطرون الأحمر	هسمن دجسير hesmen djeser	أملاح الصوديوم (كلوريد وكبريتات وكربونات وبيكربونات)
الأوكر الأحمر	منست menshet	أكسيد الحديد المائى وطين
ملح الدلتا	هيات hemat	كلوريد الصوديوم
الصخور	إنر inr	مختلف
معدن غير معروف	كيسنتى kesenti	
معدن غير معروف	إيمرو imru	

(1) ربما لا يكون موجودًا فى مصر.

النطرون «هس من hesmen»

يترسب النطرون كخليط من الأملاح فى المناطق التى انحسرت عنها مياه البحار وتبخرت نتيجة للعوامل الجوية. والمادة سهل الحصول عليها، وكانت تستخدم فى عملية التحنيط. وتختلف مكونات النطرون من مكان إلى آخر، لكن المكون الرئيسى هو **أملاح الصوديوم**

(الكلوريد والكبريتات والكربونات والبيكربونات)، وهو مادة قلوية تعتمد درجة قلويتها على نسبة كربونات الصوديوم.

ويُستعمل النطرون على حالته الجافة أو كعجينة، ويتميز بقوة أزموزية عالية (امتصاص الماء)، فهو يسحب السوائل من الجسم ويقلل التورم، وهو بذلك يشابه ملح جلوبر (كبريتات الصوديوم) الذى يستخدم حاليًا فى العلاج لقدراته الأزموزية.

وأكثر استعمالاته الطبية كانت موضعية خارجية، غالبًا تحت ضمادة، ولعل أوضح استعمالاته وأكثرها مصداقية ما جاء فى بردية هرست 140 (= إيبرز 557):

«دواء آخر لسحب الصديد (ريت ryt) : إبشنن ipshenen (غير معلوم) (1)، نطرون (1)، صلصال من قرن الخراف (1)، خروب (1)، راتنج التربنتينا (1)، دقيق البلح؛ يمزج الجميع جيدًا وتوضع العجينة تحت ضمادة».

وإذا تجاهلنا بقية المكونات فى هذه الوصفة، نجد للنطرون قيمة علاجية بالنسبة للتقيحات السطحية.

وبردية إيبرز 595 أيضًا تعطى وصفًا لاستخدام النطرون فى استخراج الصديد، وقد يستخدم فى بعض الأوقات مع ملح الطعام.

ولم يُنصح بتناول النطرون عن طريق الفم. لكن هناك استثناء فى بردية إيبرز 856 d، إذ تصف استخدامه لعلاج الاثنين من الميتو (غالبًا الأوعية الدموية) إلى الفخذ (انظر: جدول 3 ـ 2):

«إذا كان مريضًا، وفخذه وساقه ترتعدان، فعليك أن تقول عن هذه الحالة: إنه وعاء «شت بو shetbau» الخاص بفخذه، الذى يعانى المرض، ويجب أن تعطيه:

مستخلص الخضراوات، ونبات سام saam، ونطرون، تطبخ معًا ليشربها المريض لمدة أربعة أيام».

لا يوجد تحديد للكميات هنا ـ ومن الصعب أن نتخيل حالة مرضية بالساق يتم علاجها بشرب محلول النطرون[1].

(1) يمكن أن يكون الغرض من شرب محلول النطرون فى هذه الحالة هو استخدامه كمُقَيِّئ ومسهل؛ إذ يؤدى القىء والإسهال إلى إخراج كمية من المياه من الجسم، فيؤدى ذلك إلى تقليل التورم بالساقين. أما إذا شرب محلول النطرون بكمية بسيطة فيمكن أن يعالج نقص أملاح الصوديوم بالجسم، والذى يؤدى إلى ضعف ورعشة فى الساقين ـ (المترجم).

ملح الطعام (هيمات hemat)

ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) كان يُدعى ملح الدلتا (مصر السفلى)، وكان يتم الحصول عليه من ماء البحر بعملية البخر. ولمحلوله المركز تأثير أزموزى مثل النطرون، ولكن عند تركيز حوالى 1٪ يكون ضغطه الأزموزى مساويًا لضغط سوائل الجسم البشرى. ومحلول الملح الساخن له تأثير مُقَيِّئ، وغالبًا ما يوصف مع مكونات أخرى، وقد يضاف فقط لطعمه.

وللملح طرق استخدام عديدة، فكان يتم تناوله عن طريق الفم، أو عن طريق الشرج كحقنة شرجية أو لبوس شرجى، وكذلك كان يُستخدم سطحيًّا وموضعيًّا فوق العين والأذنين والجلد، وغالبًا ما كان يتم تثبيته بواسطة ضمادة.

المالاكيت (مس العين الأخضر) (واد جو wadju)

الكلمة المصرية للمالاكيت هى «شى سمت shesmet»، لكن لم يأت ذكر لهذه الكلمة فى البرديات الطبية. وهناك العديد من الأدوية التى تحتوى على مس العين الأخضر (واد جو wadju) الذى يُكسبه مسحوق المالاكيت الناعم لونه الأخضر المميز، وقد تم استخدامه على نطاق واسع لعلاج أمراض العيون (الفصل التاسع).

وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن مكونات المالاكيت الرئيسية (أيدروكسيد وكربونات النحاس) (انظر: جدول 7ـ3) تمنع نمو وتكاثر ميكروبات مُمْرِضة مهمة هى «ستافيلوكوكس أورياس وسودوموناس أورجينوزا». وتصف بردية إيبرز 491 استخدام المس الأخضر كغيار للحروق التى أصابها التلوث والتقرح، ونرى فى بردية إدوين سميث 46 استعمال هذا المركب لإخراج الالتهاب خلال فتحة الجرح فى الثدى.

إن ذلك يبين أن المصريين القدماء قد توصلوا إلى التأثير المضاد للالتهابات لبعض المواد (المضادات الحيوية) وإن لم يدركوا وجود البكتيريا.

حجر اللازورد (خس بدج khesbedj)

بخلاف جميع المعادن التى جاء ذكرها فى (جدول 7 ـ 3)، فإن حجر اللازورد لم يكن معروفًا فى مصر، بل كان يستورد من بادخشان فى أفغانستان؛ لذلك كان غالى الثمن، فيظن المريض أنه عظيم الفائدة. وكان استخدامه العلاجى موجهًا بصفة رئيسية

لأمراض العيون. ولأنه غير قابل للذوبان فى سوائل الجسم فمن المستبعد أن يكون له تأثير علاجى حقيقى[1].

الجبس (إمرو imru)

الإمرو مادة معدنية طبيعتها غير مؤكدة، جاء ذكرها فى ثمانى حالات فى بردية إدوين سميث، سبع حالات منها لتثبيت **كسور العظام وخلع المفاصل**. وكان يوصى بأن يضع المريض «الإمرو» على هيئة «لبخة» تحت ضمادة، لما له من خاصية لزجة لاصقة، مثل الجبس الذى يستخدم حاليًا لهذه الأغراض.

كما كان الإمرو يستخدم بكثرة فى **عمليات التحنيط**، لتشكيل الصندوق الملاصق للمومياء. وكان الجبس أو جص باريس (بى سن besen؟) يُستخدم فى عمليات البناء كمادة لاصقة منذ الأسرات القديمة، لكن لم تذكر البرديات الطبية اسمه عند الحديث عن تثبيت الكسور وخلع المفاصل، فهل هو المقصود بالإمرو فى البرديات الطبية؟

المعادن غير قابلة الذوبان

الكثير من المعادن التى جاء ذكرها فى (جدول 7 ـ 3) غير قابل للذوبان فى سوائل الجسم، مثل اللازورد والعقيق الأبيض والجرانيت والهيماتيت؛ لذلك لا نتوقع أن يكون لمثل هذه المواد أى دور علاجى مؤثر[1]. لكن نظرًا **لخواصها الميكانيكية** قد يكون لها تأثير مهيج لأغشية العين. كما تصف بردية إيبرز 382 استخدام حبيبات الجرانيت الصغيرة المطحونة موضعيًا، للتخلص من البقع البيضاء فى العين. ويبدو أن هذه المعادن كانت تستخدم للتجميل ولدباغة الأنسجة؛ مما يعطيها قوة.

الأدوية ذات الأصل الحيوانى

يحتوى دستور الأدوية المصرى القديم على مجموعة كبيرة من المنتجات الحيوانية. وفى كثير من الأحوال نجد لاستخدامها **أسسًا طبية سليمة**، يؤمل معها تحقيق الفائدة المرتقبة. وفى البعض الآخر تكون هذه المواد الحيوانية مجرد **حامل لمواد علاجية**

(1) ذوبان المواد فى سوائل الجسم مطلوب للعلاج عند استخدام الدواء بالفم. أما الاستخدام الموضعى فلا يتطلب ذلك ـ (المترجم).

أخرى. وكما أشرنا من قبل، هناك بعض الحالات التى تُستخدم فيها مواد حيوانية بدوافع سحرية مثل نقل صفة الحيوان، من قوة واحتمال وخصوبة... إلخ، إلى الإنسان المريض فاقد هذه الصفة.

العسل (بت bit)

يفوق العسل معظم المواد الدوائية فى استخداماته الطبية عند المصريين القدماء[1]. وجاء ذكر استخدامه **ظاهريًا**، وكذلك داخليًا ضمن مئات من الوصفات الدوائية فى البرديات الطبية، بسبب ما يتمتع به من خصائص علاجية، وقد يكون استخدامه **كحامل لمواد أخرى**. ويحتوى العسل على نوعين من المواد السكرية: الجلوكوز، والفركتوز، وكان ذا منزلة عالية فى ذلك المجتمع الذى لم يكن يعرف سكر القصب، أو سكر البنجر. وبسبب حلاوته، كان يستخدم كشراب **لعلاج السعال** كما جاء فى بردية إيبرز 323، كما كان يستخدم فى حالات **النزلات المعدية المعوية** عند الأطفال ليقلل من شدة الإسهال.

واهتم **المصريون** باستعمال العسل موضعيًا **لعلاج الجروح المفتوحة** (انظر: الفصل الثامن). وإذا كان التأثير الأزموزى القوى للعسل (لما يحتويه من تركيزات عالية للسكريات) يسحب الماء خارجًا فيقلل تورم الأنسجة، فإن الأهم أن هذا الضغط الأزموزى العالى لا يسمح بنمو البكتيريا والفطريات. وإذا كان العسل كمادة علاجية لم يأخذ حقه تمامًا فى العصر الحديث، فقد ثبت أن العسل يُسرع من عملية **شفاء الجروح والحروق والتقرحات**.

اللبن (إرتت irtet)

للَّبن استخدامات واسعة فى الوصفات الطبية، والفقرة التالية لدواء موصوف لحالة انسداد فى المعدة جاءت فى (إيبرز 193):

«تيام team» (نبات غير معروف) $\frac{1}{16}$، حبوب الصنوبر المظلى من بيبلوس، فاليريان؟ (شاشا shasha) $\frac{1}{8}$، عشب سعادى الجزيرة $\frac{1}{16}$، عشب سعادى الحديقة $\frac{1}{16}$، نبيذ ولبن - يؤكل الخليط مع الجعة المحلاة، وستتحسن الحالة على الفور».

(1) ينبغى الإشارة هنا إلى أن العسل هو المادة الوحيدة التى ذُكرت فى القرآن الكريم كمادة علاجية ﴿... فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ...﴾ [النحل: 69] ـ (المترجم).

ويُعتقد أن عدم تحديد كمية النبيذ واللبن يعنى استخدامهما كمواد حامله ولتسهيل عملية ابتلاع باقى المكونات، وليس بغرض طبى. ونوع اللبن هنا غير محدد، لكن فى مناسبات أخرى يُحَدد إن كان بقريًا (بردية كاهون 3)، أو لبن أنثى حمار (بردية إيبرز 98). وإذا كان الموصوف هو اللبن البشرى، ففى هذه الحالة يُحدد أن يكون اللبن من امرأة حديثة الولادة أنجبت طفلًا ذكرًا (بردية إيبرز 109). وهذا يعنى أنهم كانوا يعتقدون أن **لبعض أنواع اللبن تأثيرًا علاجيًا خاصًا بها.**

وكان يتم تعاطى المستحضرات اللبنية عن طريق الفم، أو كحقنة شرجية (بردية إيبرز 157)، أو تُصَبُّ داخل مهبل المرأة (بردية إيبرز 819)، أو تسكب داخل العين (بردية إيبرز 368) أو داخل الأذن (اللبن الرايب ـ بردية إيبرز 765)، أو توضع فوق الجلد (بردية إيبرز 109).

بقايا الحيوانات (هس hes)

كانت البقايا الحيوانية المختلفة تستخدم كعلاج، منها «براز» القطط، والحمير، والطيور، والسحالى، والتماسيح، والذباب والإنسان (بردية إيبرز 793)، ولحسن الحظ كانت معظم هذه المواد تستخدم **من الظاهر**، وكانت بقايا السحالى والتماسيح والبجع والأطفال **توضع داخل العين!!** (إيبرز 344ـ370). وإن كانت بقايا طائر الإيدو (بردية إيبرز 326)، والذباب (بردية إيبرز 782) **يتم تعاطيها بالفم**. ومن الصعب إيجاد أى أسس طبية أو صيدلانية لهذه الممارسات.

الدم (سى نف senef)

تذكر الموسوعة الألمانية استخدام الدم للعلاج من 21 مصدرًا مختلفًا. ففى بردية إيبرز 425 هناك علاج لمنع نمو أهداب العين إلى الداخل بعد اقتلاعها، ويضم العلاج دم الثور والحمار والخنزير والكلب والماعز. والبعض الآخر من الأدوية يشتمل على دم السحلية والخفاش (إيبرز 424)، والذباب (إيبرز 857).

البول (مويت mwyt)

كان البول يستخدم **كحامل للأدوية**، غالبًا فى الحقن الشرجية، أو **للاستعمال الخارجى:**

«دواء آخر للتخلص من مرض «أشيت ashyt» (غير معروف): الخروب، ملح مصر السفلى، يُغلى مع البول، ويوضع على العضو المريض» (بردية هرست 39).

أما بردية الرامسيوم III (A, 19 - 20) فتصف وضع البول البشرى فى العين.

المشيمة (رى متج remetj – موت mut)

الاسم المصرى القديم للمشيمة يعنى «أم البشر». ومشيمة القطة كانت ضمن تركيبة دوائية لمنع شيب الشعر (إيبرز 453).

الصفراء (وى دد weded ، بى نف benef)

كانت البقرة هى المصدر المفضل، لكن صفراء الماعز (إيبرز 433) وصفت لعلاج عضات الإنسان، وصفراء الثور لعلاج خراج الثدى (إدوين سميث 46)، وصفراء الخنزير استخدمت لعلاج إصابة العين بروح شريرة (إيبرز 392). كما استخدمت الصفراء من نوع غير معروف من الأسماك (أبدجو abedju) لتقوية النظر (إيبرز 405). وكانت الصفراء مجهولة المصدر (بى نف benef) توصف لعلاج جروح الثدى المتقيحة (إدوين سميث 41).

ومن النادر استعمال الصفراء داخليًّا، باستثناء صفراء ثور الـ «جو gu»، التى كانت تُشرب لعلاج نوع من الديدان غير المعروفة «بى ند pened» (إيبرز 75).

الدهن الحيوانى (أدج adj ، ميرهت merhet)

كانت الكلمة المصرية القديمة «أدج adj» تُستخدم للتعبير عن الدهن الحيوانى، بينما تُعَبِّر كلمة «ميرهت merhet» **عن الدهن الحيوانى والزيوت من أصل نباتى**. وعند ذكر الدهن الحيوانى يأتى دائمًا تحديد نوع الحيوان.

وكان للدهن الحيوانى استخدام واسع فى الوصفات الطبية. وذلك بسبب قدرته على تكوين **دهان زلق**، كما قد يُستخدم بقصد نقل **بعض الخصائص المستحبة** التى يتميز بها حيوان بذاته. وقد يكون أفضل مثال لذلك ما جاء فى بردية إيبرز 465:

«علاج آخر من أجل نمو الشعر لإنسان أصلع: دهن الأسد (1)، دهن فرس النهر (1)، دهن التمساح (1)، دهن القط (1)، دهن الثعبان (1)، دهن أبو قردان (1): يمزج الجميع معًا حتى يصير المركب متجانسًا، ثم يدهن رأس الشخص الأصلع به».

ولنا أن نتخيل مشقة الحصول على هذه التركيبة الدوائية، وكذلك قوة الإيحاء النفسى لاستخدام الدواء المستمد من هذه الحيوانات (خصوصًا الأسد ذا اللبدة الكثيفة بالنسبة للإنسان الأصلع)، ولا نستطيع فى وجود هذه الحيوانات المرعبة التعليق على مدى فاعلية هذه الوصفة! التى توصف بأنها «عظيمة الفائدة مليون مرة».

وقد تستخدم دهون أنواع أخرى من الحيوانات مثل وحيد القرن، والحمار، والسمك، والإوز، والنعام، والثور، والفأر، والغنم.

وكانت المركبات التى تحتوى على الدهن الحيوانى تستخدم بالفم أو كحقنة شرجية، لكن يبقى الاستعمال الأساسى هو الاستعمال الظاهرى.

اللحم (ايوف iuf)

كان اللحم الطازج يستخدم بكثرة كوصفة موضعية للجروح فى اليوم الأول لحدوثها (انظر: الفصل الثامن). وهذا يذكرنا بالعلاج الشعبى الذى يضع شريحة اللحم فوق العين المصابة بنزيف. وللحم القدرة على إمداد الدم بعوامل التجلط؛ لذلك كان رواد جراحة المخ يلجئون للحم صدر الحمام الطازج للتحكم فى النزف أثناء الجراحات.

وتناول اللحم عن طريق الفم قد يكون ضمن نظام غذائى. وفى جزء غامض فى بردية إيبرز (284 ـ 293) هناك أدوية لتشجيع القلب كى يأخذ «غذاءه»، والغذاء يعود على الطعام بصفة عامة، والتمييز بين القلب (إب ib) والمعدة التى معناها الحرفى «فم القلب» إب إر (ib ـ r) غير محقق؛ لذلك لا نستطيع أن نجزم عن أيهما تتحدث البردية، ولأيهما يتوجه العلاج بتناول اللحم. وتحدد ثلاث من الوصفات الطبية التى تدور حول التغذية «اللحم الدهنى».

الكبد (مى ست miset)

من بين جميع المصادر الحيوانية للعقاقير، يأخذ الكبد الأهمية القصوى؛ حيث يحتوى على 90٪ من مخزون الجسم من فيتامين «ب12» الذى يمنع حدوث الأنيميا الخبيثة، والمخزون الكبدى لهذا الفيتامين هائل؛ ويفوق الاحتياج اليومى بألف مرة.

وقبل اكتشاف فيتامين «ب 12» كان تناول الكبد نيئًا عن طريق الفم وتدعيمه بحقن خلاصة الكبد هما العلاج الأساسى للأنيميا الخبيثة؛ وإن كان لا يوجد فى المراجع الطبية مثل هذا الاستخدام.

والاستخدام العلاجى الثانى للكبد، هو حالات نقص فيتامين «أ»، الذى يؤدى إلى العشى الليلى؛ إذ إن الكبد يُعَدُّ من أهم مصادر هذا الفيتامين. وفى بردية كاهون 1، ذِكر لحالة وُصف فيها تناول الكبد لامرأة لا تستطيع الرؤية. وفى حالة أخرى، نصح بوضع الكبد المطبوخ على العين لعلاج حالة من العمى تُسمى «شارو sharu» (بردية إيبرز 351). وسيأتى عرض الحالتين فى الفصل التاسع.

وفى إيبرز 267، هناك توصية بتناول كبد الثور فى حالة الاحتباس البولى (هى نو henau)، ولم يُحدد إن كان الكبد نيئًا أم مطبوخًا.

أعضاء داخلية أخرى

هناك استخدام لخصيتى حمار مُنع من الجماع لفترة بعد هرسهما وإضافة النبيذ إليهما لعلاج مرض غير معروف «نى ست nesyt» يصيب العين (إيبرز 756). وقد ذكر استخدام قلب طائر الـ (ميشا mesha) كعلاج لقتل دودة الـ «بى ند pened» (إيبرز 81). أما المخ (أمم amem) من مختلف المصادر، فكان له دور فى العلاج الخارجى.

الفأر (بينو penu)

لأسباب غير واضحة كان للفأر تاريخ طويل فى مختلف الحضارات فى الوصفات الطبية، خاصة للتخلص من السعال. ويذكر جون ويسلى (عام 1747) فى كتابه «المداواة البدائية» وصفة للسعال الجاف أو السعال الديكى:

«امسك بفأر، اقتله، ضعه داخل الفرن واشويه حتى يحترق، خذه ثم اطحنه حتى يصير مسحوقًا، وأضف إليه اللبن، وأعطه للطفل كى يشربه».

كما تقدم بردية (هرست 149) وصفة عبارة عن فأر مطبوخ فى الزيت لوضعه فوق شعر الرأس؛ حتى لا يشيب.

لجأ المعالجون المصريون القدماء إلى استخدام الأعشاب والنباتات المختلفة على نطاق واسع. وقد قاموا باستغلال العديد من النباتات المتاحة في البيئة الثرية المحيطة بهم، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا باستيراد بعض أنواع النباتات من البلدان المجاورة وخاصة لبنان.

التعرف إلى النباتات

تعرض البرديات الطبية عددًا كبيرًا من أنواع النباتات باسمها المصري القديم[1]، وعند الترجمة يمكننا في الكثير من الحالات التوصل إلى نوع النبات، ومثال ذلك ما جاء في (الجداول 1- 1، و1- 2، و1- 3، و7- 4). وقد أمكن التأكد من النوع المقصود من مصادر خارج البرديات الطبية؛ مثل البرديات غير الطبية ورسوم المقابر، ونادرًا ما يكتب الاسم على أحد الأواني التي تحتوي على بعض بقايا النبات. وبالرغم من ذلك، هناك عدد كبير من النباتات الطبية التي تظل تسميتها المصرية موضع شك؛ وقد يكون بعضها انقرض واختفى من وادي النيل بعد عهد الفراعنة... ويمكن القول إنه أمكن التعرف إلى 20٪ فقط من حوالي 160 دواءً نباتيًّا جاء ذكرها في البرديات الطبية.

وهناك ثلاث صعوبات تحول دون التعرف إلى نوع النبات وتقييم دوره العلاجي:

* **الصعوبة الأولى:** أن المرض الذي وُصِفَت هذه النباتات لعلاجه يُشار إليه بكلمة مصرية لم يمكن ترجمتها. ومع الجهل بالمرض، نفقد أحد طرق التوصل إلى اسم النبات المستخدم في علاجه.

* **الصعوبة الثانية:** من المعروف أن بعض المواد ذات التأثير الطبي تكون مركزة في جزء معين من النبات، كما أن تركيز هذه المواد قد يتفاوت من وقت إلى آخر خلال اليوم أو خلال العام. وتساعد معرفة جزء النبات المستخدم في الوصفة الطبية، ومتى

(1) عندما يظهر اسم وبعده الرمز الدال على النباتات أو الأشجار، يمكننا الجزم بأنه نوع من النباتات. وعندما يأتي بعد اسم أحد النباتات رمز «كرة»، والذي يعني معتقدًا قبيها في حالة النباتات تشير إلى بذرته أو ثمرته أو جذر.

تم جمع النبات من الحقل، على معرفة نوع النبات، لكن غالبًا لا تذكر البرديات هذه المعلومات.

* **الصعوبة الثالثة:** حتى في حالة تعرفنا إلى نوع النبات، قد لا نعلم إلَّا القليل عن التأثير العلاجي لمكوناته. وقد دُرِست بعض النباتات جيدًا وعُرِفت جميع مكوناتها، خاصة تلك التي تحتوي على مواد فعَّالة قوية، كأشباه القلويات، مثل المورفين من شجر الخشخاش، والأتروبين من نبات البيلادونا، والكوكايين من نبات الكوكا، وكذلك الإستركنين والكوراري والديجوكسين. كما أن هناك بعض النباتات التي تحتوي على المضادات الحيوية ومضادات الفطريات.

وهذه الأمثلة القليلة، توضح المدى الواسع للمواد الفعالة وكذلك السموم الموجودة في بعض النباتات العادية، فما بالنا إذا كان التأثير العلاجي لأكثر من 90٪ من مختلف أجناس النباتات ما زال تحت البحث حتى زمن كتابة هذه السطور (المؤلف، 1994).

وسنعرض ما تم التوصل إليه من معلومات بخصوص «أسماء النباتات الطبية» في مصر القديمة من خلال ثلاثة جداول:

(جدول 7 : 4) النباتات ذات الاسم الموثَّق المعنى.

(جدول 7 : 5) نباتات غير مؤكدة المعنى أو لها معانٍ أخرى.

(جدول 7 : 6) نباتات لم يتم ترجمتها حتى الآن.

وقد سبق أن عرضنا في (الجداول 1 ـ 1، و1 ـ 2، و1 ـ 3) النباتات التي كانت تُستخدم كغذاء وقد يكون لها استخدام في مجال الطب. وسنعرض في هامش هذه الصفحة الجهود الجبارة التي قام بها المهتمون بدراسة النباتات الطبية في مصر القديمة، وذلك كمثال ندرك من خلاله ما تحتاجه علوم الآثار من إخلاص وتفانٍ[1].

(1) في القرن التاسع عشر، تعرف لوريت إلى عدد كبير من أنواع النباتات وأوجزها عام 1892 في كتاب «الزهور الفرعونية ـ la Flore pharaonique». وبعد ذلك حاول وارن داوسون، ترجمة 24 كلمة مصرية قديمة تتصل بالنواحي الطبية، وتحتوي على اسم 12 نباتًا، ونشر أبحاثه في المجلة المصرية الأثرية «Journal of Egyptian Archeology» (1932 ـ 1935). وقد تم التوصل إلى أسماء جديدة لبعض النباتات المصرية بدلًا من الأسماء القديمة، ذلك في الترجمات التي قام بها إبيل (1937) ولوفافر (1956).
وجاءت الخطوة الهامة بعد ذلك عام 1939، عندما نشرت الموسوعة الألمانية مواقع النباتات التي وردت في معظم=

(جدول 7 - 4) العقاقير النباتية ذات الاسم الموثق فى اللغة المصرية

الاسم الشائع	الاسم المصرى
الأدويـة شـائعـة الاستعمال	
• تين أكاسيا	شن دت
• الشعير	إت
• البقول	إيو ريت
• بريونى (من الفصيلة القرعية)	خاسيت
• زيت الخروع	دى جم
• شوك المسيح	نى بس
• القرفة	تى شيب سس
• الكسبرة	شاو
• السعادى	جيو
• البلح	بنر
• القمح الجبلى	بى دت
• التين	داب
• العنب	إيا رى رت

= المراجع الطبية (جدول 2 ـ 2)، ومنذ ذلك الوقت أصبح هناك مصادر متخصصة فى هذا الفرع: (قاموس فولكتر 1962) مصرى/ إنجليزى، وكذلك قاموس «الطعام.. هبة أوزيريس، جزء 2» لـ «دربى»، وغليونجى، وجريفتى (1977)، ورسالة الدكتوراه لـ «جيرمر» (1979)، وكذلك كتاب شاربنتيه (1981) الذى ضم تجميع لكل المصادر المهتمة بالنباتات فى مصر القديمة.

وبين عامى 1983 ـ 1989، نشر أوفرير سلسلة من الدراسات بلغت 27 دراسة حول تاريخ ومعنى الكلمات الدالة على مختلف المواد الطبيعية، وخاصة الكلمات التى ثار حول معناها الشك، ونُشرت هذه البحوث فى مجلة «ألبولتين» للهيئة الفرنسية للدراسات الأثرية الشرقية. وقد تتبع أوفرير الكلمات المصرية القديمة التى جاءت فى اللغة الديموطيقية وانتقلت إلى اللغة القبطية مع محاولة التوفيق مع الأبحاث اليونانية الرومانية التى قام بها بلليى وديو سقيريدس على الأخص. وأخيرًا لا ننسى بحثى «مانخ» عام 1989 و«جرمر» 1993 حول الأعشاب المصرية القديمة. ورغم كل هذا ما زال الكثير غير معلوم.

الاسم الشائع	الاسم المصرى
• القنب	شم شم
• العرعر	وان
• الكرات	إيا كت
• حبوب الكتان	مى هاى
• اللوتس	سى شن
• المورنجا	باك
• البصل	هد جو
• البسلة	تيهو أو بيريت ـ تيهو
• الرمان	إن هى من
• الزبيب	ون شى
• بذور القمح الجبلى	ماى ماى
• الجميز	نى هت
• الجميز المشقوق	نى كوات
• شجرة الطرفاء	إيزر
• البطيخ	بديدوكا
• الصفصاف	تى جى رت
• الأفنتين	سام
نباتات ذات استعمال محدود	
• الخروب	ند جم
• الشبت	إم ست
• ورق البردى	مى هيت
• بيرس	شاو أبو

(جدول 7ـ5) العقاقير النباتية ذات الاسم غير المؤكد، أو التي تحمل أسماؤها المصرية معانى أخرى مرادفة

الاسم المصرى	الاسم المرجح الآن	الاسم الآخر
سام	شجر الشاس	
إن ست	الينسون	
إشد	بيرسيا	
دجارت	الخروب	الحنظل
ما تت	الكرفس	نبات اليبروح سام من عائلة البطاطا
جس فن	الحلتيت (صمغ راتنجى)	شالكوبيريت النحاس
إن نك	الكونيزا	نبات الزعتر؟
بى بت	نوع من الكونيزا	شيح الربيع
تب نن	الكمون	كراوية
واهـ	اللوز البرى (بندق النمر)	الخروب
شنى تا	اللوز البرى (بندق النمر)	نبات الحلبة
هيماو هيمايت	فينوجريك فينوجريك	قرون الفاكهة
آش	شجر التَّنُّوت	الأَرز ، الصنوبر
كاد (أو) كادت	نوع من الهيدراسيا	
إيبر	اللاذَن (صمغ راتنجى)	
إفت / إفاى	الخس	البرسيم
شس بت	الشمام	الخيار
خت دس	الآس	

الاسم المصرى	الاسم المرجح الآن	الاسم الآخر
شى بن	زهرة الخشخاش	
شامس	حشيشة الحُمَّى	
برت شينى	حبوب الصنوبر المظلى من بيبلوس	الصنوبر
سوت 1 (1)	القمح	
سوت 2 (1)	نبات يرمز لشمال مصر، غير معروف قد يكون نبات الريد أو الرش	

(1) سوت 1 وسوت 2 كلمتان مختلفتان تمامًا وبكتابة هيروغليفية مختلفة، وإن كان لهما نفس النطق الصوتى.

(جدول 7 ـ 6) العقاقير النباتية غير المترجمة من اللغة المصرية القديمة حتى الآن

الكلمة المصرية	الكلمة المصرية	الكلمة المصرية
آآآمو	كابت	سى خت
آمو	كس بت	سى ميت (3)
بس بس	خت ـ أوا	شاشا (4)
دش رو(1)	مندجى	شى نف
جن جى نت (2)	ميكات	تن تم
هيدن	نى هد	تيام
إياو	نيا إيا أو (نى ويو)	تجون
إيبو	باخ-سيريت أو (باخ سيتت)	وام
إى نب	سا ـ وير	

الاسم المحتمل:

(1) جزء غير معروف من ثمار الذرة (سى خت).

(2) السِّنَا.

(3) احتمال أن يكون اسمًا جامعًا للخضراوات.

(4) النردين.

وبالرغم من ازدياد عدد النباتات التى يتم تمييزها، يبقى العديد من الأسماء المصرية القديمة التى لا يمكننا ترجمتها. وفى المقابل، هناك العديد من النباتات التى تُستخدم الآن فى المجال الطبى ولا نعرف لها اسمًا مصريًا قديمًا.

ومن أمثلة الكلمات المصرية التى تواجه صعوبات فى الترجمة، كلمة «دجارت dgaret» التى كان يُظن أنها نبات الحنظل (colocynth)، لكن تأكد الدارسون فيما بعد أنها **الخروب** Carob. ونبات **الشَّمار** Fennel المُستخدم كأحد النباتات الطبية المصرية، كان اسمه المصرى القديم غير معلوم، ولم يُستدل عليه من اسمه القبطى. وإذا كان معظم الباحثين قد اتفقوا على أن كلمة «أفت / أفاى» تعنى البرسيم، فيرى البعض أنه أحد أنواع **الخس البرى**. وإذا كانت الكلمة المصرية الدالة على الخس الملعقى - وهى «أبو Abu» لم توجد فى البرديات الطبية، فإن الخس كان معروفًا وكان مرتبطًا بالإله «مين» الذى له علاقة بالفحولة الجنسية. وكان نبات **«السَّنا»** يستخدم فى الطب القبطى، لكن لم يكن معلومًا لدى المصريين القدماء، وإن كان البعض يرى أن الكلمة المصرية القديمة **«جن جى نت gengenet»** تعنى السنا، ويستنتج من ذلك أن هذا النبات كان معروفًا لدى المصريين القدماء. وكانت الكلمة المصرية «خى تن» تُطلق **على الثوم**، ولا شك أنه كان مُستخدمًا فى الطب الفرعونى، بالرغم من أنه لم يظهر فى الدوائيات الفرعونية، وربما أُستخدم تحت سم آخر.

دستور الأدوية عند المصريين القدماء

استخدامات (مجموعات) الأدوية

المخدرات والمهدئات ومسكنات الألم

ليس لدينا ما يؤكد استخدام المصريين القدماء للمواد المخدرة التى كانت متاحة لديهم فى المجال الطبى. فبينما كان الأفيون والحشيش والمندراك معروفين أثناء المملكة الحديثة، فإن البرديات الطبية تخلو من أى استخدام لهذه المستحضرات.

الأفيون opium: كان الأفيون (مصدر المورفين) من أسهل النباتات فى التوصل إلى اسمه الفرعونى، وقد استقر الباحثون على أن كلمة «شى بن shepen» هى المرادف المصرى القديم التى تعنى زهرة الأفيون (الخشخاش).

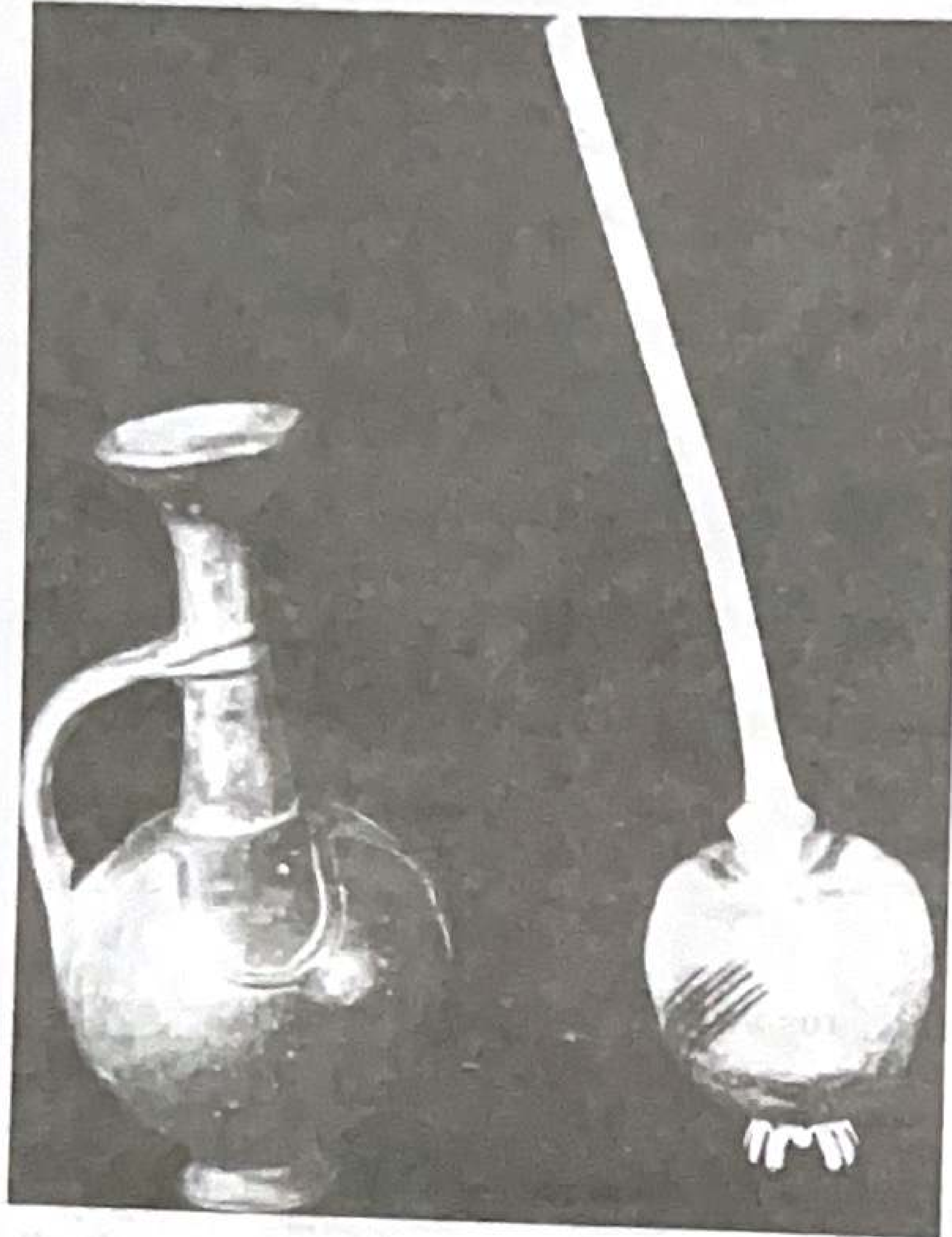
والمصدر الوحيد الذى يشير إلى استخدام نبات الأفيون علاجيًا هو ما جاء فى بردية إيبرز 782:

«علاج للقضاء على الصراخ المستمر (أشاوت) : (شيبنن Shepnen) من (شى بن Shepen)، براز الذباب من على الحائط، يخلطا معًا ويؤكل لمدة أربعة أيام، وسيختفى الصراخ على الفور».

وتعنى كلمة (**شى بن shepen**) زهرة الخشخاش، كما تعنى كلمة «شيبنن shepnen» بذور الخشخاش. وليس هناك شك فى أن الأفيون له تأثير قوى مؤكد فى **تهدئة الطفل الباكى**، وكان يستخدم على نطاق واسع فى بريطانيا خلال القرن التاسع عشر.

وتحتوى بذور الخشخاش على كمية قليلة من المورفين، الذى يُحَضَّر عادة من العصير الذى ينز عندما تُشَق الثمرة. والخشخاش ليس من النباتات القديمة بمصر ولا توجد شواهد تدل على معرفة المصريين القدماء به حتى زمن لاحق لكتابة بردية إيبرز؛ لذلك فالأرجح أنه كان يتم استجلابه من الخارج.

ويرى ميريللى (1962)، أن قوارير ذات عنق طويل وقاعدة مستديرة مفلطحة كانت تُستخدم لنقل **الأفيون المستورد** من قبرص حوالى عام 1500 ق.م، وبنى وجهة نظره على الشبه بين هذه القارورة وبين زهرة الخشخاش إذا قُلبت رأسًا على عقب (شكل 7: 4)، خاصة مع ما تردد عن العثور على بقايا المورفين فى إحدى هذه القوارير التى تم اكتشافها فى مقبرة «حا» من الأسرة التاسعة عشرة.



(شكل 7 : 4)

قارورة قبرصية تقليدية ذات قاعدة دائرية، كان يُستورد فيها الأفيون إلى مصر خلال الأسرة الثانية عشرة. ويظهر بجانبها زهرة خشخاش مقلوبة رأسًا على عقب لكى يبدو التشابه كما لاحظه ميريللى (1962).

غير أن وسائل التحليل الكيميائية الحديثة لم تؤكد وجود الأفيون فى ست من قوارير مقبرة «خا»، كما كانت هذه القوارير مصنوعة من الألباستر المصرى وليست قبرصية الأصل؛ لذلك أنكرت الموسوعة الألمانية أن يكون المقصود بـ«شى بن» زهرة الخشخاش. ويؤيد هذا الإنكار أن المصريين القدماء لو كانوا على معرفة بخصائص الأفيون لما اقتصر ذكر «شى بن» على فقرة واحدة من بردية إيبرز، ولما ذكر شيبنن مرات قليلة فى البرديات الطبية كمستحضر موضعى. كذلك لم يُذكر «شى بن shepen» ضمن مائتى عقار جاءت فى «بردية فين دوب» من مدينة التمساح والتى كتبت فى القرن الثانى الميلادى، بينما كانت خصائص الأفيون قد عُرفت فى ذلك الوقت بشكل جيد عند الإغريق والرومان.

الحشيش (Cannabis sativa): هناك شبه اتفاق على أن كلمة «شم شى مت Shemshemet» الواردة فى البرديات الطبية، تعنى الحشيش، وقد استمر استخدامه الدوائى طوال العصور الفرعونية وحتى الآن. وكان يتم تناوله عن طريق الفم، والشرج، والمهبل، وكضمادة فوق الجلد وفوق العين، ويستخدم أيضًا عن طريق التبخير.

الماندراك (Mandragora officinalis): الكلمة المصرية القديمة للماندراك هى «ريرمت Rermet». كما تطلق عليه بردية لندن وبردية ليدن من القرن الثالث الميلادى كلمة «مانت راجورو» الديموطيقية، وهى تشبه كلمة «مان دراجورا»، الذى هو نوع من الفاكهة نجد رسومه بكثرة (كنوع من الديكور) بداية من عصر العمارنة وحتى المملكة الحديثة.

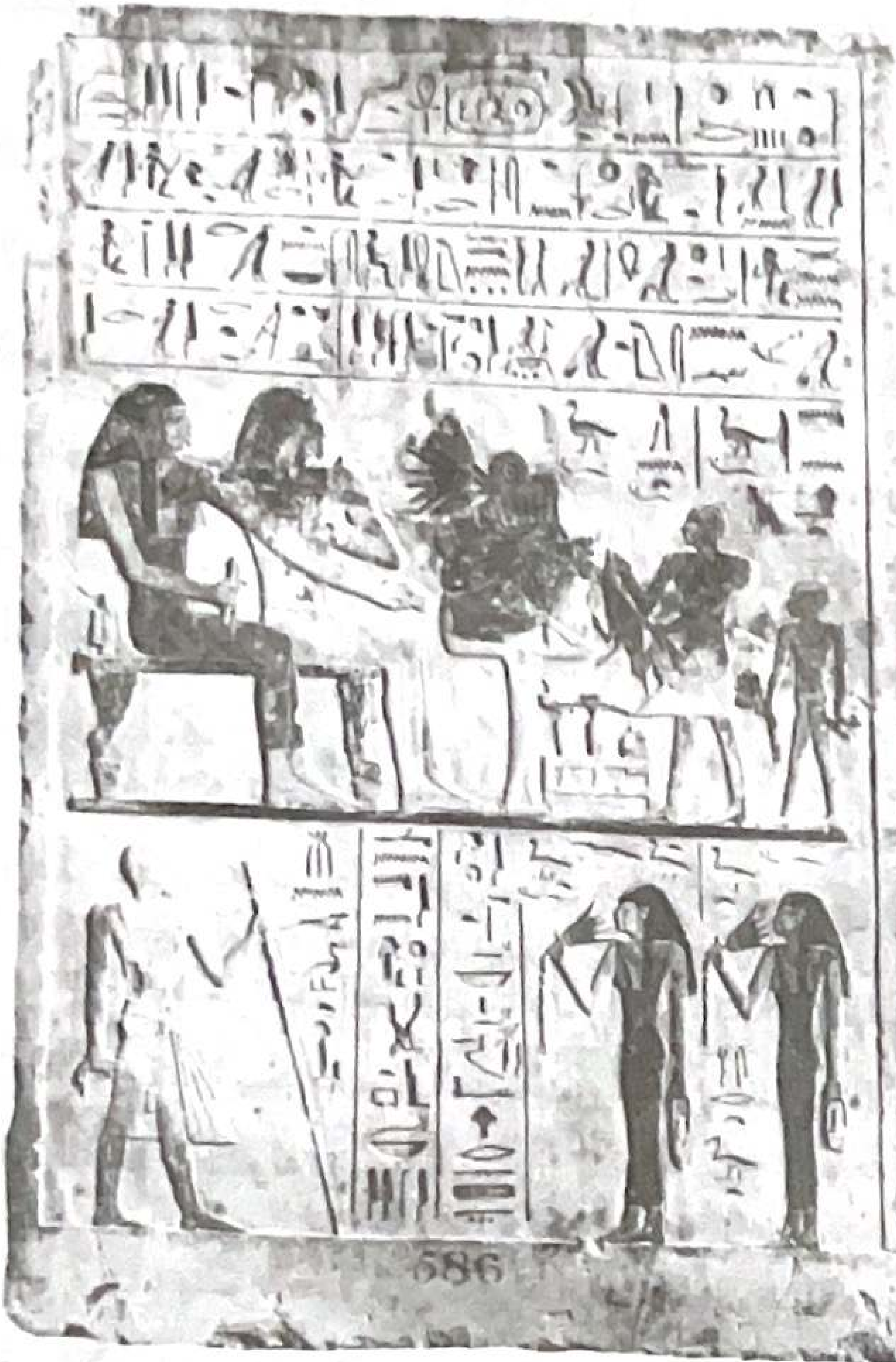
وتحتوى جذور الماندراك على أشباه قلويات الهيوسين والهيوسيامين، والماندراجورين، ويمتاز المستخلَص الكحولى لهذه الجذور بأنه مهدئ قوى، وقد يُحدث فقدان الشعور.

اللوتس (Nymphaea Caerulea, Numphaea Lotos and Nelumbo nucifèra): هناك الكثير من اللبس حول نوع النبات الذى يُعرف باسم «اللوتس». والنوعان الأولان المذكوران أعلى N. Lotos و N Caerulea، هما نباتا ورد النيل الأبيض والأزرق على التوالى، وهما نباتان مصريان. أما النوع الثالث Nelumbo فهو اللوتس الحقيقى القرمزى، وغالبًا لم تستورده مصر حتى الحقبة الفارسية. والكلمة المصرية «سى شن seshen» تشير إلى الأنواع الثلاثة، وإن كانت تطلق فقط على ورد النيل قبل هذه الفترة.

ويحتوى نبات اللوتس على أربعة من أشباه القلويات المخدرة، التى تتركز فى الزهرة

والريزوم[1] ولا وجود لها فى البذور والساق والأوراق، وتذوب أشباه القلويات هذه فى الكحول ولا تذوب فى الماء. ويظهر التأثير الدوائى لهذه المواد عند تناول الريزومات والزهور أو عن طريق شرب منقوع هذه الأجزاء فى النبيذ. ويبين رسم بردية تورين - حول الإثارة - امرأة مسترخية وزهرة اللوتس فوق رأسها، ولا يُحدث اللوتس أى تأثير إذا تم تشممه، عكس ما يظهر فى (شكل 7 : 5).

وتشير البرديات الطبية إلى تناول «خاو» **اللوتس كعلاج**، وفى قاموس فولكنر الـ«الخاو» بمعنى الزهور، بينما توضح الموسوعة الألمانية أنه الأوراق (الخالية من أشباه القلويات). ففى بردية إيبرز 209 نجد وصفًا لعلاج حالة **انسداد** فى الناحية اليمنى من البطن، ويُستخدم لعلاجها «خاو» اللوتس، الذى يتم مزجه بخمسة عشر مكونًا آخر من بينها الجعة، لتشكل مزيجًا يترك طوال الليل قبل تصفيته وتناوله.



(شكل 7 : 5)

نقش حجرى يرجع للأسرة الثانية عشرة، فى الناحية اليمنى من أسفل النقش تظهر سيدتان تستنشقان اللوتس (المتحف البريطانى).

وفى بردية إيبرز 479، هناك علاج لمرض بالكبد، غالبًا ما يكون مرض الصفراء الذى يصبغ الجلد؛ لذلك جاءت هذه الوصفة ضمن أدوية تُستخدم لأمراض الجلد، وتضم هذه الوصفة أيضًا «خاو» اللوتس التى يجب أن تترك طوال الليل بعد مزجها بالجعة والنبيذ حتى يتم استخلاص أشباه القلويات المؤثرة طبيًّا. وفى بردية شستر بياتى (VI : 13)، نجد استخدامًا لـ «خاو» اللوتس كحقنة شرجية بغير مزجه بالنبيذ أو الجعة.

(1) ساق أرضية شبيهة بالجذور.

مسكنات أخرى: بخلاف مشتقات الأفيون والمواد المخدرة التى ذكرناها، تتبقى أدوية قليلة لعلاج الآلام الشديدة التى تصاحب بعض الأمراض. فيوصى باستخدام جزء (غير معلوم بالتحديد) من **نبات الصفصاف** (تجى رت tjeret) لكى يحصل القلب (سيك sic) على التغذية (بردية إيبرز 293)، وقد يرجع تأثير الصفصاف إلى ما يحتويه من الساليسيلات[1] الموجودة بتركيز عالٍ فى قشور سيقان نبات الصفصاف، كما كان الصفصاف يستخدم كعلاج موضعى.

ومن أهم المواد المسكنة للآلام، **الكحول**، وقد عُثر على شواهد أكيدة على معرفة المصريين القدماء بالتسمم الكحولى؛ مما يرجح أنهم قد عرفوا تأثيره المسكن.

البخور والراتنجات[2]:كانت عملية التبخير تستخدم نوعين من الراتنجات؛ الأول: «سينيت جر Senetjer» وربما يكون **راتنج البُطم (تيريبنث** Terebinth) المعروف فى العصر الفرعونى، والنوع الثانى هو «أنتيو antyu»، وهو راتنج «**المُر**». وهذان الراتنجان ـ وعلى الأخص سينيت جر ـ كانا يوصفان أيضًا للتناول عن طريق الفم.

أدوية لأمراض الجهاز الهضمى

تهتم نحو ربع الوصفات الطبية التى جاءت فى بردية إيبرز بأمراض الجهاز الهضمى، وهذا يتفق مع ما جاء على لسان هيرودوت حين قال:

«**وكانوا كل شهر يقومون بتناول (الشَّرْبَات) أو الملينات لمدة ثلاثة أيام متتالية من أجل صحتهم العامة، وكانوا يستخدمون المقيئات والحقن الشرجية لاعتقادهم أن جميع الأمراض تأتى عن طريق الطعام الذى يتناوله الإنسان**».

وهذا يتفق أيضًا مع مفهوم الـ«ويخيدو» الذى يؤمنون به، ومن معانيه السم الذى ينشأ فى الأمعاء وينتقل إلى جميع أجزاء الجسم عن طريق الميتو (الفصل الثالث).

وإذا كان من الصعب التفريق بين التبول والتبرز فى كلمات مثل خا، وى سش، بيخا،

---

(1) الساليسيلات هى المادة الفعالة فى أشهر المسكنات قاطبة (الأسبرين) ـ (المترجم).

(2) الراتنج، مادة صمغية تسيل من معظم الأشجار عند قطعها أو جرحها ـ (المترجم).

ويخا، إذ تعنى جميعها الإفراغ، لكن تناول الملينات يوضح أن المعنى المقصود هو التبرز، كما فى الفقرتين التاليتين:

«**علاج آخر للأمعاء: اللوز البرى (شنى تا) 1/4، نبات جن جى نت 1/4، خشب الدود (سام) 1/4، جعة محلاة 15 رو، يخلط الجميع جيدًا، ويطبخ ويصفى ثم يشرب لمدة يوم واحد. إن هذا المزيج سيساعد المرء على إفراغ جوفه (وى سش) تمامًا**» (بردية إيبرز 24).

واللوز البرى (بندق النمر) (ريزوم نبات Cyperus esculentus) كان مكونًا أساسيًا فى الطعام، كما أن نبات خشب الدود ليس له تأثير ملين (جدول 7 ـ 7). ويظهر الجن جى نت عدة مرات بنفس الاستخدام، وقد يعنى السَّنَا. كما تظهر أيضًا فى إيبرز 31 كعلاج للتخلص من الإفرازات (هِسْ).

أما بردية إيبرز 25، فتُظهر جليًا معرفة المصريين القدماء بما لنبات زيت الخروع من تأثير ملين:

«**علاج آخر لتليين (ويخا) الأمعاء ولتفريغ البطن مما يعانيه الرجل: ثمار/ بذور (بريت) نبات الخروع (دى جيم)، يُمضع. ويُبلع مع الجعة حتى يخرج كل شىء من داخل بطنه**».

وكما جاء فى بردية إيبرز 251 b: «**إذا مضغ رجل يعانى أعراض «وى هى» فى برازه الثمرة الممزوجة بالجعة، فسيتم التخلص مما يعانيه**» ومعنى أعراض «وى هى» غير واضحة، وقد يكون تعبيرًا عن **الإسهال**، بينما يرى آخرون أنها تعبر عن **الإمساك**، والحالتان لهما علاقة وثيقة بالملينات.

وتقدم بردية إيبرز (188 ـ 208) عدة حالات تعانى انسداد المعدة (إر ـ إب r - ib)، وأحيانًا تعنى الكلمة المصرية «إر ـ إب r-ib» الإمساك.

ويشتمل (الجدول 7 ـ 7) على العديد من الأدوية التى كانت تستخدم كمسهل، أما بالنسبة للقضاء على الإسهال، فلا نجد إلا دواءً واحدًا فى إيبرز 44 لمنع إفراغ (وسى شت) الجوف.

ومن السهل تمييز العقاقير التى كانت تُستخدم لقتل **طفيليات الأمعاء**، رغم عدم قدرتنا على التعرف إلى الأسماء المصرية القديمةلأنواع الديدان المختافة (انظر: جدول 4 ـ 1). ومن هذه العقاقير خلاصة خشب الدود والرمان اللذين كانا معروفين بفعاليتهما ضد بعض الديدان، فى الوقت الذى يظل الكثير من هذه المركبات غير معلوم الفائدة والتأثير.

(جدول 7.7) بعض الأدوية التى كانت تستخدم كملينات، ومراجعها

الاسم المصرى القديم	الاسم العربى	المَراجع
بنر	البلح	إيبرز 11، 13، 19، 22، 28
داب	التين	إيبرز 6 ، 17
دى جم	ثمار نبات الخروع	إيبرز 25
دجارت	الخروب؟	إيبرز 8، 10، 17
نبات جن جى نت	غير معروف ـ ؟ السِّنَّا	إيبرز 11، 13، 24، 28، 31
جيو	عشب السعادى	إيبرز 19
هيات	ملح الدلتا	إيبرز 13، 23
نبات إى نب	غير معروف	إيبرز 16
ثمرة إى شد	البلانيتس؟	إيبرز 17
شجرة كيس بت	غير معروف	إيبرز 16
خاسيت	البريونى (نبات متسلق)	إيبرز 19
نك أوت	الجميز المشقوق [1]	إيبرز 7، 18
برت شنى	حبوب الصنوبر المظلى من بيبلوس	إيبرز 23، 29
سام	الأفسنتين	إيبرز 8، 24
سى نت جير	البُطم (بخور)	إيبرز 23
شاشا	النردين؟	إيبرز 26
شاو	كزبرة	إيبرز 19
نبات شن فت	غير معروف	إيبرز 16

الاسم المصرى القديم	الاسم العربى	المَراجع
شنى تا	اللوز الجبلى؟	إيبرز 9، 10، 11، 12، 14، 22، 24، 28
تب نم	الكمون	إيبرز 17
نبات تيام	غير معروف	إيبرز 17، 23
واد جو	الملاكيت	إيبرز 15
واه	اللوز الجبلى	إيبرز 22
نبات وام	غير معروف	إيبرز 16
وان	العرعر	إيبرز 23
السوائل الحاملة		
بيت	العسل	إيبرز 7، 8، 9، 10، 11، 12، 14، 16، 22، 23، 28، 29
هنكت	الجعة	إيبرز 9، 14، 15، 19، 24، 29
يادت	النَّدى	إيبرز 19
إى رب	النبيذ	إيبرز 9، 12
إير تت	اللبن	إيبرز 18
مِرهت	الدهن / الزيت	إيبرز 11، 17

(1) شق الجميز بساعد الطفيل Grasipes Longinus على الخروج من الثمرة.

أدوية لأمراض الجهاز البولى

هناك صعوبة فى التوصل إلى تصنيف لاضطرابات وأمراض الجهاز البولى من خلال البرديات (انظر: الفصل الرابع). كذلك لا يقدم العلاج الموصوف إلا القليل من المساعدة للوصول إلى التشخيص. ويعرض (جدول 7ـ8) قائمة بمكونات الأدوية المستخدمة فى مختلف اضطرابات الجهاز البولى التى ذُكرت فى الفصل الرابع.

(جدول 7ـ8) بعض الأدوية المستخدمة لعلاج اضطرابات الجهاز البولى

الاسم المصرى القديم	الاسم العربى	المَراجع
علاج البول الكثير والتبول المتعدد		
بى إن سوت	برغل الشوفان	إيبرز 274، 275، 277، 279
بيت	العسل	إيبرز 277، 278، 280
جيو	عشب السعادى	إيبرز 264
هن كت	الجعة .	إيبرز 264، 278
يارت	العنب	إيبرز 278
إى شد	البالانايت	إيبرز 274، 279
برت وان	العرعر	إيبرز 278
كجى ميت (بايت)[1]	الصمغ	إيبرز 275، 277، 279، 280
سيتى	الأوكر	إيبرز 274، 277، 279
علاج التبول الاضطرارى المتعجل		
جيو	عشب السعادى	إيبرز 276 = 281
هنكت	الجعة	إيبرز 276 = 281
برت ـ شنى	حبوب الصنوبر المظلى من بيبلوس؟	إيبرز 276 = 281

الاسم المصرى القديم	الاسم العربى	المَراجع
تنظيم التبول		
بنر وادج	البلح الطازج	إيبرز 266، 271، 283
بيت	العسل	إيبرز 263
جيو	عشب السعادى	إيبرز 283
هنكت	الجعة	إيبرز 271
خاست	البريونى	إيبرز 263، 271، 283
برت ـ شنى	حبوب الصنوبر المظلى من بيبلوس	إيبرز 271، 283
برت وان	العرعر	إيبرز 263، 266
سيتى	الأوكر	إيبرز 283
علاج الاحتباس البولى وآلام المثانة		
باك	زيت المورنجا	إيبرز 265
بيت	العسل	إيبرز 265
هيات	ملح الدلتا	إيبرز 265
هنكت ندجم	الجعة المحلاة	إيبرز 265

(1) كلمة كجى مت فى بردية هرست معناها الصمغ. وفى موضع مقابل فى بردية إيبرز تستخدم الكلمة المصرية «بايت» لنفس المعنى.

أدوية للتخلص من السعال

لحسن الحظ أن الكلمة المصرية القديمة التى تشير إلى السعال (سى ريت Seryt) معروفة ومتفق عليها؛ لذلك يمكننا بسهولة تتبع الأدوية الموصوفة للتخلص من السعال. أغلب الأدوية الموصوفة لعلاج السعال نجدها فى بردية إيبرز 190، 305 - 325، وبردية برلين 29، 31 - 34، 36 - 47، وكذلك بردية هرست 61 (انظر: جدول 7 ـ 9).

(جدول 7 ـ 9) بعض الأدوية المستخدمة لعلاج السعال (سى رت seryt)

مواد معدنية	
الشب (أيب نو)(*)	ملح الدلتا
الأوكر	تى شيرو
مواد حيوانية	
النخاع	العسل
كريمة ـ اللبن الرايب	اللبن
دهن الإوز	الدهن / الزيت (مرهت)
دهن الثور	أسنان الخنزير
دهن الخنزير	
مواد نباتية	
صمغ الأكاسيا	الدقيق
أوراق الأكاسيا	الصمغ
الجعة (بأنواعها)	الخس (أفا)
زيت المورنجا (بى هن)	البقول
الخروب (دجارت)	الراتنجات
الكمون	مرق الخضراوات
دقيق البلح	مرق دقيق الفطر
اللوز الجبلى	النبيذ
دقيق القمح البرى	الأفسنتين
التين	الفطر(*)؟ (سرمت)
الخبز الطازج مطبوخ بالزيت والعسل	حبوب الصنوبر المظلى من بيبلوس
نبات آ آ آ مو(*)	مينى ـ شبه قلوى(*)
نبات أماو(*)	ميكى رت (من الشاطئ)
أوت إيب (سانداراك؟)	نبات نيايا
نبات جن جى نت	سى نت جر
إى شد	الشاشا (النردين؟)
كى رك	شى نف (إت)
شجر خت دس	نبات تيام(*)
مى هوت	

(*) جميع الأدوية يتم تناولها عن طريق الفم، ما عدا الحالات ذات العلامة * فيتم غليها واستنشاق البخار المنبعث منها عن طريق أنبوبة، وهذا الأسلوب العلاجى يستخدم حتى الآن.

والعقاقير الموصوفة تنقسم إلى **أدوية مهدئة للسعال وأدوية طاردة للبلغم**.

وإذا كان العلاج الناجع لتهدئة السعال هو الأفيون ومشتقاته، فليس لدينا شواهد كافية على استخدامه فى هذا المجال أيام المصريين القدماء. ولكن تكرر كثيرًا لهذا الغرض فى مختلف المراجع استخدام المشروبات المحلاة والعسل والخروب والبلح.

أما **الأدوية طاردة البلغم** فتقوم بعملها عن طريق إثارة إفراز المخاط من جدار الشعب

الهوائية؛ بذلك يصبح السعال لينًا وليس جافًا؛ مما يساعد على التخلص من البلغم. وإذا زادت الجرعة المستخدمة، كان لهذه الأدوية مفعول مُقَيِّئ. وأهم أمثلة هذه المجموعة هو نبات عرق الذهب ونبات خشب الدود أو الأفسنتين الذى جاء ذكر استخدامه ثلاث مرات.

أدوية لأمراض النساء وأدوية لأمراض العيون:

سيتم ذكرها تفصيلًا فى الفصل التاسع.

الخلاصة

يضم علم الأقربازين المصرى القديم (الصيدلة) عقاقير مختلفة، من أصل معدنى وحيوانى ونباتى. ويمكن رصد معظم الأدوية من المصدر المعدنى والحيوانى فى مراجع ومصادر خارج البرديات الطبية. والكثير من هذه الأدوية كان تأثيره نفسيًّا وليس علميًّا، خاصة فى مجال تخفيف آلام، وبعض الأعراض المرضية الأخرى. ويمكن حصر حوالى 160 عقارًا من أصل نباتى، منها 20٪ فقط معروفة المصدر. وقد تَأَكَّدَ علميًّا التأثير الطبى الإيجابى للكثير من الأدوية ذات المصادر النباتية.

ويبقى أن نقول إن جرعات الأدوية فى الطب المصرى القديم كانت تحدد بالأحجام وليس بالوزن.

* * *

الفصل الثامن

الجراحة، والإصابات، والحيوانات الخطيرة

Surgery, trauma and dangerous animals

- الجراحة surgery
  - الآلات الجراحية
  - التصرفات الجراحية خارج نطاق الإصابات
    - بردية إيبرز
    - بردية إدوين سميث
    - التربنة
    - فتح فوهة فى القصبة الهوائية
    - الختان
- الإصابات Trauma
  - الجروح والتهتكات
  - الكسور
  - إصابات المفاصل
  - المضاعفات العصبية للإصابات
  - التيتانوس
  - الحروق
- الحيوانات الخطيرة
  - لدغ الثعابين ولسع العقارب
  - التعرف إلى أنواع الثعابين
  - تأثيرات اللدغ
  - التنبؤ بمصير المصاب
  - علاج اللدغات
  - لسع العقارب.
  - عضات التماسيح
  - عضات الإنسان
- الخلاصة



لا توجد شواهد كافية تفيد بأن التخصص الجراحى كان فرعًا منفصلًا عن الأمراض الباطنية العامة فى مصر القديمة. وفى الفصل السادس نجد إشارات تفيد أن كبار كهنة سخمت كانوا يمارسون **الجراحة**، تاركين للطبيب (سُونُو ـ swnw) التركيز على ممارسة الطب الباطنى.

وقد كان للمصريين القدماء خبرة كبيرة فى التعامل مع **الإصابات والكسور** (انظر: لاحقًا)، لكن لا ندرى مدى خبرتهم فى التعامل مع **الحالات الجراحية البعيدة عن الإصابات**. وبخلاف الرسومات والمناظر التى تجسد عملية الختان والاحتفال بها، والتى نجدها منقوشة فى مقبرة عنخ ماهور وفى بهو مُوت فى الكرنك، لا نجد رسومًا جراحية أخرى كالتى نجدها فى العصور الوسطى، كما لا توجد شواهد على ممارسة جراحات كبيرة يمكن مقارنتها بتلك التى أجراها «سلسوس Celsus» فى الحقبة الرومانية[1].

الجراحة surgery

الآلات الجراحية

لقد ترك لنا الطب اليونانى ـ الرومانى ثروة من الآلات الجراحية، يتسم الكثير منها بدقته وكفاءته. وعلى النقيض لم يترك لنا المصريون القدماء آلات جراحية واضحة

(1) هذا مثال لما ذكرناه فى المقدمة من تعصب المؤلف (وغيره من دارسى الطب الفرعونى من الغربيين) للطب اليونانى ـ الرومانى على حساب الطب المصرى. فنحن نرى أن مقارنة الطب الفرعونى بالإنجازات التى حدثت فى العصور الوسطى أو بإنجازات «سيلسوس» التى حدثت فى القرن الأول الميلادى، مقارنة غير عادلة ـ (المترجم).

المعالم، لكن وجدت بعض الآلات فى مقبرة «خا» (شكل 8 : 1) كانت تستخدم لمختلف الأغراض التجميلية، ويمكن استخدامها فى أغراض الجراحة، علــى أنه لا يوجد دليل على هذا الاستخدام الأخير. وعلى كلٍّ فإن مجموعة الأدوات التى عُثر عليها تدل على امتلاكهــم مهارات تقنية عـالية تسمح بصناعة الأدوات الجراحية المعقدة[1].



(شكل 8 : 1)

آلة دقيقة مجهولة الاستخدام الحقيقى.. من مقبرة «خا»، فى دير المدينة، الأسرة الثامنة عشرة (المتحف المصرى، تورين).

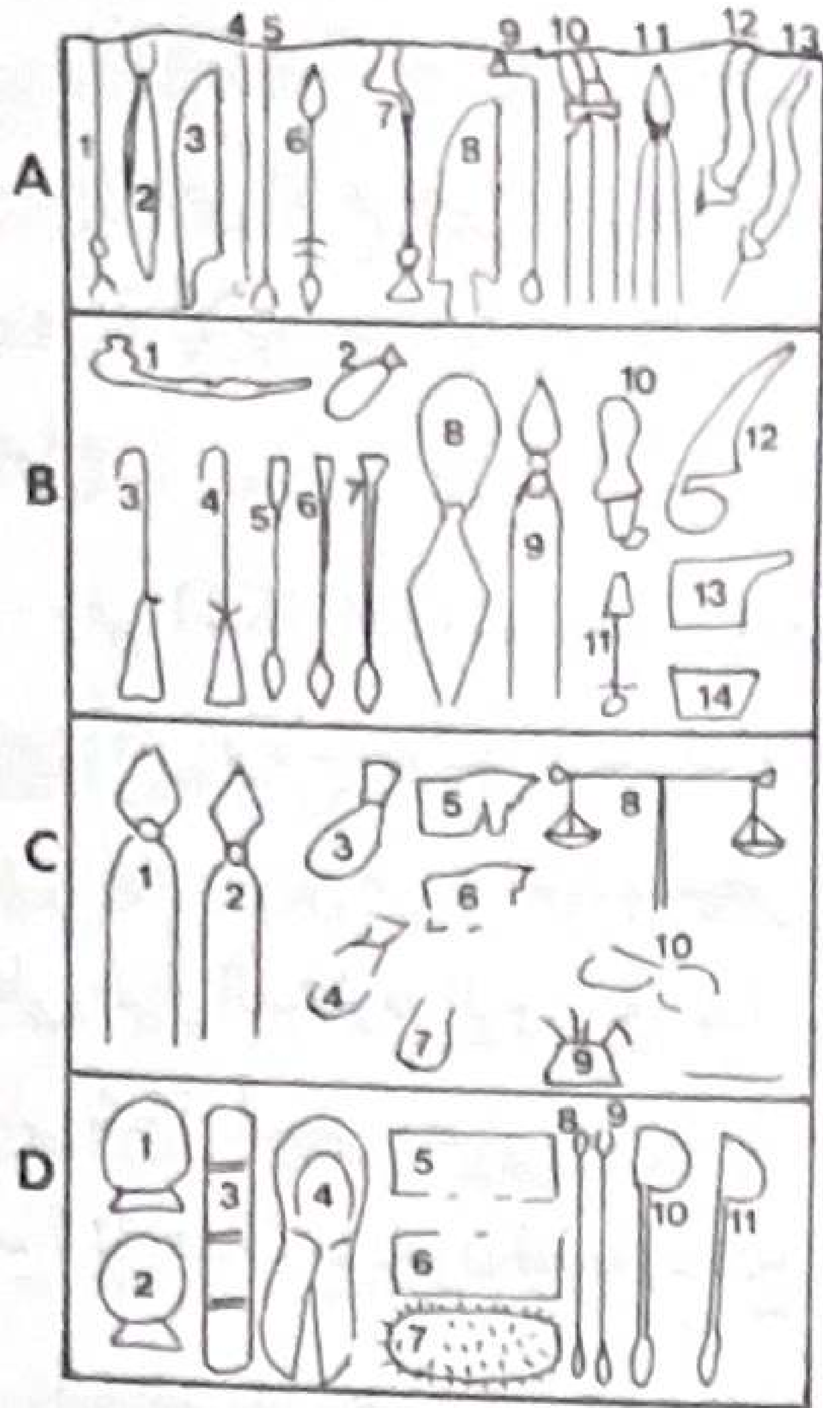
وهناك مجموعة رائعة من الأدوات منحوتة على حجر فى معبد كوم أمبو، الذى يعود للعهد البطلمى[2] (شكل 8 : 2). لقد أصبح هذا النقش مصدرًا للكثير من الاهتمام والمناقشة والجدل، واختلفت الآراء حول طبيعة هذه الآلات. هل كانت تُستخدم فى الأغراض الجراحية أم فى أغراض غير طبية؟

ويشتمل النقش على مجموعة من الآلات الموضوعة فوق مائدة الهبات، وهى تشبه لدرجة كبيرة الرسوم التوضيحية للآلات الجراحية عند اليونان والرومان، هذا بالرغم من أن النقوش الأخرى المحيطة بهذا الحجر مصرية تمامًا.

---

(1) هذا مثال آخر للتعصب ضد الطب المصرى القديم؛ إذ إن هذا الإقرار، وكذلك صنع الآلات التجميلية والآلات الجراحية الدقيقة التى سيعرضها المؤلف بعد قليل، تدل على قيام المصريين القدماء بإجراء عمليات جراحية تقارب تلك التى أجراها اليونانيون بعد مئات السنين ـ (المترجم).

(2) هذا المعبد الكبير معبد ثنائى؛ فهو مكرس للإله حورس الأب وكذلك سوبك، ويعود المعبد للملك بطليموس السادس وهو الملك الأول الذى تأتى صورته فى نقوش هذا المعبد. ولهذا المعبد جدار خارجى يحيط به، ويرجع للنصف الثانى من القرن الميلادى الثانى. والحجر المذكور يوجد بالقرب من الزاوية البحرية الغربية على الواجهة الداخلية لجدار المعبد الخارجى.



(شكل 8 : 2)

الآلات المنقوشة على الناحية الداخلية من الحائط الخارجى المحيط بمعبد كوم أمبو من (العصر الرومانى)، والحروف والأرقام فى الرسم التوضيحى تشير إلى محتويات النقش.

تحديد لأسماء الآلات (بنسبة عالية من المصداقية)

A 1 خطاف حاد بفرعين ـ A 8 شفرة منشار.
B 2 قارورة أو حقنة شرجية.
B 4،3 خطاف ـ B 7،6،5 مجس ملعقى.
B 8 مكسرة القحف.
C 2،1 جفت أسنان أو جفت عظام.
C 4،3 قارورة أو حقنة شرجية ـ C 8 ميزان.
D 2،1 كأس الحجام D ـ 3 جراب للآلات.
D 4 مقص ـ D 6،5 صندوق ضمادات.
D 7 إسفنجة ـ D 9،8 مجس مزدوج.
D 11،10 مشرط.

تحديد لأسماء الآلات (بنسبة مصداقية اقل)

A 2 جفت أسنان أو جفت عظام أو جفت زنبركى.
A 3 حد منشار أو حد سكين.
A 4 مجس ـ A 5 خطاف حاد بفرعين.
A 9،7 آلة كى.
A 11،10 آلة ثلاثية الفروع.
A 13،12 قساطر للرجل البالغ.
B 9 جفت أسنان أو جفت عظام أو جفت لهاة.
B 12 سكين ـ B 14،13 هون (مصحن).

وإذا كان هناك تداخل فى الشكل بين الآلات ذات الاستخدام الجراحى، وتلك التى تُستخدم فى الأغراض المنزلية، فإن الكثير من الآلات فى (شكل 2:8) يمكن اعتبارها بسهولة **آلات جراحية** تم اكتشافها فى موقع طبى أو مرسومة داخل مقبرة طبيب جراح.

وفى (شكل 2:8) تم توضيح وتعريف مكونات النقش الحجرى فى رسم توضيحى. ومن أكثر الآلات توثيقًا للاستخدام الجراحى D11, D10، اللتان تُظهران آلتين متشابهتين ذواتا عنق طويل من الحديد بمقبض وبنهايتهما **نَصْلٌ جراحى**، وهو مفلطح بشكل ورقى على طراز المشارط الرومانية. كذلك الشكل D 3، **فهو صندوق أو حاوية** رومانية الطراز على شكل أنبوبى مصنوع من سبيكة نُحَاسية لحفظ بعض الآلات الجراحية أو الأدوية. أما D 7، فغالبًا ما تكون **قطعة إسفنج**.

أما **الميزان** (C 8) فهو مثير للجدل، ويُعتبر أكبر الأدلة على أن هذه الآلات ليست مصرية؛ لأن المصريين القدماء كانوا يُحَضِّرون العقاقير ويحددون كمياتها على أساس الحجم وليس الوزن (انظر: الفصل السابع). كما أن إرجاع هذه الآلات لأصل رومانى يتمشى مع زمن تشييد البناء[1].

وتشير البرديات الطبية فى العديد من المواقع إلى **العلاج بالمشرط** «ديجوا»، وهناك فى اللغة المصرية القديمة أربع كلمات تشير إلى المشرط الذى كان يُستخدم فى الأغراض الطبية الجراحية، وهى «دس des»، و«خى بت khepet»، و«شاس shas»، و«هى مم hemen». غير أن الاستخدامات المحددة لكل من هذه الآلات غير واضح، باستثناء مشرط الـ «خى بت»، الذى جاء استخدامه فى جراحات الأذن فقط (إيبرز 767).

وفى الغالب أن استعمال المشارط والسكاكين المصنوعة من **حجر الصَّوَّان**[2] flint قد

(1) نرى هنا مرة أخرى محاولات التقليل من الإنجازات الطبية للمصريين القدماء لحساب الطب الرومانى ـ اليونانى. فالمؤلف تارة يحاول نفى أن تكون هذه الآلات أدوات جراحية، وإن كنت أجزم (بصفتى أستاذًا للجراحة) أنها لا يمكن إلا أن تكون آلات جراحية. وتارة أخرى يجتهد المؤلف فى نفى الأصل الفرعونى للآلات، بالرغم من أن الحجر المنقوش عليه الآلات محاط برسوم وكتابات مصرية ـ (المترجم).

(٢) فلنت: حجر صلب، نوع من الكوارتز والسيليكا، ولصلابته كان المصريون القدماء يستخدمونه لإشعال النار بحك قطعتين منه.

استمر طوال العصر البرونزى، وكان للمصريين القدماء مهارة خاصة فى قطع وتشذيب الصَّوان فاقت قدرات العالم أجمع. ويرى ميللر (1994) أن السكاكين والمشارط التى تصنع من الصوان تكون معقمة وصالحة للتدخل الجراحى، ويمكن الاستغناء عنها بعد استخدامها مرة واحدة. وهذا يعتبر استعمالًا مثاليًّا يشابه ما يحدث الآن من استخدام المشارط مرة واحدة ثم يُتخلص منها (Disposable).

وقد جاء فى التوراة (سفر الخروج 4 : 25) أن صفورة زوجة النبى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قامت بختان ابنها باستخدام قطعة من حجر الفلنت ملقاة على الأرض، وهم فى طريقهم من أرض مَدْيَن إلى مصر. كما جاء فى قصة الأخوين (انظر: الفصل الأول)، أن «باتا» قام بإخصاء نفسه بواسطة مدية «سى فت»، وهذه الكلمة لم تظهر فى البرديات الطبية كاسم للمشرط، لكن الكلمة القريبة منها «سيف» بمعنى (يقطع) جاءت فى بردية إيبرز 766. وهناك مرجع واحد لاستخدام آلة جلخ (سوت) لتهذيب الفلنت وتصنيع ما يشبه المشرط لاستخدامه فى العمليات الجراحية (إيبرز 876؛ انظر: لاحقًا).

وتأتى فى بردية بروكلين كلمة «تش تش» بمعنى لدغ الثعابين، كما تعنى (قطعًا أو جرحًا) باستخدام مشرط «دس» المخصص لعلاج اللدغ.

وهناك **مشرط خامس** يمثل حالة خاصة واسمه «بى سش ـ كف pesesh - kef»؛ إذ له نهاية تشبه ذيل السمكة، وبذلك يشبه الرسم الهيروغليفى الذى يعبر عن رحم البقرة ذى القرنين. ويبدو المشرط كسكين من صخر الفلنتُ كانت تستخدم منذ عصر ما قبل الأسرات، ومع الوقت أصبحت ضمن مجموعة الآلات التى تستخدم فى طقوس (فتح فم المتوفى) حتى يتناول الهِبات الغذائية. وفى إحدى الرُّقى المكتوبة فى نقوش الأهرامات نجد ما يفيد بأن هذا المشرط «بى سش ـ كف» كان له دور فى تثبيت الفك السفلى للمومياء. كذلك كان يُستخدم فى قطع الحبل السرى، وقد يكون لذلك تأثير سحرى فى الميلاد الثانى للمتوفى. وهذه الآلة الجراحية تشبه غطاء رأس الإلهة «مس خى نت» المنوطة بعملية التوليد، والتى يُعتقد أنها تتواجد بشخصها على طاولة الولادة.

وبالإضافة لهذه الآلات، عرض ليكا (1988) مجموعة من **الآلات الجراحية الخاصة بأمراض العيون**، ويُعتقد أنها تنتمى لفترة متأخرة بعد العصر الفرعونى.

التصرفات الجراحية خارج نطاق الإصابات

لا توجد أدلة كافة على أن المصريين القدماء قاموا بإجراء عمليات جراحية كبيرة بالمستوى الذى مورس إبان القرن الأول الميلادى، كما وصفها الرومانى سلسوس. فبالنسبة للمومياوات، يذكر رولنج (1989) أنه لم يتوصل من خلال فحص 30.000 مومياء إلى أى علامات جراحية أو ندب التامية تكشف عن إجراء جراحى[1]. والرسومات القليلة التى تم العثور عليها تشمل عملية الختان، بجانب بعض ممارسات طب الصناعات فى مقبرة «أب وى»، وأخيرًا رسم فى معبد «أبو سنبل» لجندى من جيش رمسيس الثانى يعالج ساقه.

بردية إيبرز

إذا نظرنا إلى البرديات، وجدنا الجزء الأخير من بردية إيبرز (الفقرات 863 ـ 877) يختص بالحالات الجراحية خارج نطاق الإصابات، فهو يدور حول الأورام والتورمات، وسنقوم بتلخيصه فى (جدول 8 ـ 1).

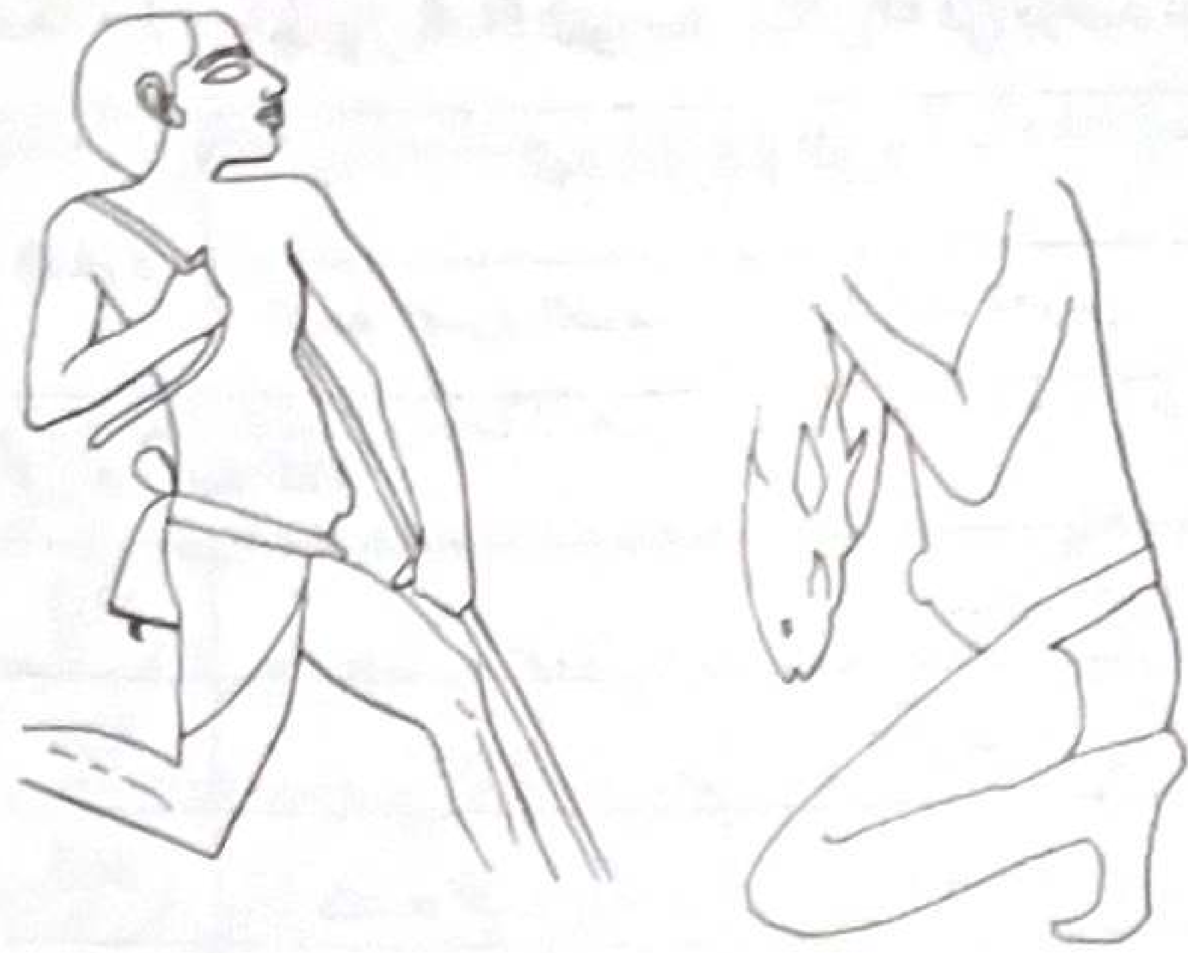
ويبدأ هذا الجزء بحالة مرضية تم تقديمها فى الفقرة 863، كورم باللحم «هاو» فى أحد أطراف الرجل؛ ويشير الوصف إلى ورم صلب، أما العلاج فكان «ساهى مم» الذى لم يمكن ترجمته فى الوقت الحاضر.

أما الفقرة التالية، وهى 864، فتستحق العرض بالتفصيل:

«تعليمات حول ورم (آ آت aat) يقع فى أعلى جدار (وى بت wepet) البطن: إذا قمت بفحص ورم فى جدار البطن فوق السرة، فعليك أن تضع يدك عليه، ولاحظ انتفاخ الورم تحت يدك عندما تأمر المريض بالسعال».

هذه الفقرة وصف كلاسيكى دقيق للغاية لحالة الفتق السرى أو فوق السرة (انظر: الفصل الرابع)، وقد جاء تسجيل الفتق السرى فى عدة رسومات ونقوش لدى بعض الخدم والعمال (شكل 3:8)، وكلمة «وى بت» لها معانٍ أخرى قد تسبب لبسًا، لكن عبارة (فوق السرة) تبعدنا عن تشخيص الفتق كفتق إربى. ثم تستمر الفقرة السابقة فى التعامل مع الحالة وكيفية علاجها:

(1) يبدو أن إجراءات التحنيط وطول الزمن الذى مضى على هذه المومياوات كانا كفيلين بإخفاء آثار أى ندب التامية، وإلا لظهرت على الأقل آثار نُدب جروح الإصابات، التى لا شك أن المصرى القديم قد تعرض لها بكثرة ـ (المترجم).



(شكل 8 ـ 3)
مريضان بفتق سرى. نقشان من جبانات الأسرة السادسة بسقارة.
إلى اليمين، من مقبره ميهو.
إلى اليسار، من مقبرة بتاح ـ حتب.

«فى هذه الحالة عليك أن تقول «إنه تورم فى جدار البطن.. وهى حالة يمكنتى التصرف حيالها. إن حرارة المثانة فى مقدم بطنه هى السبب فى هذه المعاناة. والرقود على الأرض قد يتسبب فى اختفاء الورم، ويجب عليك أن تسخن (شى مم) الورم لكى تعيده داخل بطنه، ثم عالجه بإجراء ساهى مم».

لا شك أن هذا التعامل يتفق مع ما يقوم به الجراحون المعاصرون، فهم يطلبون من المريض أن يستلقى على ظهره حتى يختفى الفتق، كما يلجأون إلى التسخين (الكمادات الساخنة) كى تسترخى عضلات البطن؛ مما يسهل رجوع الأمعاء من داخل الفتق إلى داخل البطن. وربما يشير التسخين إلى نوع من الكى يستخدم لإحداث تليفات فى الأنسجة بأمل أن ينغلق عنق الفتق.

والفقرة 865، تشير إلى تورم فى الجزء السفلى من البطن، مع وجود ماء فى بطنه يتحرك إلى أعلى وأسفل. قد يكون هذا وصفًا دقيقًا لحالة الاستسقاء (تراكم السوائل المائية داخل تجويف البطن). والعلاج المتبع هو ثَقب جدار البطن بواسطة مشرط (هى مم). وقد اتبع سلسوس نفس طريقة العلاج خلال القرن الأول الميلادى[1].

أما الفقرة 866، فهى الأولى التى تناقش تورمات «الميتو metu» (هذه الكلمة الصعبة التى تم شرحها بالتفصيل فى الفصل الثالث)، والميتو يعنى أجزاء الجسم المختلفة التى تتسم بالطول والرفع مثل الأوعية الدموية، والقنوات، والعضلات وأوتار العضلات، وأحيانًا الأعصاب. ومن المرجح أن هذه الفقرة تشير إلى تورم بالأوعية الدموية، مثل الورم العِرقى الدموى Haemangioma.

(1) يتم التخلص من الاستسقاء الآن بثقب جدار البطن بإبرة خاصة وليس بمشرط، ويُجمع السائل المندفع خارجًا فى وعاء عن طريق أنبوب ـ (المترجم).

(جدول 1.8) التورمات والأورام فى بردية إيبرز (الفقرات 863 - 877)

الفقرة	نوع التورم أو الورم: الاسم المصرى القديم	نوع التورم أو الورم: المرادف العربى	العلاج المقترح
أورام آت aat			
863	هاو	ورم بالأنسجة (لحم)	(سا هى مم) علاج غير معروف
864	هيسو	فتق سرى	سا هى مم + تسخين
865	مو	استسقاء	ثقب بمشرط هى مم
866	سفت من ميتو	ورم الأوعية	(دجى وا) علاج بالمشرط
867	أدج	ورم دهنى	(دجى وا) علاج بالمشرط
868	سا	غير معروف	(دجى وا) علاج بالمشرط
869	ريت	خراج	(دجى وا) علاج بالمشرط
870	شينى	كيس شعر	(دجى وا) علاج بالمشرط
871	ويخيدو	خراج	(دجى وا) علاج بالمشرط
872	ميتو	ورم دموى	علاج بمشرط محمى
873 (أ)	ميتو	ورم دموى كهفى	لا علاج ـ الرقى والتعازيم
873 (ب)	آت بالخُنسو	غير معروف	لا علاج ـ الرقى والتعازيم
874	آت بالخُنسو	ورم خبيث	لا علاج ـ الرقى والتعازيم
875	ــــ	دودة غينيا؟	علاج جراحى بمشرط شاس وجفت هينو
أورام سى فت sefet			
876	سى فت	تجمع دموى	ثَقب الجلد بمشرط محمى
أنوت ورم خنسو anut swelling of khonsu			
877	أنوت الخُنسو	احتمالات متعددة	لا علاج جراحى

وبعد التقديم للحالة وتشخيصها، يُنصح بعلاجها جراحيًا «دجى وا». وهذه كلمة شائعة للغاية فى البرديات الطبية (انظر جدول 8 ـ 1)، ويمكن ترجمتها إلى «إجراء إحدى العمليات».

والفقرة 867، تشير إلى كتلة دهنية «أدج» تتحرك جيئة وذهابًا تحت أصابع الفاحص. وهذا الوصف ينطبق تمامًا على **ورم دهنى تحت الجلد** Subcutaneous Lipoma، وتتأكد طبيعته الدهنية **بعد استئصاله**. وهنا يأتى النصح باستخدام العلاج الجراحى؛ ثم اتباع التعليمات **المعتادة** للتعامل مع الجرح. ولا يأتى ذكر لخياطة الجرح باستخدام الغرز، وقد يكون ذلك من البداهة التى لا تحتاج لذكر، وإن كانت التوصية بذلك تأتى فى بردية إدوين سميث لعلاج الجروح. (انظر: لاحقًا).

والفقرة 868، تشير إلى ورم فى الـ «سا»، الذى يعنى هنا اللحم، ويأتى الوصف بأن هذا **الورم يشبه الجلد**، وعند التحسس يكون صلبًا كبير الحجم ومؤلمًا. وإذا كان هذا الوصف لا يُمَكِننا من الوصول إلى تشخيص، فإن التدخل الجراحى هو العلاج الذى يُنصح به.

والفقرتان 869 و871، تشرحان ما قد يكون **خُرَّاجًا**، وهذا الموضوع تم مناقشته فى الفصل الرابع. وفى الحالتين يوصى باستخدام المشرط.وهذا عكس ما جاء فى بردية إدوين سميث حول **خراج بالثدى** (حالة رقم 46)، عندما يوصى بعدم التدخل الجراحى، ربما لأن الصديد كان قد خرج عن طريق الجلد تلقائيًا بعد أن كبر حجم الخراج وازداد الضغط داخله فانفجر.

أما الفقرة رقم 870، فتتعرض لورم به شعر «شينى»، وربما أصابت المصريين القدماء الدهشةُ لذلك، ويوصى باستخدام المشرط للعلاج. وقد تكون هذه الحالة **كيسًا جلدانيًا** (Dermoid cyst)، والذى قد يوجد به بعض الشعر، أو قد يكون **ناصورًا عصعصيًا** pilonidal sinus، الذى يكون الشعر ضمن محتوياته، ومكانه المعتاد خط منتصف الظهر فى أسفل العمود الفقرى.

والفقرة 872، تصف أيضًا ورمًا بالميتو، وهو ورم مستدير وصلب الملمس عند الفحص. وينصح بإحماء المشرط فى النار قبل استخدامه، حتى لا يكون النزف شديدًا. وهذا يدعم تشخيص الورم العِرقى الدموى Haemangioma.

والفقرة 873 a حول ورم فى الميتو أيضًا، وجاء الشرح: تحسها بأصابعك كعقد متعددة، وهو ما قد يكون **ورمًا عِرقيًا دمويًا كهفيًا** Cavernous Haemangioma، وقد عُرفت خطورة هذه الحالة وقابليتها للنزف الشديد إذا تم التعامل معها جراحيًا؛ ولهذا تأتى التعليمات «لا تضع يدك على أى تورم مثل هذا» واكتفى بالرقى والتعازيم.

والجزء الثانى من الفقرة 873 b، يتعرض **لورم «آ آت aat» بالخنسو**، والعلاج هنا لا يزيد عن تلاوة بعض الرقى.

والفقرة التى تليها 874، تشرح أيضًا **ورم «آت» بالخنسو**، وهو ورم خطير خشن الملمس، وبداخله عدة أورام صغيرة، وتأتى النصيحة «يجب عليك ألا تفعل شيئًا لهذه الحالة».

ونجد تفاصيل أخرى حول العلاج الجراحى فى الجزء الثالث من الفقرة 875، جاء ذكرها بالتفصيل فى الفصل الرابع، وهى حول **إخراج دودة غينيا**. ويقدم هذا الجزء آلتين جراحيتين: مشرط «شاس»، وآلة «هينو»، والكلمة المعبرة عن (يمسك) وهى «ندجر»، تجعلنا نتصور الجراح ممسكًا بجزء من الدودة المراد التخلص منه بواسطة آلة الـ «هينو» بيد، بينما يمسك بيده الأخرى مشرط «شاس» وهذه هى الممارسة الطبيعية للجراح الذى يستخدم الجفت بيد والمشرط باليد الأخرى. وللأسف فإن طبيعة الآلة «هينو» (مثلها أيضًا الآلة هينويت) لا تزال غامضة، ويمكن تصور أنهما نوعان من الجفوت الجراحية (ملقاط).

الفقرة رقم 876، تتحدث عن «سى فت» الميتو، و«سى فت» كلمة غير معروفة، ويجب تمييزها عن الكلمة «شى فت» بمعنى الورم. لكن يأتى فى وصف الحالة أن «سى فت» تكون حمراء ومستديرة (أو مرتفعة) وأنها نتيجة ضربة من عصا. وإذا كانت الميتو فى هذه الفقرة بمعنى أوعية دموية، فإن الحالة يمكن أن تكون **تجمعًا دمويًا تحت الجلد**. وجاء العلاج المقترح واضحًا «عليك استخدام المشرط فى العلاج»، وهذا يتضمن تفريغ التجمع الدموى عن طريق عدة ثقوب صغيرة فى الجلد. وتعترض الخبرة الجراحية الحالية على هذا الإجراء؛ حيث يساعد على تلوث التجمع الدموى وتقيحه نتيجة لدخول بعض الميكروبات عن طريق ثقوب الجلد.

والفقرة 877، تعطى تعليمات العلاج لحالة «أنوت» خنسو، وكلمة «أنوت» لم تظهر فى أى مكان آخر، ولكن قد تعنى أى ورم «شى فت» ولا مكان للتدخل الجراحى فى هذه الحالة الغامضة. وهناك **عدة احتمالات لمعنى أنوت الخنسو**، فقد يكون نوعًا من أنواع

السرطان، أو جذام الجلد، أو الطاعون التورمى أو ورمًا ليفيًا عصبيًا، وفى هذه الحالات لم تكن الخبرة الجراحية تنصح بالتدخل.

بردية إدوين سميث

أما **بردية إدوين سميث** التى تعتبر مرجعًا لكيفية التعامل مع **إصابات الجزء العلوى** من الجسم، فلا نجد فيها إلا ثلاثًا من الحالات الجراحية المهمة خارج نطاق الإصابات؛ وهى حالات تشير إلى **أورام وقُرَح والتهابات بالثدى**، وهى الحالات (39، 45، 46). وفى هذه الحالات نجد وصفًا واضحًا لكتل، منها الصُّلب ومنها الطرى، ومنها المؤلم ومنها ما يحتوى على سائل بداخله. وبينما تدل أوصاف هذه الكتل على أورام أو خراريج الثدى، نجد بردية إدوين سميث تشير إلى أنها جروح متقيحة. وتأتى النصائح الطبية بعدم التدخل أو اللجوء إلى الوصفات الموضعية، ولم يأتِ ذكر للتدخل الجراحى بالمشرط فى أى من هذه الحالات. وبصفة عامة لم يأت ذكر السكين أو المشرط واستخدامه فى العلاج الجراحى فى بردية إدوين سميث.

ولا يوجد ذكر لأى نوع من أنواع **التخدير** للإجراءات الجراحية السابقة، وهذا يفسر الخوف الذى كان سائدًا تجاه إجراء العمليات الجراحية. ولا توجد أى شواهد تفيد استخدام المصريين القدماء لأى أدوية مخدرة باستثناء الكحول، الذى يسبب بعض التنميل للحواس (انظر: الفصل السابع).

التربنـة - Trephining

التربنة هى إجراء جراحى يُجرى فى العصر الحاضر عن طريق إزالة جزء من عظام الجمجمة بغرض إيجاد طريق إلى مخ الإنسان. وهناك ما يثبت أن هذه العملية قد أجريت فى الماضى ـ خاصة فى فرنسا وجيركو وبيرو ـ بنجاح، وعاش المصاب بعدها لفترة، ويتضح ذلك من فحص عظام الجماجم وما تظهره من التئام حواف العظم.. وحتى الزمن القريب كانت هذه العملية تتم على يد من يمارسون الطب من غير الأطباء **فى أفريقيا**، وبغير تخدير، وذلك لعدة دوافع طبية، وأغلب هؤلاء المرضى عاشوا لفترات[1].

(1) **هناك عدة أساليب لعمل التربنة**: فقد تتم عن طريق نشر أربعة جوانب لمربع من العظم بواسطة منشار ثم يتم رفعه، أو عن طريق حفر محيط دائرة فى عظم الجمجمة بواسطة نصل معدنى حاد أو نصل من الفلنت، ثم تزال الدائرة، وأيضًا من الممكن إحداث عدة ثقوب فى حلقة دائرية، ثم كسر الدائرة من العظم. والقشط وحده قد=

وقد كان الرأى السائد أن المصريين القدماء لم يعرفوا عمليات التربنة؛ إذ إن جميع البرديات التى وصلت إلى أيدينا ليس بها ذكر لهذه العمليات؛ كما أن الشواهد من المومياوات والهياكل العظمية ليست واضحة. وفى معظم الحالات فإن الثقوب التى وجدت فى الجماجم التى تنتمى لمصر القديمة كانت نتيجة إصابات قاتلة فى الدماغ، أو بسبب هشاشة عظام الصدغ وترققها، وهذه الفتحات تفتقر الشكل المألوف لفتحات التربنة ذات الحواف المميزة.

ثم ذكر برستيد عام 1930م، اكتشاف حالة تربنة فى إحدى الجماجم الموجودة فى حفرة عميقة فى «اللشت»، وهى تنتمى لأحد النبلاء من الأسرة الثانية عشرة. أما غليونجى (1973)، فقد أوضح أن الثقب الموجود فى جمجمة الأميرة حورسيس نست مرى تاتين (متحف التشريح بكلية الطب جامعة القاهرة) يدل مظهره على أنه تم بواسطة مطرقة وازميل أو مِنْحَت محدب بقطر واسع كما هو الحال فى طرق عمل التربنة، كما أن له حواف ملتئمة مما يدل على أن المريضة قد عاشت لفترة بعد هذا التدخل الجراحى. وقد تم العثور على المظاهر نفسها فى عظمة الجبهة فى جمجمة طفل. وبذلك يتضح أن عمليات التربنة كانت معروفة لدى المصريين القدماء، لكن لم نعثر إلا على بعض الحالات القليلة المتبقية.

فتح فوهة فى القصبة الهوائية - Tracheostomy

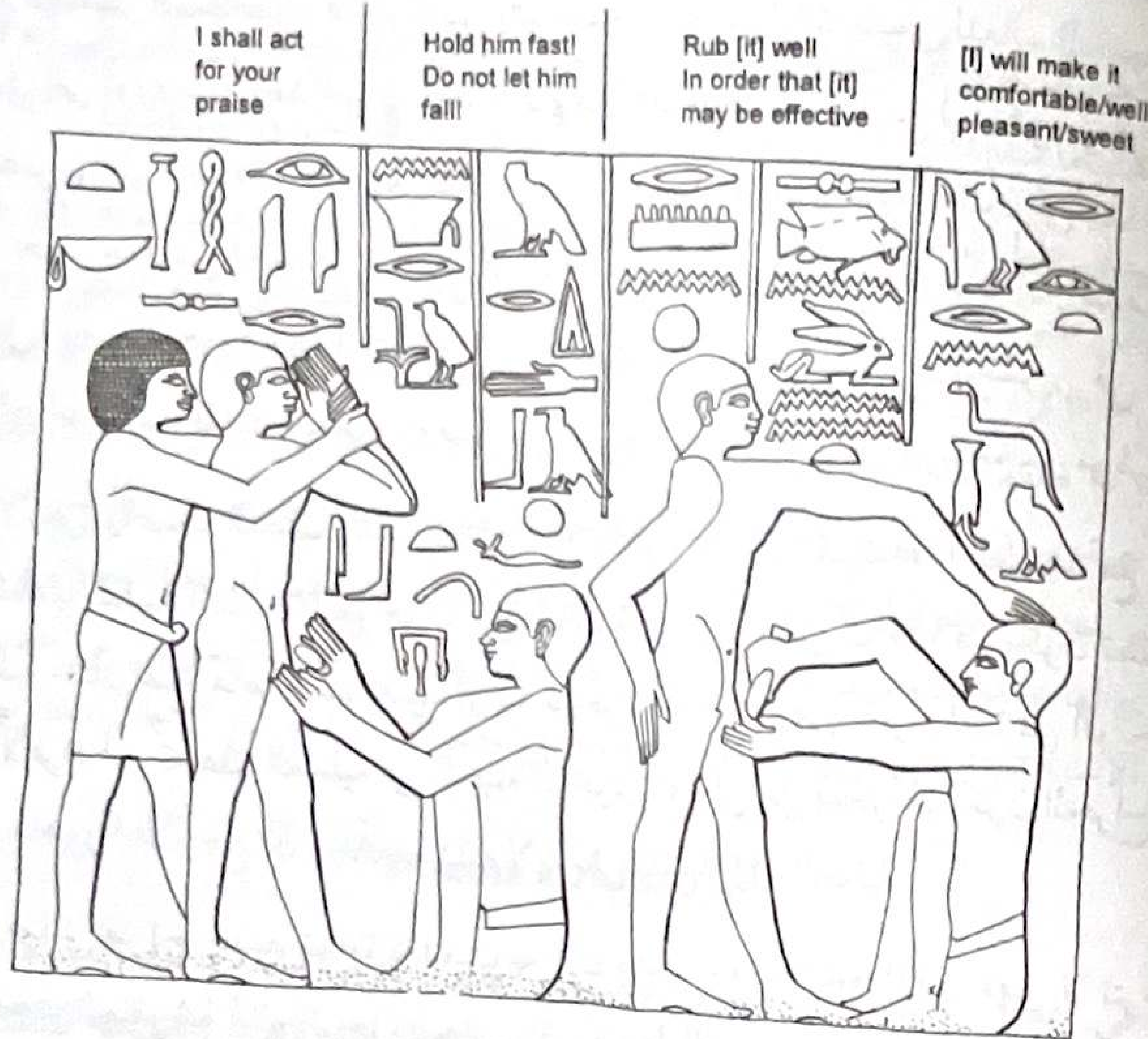
وجه غليونجى الأنظار إلى نقشين يرجعان للأسرة الأولى، أحدهما يرجع للملك «أها»، والثانى للملك «دى جير». ويظهر فى النقشين شخص جالس على ركبتيه وذراعيه خلف ظهره، بينما يقف أمامه شخص آخر يشير بشىء يشبه الخنجر ناحية الجزء الأعلى من صدره. واختلف العلماء حول ما يظهر فى اللوحتين، فيرى البعض أنها قد تكون تضحية بشرية، ويرى آخرون أنها قد تكون عملية إجراء فتحة فى القصبة الهوائية. والأرجح أن هذا الرأى الأخير غير صحيح؛ إذ إنَ الإنسان الجالس على ركبتيه يسجد مُظْهِر التضحية أكثر

= يقوم بعمل ثقب فى عظام الجمجمة، ويكون فى هذه الحالة بيضاوى الشكل. وفى جميع الحالات يجب الحرص على عدم المساس بطبقة الأم الجافية المُغَلِّفة والحامية للمخ؛ لأنه فى هذه الحالة سيحدث ضرر للمخ ذاته قد يسبب الوفاة.

ممن يتأمل لإجراء عملية جراحية، كما أن الخنجر يتجه إلى أسفل ناحية صدره بعيدًا عن القصبة الهوائية.. بذلك تكون التضحية البشرية هى الاحتمال الأقرب.

الختـــان Circumcision

تظهر خطوات هذه العملية بوضوح كامل فى النقش الشهير (شكل 4:8) على الجانب الشرقى من باب مقبرة عنخ ماهور، الرجل الذى كان وزيرًا ورئيسًا لجميع العاملين لدى الملك تيتى من الأسرة السادسة فى المملكة القديمة (عام 2345 ق.م)، وهناك أيضًا بقايا لرسم مشابه فى بهو «موت» فى معبد الكرنك.



(شكل 8-4)

عملية الختان، نقش فى مقبرة عنخ ماهور - الأسرة السادسة - سقارة

ترجمة وشرح الكلمات

أعلى ووسط الرسم موجودة فى نص الفصل.

يظهر فى منتصف الرسم رجل جالس، وهو الكاهن الجنائزى «هم ـ كا hem-ka»، يقوم بإجراء **عملية الختان** (سب seb) (كما توضح الرموز المكتوبة أمامه)، وهذه الكلمة قريبة جدًا للكلمة القبطية التى تحمل نفس المعنى. ونرى فوق الكاهن كلماته التى يوجهها لمساعده؛ «امسكه جيدًا» «لا تجعله يقع»، ويجيب المساعد المطيع (الذى يمسك بالرجل المختَتَن من الخلف) «سأعمل حسب أوامرك».

وفى الجانب الأيمن من الرسم، نرى رجلًا جالسًا يقول «أنا سأجعل الأمر مريحًا» بينما كلمات المريض «ادعك جيدًا حتى يكون فعالًا». وهذا الحوار الأخير لا يتفق مع **عملية الختان**، لكن يوحى باستخدام نوع من **التخدير**، وإن كان من الصعب استنتاج نوع المخدر المستعمل. فالكوكايين يتم استخراجه من نبات ينتمى للعالم الجديد، ولم يصل إلى أوروبا إلا بعد حوالى 4000 عام من هذا الحدث، والثلج لم يكن موجودًا عند المصريين فى المملكة القديمة. لذلك يُظن أن ما بيد القائم بعملية الختان فى هذا الرسم هو حجر ممفيس (الحجر الجيرى)، الذى يُطلق ثانى أكسيد الكربون إذا أضيف إليه الخل. ومن المعروف أن استنشاق ثانى أكسيد الكربون بنسبة تفوق العشرين فى المائة يمكن أن يسبب فقدان الشعور، وقدرًا من الغيبوبة، لكن ليس له تأثير كمخدر موضعى.

وليس واضحًا السبب الذى جعل عنخ ماهور يُضَمِّن مقبرته هذا المشهد مع باقى المشاهد الطبية المميزة الموجودة فى المقبرة. يرى البعض أن هذا قد يكون تسجيلًا لعملية ختان عنخ ماهور شخصيًا، أو أنه سجل هذا الرسم فى مقبرته آملًا فى أن تُجرى له ولأفراد أسرته هذه العملية فى الحياة الأخرى. ولكن هل يمكن أن يكون الجراح هو عنخ ماهور؟ الأرجح أن رجلًا بمنزلته لا يسعى للقيام بهذه العملية.

وهناك اقتراح جديد تمامًا تقدمت به «آن ماسى روث» عام 1991. فهى لا تترجم الكلمات المنقوشة أمام الرجل الجالس فى وسط الصورة إلى «الكائن الجنائزى يقوم بعملية الختان»، لكنها تقرأها «شخص ما يختن الكاهن الجنائزى» أو «الكاهن الجنائزى يتم ختانه»، وفى هذين الاحتمالين يصبح الكاهن مفعولًا به وليس الفاعل القائم بعملية الختان، ويكون المشهد **عملية ختان الكاهن «هم كا»، الذى قد يكون أحد أبناء عنخ**

ماهور. وبذلك يصبح الرسم منطقيًا، ولكن يظل هناك تساؤل حول من هو القائم بعملية الختان.

وترى روث أن الناحية اليمنى من الرسم تصور عملية إزالة شعر العانة من أجل الطهارة المقدسة؛ إذ تترجم كلمات الكاهن: «أنا سأجعل الأمر مريحًا» باعتبارها تدور حول عملية إزالة الشعر، ويكون المقصود من كلمات المريض «ادعك جيدًا حتى يكون فعّالًا» أن يستخدم الكاهن موسى الحلاقة جيدًا. وبمزيد من التأمل وقراءة النص تأكدت السيدة روث أن القائم بالعملية يستخدم موسى وليس مشرطًا أو سكينًا. ويظهر **طقس حلاقة شعر العانة** واضحًا فى نقش داخل مقبرة «نى عنخ خنوم»، وأيضًا مقبرة «خنوم حوتب».

وينبغى أن نذكر أن الديكورات والرسوم داخل مقبرة عنخ ماهور تشير إلى أنه كان يهتم اهتمامًا شديدًا بهذه المقبرة، فالكثير من الرسومات طُمست وأُعيد نقشها.

ويبدو جليًا أن عملية الختان كانت **عادة سائدة** للاحتفال بمقدم الرجولة أكثر منها لأغراض طبية، وكان إجراء الختان يأخذ مظهر **الاحتفال الجماعى شبه الدينى**. وعلى نقش حجرى، من دير النجا، نجد رجلًا يُدعى «هوا» تكفل أثناء عملية ختانه بختان مجموعة تضم مائة وعشرين رجلًا. وقد كانت عملية الختان تتم فى مراحل البلوغ المتأخرة، وعلى حجر منقوش نجد أن صاحب النقش حضر اجتماعًا قبل أن يتم ختانه. وتشير شواهد المومياوات إلى أن الختان لم يكن سمة عامة فى شريحة المجتمع التى تُجرى لها عملية التحنيط. وعلى النقيض، وُجد من فحص أجساد المتوفين من حقب ما قبل الأسرات داخل إحدى المقابر الجماعية فى نجع الدير أن جميع الرجال مختونون.

الإصابات Trauma

فى الفصل الثالث، ناقشنا تصور المصريين القدماء للإصابات وكذلك المصطلحات الخاصة بها، ولا شك أن أسباب الإصابات فى معظم الأحيان تكون واضحة؛ لذلك **جاء التدخل العلاجى منطقيًا**، مع دور ضئيل **للسحر**. وفى هذا الفصل نستعرض طرق التدخل الطبى، معتمدين على المعلومات التى نستقيها من بردية إدوين سميث (انظر: الفصل الثانى)، ونعتبر أنفسنا محظوظين لبقاء هذه النسخة من البردية؛ إذ لا يوجد بديل لما تحتويه

من معلومات حول هذا الموضوع. والبردية تشتمل على 48 حالة من الإصابات، معروضة بتسلسل تشريحى؛ فهى تبدأ من قمة الرأس ثم تمضى إلى أسفل تدريجيًا حتى تنتهى بالحالة رقم 48 التى تدور حول إصابات العمود الفقرى والنخاع الشوكى (انظر: شكل 2 : 2)، غير أننا فى هذا الفصل سنقوم بعرض الحالات تبعًا لنوع الإصابة وليس مكانها.

الجروح والتهتكات wounds and Lacerations

الكلمة المصرية القديمة المعبرة عن الجروح هى «وبيينو webenu»، وتنطبق على الجروح السطحية والجروح الغائرة، ويُستخدم الاصطلاح «وبيينو كيفت webenu keft» للتعبير عن الجروح العميقة المنفرجة ويأتى ذكر الوبيينو فى 24 حالة من إجمالى 48 حالة تعرضها بردية إدوين سميث. بينما هناك إحدى عشرة حالة تم تصنيفها كجروح عميقة (كيفت).

والعلاج التقليدى للجروح هو تضميدها بقطعة لحم طازج فى اليوم الأول للإصابة، وجاءت التوصية بهذا العلاج البسيط فى 13 حالة على الأقل، وربما فى حالتين أخريين أصاب الكتابة فيهما تلف. ثم يضمد الجرح بالزيت والعسل، وهذا الإجراء يساعد على التئام الجروح بآليتين: فالسكريات الموجودة بالعسل تقوم بتأثير الضغط الأزموزى العالى بسحب المياه خارج أنسجة الجرح، ومن ثم تقلل التورم فى المنطقة المصابة، والآلية الأخرى أن العسل يعمل كمادة مطهرة (لعدم استطاعة البكتيريا النمو فى وجوده) (انظر: الفصل السابع). والمحصلة النهائية هى سرعة التئام الجروح، وقد تم إثبات ذلك فى دراسات حديثة.

أما خياطة الجروح باستخدام الغرز، فقد تم فى سبع حالات كان الإجراء الجراحى فيها صحيحًا، وهذه الحالات هى:

حالة رقم 3 جرح منفرج بفروة الرأس.

» 10 جرح منفرج أعلى الحاجب.

» 14 جرح بالأنف.

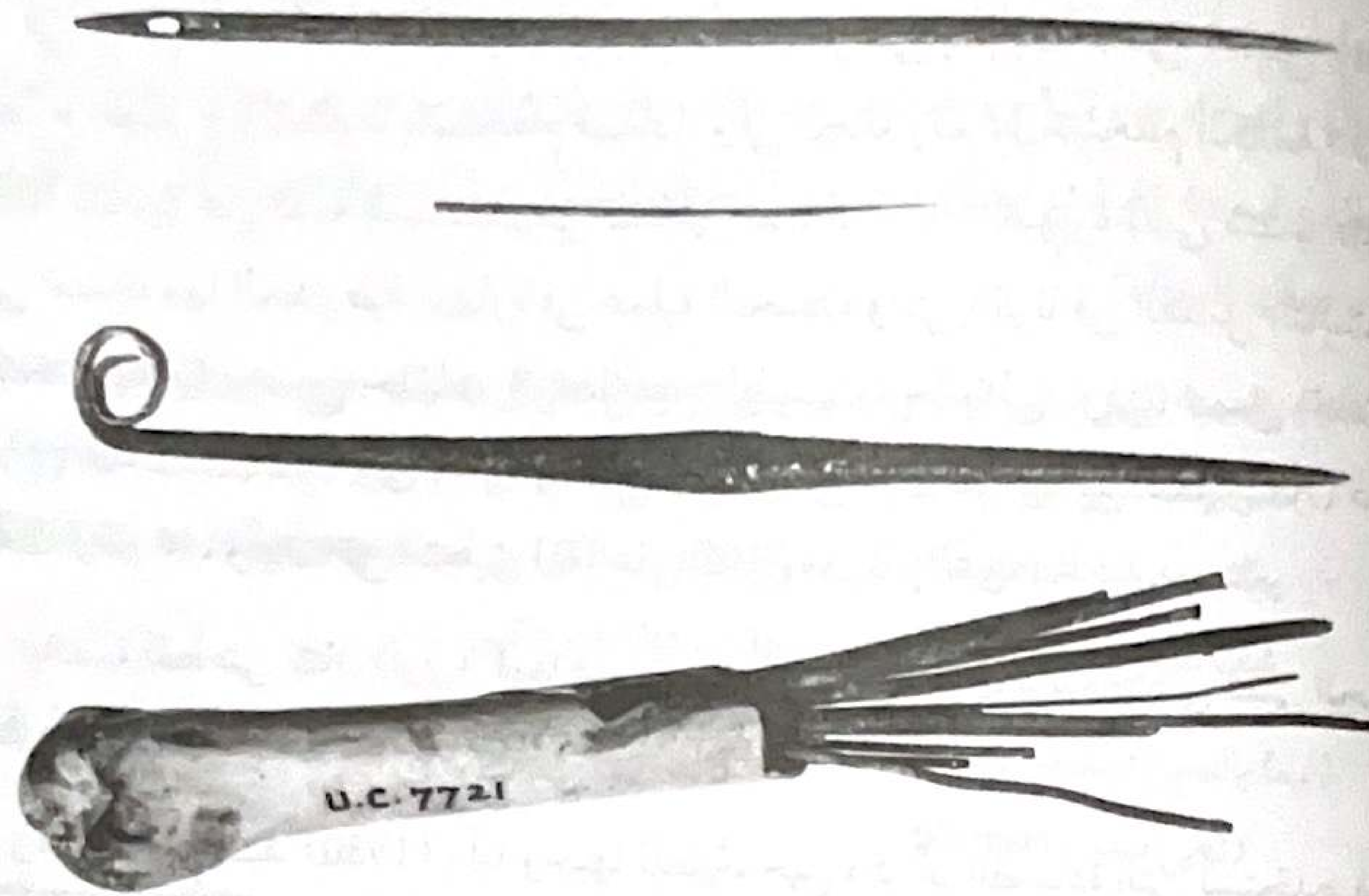
حالة رقم 23 جرح بالأذن.

» 26 جرح بالشفة العليا.

» 28 جرح منفرج بالحلق.

» 47 جرح منفرج بالكتف.

وكان للمصريين القدماء قدرة فائقة على استخدام الإبرة منذ المملكة القديمة، وترجع أقدم الإبر التى عُثر عليها لفترة ما قبل الأسرات (شكل 8: 5)، بينما تنتمى الإبر الذهبية الموجودة فى متحف مانشستر للأسرة الأولى. لهذا من الغريب أن تكون الكلمة المصرية «يخيط» وهى «تب Tep» نادرة الوجود فى الموسوعة وغير موجودة (أو أى كلمة مقابلة لها) فى القاموس المصرى/ الإنجليزى لفولكنر، وأيضًا قاموس لسكو، ولا فى البرديات الطبية باستثناء بردية إدوين سميث التى جاءت فيها كلمة «إيدر ider» للدلالة على خياطة الجرح فى الحالات السبع السابق ذكرها.



(شكل 8 ـ 5)

من أعلى إلى أسفل: إبرة نحاسية؛ إبرة فضية مكسورة عند الثقب؛ مثقاب نحاسى برأس لولبية. جميع هذه الآلات من نقادة، عصر ما قبل الأسرات.

والشكل السفلى، جراب للإبر مصنوع من عظم الطيور يحتوى على خمس عشرة من الإبر النحاسية من المملكة الحديثة. جميع الإبر بحجمها الحقيقى (متحف بترى، جامعة لندن).

ولا توجد أى آثار لغرز جراحية فى أى من المومياوات، كذلك لا توجد غرز فى المومياوات لغلق الفتحات التى أُخرجت منها الأعضاء الداخلية أثناء القيام بعملية التحنيط، باستثناء حالة واحدة تعود إلى الأسرة الحادية والعشرين (انظر: شكل 3: 1)، وقد كانت هذه الفتحات تترك مفتوحة وتغطى بقطعة رقيقة من المعدن.

والحالة رقم 28 تستحق وقفة خاصة، فهى تشرح استخدام الغرز فى حالة خطيرة:

«فإذا قمت بفحص إنسان يعانى جرحًا منفرجًا فى حلقه (عنقه)، ويخترق البلعوم، وإذا حاول المريض شرب الماء فإنه يكون على شفا الاختناق (يَشْرَق) ويخرج الماء من الجرح، ويحدث التهابًا شديدًا؛ مما يسبب ارتفاع درجة حرارته، فعليك فى هذه الحالة أن تغلق جانبى هذا الجرح باستخدام الغرز»[1].

وغلق جرح غائر ومتقيح فى الحلق يعتبر إجراءً خطيرًا للغاية، لكنه الطريق الوحيد لإنقاذ حياة هذا المريض، وتصَرِّح البردية أن هذه الحالة تمثل تحديًا، لكن فى الفحص التالى للمريض تبين أنه تَحَمَّل الإجراء وتماثل للشفاء.

فى بعض الحالات كانت بردية إدوين سميث توصى بتقريب شفتى (سبتى septy) الجرح المنفرج وتثبيتهما باستخدام ضمادة. وفى الحالة رقم 11 تُستخدم الكلمة «هايت hayt» للتعبير عن كلمة ضمادة، وهى تضاهى ضمادة الكتان الشهيرة (سى شد seshed) التى استخدمها الحانوطية بمهارة فى عملية التحنيط، والتى ذكرنا فى الفصل الثالث أن استخدامها كان ضمن حلقات الوصل بين الطبيب والحانوطى. وفى خمس حالات أخرى جاءت الكلمة «آوى awy» لتخدم نفس المعنى، وتم شرحها فى التعليق (A) على الحالة رقم 10، وأيضًا فى التعليق (B) على الحالة رقم 2 والذى جاء فيه:

«بالنسبة لقطعتى كتان (آوى)؛ فهما ضمادتان «سى شد» من الكتان، توضعان على شفتى الجرح المنفرج لتلصقان كل شفة بالأخرى».

وقد قدم برستيد (1930) رأيا وجيهًا للغاية، حين ذكر أن الضمادة التى تُستخدم فى

(1) ذكر الأصل الإنجليزى أن الجرح موجود فى الـ«Throat» وترجمتها «الحلق»، وهذا لا يتمشى مع أن الماء يخرج من الجرح، ولا يحدث ذلك إلا إذا كان الجرح فى العنق ويخترق البلعوم. لذلك نفضل استبدال كلمة «العنق» بكلمة «الحلق».

وكلمة «Throat» تعنى أيضًا الحنجرة، وهذه الترجمة تتمشى مع أن المريض يشرق ويشعر بالاختناق عند شرب الماء. وبطبيعة الحال فإن إصابة الحنجرة تكون عادة نتيجة لإصابة فى ... (المترجم).

هذا المجال يمكن أن تكون لاصقة (مثل البلاستر)، والتى أصبحت شائعة الاستخدام فى أيامنا. ولا شك أن المصريين كان لديهم طرق خاصة لتثبيت الضمادة للصق الجروح بالجلد، لكن لم يُلاحَظ استخدام مواد لاصقة فى ضمادات المومياوات.

وقد استخدمت **الضمادات اللاصقة** لغلق الجروح المنفرجة فى الحالات الآتية:

الحالة رقم 2 جرح منفرج بفروة الرأس.

« « 9 جرح منفرج بالجبهة.

« « 10 جرح منفرج فوق الحاجب.

« « 23 جرح منفرج فى الذقن.

« « 47 جرح منفرج فى الكتف.

وقد كان **تلوث الجروح** شائعًا للدرجة التى أُعتبر فيها جزءًا من عملية الالتئام والشفاء، وقد تبنى سلسوس فى القرن الأول الميلادى هذا الاعتقاد. وخلال خمس متابعات للحالة رقم 47 جاء شرح وافٍ لجرح بالكتف حدث له تلوث ثم تم شفاؤه أخيرًا. كما أن الحالة رقم 41 تلوثت أيضًا، وجاءت التعليقات لتشرح الاصطلاحات التى أُستخدمت فى وصف الحالة:

«(أ) بالنسبة للشىء غير الطبيعى «شى ماى shemay» الذى يصيب جرح (ويبنو webenu) ثديه الملتهب (نس رى nesry): هذا يعنى أن الجرح الذى فى ثديه متأرجح (ودجف wedjef) ولم يغلق بعد (تجام tjam)؛ لذلك يخرج الالتهاب (شى مى مت shememet) منه بشدة، وتكون شفتا الجرح محمرتين وفوهته منفرجة .. وهناك تورم كبير...

(ب) بالنسبة لشفتيه، فهما حمراوان كالدم، وهذا يعنى أن الشفتين لونهما أحمر كلون شجرة (تجى مسيت tije mset).

(ج) وبالنسبة إلى لحمه وجلده فهى لا تتحمل الضمادات.. هذا يعنى عدم تَقَبُّل أنسجته العلاج بسبب الحرارة والالتهاب».

والصورة واضحة للغاية، وتعبر عن جرح متقيح خطير، ولا ذكر للقيام بقفل الجرح بالغرز. والعلاج الذى وصف لهذه الحالة لم يتجاوز الوصفات الموضعية من بعض

الأعشاب بالإضافة إلى الصبغ الأخضر (واد جو wadju)، الذى قد يكون أملاح النحاس أو بودرة المالاكيت، ولهذه المواد تأثير مقاوم للبكتيريا[1]. (انظر: الفصل السابع).

وتحتوى بردية إيبرز (510 ـ 541) على علاجات للجروح بوصفات موضعية من الزيت والعسل، ولا مكان للتدخل الجراحى فى هذه الحالات. وفى الفقرة رقم 522، يوضع دهن الثور فى اليوم الأول؛ لتشجيع الجرح على الإنتان، وهذا يذكرنا بما كان يتبع فى أوروبا فى القرن التاسع عشر قبل اكتشاف المضادات الحيوية من تشجيع تكوين الصديد المبارك!. وكان خبز الشعير يوصف لتجفيف الجروح إذا زاد تقيحها.

والجزء من بردية إيبرز الخاص بالأذنين (764 ـ 781) يحتوى على الفقرة رقم 766 التى بها تعليمات مفصلة لعلاج جرح «ويبينو»، تضم وصفات توضع تحت الضمادات.

الكسور Fractures

تم وصف إصابات العظام بشكل جيد فى بردية إدوين سميث، وقد ذكرنا فى الفصل الثالث تقسيم الكسور إلى **الكسور البسيطة المغلقة** بغير جروح، ثم الكسور المفتوحة **والمتفتتة والمركبة والمنحشرة (المكنفة)**.

وتظهر **الكسور المفتوحة** «تى هم tehem» **فى الجمجمة** جليًا فى مومياء الفرعون البطل سكنن رع[2] من الأسرة السابعة عشرة (1600 ق.م) (شكل 8: 6). والمدهش أن صور الأشعة الحديثة أظهرت نموًا جديدًا للعظام حول حافة الإصابة العليا فى الجمجمة، مما يعنى أن هذا الفرعون قد تحمل هذه الكسور العنيفة المتعددة فى جمجمته وعاش عدة أشهر على الأقل بعدها.



شكل (8 : 6)

إصابات متعددة فى جمجمة الفرعون سكنن رع، من الأسرة السابعة عشرة (متحف القاهرة).

العلامات التشخيصية: ليس فى بردية إدوين سميث الكثير حول طرق تشخيص الكسور، إلا أنهم كانوا يعتمدون على علامة تشخيصية هامة ما زالت تُستخدم فى العصر الحديث، حتى بعد اكتشاف أشعة x. ففى ست حالات، هناك ما يشير إلى حدوث «نخب خب nekheb kheb»، وهى كلمة يوحى نطقها بمعناها، ويرى برستيد أنها تعنى **طقطقة**، ويشعر بها المريض كما يحسها الطبيب عندما يتحرك طرفا الكسر، ويحدث بينهما **احتكاك**، ويصحب ذلك آلام للمريض.

---

(1) عدم خياطة الجرح مع استخدام المواد المقاومة للبكتيريا موضعيًا هو العلاج الأمثل لهذه الحالة فى عصرنا الحالى ـ (المترجم).

(1) تُسمى الحقبة ما بين الأسرة الثالثة عشرة والأسرة السابعة عشرة (1788 ـ 1580 ق.م) (بما فيها من حكم الهكسوس) **عهد الاضمحلال الثانى**. ويقسم مانيتو حقبة الهكسوس إلى ثلاث أسرات، هى الأسرة الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة. ولم تزد مدة **حكم الهكسوس فى مصر** على مائة سنة. ومعظم الملوك المصريين فى هذه الفترة كانوا ملوكًا على مصر العليا (الصعيد) التى لم يصل إليها الهكسوس، وكان باقى الملوك المذكورين ولاة تحت حكم الهكسوس.

وقد قام أمراء طيبة (الأقصر) بمناوأة الهكسوس بُغية طردهم من مصر، ومن بين هؤلاء، سكنن رع أو سكنن الشجاع أو تاعا كن، وقد عثر على جثته فى مخزن المومياوات فى الدير البحرى. ويمكن من مظاهر الجثة أن ندرك أنه مات مقتولًا فى معركة، بإصابات قاتلة فى مؤخرة الرأس وفى أعلى الجبهة على اليمين، ويظهر أن أعوانه التقطوا جثته وعنوا بتحنيطها. وكان سكنن رع طويل القامة نحيفًا قويًا، وكان شعر رأسه طويلًا، حليق اللحية، ويمكن الاستدلال من سحنته أنه كان من العنصر النوبى، وكانت **زوجته «عاح حتبه»** إحدى **الملكات الخالدات فى تاريخ مصر**، وكان لابنها أحمس سحنة مصرية، أما ابنتها المشهورة «نفرت أرى» فكانت سوداء. وقد عاشت الملكة حتبه حتى عصر تحتمس الأول، أى أنها بلغت المائة من عمرها، بذلك =

= عاشت دهرًا طويلًا تعهدت فيه الثورة جنينًا، ثم رأتها تولد، وشبت فى أحضانها حتى اكتملت، ثم أطلقتها حتى أكلت الهكسوس العدو المغير. وعاشت الملكة حتبه حتى رأت السلام يسود البلاد، ورأت ثروات آسيا ينقلها إلى مصر ابنها وحفيدها وحفيد ابنها ـ (المترجم).

وقد جاء ذكر هذه الكلمة فى حالتى تهشم فى عظام الأنف والخد، وكذلك فى ثلاث حالات حدث لها كسر بسيط «هى سب heseb» فى الفك السفلى وعظمة الذراع والضلوع.

وفى الحالة رقم 7، شرح لإجراء **فحص بالمجس**[1] لجرح بفروة الرأس (رغم أن المريض كان يخاف من الفحص ويقاسى) بحثًا عن كسر بعظمة الجمجمة. وقد استمر استخدام هذا الإجراء فى العصر الحديث، وحتى بعد ظهور الفحص بالأشعة.

وأهم العلامات التى تشير إلى **كسر قاع الجمجمة**، حدوث نزف من الأذنين والأنف، وتم ذكر هذه العلامة فى سبع حالات مرضية. ومما لا شك فيه أنهم أدركوا خطورة هذه العلامة؛ لذلك حرص الأطباء على إبرازها فى التشخيص قبل التنبؤ بمصير الحالة، وهذه الحالات هى:

الحالة رقم	4	كسر بالجمجمة	تَدَخَّل بتحدٍّ – الحالة حرجة
«	5	كسر بالجمجمة	لا علاج
«	7	كسر بالجمجمة	تَدَخَّل بتحدٍّ – الحالة حرجة
«	8	كسر بالجمجمة	لا علاج
«	17	كسر بالفك العلوى	لا علاج
«	21	كسر بعظمة الصدغ	تَدَخَّل بتحدٍّ – الحالة حرجة
«	22	كسر بعظمة الصدغ	لا علاج

وفى أربع حالات، كان المرضى لا يستطيعون ثنى رقابهم أو النظر إلى صدورهم، وهذه علامة معروفة تشير إلى **الالتهاب السحائى أو التهيج السحائى** بسبب نزيف الدماغ، وهذه الملاحظة أيضًا كانت تُبرَز مع تشخيص الحالة قبل التنبؤ بمصيرها، الذى كان سيئًا فى جميع الحالات:

(1) قطعة من الخشب أو المعدن يتم بها تحسس حواف الجرح والأنسجة والعظام أسفل منه ـ (المترجم).

الحالة رقم	3	كسر بالجمجمة	عالج
الحالة رقم	4	كسر بالجمجمة	تَدَخَّل بتحدٍّ – الحالة حرجة
«	5	كسر بالجمجمة	لا علاج
«	7	كسر بالجمجمة	تَدَخَّل بتحدٍّ – الحالة حرجة

علاج الكسور: تشتمل بردية إدوين سميث على خطوات مفصلة لإصلاح الكسور. ومثال ذلك حالة رقم 12، وهى كسر بعظام الأنف تم شرحها بتفصيل لافت للنظر؛ لذلك تستحق العرض كاملة:

«• العنوان: تعليمات حول كسر بسيط «هى سب heseb» فى عظام الأنف.

• الفحص: إذا قمت بفحص رجل يعانى كسرًا بسيطًا «هى سب» فى عظام الأنف، ووجدت وجهه ملتويًا ومفلطحًا؛ وهناك تورم واضح فى الوجه.

• التشخيص: فى هذه الحالة يجب عليك أن تقول عن حالته: هو مصاب بكسر بسيط «هى سب» فى عظام الأنف، وهى حالة مرضية سأقوم بعلاجها.

• العلاج: عليك أن تَرُد العظمة إلى مكانها الطبيعى. نظف أولًا فتحتى الأنف عدة مرات مما قد يكون بهما، بواسطة قطعتين من الكتان، حتى يتم تنظيف الأنف جيدًا من الدماء المتجلطة داخل فراغها.

ثم ضع قطعتين من الكتان مبللتين بالزيت داخل كل من فتحتى الأنف. ضع بعد ذلك لفافة من الكتان الجاف خارج كل ناحية من الأنف وثبتهما بالضمادات، وداوم علاجه يوميًا بعد ذلك بضمادات الكتان بالزيت والعسل حتى يتم الشفاء».

والتعليقات تحدد مكان الكسر «بالمنطقة الوسطى من فراغ الأنف، من القاعدة إلى أعلى حتى ما بين الحاجبين» وهو وصف دقيق لتجويف الأنف. وهناك تعليق آخر يُشَبِّه خيوط الدم المتجلط بأنها «الدماء الدودية»؛ لأنها تشبه ديدان الـ «أناريت» التى تعيش فى المياه.

نلاحظ هنا استخدامهم للكتان المبلل بالزيت، وبديله اليوم هو الشاش المفزلن (المضاف إليه الفازلين). كذلك نلاحظ استعمال لفائف الكتان، التى ما زالت تستخدم حتى الآن لتثبيت الكسر والحفاظ على شكل الأنف تحت الضمادات. وإن كنا لا نعرف الطريقة التى اتبعوها لرَد العظمة المكسورة إلى مكانها الطبيعى.

ومن أجل إصلاح كسر بسيط «هى سب» فى الترقوة (الحالة رقم 35)، تأتى هذه الخطوات:

«عليك أن تطرح المريض على ظهره، ضع لفافة تحت أعلى ظهره بين كتفيه، عليك أن تفتح كتفيه (دى ون) بحيث تتباعد عظمتا الترقوة حتى ترجع العظمة المكسورة إلى مكانها. اصنع من أجله جبيرتين «سش» من الكتان وضعهما بحيث تكون واحدة منهما أعلى الذراع والأخرى تحت الذراع، ويجب أن تثبتهما بواسطة «أمرو»، ثم واصل علاجه بالعسل يوميًّا حتى يتم الالتئام والشفاء».

وطريقة ردِّ الكسر المذكورة تعتبر ممارسة صحيحة، ولسوء الحظ قد تكون طريقة استخدام الجبيرة بها بعض الغموض بسبب عدم إمكانية ترجمة بعض الكلمات (مثل كلمة أمرو)، كما أنها لا تحقق تثبيت الترقوة بالشكل المطلوب، والجبيرة التى تُستخدم هذه الأيام محورة عن هذه الجبيرة ومشابهة لها. ومن المعروف الآن أنه من الصعب تثبيت طرفى الترقوة المكسورة بشكل كامل، ولكن عادة ما يتم الالتئام بسهولة بغير مشاكل.

وقد تكررت هذه الطريقة العلاجية بنفس كلماتها فى الحالة رقم 36، وهى حالة كسر لعظمة العضد (جاب gab)، وفيها نجد هذه العلامة الإكلينيكية الهامة: ستجد ذراعه ساقطة إلى أسفل وتتأرجح مقارنة بالذراع الأخرى. وللعلاج تأتى التعليمات كالآتى: «عليك أن تفتح كتفيه إلى الدرجة التى ترجع بها عظمة العضد المكسورة إلى مكانها. والشد هو الطريقة الصحيحة لعلاج كسر عظمة العضد؛ إذ دائمًا ما ينتقل طرف العظمة المكسورة لتصبح متجاورة مع الطرف الآخر، وليستا على خط واحد؛ لذلك يفضل شد عضلتى العضد[1]، ولكن تحريك الكتفين إلى الخلف وفتحهما ليس هو الوسيلة لإصلاح وضع عظمة العضد» ثم يتم تثبيت الجبيرة بنفس الطريقة التى وُضعت بها فى الحالة رقم 35. ويرى المؤلف أن هناك لبسًا فى فهم الموضوع بسبب خطأ فى نسخ البردية، فهو يرى أن الجزء الأول من العلاج فى الحالتين، وهو محاولة إرجاع العظمة المكسورة، خاص بالحالة رقم 35 (حالة الترقوة)، أما الجزء الثانى فى الحالتين وهو استعمال الجبائر، فيخص الحالة رقم 36 (حالة العضد)[2].

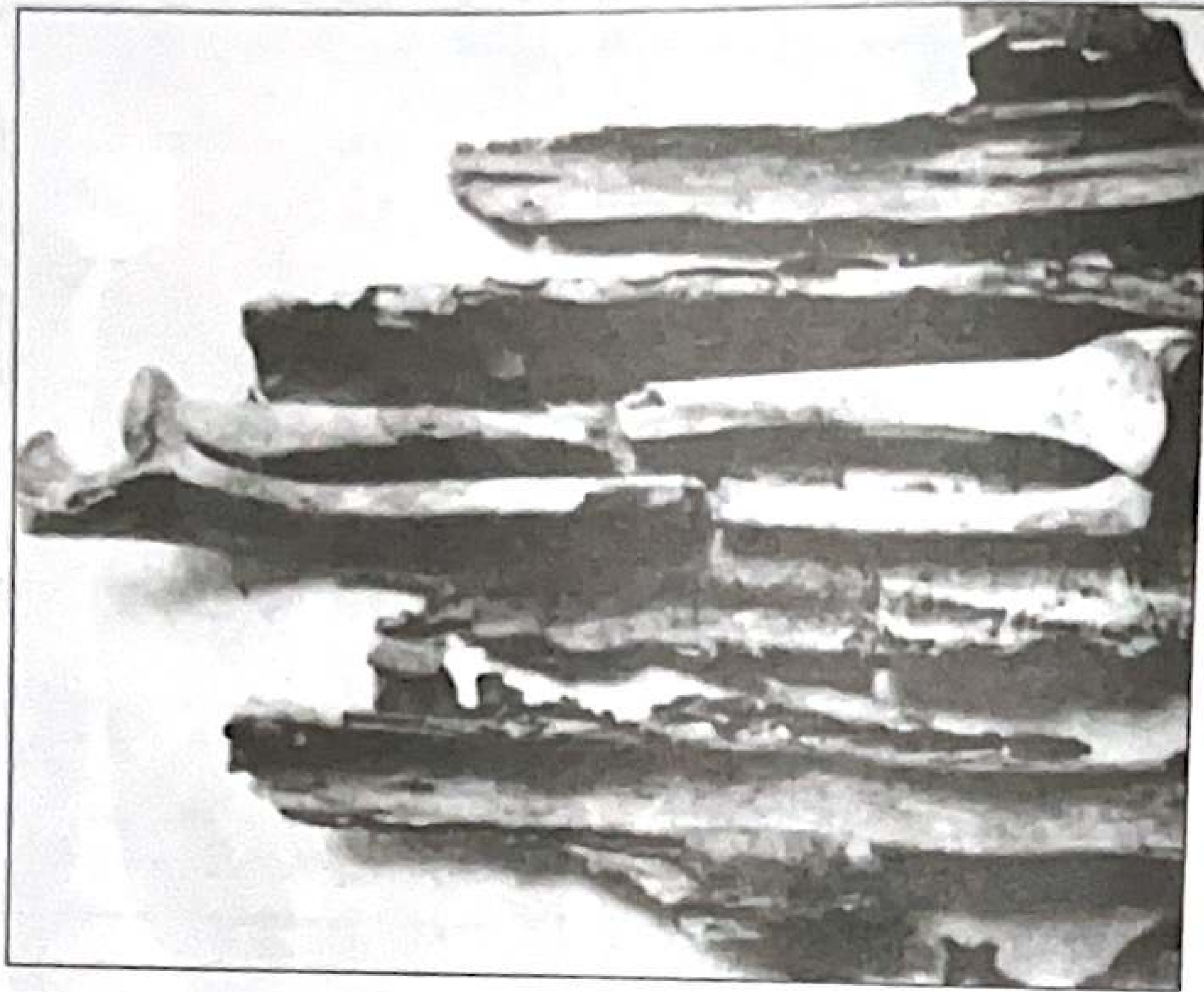
وقد عَثَرت بعثة هرست من جامعة كاليفورنيا إلى نجع الدير على مجموعتين من

(1) العضلة العضدية ذات الرأسين Biceps والعضلة العضدية ذات الرءوس الثلاثة Triceps.

(2) تتفق مع المؤلف فى هذا الرأى ـ (المترجم).

الجبائر[1]. كانت الجبائر مثبتة فى أماكنها فى جثمانين وجدا فى قبور منحوتة فى الصخر من الأسرة الخامسة فى المملكة القديمة (2400 ق.م). كانت المجموعة الأولى من الجبائر مركبة لكسر متفتت فى منتصف عظمة الفخذ لفتاة يبلغ عمرها حوالى 14 عامًا، وكانت عبارة عن أربع شرائح خشبية مبطنة بقطع من قماش الكتان، وجميعها محاطة بلفائف وضمادات ومثبتة بحبل، وامتدت الجبائر من أعلى منطقة الكسر إلى أسفل الركبة، ووجدت بقع دموية تشير إلى أن الكسر كان مضاعفًا، ولم توجد علامات تشير إلى التئام الكسر قبل وفاة المريضة.

والمجموعة الأخرى من الجبائر (شكل 8 : 7)، تم وضعها لكسر مضاعف فى عظمتى الساعد (الزند والكعبرة)، وكانت عبارة عن ثلاث قطع من لحاء شجر الأكاسيا لُفَّت بلفائف الكتان لتثبيتها. وكان الجرح مملوءًا بألياف نباتية، ربما لمنع النزف الدموى، لكن الفتاة الصغيرة ماتت قبل أن يحدث أى التئام فى العظام المكسورة، رغم أن الجبيرة كانت فعالة فى تثبيت العظام[2].



(شكل 8 : 7)

كسر فى عظمتى الزند والكعبرة بالساعد، مع جبيرة ـ من جثة فى مقبرة ترجع للأسرة الخامسة فى نجع الدير. وقد حدثت الوفاة قبل التئام الكسور.

(1) نشر الدراسة إليوت سميث فى المجلة الطبية البريطانية عام 1908.

(2) كلا الكسرين (فى هذه الفقرة والفقرة السابقة لها) من الكسور الخطيرة، التى مازال المصابون بها فى عصرنا الحديث يموتون مبكرًا ما لم يقدم لهم العلاج المناسب والرعاية الطبية الدقيقة ـ (المترجم).

وقد نشر وود جونز بحثًا هامًّا (1908) حول **نسب حدوث الأنواع المختلفة** من الكسور، كما وجدها أثناء نقل الجثامين من المنطقة جنوب الشلال الأول، قبل أن تُغطَى بالمياه بسبب إنشاء سد أسوان الأول. كانت هناك ستة آلاف جثة فى مقابر يرجع تاريخها إلى ما بين 4000 عام قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادى، ومن بين هذه الجثامين كان هناك 200 كسر ملتئم. وبالمقارنة بالعصر الحديث، كان هناك نسبة عالية من كسور عظام الساعد والترقوة، والتى يرجعها إليوت سميث إلى ضربات قوية بالعِصىِّ (جدول 8 ـ 2).

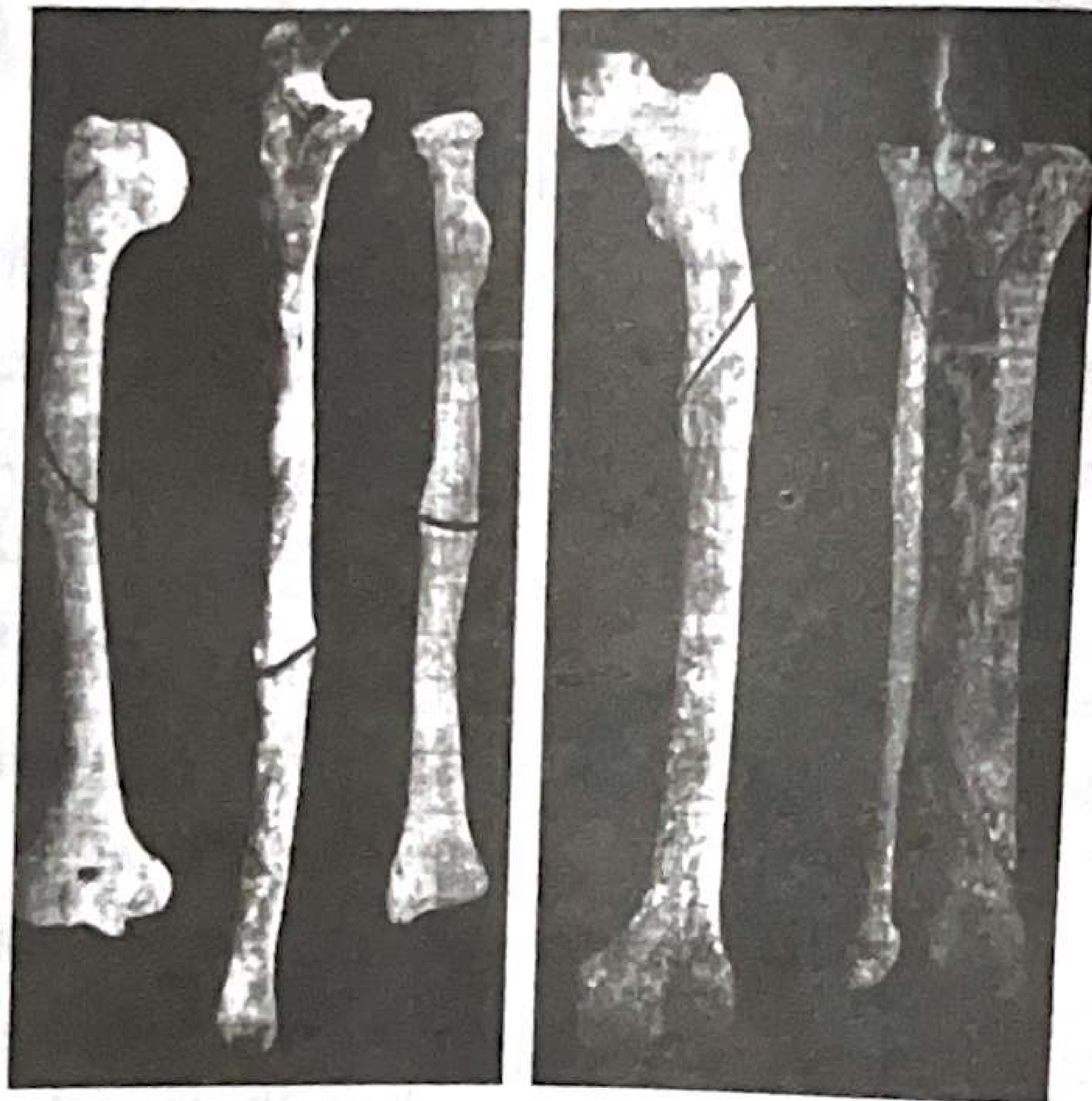
(جدول 8 ـ 2) نسب حدوث الكسور فى تقرير وود جونز (1908)

أثناء نقل مقابر جماعية فى أسوان عام 1907.

مكان الكسر	النسبة المئوية ٪
الساعد: الزند والكعبرة	31.25
الترقوة	13.75
الفخذ	12.50
الساق: القصبة والشظية	10
الجمجمة	7.50
العضد	6.20
الوجه	4.38
الضلوع	4.38
الحوض	3.75
الكف	3.12
القدم	1.25
عظمة لوح الكتف	1.25
عظمة القص	0.62
العمود الفقرى	نسبة ضئيلة جدًا
صابونة الركبة	نسبة ضئيلة جدًا

وكانت **نتائج التدخل الطبى** لعلاج هذه الحالات متباينة كثيرًا. فقد وجد وود جونز إن الالتئام فى كسور العظام الطويلة للأطراف كان مثاليًّا، إلى الدرجة التى يتعذر معها تحديد خط الكسر الذى حدث له التئام، كما كان وضع طرفى العظام المكسورة على خط واحد فى معظم الحالات (شكل 8 : 8). والنقطة الأخيرة مهمة للغاية فى حالة **الكسر المائل لعظمة الفخذ**؛ حيث يكون هناك شد قوى لعضلات الفخذ على العظمة المكسورة، مما يسبب تحرك جانبى طرفيها بعيدًا عن بعضهما وتجاورهما فى معظم الحالات؛ مما يسبب مضاعفات عديدة منها **عدم الالتئام وقصر واعوجاج عظمة الفخذ.**

ولا ندرى كيف استطاع المصريون القدماء التغلب على هذه المشكلة، وكيف حققوا **الشد المستمر** للمحافظة على طرفى الكسر متلامسين فى خط مستقيم لمنع حدوث هذا الوضع المعقد. وقد أظهرت الدراسات على أنواع الكسور الأخرى نتائج أقل نجاحًا، وفى الكثير من هذه الحالات حدث قصر فى طول العظمة، أو عدم تطابق طرفى الكسر.



(شكل 8 : 8)

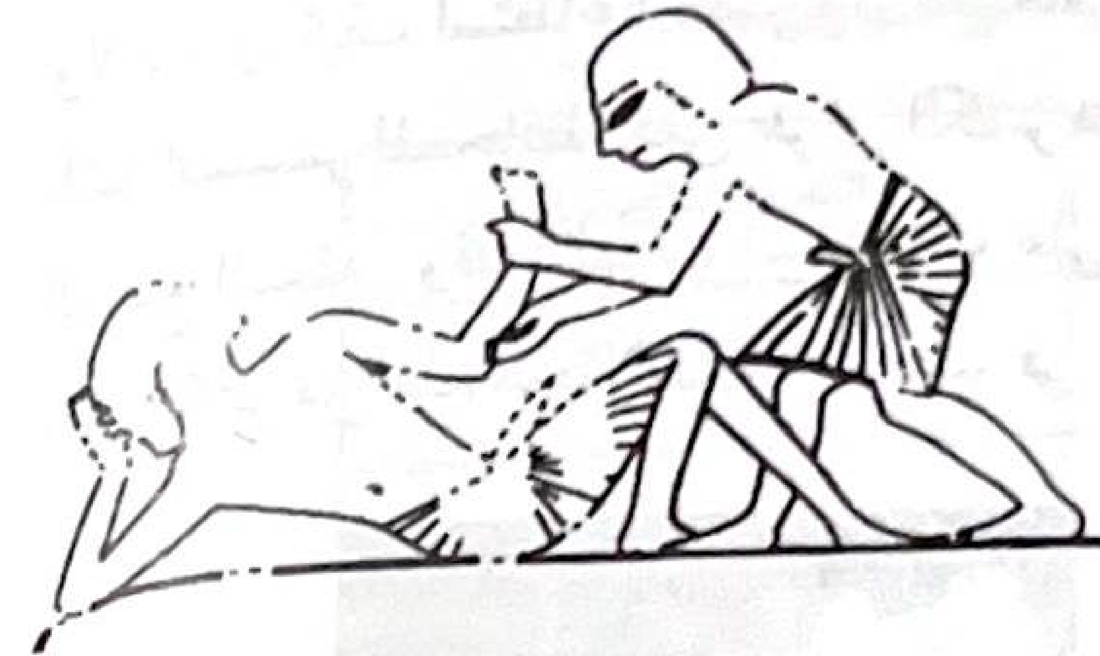
أمثلة لالتئام كسور على خط واحد مستقيم ـ وجدت فى النوبة أثناء نقل الجثامين قبل بناء خزان أسوان الأول عام 1908 (جونز 1908).

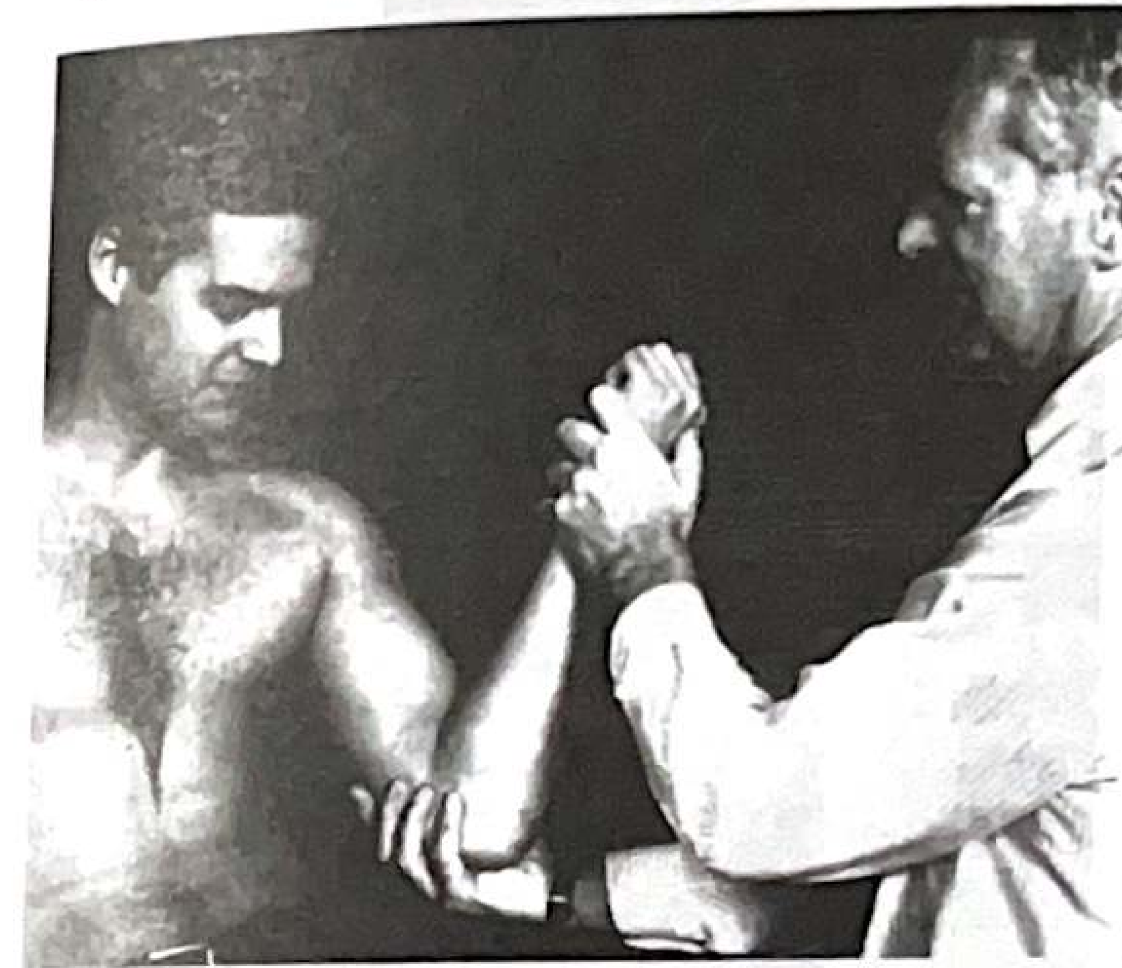
إصابات المفاصل

استعرضنا فى الفصل الثالث الشواهد التى تشير إلى فهم المصريين القدماء لمشكلة **الخلع المفصلى** «وى نخ wenekh» واعتباره انفصال جزأين كانا مرتبطين ببعضهما حتى أصبح كل جزء منهما بعيدًا عن الآخر، أما **الجزع** «نى روت nerut» فكان يُعَرَّف بأنه انفصال أجزاء متجاورة لكن مع بقاء كل منها فى مكانه.

والحالة رقم 25 من بردية إدوين سميث تقدم مثالًا جيدًا **لخلع فى مفصل الفك**:

«إذا قمت بفحص رجل يعانى خلعًا (وى نخ) فى فكه الأسفل «أريت aret» (انظر: شكل 3 : 5) ووجدت فمه مفتوحًا ولا يستطيع غلقه، فعليك أن تضع إبهاميك داخل الفم أمام فرعى الفك السفلى، وضع باقى الأصابع تحت الفك، واضغط جانبى فكه لأسفل حتى يعودان إلى مكانهما الطبيعى»[1].





(شكل 8 : 9)

هذا الرسم التوضيحى من مقبرة «إب وى» يُظهر محاولة إرجاع خلع بالكتف. وهو يطابق الخطوة الأولى من طريقة كوخر المعاصرة لإصلاح هذا الخلع.

والفم المفتوح الثابت علامة تشخيصية تشير **لخلع الفك السفلى**، وخطوات عملية إرجاعه مكانه تتفق تمامًا مع التقنية الحديثة، وبذلك يكون معنى كلمة «وى نخ» مؤكدًا.

وتحتوى مقبرة «أب وى» فى دير المدينة على رسم جدارى بالغ الأهمية (شكل 3 : 7)، ويبين عددًا من إصابات العمل. ويركز (شكل 9:8) على رسم من أعلى هذه اللوحة إلى

(1) فى الأصل الإنجليزى، ترجم المؤلف الفقرة باعتبار أن الطبيب يضع أصابع اليد داخل الفم، ويضع الإبهامين تحت الذقن وهذا غير ممكن عمليًا. والترجمة التى وصفناها هنا هى الأصح لغويًا ومنطقيًا وطبيًا ـ (المترجم).

اليمين، يشتمل على منظر يشابه إلى حد كبير الخطوات الأولى فى عملية رد خلع مفصل الكتف كما وضع «كوخر» خطواتها الكلاسيكية فى العصر الحديث. وأولى خطوات العملية هو إدارة الذراع للخارج من أجل شد عضلة الصدر، ثم دفع مفصل الكوع إلى الناحية الأخرى أمام الصدر.. وأخيرًا إدارة الكف إلى ناحية الكتف المقابلة، ومع هذه الخطوة الأخيرة سترتد رأس عظمة الكتف المخلوعة إلى مكانها الطبيعى.

المضاعفات العصبية للإصابات

الأرجح أن المصريين القدماء لم يعرفوا حقيقة وظائف المخ، لكنهم وصفوا انكشافه فى رسم لمصاب بجرح غائر منفرج الحواف بفروة الرأس مصحوب **بتهشم بالجمجمة**[1] (انظر: الفصل الثالث). وفى الحالة رقم 8، يصف إدوين سميث مريضًا يعانى من كسر متفتت بعظمة الجمجمة بدون جرح ظاهرى[2]، وحول المضاعفات التى أصابت جانبى الجسم نقرأ هذه الفقرة:

«سوف تجد تورمًا يرتفع فوق مكان تهشم الجمجمة، وتجد عينيه قد انحرفتا جانبًا إلى نفس ناحية إصابة جمجمته، وستجده يسير وقد أصاب العرج قدمه على ذات جانب الإصابة».

والنص يخبرنا أن العرج قد أصاب المريض على نفس ناحية إصابة الجمجمة، رغم أن المسارات العصبية التى تتحكم فى حركة العضلات تَعْبُر إلى الناحية العكسية عند جذع المخ؛ لذلك من المتوقع أن يحدث العجز **(ضعف أو شلل نصفى)** فى الناحية العكسية لإصابة المخ. والتفسير العلمى لهذا الخلاف، هو أن المريض عانى مما يُعرف **بالصدمة المقابلة Contra - Coup injury**، حيث يُدْفَع بالمخ إلى الناحية الأخرى من الجمجمة، لذلك تحدث إصابات (قد تكون سطحية أو تهتكية) للمخ فى الناحية المقابلة لناحية الإصابة؛ لذلك وبسبب عبور الأعصاب إلى الناحية العكسية تكون المحصلة هى عجز الجسم على نفس ناحية إصابة الرأس.

إذا لم يكن هذا التفسير صحيحًا... فالاحتمال الآخر هو أن يكون هناك خطأً كتابيًا فى نسخ البردية.

وعلى الرغم من عدم وجود دليل على فهم المصريين القدماء لوظائف المخ، فإنهم

(1) Compound Comminuted fracture

(2) Simple (Closed) Comminuted Fracture

أدركوا جيدًا دور **النخاع الشوكى** فى نقل الإشارات الحسية والحركية[1]. والحالة رقم 31 فى بردية إدوين سميث تشرح حالة **خلع «وى نخ» بالرقبة**، وفيها تظهر صورة واضحة **للإصابة العليا للحبل الشوكى**[2]:

«ستجد المريض لا يحس بوجود ذراعيه ورجليه بسبب هذه الإصابة، وستجد قضيبه فى حالة انتصاب، والبول يتدفق منه وهو لا يحس به، والهواء ينفخ لحمه. والمنى يخرج أحيانًا من قضيبه».

نرى فى هذه الحالة الأعراض الرئيسية لإصابات الحبل الشوكى العليا، مع استخدام مفاهيم طبية صحيحة راسخة، وقد أدركوا أن جميع هذه المضاعفات العصبية بسبب **إصابة فقرات الرقبة، بدون ذكر لجرح**. وفى هذه الحالة يكون المقصود بأن «الهواء ينفخ لحمه» هو انتفاخ الأمعاء بالهواء (الغازات)، نتيجة لشَلَل الأمعاء Paralytic ileus، وهو مضاعفة معروفة لكسور الرقبة. وجاء القرار دقيقًا على هذه الحالة، بأنها «غير قابلة للعلاج».

والحالة رقم 33، وهى **حالة كسر تداخلى فى فقرات الرقبة**، تشترك مع الحالة رقم 31 فى العديد من المظاهر الطبية، لكن المريض فى الحالة 33 كان فاقد الوعى «دى جم degem» لا يتكلم، ويأتى القرار أيضًا بأن الحالة «غير قابلة للعلاج».

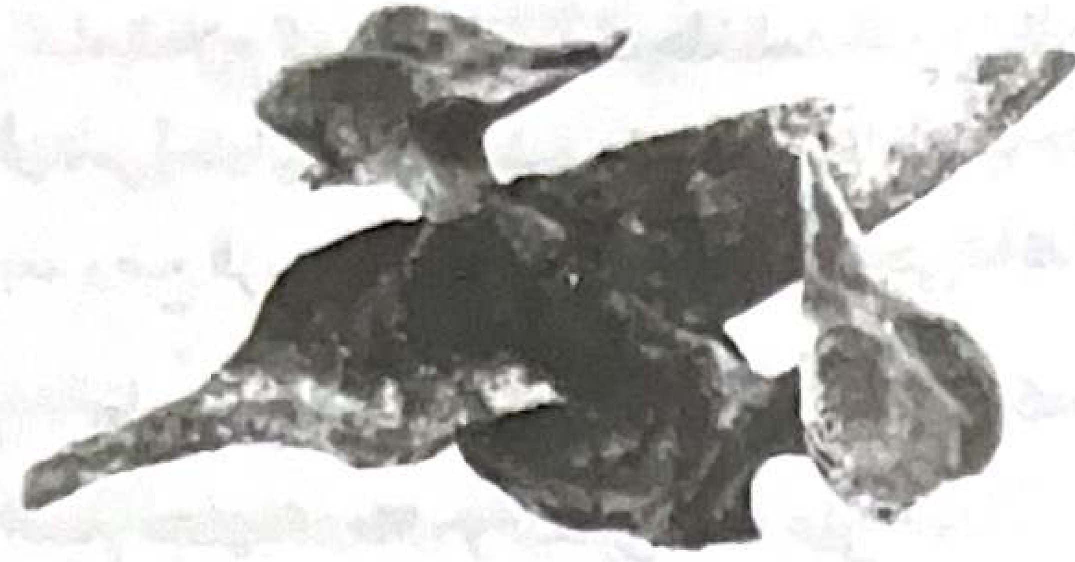
والحالة رقم 48، **تشرح جزع «نى روت» فى العمود الفقرى**، ويتم اختباره بثنى الفخذين على بطن المريض الراقد على ظهره، ثم محاولة مد الساق لأعلى، ويسبب هذا الوضع آلامًا شديدة فى حالة إصابة المريض **بانزلاق غضروف إحدى الفقرات القَطَنِيَّة؛** إذ يسبب بروز الغضروف بين فقرتين الضغط على الأعصاب الشوكية.

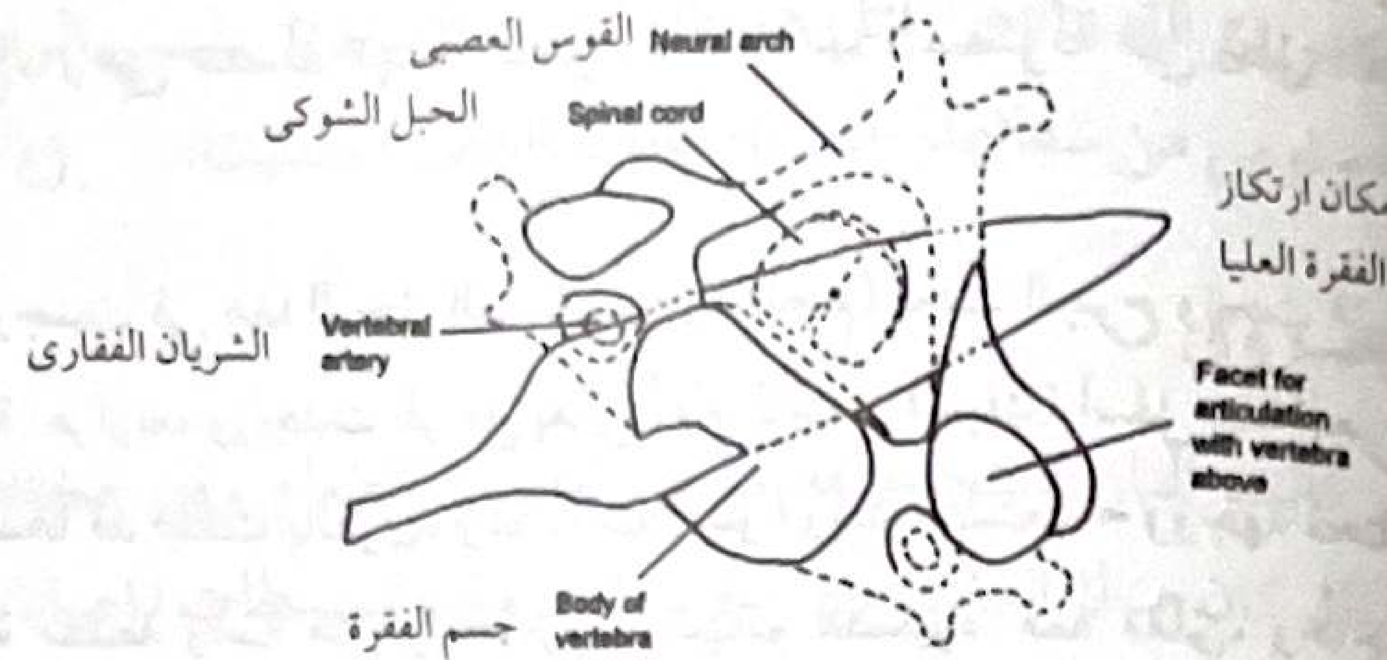
ويبين (شكل 8 : 10) حالة نادرة، عبارة عن **انحشار رأس سهم مصنوع من النُّحَاس بين فقرتين من فقرات الرقبة**. وُجدت هذه الحالة (التى ترجع إلى المملكة الحديثة) أثناء نقل الجثامين من جبانات النوبة، 100 كم جنوبى أسوان. وقد أظهر إعادة تركيب الفقرات أن السهم قد مزق الحبل الشوكى بأكمله؛ مما أحدث شللًا كاملًا على الفور فى جميع أجزاء الجسم أسفل الرقبة (شلل رباعى). ورغم أن هذه الحالة لم تكن قابلة للعلاج، إلا أن الأطباء أجروا محاولات عديدة لنزع السهام عن الجنود المصابين الذين بقوا على قيد

(1) من الصعب الاقتناع بأن المصريين القدماء لم يدركوا وظائف المخ، بالرغم من أنهم عرفوا وظائف النخاع الشوكى؛ لذلك فإن تصورنا عن جهل المصريين القدماء بوظائف المخ يحتاج إلى مراجعة، خاصة بعد ما ذكرناه فى (الحالة رقم 8) من إصابة المريض بشلل نصفى نتيجة لإصابة المخ؛ مما يعكس معرفة بوظائف المخ الحركية ـ (المترجم).

(2) upper Motor Neurone lesion

الحياة، وقد سُجل ذلك فى إصابات جنود منتوحتب فى الأسرة الحادية عشرة[1]. وبصفة عامة تخلو البرديات الطبية من أى معلومات لعلاج إصابات السهام.





(شكل 8 : 10)

رأس سهم مصنوع من النُّحَاس اخترق بين الفقرات العنقية؛ مما أدى إلى تمزيق النخاع الشوكى. وُجدت هذه الحالة فى إحدى مقابر المملكة الحديثة بالنوبة. تم الاكتشاف أثناء الحفر لإنقاذ الآثار قبل بناء سد أسْوَان الأول. (متحف الصيد فى كلية الجراحين الملكية بإنجلترا).

التيتانوس

هناك ما يشير إلى الإصابة بمرض التيتانوس فى الحالة رقم 7 من بردية إدوين سميث، وهى حالة مثالية دقيقة نختم بها الحديث عن مضاعفات الإصابات:

- **«العنوان: تعليمات حول جرح منفرج عميق بالدماغ يصل إلى عظام الجمجمة ويخترق (التيبو).**
- الفحص الأول: **«عليك أن تتحسس أعماق الجرح باستخدام مجس، رغم أن ذلك يؤلمه كثيرًا. اطلب منه أن يرفع وجهه، ستجد من الصعوبة بمكان أن يفتح فمه.. قلبه يدق ببطء وبضعف. ستجد بعض اللعاب يسيل من فمه، والدم يسيل من فتحتى أنفه وكذلك من أذنيه، ورقبته متصلبة ولا يستطيع تحريك رأسه نحو الجانبين ولا إلى أسفل نحو صدره».**
- التشخيص المبدئى ومسار الحالة: عليك أن تقول عن هذه الحالة: **رجل يعانى جرحًا مفتوحًا فى**

(1) أجبرت حرب السهام الأطباء العسكريين فى الولايات المتحدة الأمريكية على الاهتمام بدراسة هذه المشكلة أثناء الحرب مع الهنود الحمر.

رأسه يصل إلى العظام ويخترق تيبو جمجمته. وحبل الفك السفلى منقبض متشنج، والدماء تنزف من فتحتى الأنف والأذنين، ويعانى أيضًا تصلبًا فى رقبته.. وهى حالة سأتصدى لها.

• العلاج المبدئى: إذا رأيت هذا المصاب، وأوتار عضلات الفك السفلى منقبضة ومتوترة، فعليك أن تأمر أحد أتباعك بأن يضع على فكيه كمادات ساخنة حتى يهدأ ويستطيع فتح فمه. ثم قم بربط الفك بعد وضع الزيت والعسل، وداوم على ذلك حتى تتأكد أن حالته استقرت».

يظهر من هذا العرض أن المريض يعانى كسرًا فى قاع الجمجمة، يصاحبه تهيج أغشية المخ Menengism. والتعليق (B) على الحالة يبين أن جملة «حبل الفك السفلى متشنج» تعود على عضلة الصدغ، وهى عضلة مهمة ضمن العضلات المسئولة عن غلق الفك السفلى (انظر: شكل 3 : 5).

• الفحص الثانى: «إذا وجدت فى هذا الرجل المصاب، أن (اللحم) تحت الجرح وتحت «تيبو» الجمجمة، قد ارتفعت درجة حرارته، ووجدت الرجل يعانى آلام الأسنان (سيك) أسفل هذا الجرح؛ ضع يدك على جبهته فستجدها قد ابتلت بالعرق، وعضلات (ميتو) رقبته متشنجة - ووجهه محتقن وأسنانه وظهره..... ورائحة مقدمة رأسه مثل رائحة روث البهائم الصغيرة. فمه مغلق، وحاجباه مقتضبان، ويبدو وجهه كأنه يبكى».

• التشخيص الثانى ومسار الحالة: «عليك إذن أن تقول عن هذه الحالة: رجل يعانى جرحًا منفرجًا بالدماغ وصل إلى العظم واخترق «تيبو» جمجمته، لقد بدأ يعانى آلامًا بأسنانه وفمه مغلق، ويعانى تصلب رقبته، إن مرضه غير قابل للعلاج».

والتعليق بأن الرجل لا يقدر أن يفتح فمه، وأن أسنانه ظاهرة وتؤلمه، والحاجبان وكذلك الوجه فى حالة مشوهة، تعطى الإيحاء بأنه يعانى ما يعرف **«بالضحك التشنجى المصاحب لمرض التيتانوس»**[1]. معنى ذلك أنه بالإضافة إلى كسر الجمجمة فقد أصيب الـجرح بالتلوث والالتهاب الذى لا رجاء معه. وتدل الرائحة الكريهة المنبعثة من الجرح على مُضى وقت غير قليل منذ حدوث الإصابة.. وهذا الوقت كان كافيًا لأن تظهر أعراض مرض التيتانوس بعد انقضاء فترة حضانة المرض[2].

(1) Risus Sardonicus

(2) عند الفحص والعلاج المبدئى كان يمكن التغلب على تقلص الفك السفلى باستخدام الكمادات الساخنة، وهذا يعنى أن المشكلة كانت بسبب تهيج أغشية المخ وليس بسبب التيتانوس. وفى الفحص الثانى والثالث لم يمكن تهدئة تقلص الفك، واحتاج الأمر إلى استخدام عَضَّاضة، مما يشير إلى حدوث الإصابة بالتيتانوس بعد فترة الحضانة - (المترجم).

الفحص الثالث: «إذا فحصت هذا الرجل الآن ووجدته شاحبًا وفى حالة إعياء شديدة، فاعرف أنه لا يوجد تشخيص أو تقييم آخر للحالة».

العلاج الثالث: «عليك أن تُحَضِّر للمريض قطعة صغيرة من الخشب ملفوفة بالكتان، وضعها بين فكيه ليظل فمه مفتوحًا. بذلك يمكن أن تعطيه شراب اللوز الجبلى (واه). ويجب أن تقوم بتمريضه وهو جالس مسنودًا بقطعتين من الطوب.. حتى يتبين مصير الحالة وما يجد من جديد».

أما قطعة الخشب الملفوفة بالكتان فتحمل نفس فكرة عضاضة الفم، التى تُستخدم الآن لفتح الفم فى حالات تقلص عضلة الفك السفلى. وما يلفت النظر هو اهتمام الأطباء المصريين القدماء فى مثل هذه الحالات المتأخرة بتيسير الراحة للمريض، بالرغم من أنه ميئوس من شفائها، حتى بإمكانات العصر الحديث.

الحـروق

كانت النار تستخدم قديمًا فى تحضير الطعام وفى مختلف الأغراض الصناعية؛ لذلك كان هناك العديد من حالات الحروق والسمطات (إصابات البخار الساخن والماء المغلى)، والكلمة المقابلة للحرق هى «وب دت webdet». وتحتوى بردية إيبرز على جزء هام (الفقرات 482 - 509) تحت عنوان **«علاج الحروق»**، وتبدأ الفقرة بسرد العديد من الأدوية التى تُستخدم موضعيًّا على التوالى (إيبرز 482):

اليوم الأول: الطين الأسود.

اليوم الثانى: روث البهائم الصغيرة مثل الغنم... إلخ.

اليوم الثالث: راتنج الأكاسيا، عجينة الشعير، الخروب، زيت.

اليوم الرابع: شمع، زيت، ورق بردى - بدون كتابة - مطبوخ، نبات بقول (واه).

اليوم الخامس: خروب، أوكر أحمر، (خِس) من شجر (إيما)، قشور النحاس».

بالنظرة الطبية الحديثة، من الصعب أن نجد تفسيرًا لهذا التتابع. بالنسبة للطين الأسود والزيت، من الممكن أن يكون لهما تأثير مسكن للألم قصير المدى. أما استخدام رَوث البهائم فى اليوم الثانى فيحمل معه العدوى البكتيرية الخطيرة[1]. أما عن التركيبة المحددة للاستخدام فى اليوم الرابع، فجاءت التعليمات بأن توضع على الحرق بعد أن يبرد،

(1) يبدو أن المقصود هو إحداث التهاب فى موضع الحرق كخطوة علاجية! كما كان معمولاً به فى العصور الوسطى فى أوروبا - (المترجم).

وتبريد الجرح هو الإجراء المفيد الذى يجب استخدامه على الفور، وجاء ذكره فى الفقرة رقم 484.

ثم يأتى بعد ذلك ذكر لعدد كبير من الأدوية بغير تحديد يوم معين لاستخدامها، وأهمها العسل؛ إذ يقلل من التورم والاحتقان ويؤدى دورًا مهمًّا ضد التلوث. وتذكر الفقرة 491 رقائق النحاس والمالاكيت، ولهما القدرة على محاربة البكتيريا (انظر: الفصل السابع). كما يظهر الزيت فى عدة مواضع.. ويبقى العديد من الأدوية من أصل نباتى، لم يُعرف لها فائدة فى مجال الحروق.

ونختم بالفقرة الأخيرة لعلاج الحروق، وهى رقم 509، وتنص على:

«علاج آخر: خبز الشعير، ودهن أو زيت، وملح، ويخلط الجميع معًا. يوضع الخليط على الحرق، ثم يغطى بضمادة. وسيشعر المريض بالتحسن السريع؛ إنه علاج جيد، رأيت تأثيره بنفسى مرات عديدة».

وأخيرًا فإن الاعتماد على الأدوية الطبية لم يكن اعتمادًا كليًّا، بل هناك مكان للسحر؛ لذلك يضم هذا الجزء من بردية إيبرز رقيتين تستخدمان فى حالات الحروق.

الحيوانات الخطيرة

لدغ الثعابين ولسع العقارب[1]

عاش المصريون القدماء فى حالة رعب دائم من لدغ الثعابين ولسع العقارب[2]. والظهور الدائم للثعابين والعقارب فى عالم الأساطير المصرى يتماشى مع الدور المتنامى

(1) «العض» هو القبض بالأسنان بقوة.
«اللدغ» هو الشك السريع بالمقدمة (الرأس).
«اللسع» هو الشك السريع بالمؤخرة أو الذيل.
«النهش» هو العض مع نزع جزء من الأنسجة _ (المترجم).

(2) الحية أول المخلوقات غير الآدمية التى كان لها اتصال مباشر مع الإنسان، كما جاء فى التوراة فى سفر التكوين (3: 1)، والتصاقها بالصفة الشيطانية ظل يصاحبها عبر الزمن حتى الآن. وفى مصر تحتل الأساطير حول الثعابين مكانًا مهمًا فى ثقافة المصريين القدماء، فنرى الثعبان الأكبر آبيب، أو أبوفيس، يحاول كل ليلة أن يغلق طريق إله الشمس فى العالم السفلى. كما يتوقع المصريون أن تقف الثعابين حائلاً أمامهم أيضًا فى رحلتهم فى العالم السفلى بعد الموت، وفى «كتاب الموتى» نجد العديد من الرُّقى من أجل إبعاد هذه الثعابين، كما نجد الثعابين فى بعض الرسوم مصابة بحربة أو مقطوعة بسكين.

للرقى والتعازيم السحرية فى الوقاية من لدغها ولسعها وكذلك للشفاء منها، وهذا الاتجاه العلاجى تم مناقشته فى الفصل الخامس. وإلى وقت قريب لم يُعرف إلا القليل عن سبل العناية بهؤلاء الذين أصيبوا بها فى مصر القديمة، وتخلو بردية إدوين سميث من أى معلومات حول هذا الموضوع، أما بردية إيبرز فتقدم النصائح اللازمة لمنع خروج الحيات من جحورها (إيبرز 842 ـ 844)[1].

وتعتبر برديات بروكلين المصدر الرئيسى للمعلومات حول هذا الموضوع، وقد نشر متحف بروكلين عرضًا علميًّا جيدًا (لم يخلو من السحر) لما جاء فى هذه البرديات عن التعامل مع لدغ الحيات. وفى كتاب تم نشره بعد وفاة مؤلفه «سونيرون sauneron» بثلاثة عشر عامًا، عام (1989)، جاء وصف تفصيلى لهذه البرديات مع ترجمة للغة الفرنسية. وبينما يشير تاريخ كتابة النسخة المتاحة لهذه البرديات لعام 300 ق.م، إلا أن الفقرة رقم 42 تدعى أن النسخة الأصلية تم اكتشافها إبان حكم نفرقرع (بيبى الثانى) ـ الأسرة السادسة من المملكة القديمة ـ عام 2200 ق.م، والتاريخان موجودان على الجزء الأول والجزء الثانى من لفافة البردية التى قطعت إلى نصفين.

وكانت بردية بروكلين بدون شك مرجعًا لكل من يعمل لإنقاذ ضحايا لدغ الثعابين، وقد اتبعت البردية منهجًا علميًّا دقيقًا لم نقابله إلا فى بردية إدوين سميث. وتشير الفقرة الأولى من الجزء الثانى من البردية صراحة إلى أنها تخاطب كبار كهنة سركت (تم مناقشة دورهم الطبى كمعالجين فى الفصلين الخامس والسادس)، ولم يأت فى البردية ما يشير إلى أنها موجهة للأطباء.

التعرف إلى أنواع الثعابين

لسوء الحظ أن بداية الجزء الأول من بردية بروكلين مفقودة، لكن الفقرات المتبقية من هذا الجزء (14 ـ 38) تحدد 21 نوعًا من الثعابين والحرباوات (جدول 8 ـ 3). ويمكن التوصل إلى بعض الأسماء المفقودة من خلال الجزء الثانى من البردية الذى يحتوى

(1) من المؤكد أن آلام المعدة التى تعزى لحية «بت جو betju» (إيبرز 205) ليس لها علاقة بالحيات، بل المقصود منها أحد أنواع الديدان التى تصيب البطن.

على العلاج. **والجزء الأول** يزودنا بوصف موجز للثعابين المختلفة وشكل لدغاتها، وفى بعض الأحيان يحدد بعض خصائصها. وهذا بغرض مساعدة من يقوم بالعلاج على تحديد نوع الثعبان من الأوصاف التى يدلى بها الضحية، ومن ثم يستطيع اختيار العلاج المناسب، وتقييم خطورة الحالة.

والكلمة المصرية «هى فاو hefaw» تشير إلى الثعابين بصفة عامة، بينما تحدد الكلمة «فاى fy» عائلة ثعابين الأفعى الخبيثة (Viperidae)، غير أن هناك عدة أنواع أخرى من الثعابين تشبه كثيرًا هذه الأفاعى، مثل ثعابين «التلسكوبس Telescopus». ويبدو أن الاسم المصرى «سب دو sebdu»، يعبر عن عائلتين مختلفتين من الثعابين، لكن فى الفقرة رقم 36 نجد هذه الكلمة تقصد نوعًا من الثعابين «التى ندهسها تحت أرجلنا فى الحقول»، لكن أى نوع من هذه الثعابين؟ لا تجيب الفقرة.

أما ارتباط الثعابين بالآلهة، فتشير إليه العبارة التى تتكرر فى الفقرات «إنه يرمز إلى (س)، و(س) هو اسم الإله أو الإلهة المدون فى (جدول 8 ـ 3). ونجد الإلهة الطيبة حتحور ترتبط بواحدة من الحيات غير السامة «نى بد»، بينما يرتبط «سوبك» الإله التمساح باثنين من أخطر الثعابين «جانى» و«كا إن إم». وفى حالة ثعبان «هى بو» الأحمر، نجد اختلافًا عن الخط العلمى المألوف، فيأتى التعبير.. «تخرج الحية من قضيب ست ـ إله الشر»، ولا شك أنه مخبأ مرعب للغاية.

ومن أصل 38 فقرة فى القسم الأول من البردية لم يتبق إلا 25 فقرة، وقد توصل سونيرون إلى تحديدأسماء العديد من هذه الثعابين[1].

---

(1) يضيف هنا المؤلف: أدين بالعرفان لـ «**دافيد وارل**» أستاذ طب المناطق الحارة والأمراض المعدية بجامعة أكسفورد (لديه اهتمام خاص بدراسة الثعابين السامة ولدغتها)، ففى اتصال شخصى معه (1994) صَوَّب قراءتى لبعض الفقرات الواردة فى القسم الأول من البردية؛ مما أعان على تمييز بعض أنواع الثعابين من خلال الوصف المختصر لها. كما لفت نظرى إلى أنه فى بعض الحالات نجد أسماء مختلفة للدلالة على الأنثى أو الطور غير كامل النمو من الثعابين.

وستلاحظ أثناء قراءة الفقرات كيف تردد الباحثون بشدة فى تحديد صفات ونوع الثعابين بين آراء سونيرون وآراء وارل، وقد حرصت على إثبات هذا التباين فى الآراء حتى يدرك القارئ بعض الصعوبات الكبيرة التى يواجهها الأثريون فى أبحاثهم. وقد عرضنا صعوبات مماثلة عند دراسة النباتات الطبية ـ (المترجم).

(جدول 8 -3) الثعابين المذكورة فى الجزء الأول من بردية بروكلين

الفقرة	الاسم المصرى	الأوصاف المميزة	خطورة اللدغ	الإله المرتبط بالثعبان	فقرة العلاج
14	مفقود	مفقودة	يمكن النجاة	لا يوجد	–
15	الثعبان الأكبر ـ عابب	أحمر اللون ـ البطن أبيض ـ أربع أسنان	الموت السريع	لا يوجد	–
16	جانى	أسود تمامًا	الموت السريع	سوبك	–
17	إخر	داكن ـ يسعى نحو الإنسان	الموت[1] السريع	خرى باكف	–
18	كا إن أم	لون الدجاج البرى الرأس كبير، الذيل كذيل الفأر	يمكن النجاة	سوبك/ نيث	–
19	كد جيو	صغير مثل السحلية	الموت السريع	لا يوجد	–
20	سد بو	أحمر ـ عيون صفراء	يمكن النجاة	لا يوجد	48, 52
21	نى بد[2]	أخضر ـ البطن أبيض	غير مميت	هاتور	–
22	فاى تيام	مثل لون ثعبان رير	غير مميت	جيب	51
23	هى نب الأبيض[2]	أبيض ـ أربع أسنان	إمكانية الموت	سركت	78
24	هى نبو الأحمر[2]	أبيض ـ الظهر أحمر ـ ثلاث أسنان	يمكن النجاة	ست	80
25	نيكى	طوله 2.4 متر	غير مميت	رع	45, 47
26	فاى	صورة زهرة اللوتس على الجبهة	غير مميت	حورس	–

---

(1) يمكن إنقاذ الضحية إذا كان الثعبان ضعيفًا.

(2) جاء الوصف فى الفقرة بصيغة مؤنثة.

27	فاى نافخ	أزرق ـ أخضر الرقبة ـ حركة زحف مميزة	يمكن النجاة	حورس	73
28	فاى مقرن	لون الدجاج البرى	غير مميت	حورس	75
29	فاى صغير	لون الدجاج البرى غير مقرن	يمكن النجاة	حورس	–
30	فاى	لا يوجد وصف	يمكن النجاة	حورس	–
31	فاى ذكر	مثل هى نبو الأحمر	يمكن النجاة	ست / جب	–
32	هى فاو إرار	لون الرمال	غير مميت	ست	–
33	هى فاو نفت	لون الدجاج البرى يصدر صوت فحيح عالٍ	يمكن النجاة	حورس	–
34	مفقود	أبيض	يمكن النجاة	ست	–
35	إربدجارجا	أسود ـ ثلاث أسنان	مفقود	خنسو	53
36	سدبو	ذهبى البطن والرقبة ـ فى الحقول	غير مؤذٍ	مفقود	52
37	مفقود	أسود ـ البطن أبيض	غير مميت	هاتور	–
38	كار	أخضر ـ تغير لونها حسب خلفية المكان	يمكن النجاة	أنوبيس	–

- جرح اللدغة يشير إلى عدد أسنان الثعبان.

• الفقرة 14: لو أن هذا الثعبان (والذى فُقد اسمه) يختلف عن الثعابين التى جاء ذكرها فى الفقرتين 27، و28، فشكل اللدغة يشير إلى ثعبان الكوبرا الباصقة (**Naja pallida**).

• الفقرة 15: «عابب **Aapep**».. الحية الكبيرة التى تظهر جليًا فى «كتاب الموتى» باعتبارها الخطر الأكبر فى العالم الآخر. والتعرف إلى هذه الحية مهم للغاية، ولا توجد أية حية مصرية تنطبق عليها أوصافها، فأكبر وأسرع الحيات قتلًا هى الكوبرا المصرية (**Naga haje**). والعابب يمكن أن تكون الحية الراسرة (**Coluber rhdorhachis**) أو الحية ذات الغطاء (**Malpolon moilensis**). ويرى سونيرون أنها قد تكون أحد ثلاثة أنواع تتفق فى اللون الأحمر، وهى (**Oligodon melano cephalus**) و(**Tarbophis obtusus**) و (**Zamenis diadema**).

• الفقرة رقم 16 «جانى **gany**»... يرى وارل وسونيرون أن المقصود بهذه الحية هى كوبرا الصحراء السوداء (**Walterinnesia aegyptia**)، كما يرى وارل أنها قد تكون الثعبان الناشر (**Atractaspis microlepidota**) ومن جنسه حية كليوباترا.

• الفقرة رقم 17 : لم يُعثر عليها ـ انظر (جدول 8 ـ 3).

• الفقرة رقم 18: «كا ـ إن ـ أم **ka - en - am**»... يرى سونيرون أنها الحية الفارسية المقرنة (**Pseudocerasres persicus**)، أو نوع غير مقرن من الحية الصحراوية المقرنة (**Cerastes cerastes**) انظر: الفقرة رقم 28.

• الفقرة رقم 19 : لم يُعثر عليها ـ انظر (جدول 8 ـ 3).

• الفقرة رقم 20: «سد بو **sedbu**»... يقترح سونيرون أن هذا الثعبان هو الأفعى الخبيثة (**Echis coloratus**) وهى أحد أنواع حيات الفيبر (viber) المميتة، لكن عينيها ليست صفراوين كما يُعتقد. ويرى وارل أنها ثعبان الأَصَلَة أو(حية الرمل) (**Eryx Jaeulus**)، والتى ينطبق عليها الأوصاف، وهى غير سامة.

• الفقرة رقم 21: «نى بد **nebed**»... قد تكون أحد الثعابين غير السامة، مثل **Philothamnus** أو **Psammophis**.

• الفقرة رقم 22: «فاى تيام **fy tiam**»... يرى سونيرون أنها الحية الفارسية المقرنة (**Pseudocerastes persicus**) انظر: الفقرة رقم 18، ويشكك وارل فى ذلك لضعف القرائن المطروحة.

• الفقرة رقم 23: «هى نب البيضاء **white henep**»... يرى سونيرون أنها قد تكون (**Telescopus obtusus**)، بينما يراها وارل نوعًا باهتًا من (**Cerastes**).

• الفقرة رقم 24: لم يُعثر عليها ـ انظر (جدول 8 ـ 3).

• الفقرة رقم 25: «نيكى **neki**»... يرى سونيرون أنها (**Naja pallida**) أو (**nigricollis**) وتختلف عنها فى أن طولها لا يزيد عن مترين.

• الفقرة رقم 26: «فاى **fy**»... يتفق كل من وارل وسونيرون أن هذا الثعبان قد يكون أحد أنواع ثعبان فيبر، وهى الحية الخبيثة (**Echis pyramidum**) أو (**Carinatus**) وذلك من شكل الجبهة، وإن كان فاى غير سام، بينما **Echis** تسبب الوفاة فى حالات كثيرة[1].

• الفقرة رقم 27: «فاى نافخ **blowing fy**»... الكلمة المقابلة لـ «تجو **tjau**» هى (ينفخ)، لكن الحية **Echis carinatus** التى يقترحها سونيرون، تحدث صوتًا عاليًا عن طريق احتكاك لفات جسمها.

(1) نوع Echis pyramidum دائمًا ما نجده فى الحقول، بينما ينتمى Echis coloratus إلى المناطق الصحراوية والصخرية.

ويرى وارل أنها الحية النفاثة (Bitis arietans)، ذلك لقدرتها على النفخ، وكذلك طريقة زحفها المميزة، وتوجد حاليًا فى شمال السودان ولا توجد فى مصر.

• الفقرة 28: «فاى مقرن horned fy»... يتفق وارل مع سونيرون أنها الحية الخبيثة المقرنة Cerastes cerastes = (cornutus).

• الفقرة 29: «فاى صغير small fy»... يقترح سونيرون أنه الثعبان من نوع Cerastes vipera، ويرى وارل أنه يمكن أن يكون حية (Cerastes cerastes) لكنها غير ناضجة النمو وبلا قرون (الفقرة 28).

• الفقرتان رقم (30 ، 31) : لم يُعثر عليهما ـ انظر (جدول 8 ـ 3).

• الفقرة 32: «هى فاو إرار hefaw arer»... يشكك وارل فى فرضية سونيرون بأن هذا الثعبان يمكن أن يكون الكوبرا المصرية (Naja haje) التى غالبًا ما تكون سامة، ذلك أنه جاء فى البردية أن «الذى يصاب بعضة هذا الثعبان لا يموت».

• الفقرة 33: «هى فاو نفت hefaw nefet»... تقول البردية: «تُحدث صوتًا عاليًا مثل ضجيج نفخ نار الحداد» ويتفق سونيرون ووارل على أن هذا الثعبان قد يكون من جنس (Echis) ـ(انظر: الفقرة 27).

• الفقرة رقم 34 : لم يُعثر عليها ـ انظر (جدول 8 ـ 3).

• الفقرة 35: «إرـ بدجا دجا r - bedjadja»... يقترح سونيرون أنها أحد أنواع الكوبرا بسبب شكل أسنانها، بينما يرى وارل أنها قد تكون كوبرا الصحراء السوداء أو الثعبان الحفار كما جاء فى الفقرة 16.

• الفقرة 36: «سدبو sedbu»... يرى سونيرون أنها ثعبان (Psammophis sibilans)، لكن وارل يعترض على أساس أن الأوصاف لا تنطبق على هذا الثعبان.

• الفقرة 37: «اسمها مفقود»... يرى سونيرون أنها أيضًا (Psammophis sibilans)، لكن يعترض وارل على ذلك بحجة عدم انطباق الأوصاف.

• الفقرة 38: «كار kar»... يتفق سونيرون ووارل على أنها الحرباء (chameleon africanus، C.hamaeleo) وهى غير ضارة بخلاف ما جاء فى البردية.

ويحتوى الجزء الثانى من البردية على العلاج المستخدم للعديد من أنواع الثعابين المذكورة فى الجزء الأول (جدول 8 ـ 3)، وأيضًا لخمسة ثعابين ذُكرت بالاسم المصرى ولم ترد فى الجدول ولا فى الفقرات السابقة، وهى:

«سخ تف Sekhtef» (46، 50)، «جار شا garsha»(49)، «هى باى heby» (54)، «كا ـ ناى ka-nay» (57)، «آرات arat» (82). والأرقام هنا تشير إلى رقم الفقرة التى ورد

فيها العلاج فى الجزء الثانى من البردية. ويبدو أن ذكر هذه الثعابين قد جاء تفصيليًّا فى الفقرات المفقودة من 1 - 13 (من الجزء الأول)، ولكن تحديد نوع الحية المذكور اسمها من المعلومات الضئيلة الواردة فى الجزء الثانى غير ممكن.

تاثيرات اللدغ

تضم فقرات الجزء الأول وصفًا مقتضبًا للغاية لتأثير لدغة كل نوع من أنواع الثعابين، ويتبع ذلك التنبؤ بمصير الضحية.

وأهم **الأعراض الموضعية** للدغة الثعبان هو حدوث **ألم شديد مكان الإصابة**، ثم انتشار هذا الألم. ولم يُذكر هذا العَرَض الهام فى البرديات، ربما لأنه أمر بديهى ومعروف ولا يحتاج الإشارة إليه. وليس هناك تعبير عن شدة الألم أكثر من وصف المعاناة التى حدثت للقطة المشئومة التى كانت ضحية لسعة عقرب فى الطريق المقفر، حتى إن صراخها وصل لمن فى السماء (حجر مترنخ وبردية سبراش 3). ولا شك أن ذكر غياب الألم يثير الانتباه فى الفقرتين 36 ، 37.

كذلك ليس هناك ذكر لنزف الدم مكان العقر، والمتوقع حدوثه مع بعض الثعابين (فايبر)، ونُص على عدم حدوثه فى (فقرة 31، 36).

وتشمل الأعراض الموضعية **التورم والتحجر** (فقرة 14 و 31)، الذى كان عرضًا شائعًا ومتوقع الحدوث، بحيث إن غيابه كما فى حالات عض الثعابين غير السامة استوجب التعليق: «لا يوجد أى ضرر منها، واللدغة لن تتورم». ولدغة الفايبر (viber) «كا إن إم» تُشَبَّه بالزبيب الجاف، وهو ما قد يعنى حدوث **تَنكرز موضعى** (غرغرينة) فى أنسجة المنطقة المصابة (فقرة 18).

وبخلاف هذه الأعراض الموضعية هناك **أعراض عامة** أثارت الاهتمام؛ **فارتفاع درجة الحرارة** لمدة سبعة أيام أو تسعة أو أحد عشر يومًا تقترن بعضات سبعة من الثعابين وهى (الأنواع 18، 22، 23، 24، 25، 26، 28). وتعانى بعض الحالات **الضعف العام** (باج) **والإعياء** (بى دش)، ومنها 14، 20، 24، 25 و 28. وفى بعض الحالات نجد **تهيجًا للعضلات**؛ مما يتسبب فى **التشنجات وارتعاش الأطراف** (نى ها) (الفقرة 26) **والقشعريرة** (هت كت) (الفقرة 29)، **وارتعاش العين والحواجب** (الفقرة 33). وتذكر

الفقرة رقم 25 أن المريض ارتعش من «رأسه إلى قدميه» (تى هس)، وهذه الكلمة غير معروفة ويترجمها سونيرون بالتقلصات المشابهة لمرض التيتانوس . أما القىء فعلامة هامة تدل على خطورة الحالة وانتشار التسمم فى الجسم وسوء المصير، ويحدث القىء مع لدغات الثعابين من نوع إيلابيد والفايبر، وجاء هذا العَرض فى الفقرتين 23 ، و24، وفى بعض الأحيان يكون إحداث القىء مقصودًا كخطوة من خطوات العلاج كما سيأتى فيما بعد.

وفى حالة لدغة ثعبان الكوبرا «أرار» فقرة رقم 32 نجد هذه الملاحظة المحيرة:

«إذا لُدغ إنسان، فإنه يعانى فى الجانب الآخر غير المصاب، ولن يعانى فى نفس جانب اللدغة».

وبينما نجد معنى الفقرة واضحًا تمامًا، فمن الصعوبة تفهم ما تعنيه. ويمكن تفسير ذلك بأن الأعراض تشمل الجسم كله، لكن الإحساس يقل نتيجة التنميل فى جانب الإصابة.

وازدياد النزف فى جميع أجزاء الجسم يحدث من تأثير سم بعض الثعابين من نوع الفايبر (Viber)، إذ يحتوى على مادة تعيق تجلط الدم. وجاء ذكر حدوث النزيف فى الفقرة رقم 63 A، والتى ـ لسوء الحظ ـ لم تحدد نوع الثعبان: «إذا كانت اللدغة شديدة، فإن الدم يسيل من كل أعضاء الجسم والأطراف». وغالبًا ما يكون النزف من اللثة والأنف والجهاز الهضمى والمسالك البولية، خاصة مع لدغة الثعبان من جنس Echis الموجود فى مصر. والمزيد عن النزف يأتى لاحقًا عند مناقشة الجانب العلاجى.

والعطش الشديد أحد أعراض لدغ بعض ثعابين الفايبر، وجاء ذكر ذلك فى سياق العلاج: «علاج العطش (إيب) لضحية لدغة أى ثعبان» (77 a).

ويحدث **العرق الشديد وانخفاض درجة حرارة الجسم** مع لدغ بعض ثعابين الفايبر أيضًا. وتوضح ذلك الفقرة 20، وهى حالة لدغ ثعبان Echis Coloratus: «وجهه يتصبب عرقًا (فى دت)».

أما **صعوبة التنفس**، فتحدث مع سم ثعبان الكوبرا، فهو يسبب ما يعرف بـ(الفعل المشابه لمادة الكيورارى Curare like action)، حيث يتم إعاقة مرور الإشارات العصبية من الأعصاب إلى العضلات، ومن بينها عضلات التنفس. ويأتى ذكر هذا عند وصف بعض العلاجات؛ مَرَّة «لكى تجعل المريض يتنفس» (43a) ومَرَّة «لتفتح حنجرته» (69).

وفى النهاية، **يأتى وصف فقدان الوعى واقتراب الوفاة**، فنجد عبارة «رأسه لا تميز شيئًا، ومصاب بالعمى» (92). وفقدان القدرة على الكلام تشير إليها العبارة «سيتكلم على الفور» كنتيجة لتعاطى العلاج (92).

التنبؤ بمصير المصاب Prognosis

يأتى بيان تطور حالات لدغ الثعابين فى عبارات تشرح المصير المحتمل، كالآتى:

* و«الشخص لا يموت بسببها» (21).
* «سيعيش هذا الشخص» (22، 25، 26، 28).
* «ومن تلدغه لن يموت» (32، 33، 37).
* «من الممكن إنقاذه «نى هم»» (18، 20، 24، 27، 29، 30، 31، 33، 34، 38).
* «يأتى الموت سريعًا» (19).
* «إذا لدغت إنسانًا فسيموت على الفور «هر اوى»» (15، 16، 17).

وفى بعض الأحيان يتوقف التنبؤ بمستقبل الحالة على **عدد الأيام التى تمر على المصاب بعد اللدغ**، ويتوقف أيضًا **على العلاج**، سواء طبى أو سحر:

* «من الممكن أن ينجو منها حتى اليوم السابع» (38).
* «من الممكن أن ينجو منها إذا مر عليه ثلاثة أيام» (18).
* «من الممكن أن ينجو منها بواسطة السحر، أو السحر والأدوية» (27).

وقد ترتبط النجاة بحدوث القىء من عدمه:

* «إذا تقيأ سيموت» (23).
* «إذا لم يتقيأ فسيعيش» (24).

ونجد اختبارًا هامًّا لتحديد مصير الحالات فى الجزء الثانى من البردية (40):

«هل سيموت؟ هل سيعيش؟ كى تعلم مصيره: أعطه كادى (نوع من الحيوان)، دى جيز (نبات) بالإضافة إلى الماء، ويُسحق الجميع ويتناوله الشخص المصاب بعضة الثعبان، إذا بقيت فى أمعائه .. سيعيش، وإذا تقيأ فسيموت».

علاج اللدغات

ورد العلاج فى الجزء الثانى من البردية، ويشتمل على ثلاثة اتجاهات؛ **أولًا**: علاج موضعى للدغة. **ثانيًا**: العلاج بالدواء (غالبًا أعشاب)، **وثالثًا**: علاج عن طريق السحر. ويتم تنفيذ العلاج على أربعة محاور.

المحور الأول: العلاج النوعى المحدد، وهو موجه لـ 13 نوعًا من الثعابين. ونجد تسعة من هذه الثعابين مسماة بأسمائها فى الجزء المتبقى من الجزء الأول من البردية، ويشار إلى موضعه فى العمود الأخير من (جدول 8 ـ 3). أما الثعابين الأربعة المتبقية التى لها علاج خاص فهى ضمن الجزء المفقود من الجزء الأول للبردية (انظر: سابقًا).

المحور الثانى: يشتمل على عدد كبير من الأدوية التى تُستخدم **كعلاج عام** مع أى نوع من أنواع الثعابين بغير تفرقه.

المحور الثالث: يتوقف على **حالة المريض** وقت مناظرة الطبيب له. (الفقرات51، 63، 64، 87).

المحور الرابع: يهتم بعلاج الأعراض المختلفة.

ويستهدف **العلاج الموضعى لمكان اللدغة** التخفيف من الأعراض الموضعية أكثر منه لمنع انتشار السم إلى أعضاء الجسم. ولا نجد إشارة لشفط السم من مكانه أو وضع رباط ضاغط لمنع انتشاره عن طريق الدم[1]. وهناك العديد من التوصيات لاستخدام أربطة فى هذه الحالات (44 c، 62 c، 63 a، 63 b، 64 a)، ربما كانت بغرض تغطية بعض الوصفات الموضعية وحفظها فى مكانها، وليس بهدف تقليل سريان الدم عن طريق الضغط الكافى لهذه الأربطة على الأوردة.

وكان التشريط الجراحى واستئصال الأنسجة المصابة يُستخدمان للتخلص من الأنسجة التى أصابها التنكرز، وإذا تم هذا الإجراء مبكرًا فسيساعد على تقليل امتصاص

(1) بالرغم من ذِكر المؤلف أن الطبيب المصرى لم يقم بإجراءات لمنع انتشار السم عن طريق الدم، نجده فى نفس الفقرة يذكر التوصية باستخدام الأربطة فى العديد من الحالات، ثم يقرر أن ذلك ليس بهدف تقليل سريان الدم، دون أن يقدم الدليل على استنتاجه. كذلك نجده فى الفقرات التالية يذكر التشريط الجراحى واستئصال الأنسجة المصابة ووضع النطرون على الجرح ليمتص السوائل والسم، إن هذه الفقرات تبين أن الطبيب المصرى قام بالإجراء المناسب لمنع انتشار السم فى الجسم. وربما أنكر المؤلف ذلك بدافع التقليل من إنجاز الطب المصرى القديم تعصبًا للطب اليونانى ـ الرومانى كما ذكرنا قبلًا ـ (المترجم).

السم. وعبارة «إر نك نف دجوا ir nek nef djua» التى تعنى «عليك أن تستخدم السكين لعلاجه» والتى يجىء ذكرها دائمًا فى البرديات الطبية عندما تكون الحالة فى حاجة إلى علاج جراحى مثل فتح خراج، فإنها تظهر فى الفقرة رقم 31 (حية خبيثة ـ فايبر ـ ذكر) وفى الفقرة رقم 32 (الكوبرا ـ أرار). وهناك ذكر للتدخل الجراحى حالة لدغة ثعبان ذكر غير معلوم النوع فى الفقرة (81):

«ما يجب عمله لحالة لدغة ثعبان ذكر: اشْرِط (تش تش) جرحه (أو لدغته) بواسطة السكين (دجوا) عدة مرات، ثم ضع ضمادة فوق الجرح مع النطرون الأحمر... والملح... إلخ».

كذلك أُتخذ الإجراء التالى للتخلص من التورم الناتج عن الاحتقان وتجميع السوائل فى الأنسجة المصابة فى الفقرة (72 a):

«علاج آخر للتخلص من التورم: أشرط (تش تش) جرحه (أو لدغته) بواسطة سكين «دس» عدة مرات فى اليوم الأول، ضع فوق الجرح ملح $\frac{1}{8}$ أو نطرون، ثم ضمد الجرح برباط».

وللملح والنطرون تأثير أزموزى ساحب للسوائل من الأنسجة، مماثل لملح جلوبر (سلفات الماغنسيوم) الذى يستخدم اليوم، وذلك يقلل من التورم. كذلك يقلل خروج السوائل من الجرح فى المنطقة المصابة من كمية السم الموجودة فى النسيج المصاب. ولكى يكون ذلك ذا فائدة يجب أن يُجرى العلاج مبكرًا، ومن هنا يأتى التركيز على أن يحدث ذلك (فى اليوم الأول). وهناك عبارة شائعة تترجم إلى «سارع فى عمل ذلك العلاج بمهارة»؛ مما يعنى وجود نظام متفق عليه جاهز للتطبيق فى أسرع وقت.

وتحوى البرديات الطبية العديد من الأدوية التى يدخل فى تركيبها حوالى مائة نوع من الأعشاب التى يتم مزجها معًا تبعًا للصيدلية المصرية القديمة. ويُعتبر **البصل** من أهم وأبرز المكونات الدوائية، ويخلط غالبًا بالملح أو الجعة المحلاة بكميات محددة. وما زالت جذور نبات ورد النيل البصلية تستعمل لعلاج لدغ الثعابين إلى الآن فى غرب أفريقيا. وأقل استخدامًا من البصل، الخروب «دجارت djaret»، ثم يأتى بعد ذلك العديد من أوراق النبات والحبوب وزيت التربنتينا المعدنى.

وقد تم وصف **المقيئات** فى 24 حالة تستخدم الفعل «سى بش sebesh» لإحداث القىء. ويقصدون بذلك إخراج السم مع القىء، وهذا بالطبع غير صحيح؛ فالسم لا

يوجد فى المعدة، على أن القىء يمكن أن يوجه انتباه المريض لشىء آخر غير معاناته، كما يُشعره بأن شيئًا ما يُفْعَل من أجله:

«يجهز مُقَيِّئ من أجل المصاب بلدغة ثعبان الفاى النفاخ (فقرة 27): بصل (1)، ملح (1)، نبات «سام» (1) - يطحن الجميع معًا ويُمزج بالجعة المحلاة أو شراب مختمر، يتناوله المريض ثم يتقيؤه (73)».

وفى العديد من المناسبات، تنتهى الوصفة الطبية بتعليمات بتبخير (كاب) المريض، كعامل مساعد، لأشكال العلاج الأخرى.

ولا تخلو هذه البردية الطبية العلمية القيمة من **السحر**. فنجد الفقرة 27 تنص صراحة: «إذا قرأ أحدهم هذه الرقى من أجل المريض فإنه سيعيش؛ لأنها مشفوعة بالسحر».

ويرتبط استخدام البصل **بيعض التعازيم** التى يُتوسل فيها بالآلهة رع وحورس وسركت، كما فى الفقرات 41، 42. وهناك 12 تعزيمة تستخدم مع علاجات أخرى، وبعض هذه التعازيم جاء فى أسطورة حورس (الفصل الخامس).

لقد أحدثت بردية بروكلين المشهورة ثورة فى فهمنا لأسلوب المصريين القدماء لعلاج لدغات الثعابين. كما قدمت أدلة دامغة على أن كبار كهنة سركت كانوا يمارسون ما نطلق عليه الآن الطب التقليدى، وليس فقط السحر.

لسع العقارب[1]

كان المصريون القدماء يهابون اللسعة التى تحدث بما يشبه الشوكة فى ذيل العقرب، وعبروا عن ذلك فى أساطيرهم. فجاء وصف اللسعة التى أصابت **حورس** بالتفصيل على حجر مترنخ، وبردية سبراش (7، 9)، وتذكر سبراش (3) الحدث الدرامى للسعة القطة. وفى كلتا الحالتين، كان العلاج **سحرًا مبنيًا على الأساطير الدينية**، وليس من السهل ملاحظة أى علاج طبى للسعات العقارب فى حجر مترنخ. وعندما قامت **إيزيس** (والدة حورس) بفتح الجرح (مترنخ الفقرة 191)، ووضعت أنفها فى فم حورس، فيبدو أن هذا الإجراء كان بغرض اكتشاف السم من رائحته، وليس لأنها كانت تحاول مساعدة ابنها بالتنفس الاصطناعى[2]. كما تذكر الفقرة 193، أن إيزيس كانت تحتضن حورس وتثب به

(1) العقارب رتبة من طائفة «أراكنيدا - Arachnida»، والتى تضم أيضًا العناكب والقُرَاد والعث (العتَّة).

(2) أرى أن إيزيس عندما وضعت أنفها على فم حورس، كانت تحاول أن تدفع نَفَسَها المقدس فى صدره كنوعٍ من التنفس الصناعى، وهذا سلوك فطرى من أم توقف ابنها عن التنفس. وهذا التفسير أقرب من أنها كانت تتشمم السم فى نَفَسه الذى توقف كما يذكر المؤلف، هل هذا موقف آخر للتعصب ضد الطب المصرى القديم - (المترجم).

عدة مرات، (مثل السمك الذى يتلوى فوق النار)؛ مما يشير إلى أنها كانت تساعده فى أن يسترد وعيه؛ لأنه كان فاقد الوعى ولا يتنفس.

أما بردية بروكلين فتذكر فى الفقرة رقم 39 أنها ستمدنا **بأدوية ضد لسعات العقارب**، لكن للأسف لم نجدها فى الجزء المتبقى من البردية. كذلك لم تذكر البرديات الطبية الرئيسية الكثير حول لسع العقارب. وإذا كانت بردية إيبرز (200) تقارن آلام المعدة بمن أصيب بـ«خرى ديميت khery demet»، وترى الموسوعة الألمانية أن ذلك يشير إلى لسعة العقرب، فإن العبارة «خرى ديميت» تستخدم أيضًا للتعبير عن لدغ الثعابين. وتعطى بردية برلين (78) علاجًا واحدًا «من أجل التخلص من آثار لسعة العقرب» مستخدمة الكلمة غير المألوفة «دجانارى dijanary» كاسم للعقرب (بدلًا من الكلمة الشائعة «وى هات wehat»)، وبخلاف الشمع، تبقى بقية مكونات هذا العلاج غير معلومة.

عضات التماسيح

ذكرت بردية وست كار أن التمساح يقوم بسحب فريسته تحت الماء حتى تغرق، وهذا الحادث - فى مصر القديمة - يضع الضحية ضمن الفئة المميزة من الغرقى المبارَكين «هسى يو hesyu». وفى بعض الأحيان تستطيع الضحية الإفلات، لكن بثمن باهظ من الإصابات. وقد لاقى علاج هذه الحالات اهتمام فى بردية إيبرز (436):

«ما يمكن عمله لعضة التمساح «تب إر tep -r» : إذا قمت بفحص مصاب بعضة تمساح، ووجدت لحمه خارجًا وفتحتى الجرح متباعدتين، فعليك أن تقوم بتضميده بلحم طازج فى اليوم الأول كما هو الحال فى الجروح الأخرى».

ويأتى علاج عضة التمساح أيضًا فى بردية هرست (239):

«علاج آخر لعضة التمساح فى أى من أطراف المصاب، عليك أن تضمدها باللحم الطازج فى اليوم الأول».

وتضميد الجروح **باللحم الطازج فى اليوم الأول** للإصابة، علاج أساسى فى الطب المصرى القديم لكل جروح الأنسجة الخطيرة. ونجد نفس الكلمات أو ما يشابهها فى 13 حالة على الأقل فى بردية إدوين سميث (انظر: سابقًا).

عضات الإنسان

كانت عضة الإنسان من المشاكل المهمة، حتى إنها استحقت الذكر فى أربع فقرات من بردية إيبرز، وهذا الجزء يبدأ بالفقرة رقم 432، التى تطابق الفقرة رقم 21 من بردية هرست:

«علاج آخر لعضة الإنسان: مكيال من العجين الموجود فى جرَّة (جاء فى هرست فقط)، وفجل، يُعجن جيدًا حتى يصبح متجانسًا، ويوضع على الجرح ويضمد»

وثَمَّ علاجان آخران فى الفقرتين 433، 434، يشتملان على التربنتينا المطهر. أما العلاج الأخير لعضة الإنسان (إيبرز 435)، فيشير إلى التضميد باللحم الطازج فى اليوم الأول للإصابة، ثم يتبع ذلك الدهان بالزيت أو الدهن، والعسل والشمع.

ويجىء التعبير عن الإنسان بصفة عامة باستخدام الكلمة «رى متج remetj»، والتى تشير دائمًا إلى الإنسان المصرى وليس الغرباء.

والغريب أن تهتم البرديات بعضة الإنسان فقط، دون الثدييات الأخرى. وترى الموسوعة الألمانية أن كلمة «رى متج» هى خطأ فى الكتابة لكلمة «رير rer» التى تعنى الخنزير، رغم أن الكتابة تكررت فى إيبرز وهرست.

الخلاصة

تتخذ بردية إدوين سميث خطًا منطقيًا ومقنعًا فى التعامل مع الإصابات فى مصر القديمة. وتقدم البرديات الأخرى المتبقية للآن أوصافًا قليلة للعمليات الجراحية خارج نطاق الإصابات، خاصة الجزء الأخير من بردية إيبرز الذى يعطى وصفًا لبعض الممارسات الجراحية.

وقد يكون إجراء العمليات الجراحية قد نما وتطور من خلال التعامل مع الإصابات، وقد يتبع نفس القواعد، لكن لا نستطيع الجزم بذلك حتى نضع أيدينا على آلات جراحية أو بعض البرديات التى توضح ذلك.

* * *

الفصل التاسع

أفرع الطب المتخصصة

Specialised Branches of Medicine



- أمراض النساء والتوليد
  - الخصوبة واختبارات الحمل
  - التوليد
  - مشاكل ما بعد الولادة
  - تقييم وعلاج الأطفال حديثى الولادة
  - وسائل منع الحمل
  - أمراض النساء
- أمراض العيون
  - علاج العمى وضعف الإبصار
  - عتمات العين والتدميع
  - التراكوما
  - إصابات العين والأجسام الغريبة
  - اعوجاج أهداب العين
  - بقع العين
  - نزيف العين
  - الالتهابات
  - أمراض العين غير المحددة
- أمراض الأسنان
  - تآكل الأسنان
  - نخر (تسوس) الأسنان
  - خراريج الأسنان
  - أمراض الغشاء حول السن (اللثة)
  - خلع الأسنان
  - خلع الفك السفلى
  - العناية بالأسنان فى البرديات الطبية

علق هيرودوت (II 83) على وجود التخصص لدى الأطباء المصريين القدماء بقوله:

«ينقسم الأطباء فى مصر القديمة إلى عدة تخصصات، كل طبيب يكون مسئولاً عن علاج مرض بعينه؛ ولذا يوجد عدد لا حصر له من الأطباء، فمنهم من يعمل فى مجال طب العيون، وآخرون فى أمراض الدماغ، أو أمراض الأسنان.. أو أمراض المعدة... وهكذا».

وإذا كان فى هذا التصريح بعض المبالغة، فإن هناك فعلًا بعض التخصصات التى نعرفها جيدًا فى مصر القديمة، أمثال أطباء الأسنان، والعيون، والجهاز الهضمى، وأطباء لعلاج أمراض الشرج، وآخرين لجراحة الإصابات (انظر: الفصل السادس).

أمراض النساء والتوليد

من الصعب تسمية من كان يمارس الطب فى مجال أمراض النساء والتوليد، فليس هناك كلمات محددة تشير إلى طبيب أمراض النساء أو طبيب التوليد أو القابلة. كما لا توجد قرائن تفيد ضلوع الطبيب «سونو Swnw» فى عملية التوليد، ويمكن القول إن حياء السيدات فى ذلك الوقت منعهن من قبول قيام الأطباء الرجال بتوليدهن، وبالتأكيد فإن مفاهيم الحياء كانت مختلفة تمامًا فى ذلك الوقت عن وقتنا. ويقول هيجينوس عن ممارسة هذا الفرع من الطب فى الإسكندرية إبان العصر البطلمى حول هذا المعنى:

«لم يكن هناك قابلات عند القدماء، فكانت النساء تتعرضن للموت بسبب خجلهن من أن يقوم رجل بتوليدهن. وقد دأب اليونانيون على حرمان النساء والعبيد من تعلم العلوم الطبية. وهناك قصة تدور حول فتاة تدعى هاجنوديس كانت تتوق لتعلم الطب، من أجل ذلك حلقت شعر رأسها وارتدت ملابس الرجال ولجأت إلى معلم لتدريبها على علوم الطب. وبعد أن أصبحت على علم بالطب، كانت إذا سمعت عن امرأة تعانى آلام الوضع، توجهت إليها، لكن إذا رفضت هذه السيدة مساعدة هاجنوديس

ظنًّا منها أنها رجل، كانت هاجنوديس ترفع ثيابها وتعلن عن أنوثتها، فتقبل المرأة المساعدة منها، وبهذه الطريقة أصبح فى استطاعتها التعامل مع النساء لعلاجهن».

الخصوبة واختبارات الحمل

تحتوى كل من بردية كاهون (19 ـ 27)، وبردية برلين (193 ـ 199)، وبردية كارلسبرج على العديد من الاختبارات للتأكد من **الخصوبة** و**من حدوث الحمل، وللتكهن بجنس الجنين** داخل رحم الأم. ويأتى التقديم لهذه الاختبارات دائمًا بعبارة «لكى تميز بين من ستحمل طفلًا وتلك التى لن تستطيع أن تحمل طفلًا»؛ مما يجعل من الصعب تحديد ما تشير إليه العبارة؛ هل اختبار لتحديد الخصوبة أم اختبار حمل. والاختبارات المعروضة تضم مجالًا واسعًا من الفحوص؛ ابتداء من تشجيع القىء وفحص العين، إلى اختبارات معملية، أشهرها ذلك الذى جاء فى بردية برلين 199، ونظيره فى بردية كارلسبرج المتهالكة III، وتأتى ترجمته الحرفية كالآتى:

«اختبار، لنرى ما إذا كانت المرأة ستحمل جنينًا أو لن تحمل جنينًا. جهز إيمَّر «بدت» (نوع من القمح) وشعير «إت»، وعلى المرأة أن تبول عليهما يوميًّا فى وعاءين. إذا أنبت كلاهما فيدل ذلك على أنها يمكن أن تحمل، وإذا نما الشعير بشكل أكبر فهذا يعنى أنها ستحمل غلامًا، وإذا نما الإيمَّر بشكل أكبر فيكون الجنين أنثى، وإذا لم ينبت كلاهما فلن يمكن أن تصبح حبلى».

ويتضح من الترجمة، أن هذا اختبار للتحقق من الخصوبة، ولتحديد جنس الجنين فى حالة حدوث الحمل، وهو شديد الشبه بما كان يُمارَس فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر. وقد قام مجموعة من العلماء المصريين (بقيادة غليونجى واشتراك خليل وعمار – 1963) **بتجربة هذا الاختبار وتقييمه**؛ فعند إبلال نوعى الحبوب ببول امرأة غير حامل أو رجل لم يحدث أى إنبات لهذه الحبوب. ثم أعيد الاختبار على 40 سيدة من الحوامل، فحدث إنبات فى واحد أو اثنين من الحبوب فى 28 حالة، وتلك النتيجة الإيجابية علامة جيدة لحدوث الحمل. لكن فى 30٪ من الحالات، لم تنبت البذور بالرغم من وجود الحمل. وعند حدوث إنبات لنوع واحد من هذه البذور، كان التنبؤ بجنس الجنين صحيحًا فى سبع حالات وغير صحيح فى 16 حالة.

وقد وُجد اثنان من اختبارات الحمل المستخدمة عند المصريين القدماء فى كتابات «أبقراط»، ويعكس ذلك **تأثر الطب اليونانى بالطب المصرى**. ويعتمد أحد هذين الاختبارين على **فحص الأوعية الدموية السطحية فى الثديين**، كما جاء فى بردية برلين 193 وفى بردية كاهون26:

«من أجل التعرف إلى حدوث الحمل من عدمه:

دع المرأة تنام على ظهرها، ثم قم بدهان ثدييها وذراعيها وكتفيها بزيت طازج، ثم قم بفحصها فى الصباح الباكر:

إذا وجدت الأوعية الدموية «الميتو» ظاهرة وليس فيها ما هو متقلص أو فارغ، فهذه السيدة تكون حاملًا «هى تب» وتنتظر حادثًا سعيدًا.

وإذا وجدت هذه الأوعية الدموية غير نافرة، مثلما فى جلد الأطراف، فهذا يعنى أنها (بى ند) - والكلمة الأخيرة غير معروفة المعنى.

أما إذا وجدت هذه الأوعية زرقاء وداكنة، فهذا يعنى أن الحمل سيأتى فيما بعد».

ومن المعروف الآن أن احتقان أوردة أثداء السيدات وانتفاخها قد يشير إلى بداية الحمل. ويضيف «أبقراط»، أن عودة الثدى لطراوته أو صغر حجمه فى السيدة الحامل، يُعَد نذيرًا بحدوث الإجهاض.

وفى بردية كارلسبرج IV وكاهون 28 نجد وصفًا لاختبار حمل، نقله «أبقراط» بشكل مختلف قليلًا:

«لكى تتعرف إلى من ستصبح حبلى وتحمل أطفالًا، وأخرى غير القادرة على ذلك، فَأْتِ ببصلة وضعْها داخل مهبلها (إيوف iuf) لمدة ليلة كاملة حتى شروق الشمس، فإذا انطلقت رائحة البصل من فمها فإن هذه السيدة يمكن أن تصبح حبلى، أما إذا لم يحدث ذلك فتكون غير قادرة على الحمل».

ويذكر «أبقراط» حدوث حَرَقَان فى الأنف (بجانب الرائحة)، لكن السؤال هو هل تمر **رائحة البصل** خلال الجسم حتى تصل إلى الأنف والفم؟

التوليد

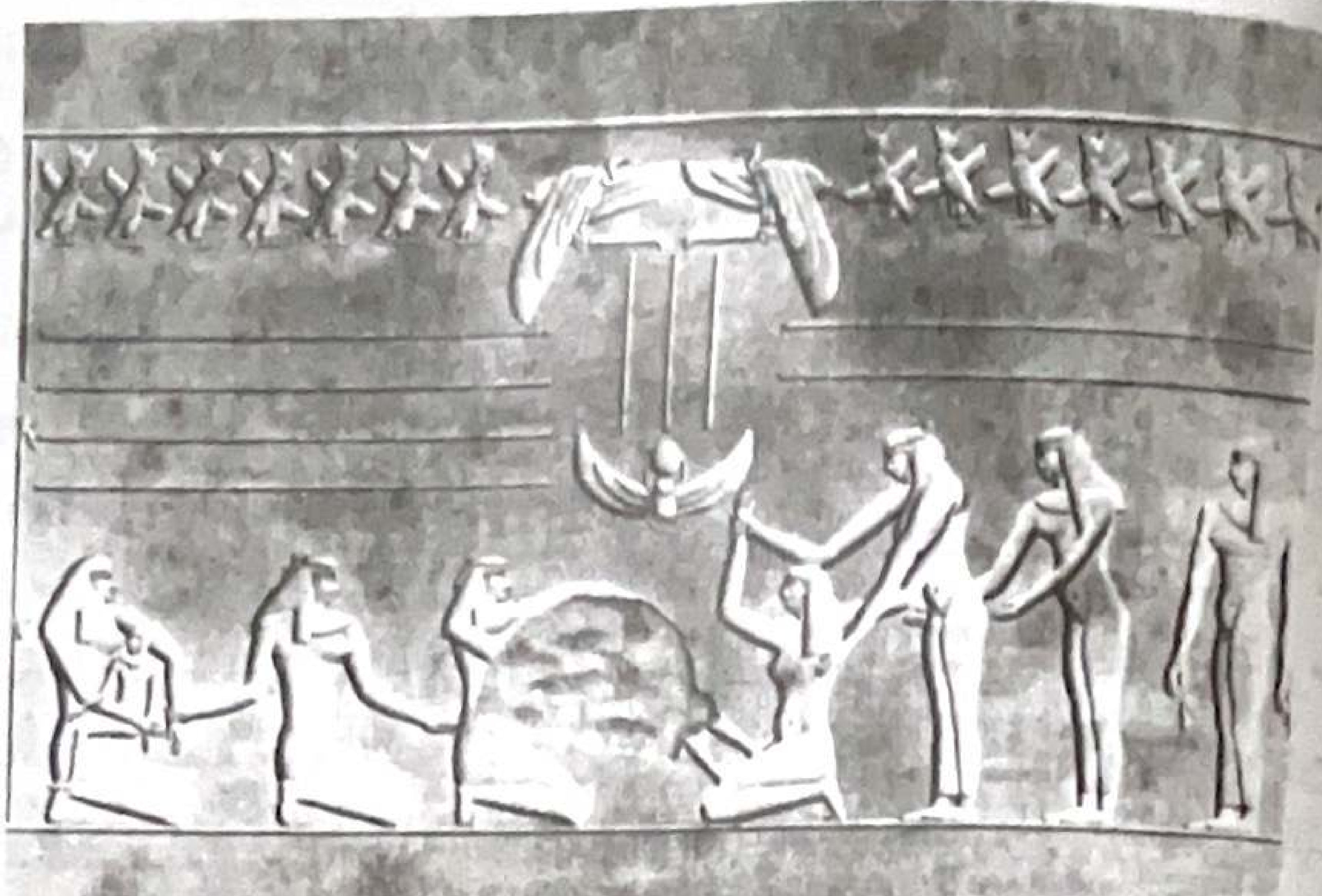
لم تذكر البرديات الطبية شيئًا عن عملية الولادة الطبيعية، وكل ما لدينا يدور حول الولادة السحرية لملوك الفراعنة فى بعض اللوحات (شكل 9 : 1)، بالإضافة إلى ما جاء فى بردية وست كار من أن السيدة «رد ـ دجى د ت» كانت حاملًا بثلاثة أجنة من الإله رع؛ مما أصاب زوجها رع أوسر بالذعر والهلع. وقد أصبح الثلاثة فيما بعد الملوك الثلاثة الأول للأسرة الخامسة، وهم أوسر كاف، وساهورا، ونفر كارع، والغرض من هذه القصة إثبات أصولهم المقدسة. وكان **طاقم التوليد** فى هذه الحالة الإلهات إيزيس، ونفتس، ومسخى نت، وهيكت (انظر: الفصل الخامس)، وجاءت القصة فى بردية وست كار كالآتى:

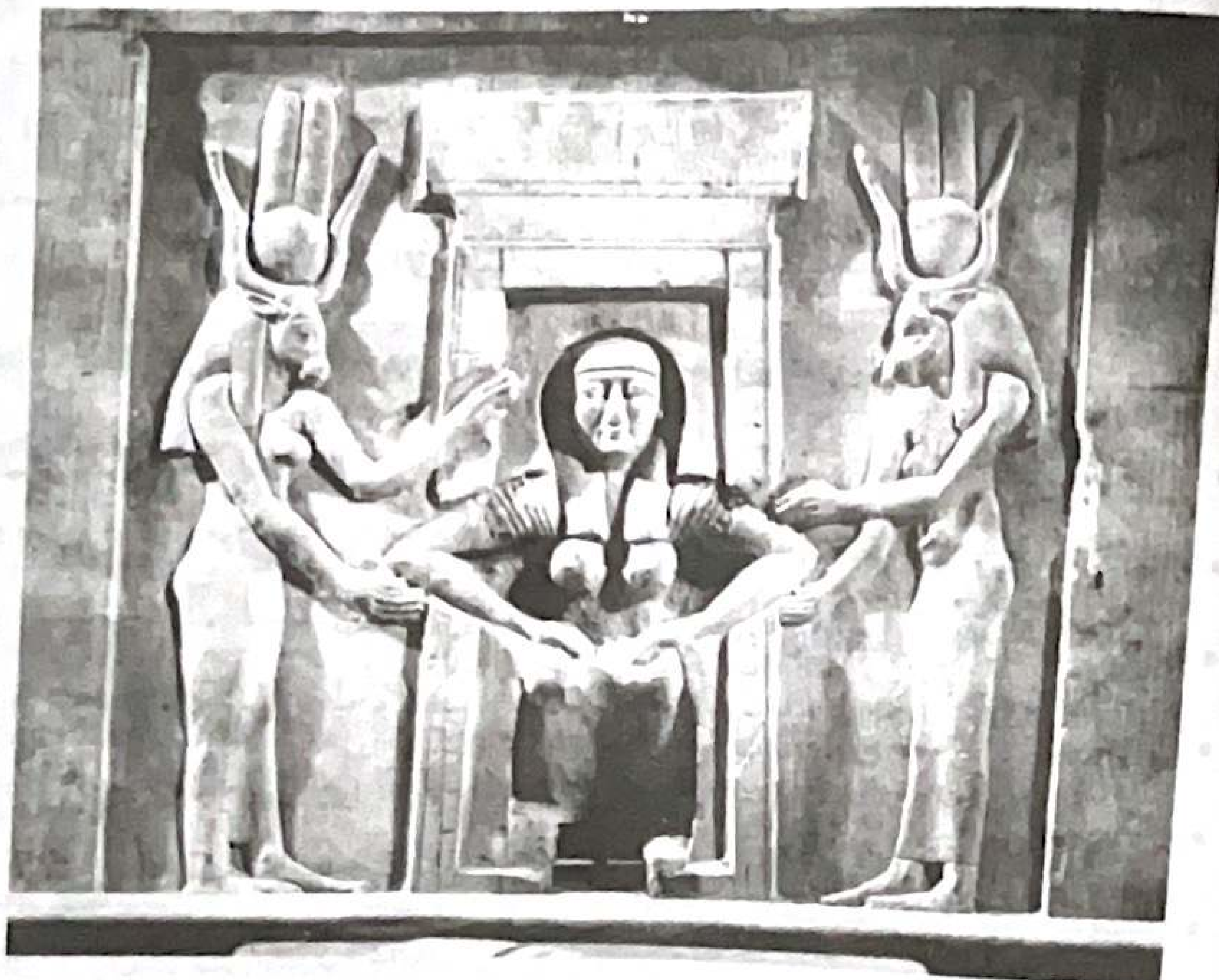
«ثم ظهرت تلك الربّات وحولن أنفسهن إلى موسيقيات، ورافقهن الإله خنوم لخدمتهن. ويهب زوجها رع أوسر ليقول «سيداتى.. انظرن.. إن هذه المرأة مريضة وولادتها متعثرة». فتجيب الربات: «اسمح لنا أن نراها.. نحن نعلم كيف نساعدها على الولادة، فيقول: قمن بعملكن».

وتدخل الربّات على السيدة المريضة، وتغلقن باب الحجرة. تضع إيزيس يدها على بطنها، بينما تضع نفتس يدها على ظهرها، أما هيكت فتتابع وتسرع عملية الولادة. ثم توجه إيزيس حديثها إلى الجنين الأول (أوسر كاف) «لا تكن عنيفًا على رحمها (أو بطنها) لأنك رجل قوى»، يندفع المولود خارجًا بين يديها، طوله حوالى 52 سنتيمترًا، عظامه قوية وأطرافه مغطاة بالذهب وغطاء رأسه من حجر كريم أزرق اللون. ثم يقمن بتغسيل الطفل المولود، بعد قطع الحبل السُّرى (خيبا). وأُلبس المولود ملابسه ووضع فى فراشه (من الطوب).. ثم جاءت مسخى نت لتقدم نفسها إليه... ثم قامت رد ـ دجى د ت بتطهير نفسها لمدة 14 يومًا».

وكانت وقائع ولادة الطفلين الآخرين مشابهة للأول، وفى كل حالة كانت الكلمات الموجهة للطفل الوليد تشير إلى اسمه الملكى القادم. ولم يكن هناك تفاصيل لعملية الولادة، لكن الصورة تتفق تمامًا مع تلك الخاصة بالملكة كليوباترا (شكل 9 : 1 أعلى).

ويظهر فى (شكل 9 : 1 أسفل) أن السيدة التى فى حالة وضع **تجلس القرفصاء على كرسى خاص بالولادة**، ويُطلَق عليه فى اللغة المصرية القديمة «مس خى نت meskhenet» تيمنًا باسم الإلهة مس خى نت.



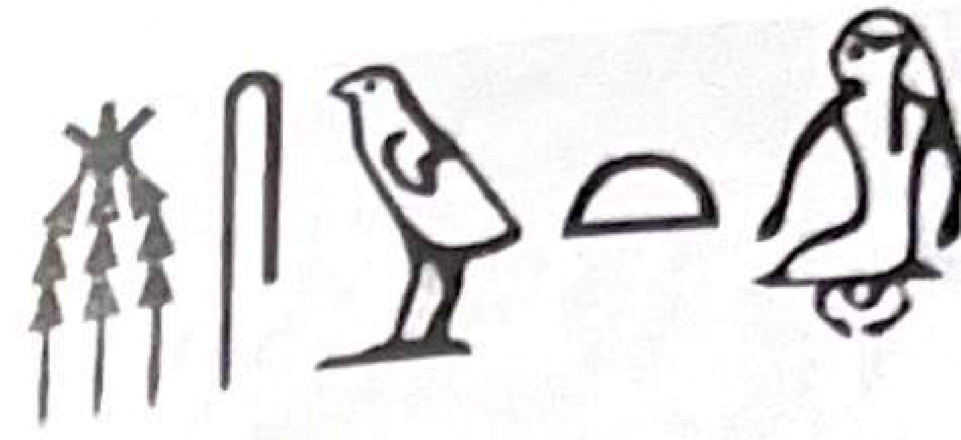


(شكل 9 : 1)

أعلى: رسم أسطورى لـ كليوباترا (العصر البطلمى) وهى تلد فى حضور الإلهات، موجود فى بيت الولادة فى أرمنت (من كتاب وصف مصر 1809 بعد الحملة الفرنسية (1798 ـ 1801).

أسفل: مشهد ولادة فى العصر البطلمى فى دندرة، المرأة تجلس على كرسى الولادة، فى حضور الإلهة حتحور (المتحف المصرى).

وتشير هيروغليفيات الولادة إلى أن وضع الطفل يعتبر طبيعيًا إذا خرج بقمة رأسه أولًا[1] (شكل 9 : 2).



(شكل 9 : 2)
الكلمة الدالة على الولادة بالكتابة الهيروغليفية (مس وت mswt). إلى اليمين، لاحظ تَقَدم الجنين بقمة الرأس، والمرأة فى وضع القرفصاء.

وتذكر بردية إيبرز (800_807) مجموعة من الأدوية، بالإضافة إلى تعزيمة فى الرامسيوم IV «حتى يتم إخراج الطفل من بطن أمه». ومجموعة أخرى من الأدوية فى إيبرز (797 _ 799) تستخدمها المرأة «حتى تُخرِج إلى الأرض (ريدى إر تا)» والجملة تعنى الولادة، أو ربما الإجهاض. وجميع هذه الأدوية بغرض الإسراع والانتهاء من عملية الولادة. وبعض هذه الوصفات توضع تحت رباط حول البطن، والبعض يوضع داخل المهبل، والقليل لتناوله عن طريق الفم. والعديد من مكونات هذه الوصفات ما زال مجهولًا (جدول 9 _ 1)، وما عُرف منها وأمكن ترجمته ليس من المعروف عنه أنه يساعد على انقباض الرحم، وهو الأمر المطلوب فى حالات الولادة المتعثرة.

(جدول 1.9) الأدوية التى تُستخدم لتنشيط انقباض الرحم

«لإحداث انقباض (ساك) الرحم»

يوضع بالمهبل

- بذور قمح إيمر الجبلى (إيبرز 820).
- حشائش نبات السعادى فى الزيت أو الدهن (إيبرز 820).
- نبات مخدر (قنب) مطحون فى العسل (إيبرز 821).
- راتنج سى نت جر (إيبرز 822).
- كرفس مطحون فى لبن البقر (إيبرز 822).
- نبات خى بر وير (إيبرز 823).
- عسل نحل (إيبرز 823).
- ماء الخروب (إيبزر 823).

(1) يُعتبر هذا هو الوضع الطبيعى فى علم الولادة الحديث ـ (المترجم).

- لبن (إيبرز 823).
- ماء مستا (إيبرز 824).
- عصير نيشاو (إيبرز 825).
- عصير كيت كيتو (إيبرز 826).
- عصير نبات نيايا (إيبرز 827).

«كى تُخرج المرأة جنينها إلى الأرض»

• نبات نيايا (إيبرز 797)	لتجلس عليه.

«كى تُخرج المرأة كل ما فى بطنها»

• عصير البلح «منقوع» (إيبرز 799)	عن طريق الفم.
• ملح الدلتا المصرى (إيبرز 799)	عن طريق الفم.
• زيت / دهن (إيبرز 799)	عن طريق الفم.
• قطع «هينو» طازجة فى الزيت أو الدهن (إيبرز 798)	يوضع بالمهبل.

«كى يخرج (سى فخ) الطفل من بطن أمه»

• ملح دلتا مصر طازج (إيبرز 801)	عن طريق الفم.
• عسل النحل (إيبرز 801)	عن طريق الفم.
• نبات نيايا (إيبرز 804)	عن طريق الفم.
• معدن كس نت (إيبرز 804)	عن طريق الفم.
• نبيذ (إيبرز 804)	عن طريق الفم.
• نبات بسبس (إيبرز 802)	يوضع بالمهبل.
• راتنج س نت جير (إيبرز 802)	يوضع بالمهبل.
• البصل (إيبرز 802)	يوضع بالمهبل.
• جعة دجس رت (إيبرز 802 ـ 805)	يوضع بالمهبل.
• ملح طازج من دلتا مصر (إيبرز 802)	يوضع بالمهبل.
• بقايا الذباب (إيبرز 802)	يوضع بالمهبل.

- فاكهة إى شد (إيبرز 805) — يوضع بالمهبل.
- حب العرعر (إيبرز 806) — يوضع بالمهبل.
- نبات نيايا (إيبرز 806) — يوضع بالمهبل.
- راتنج شجر الصنوبر (إيبرز 806) — يوضع بالمهبل.
- ملح دلتا مصر (إيبرز 800) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- قمح إيمر أبيض (إيبرز 800) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- نبات سوت هيمت (إيبرز 800) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- راتنج سى نت جير (إيبرز 803) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- الجزء (نيس) من السلحفاة (إيبرز 807) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- الخنفسة هى كن (إيبرز 807) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- زيت الصنوبر (إيبرز 807) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- جعة دجس رت (إيبرز 807) — يوضع فوق البطن ويضمد.
- زيت أو دهن (إيبرز 807) — يوضع فوق البطن ويضمد.

الرامسيوم 4 (25-30-2) — تعازيم.

انظر: جداول 7 ـ 3، و7 ـ 4، و7 ـ 6 ، لمعرفة طبيعة العقاقير.

مشاكل ما بعد الولادة

وتمثل بردية إيبرز 823 علاجًا «للمعاونة أو لتحقيق الانسجام» فى انقباض الرحم، لكن ليس من الواضح، إن كان ذلك للإسراع بعملية الولادة أم لإخراج المشيمة أم لمساعدة الرحم على استعادة حجمه الطبيعى بعد الولادة:

«علاج آخر، لانقباض (ساك) الرحم «هى مت»: نبات خيير ـ وير (1)، عسل (1)، ماء الخروب (1)، لبن (1).. تمزج هذه الأصناف وتصفى وتوضع داخل الرحم (إيوف iuf).

وللأسف لا نعرف طبيعة نبات خيير ـ وير .

وتستعرض بردية كاهون (4) حالة **تهتك العُجان أثناء الولادة:**

«تعليمات للسيدة التى تعانى من منطقة العانة والمهبل، وكذلك منطقة الفرج (دجا دجات djadjat)

وما بين إليتيها: عليك أن تقول بالنسبة للمنطقة المصابة، أن هناك تورمًا شديدًا بسبب الولادة. عليك أن تُحَضِّر لها : زيتًا طازجًا (1) هينو (أى 450 مليلترًا) لكى يُسكب داخل المهبل».

وجاء فى الرامسيوم IV «هناك كتلة من البراز تخرج من مهبل (كات kat) أمه». وإذا لم تكن هذه العبارة إشارة إلى علاج غريب، فإنها تمثل أول إشارة فى التاريخ للناصور الذى يحدث بين **المستقيم والمهبل**، كأحد مضاعفات الولادة المتعسرة.

تقييم وعلاج الأطفال حديثى الولادة

جاء فى إيبرز 838، **«فى اليوم الأول لولادة الطفل، إذا صاح «ناى ny» فإنه سيعيش، وإذا صاح «مى بى mebi» فإنه سيموت.** كما لا نتوقع أن يعيش إذا كان صوته أنينًا أو إذا أحنى رأسه إلى أسفل».

وفى الرامسيوم IV (بردية المرأة والطفل)، نجد **«شيئًا آخر نقدمه للطفل فى يوم ولادته»** (C, 17 ـ 24) وقد تكون هذه الفقرة **تعزيمة للطفل.** ونجد أيضًا **«الحماية التى يجب أن نحيط بها الطفل فى يوم ولادته»** (C,15 ـ 16)، ولسوء الحظ أن تفاصيل هاتين الفقرتين فى البردية أصابهما تلف شديد.

وسائل منع الحمل

كانت العادة أن توضع المواد المختلفة أو خلاصتها **داخل المهبل** لمنع الحمل، وتشرح بردية إيبرز 783 ذلك بوضوح:

«الوصفات التى تُجهز للسيدات / الزوجات «هى موت hemut»[1] لمساعدة المرأة (ست set) على منع الحمل (إيور iur) لمدة عام أو اثنين أو ثلاثة أعوام: كا (جزء) من التين، الخروب، البلح. يطحن الجميع فى (1) هينو (450 ملليمترًا) من العسل، وتنقع قطعة من الكتان فى هذا المزيج وتوضع داخل مهبلها (إيوف)».

وتضع السيدة هذه الوصفات بمعرفتها؛ وتحدد بردية كاهون المهبل **«كات kat» لوضع موانع الحمل**، بينما جاء فى الرامسيوم IV **«توضع قطعة الكتان فى فم الرحم»**. ويظهر العسل أيضًا فى بردية كاهون 22، ومن الممكن أن يكون له تأثير قاتل للحيوانات المنوية بسبب ما يتمتع

(1) كلمة «هى موت hemut» جمع لكلمة هيمت hemet، والكلمة تشير إلى المرأة أو الرحم. ويتضح المعنى من موضع الكلمة ـ أو من رمز مُخَصِّص يضاف إلى الكلمة.

به من ضغط أزموزى مرتفع. وكلٌّ من الرامسيوم IV وبردية كاهون 21 يذكر استخدام بقايا التماسيح! ويشعر المرء أن بعض هذه المواد الغريبة موصوفه لإعاقة أداء الرجل. وقد قام ريدل (1992) بمراجعة ودراسة موانع الحمل والإجهاض فى العالم القديم.

أمراض النساء

إذا كان التدخل الجراحى يؤدى دورًا مهمًّا فى طب أمراض النساء فى وقتنا الحاضر، فإننا لا نجد أى توصية بعلاج جراحى فى البرديات الخاصة بأمراض النساء. وينحصر العلاج فى أدوية تعطى بالفم ومواد تستخدم موضعيًّا فى المهبل.

وقد تم مناقشة احتمالية معرفة المصريين القدماء **بسرطان الرحم** فى الفصل الرابع، والذى أشير إليه بعبارة أكل أو تآكل الرحم.

وقد استُدل على معرفة المصريين بمرض **سقوط الرحم** من فحص البقايا الآدمية، كما أتى ذكره عند عرض الأدوية التى تساعد على عودة (ها) الرحم إلى مكانه (إيبرز 789 ـ 795)[1].

وتأتى الفقرات (790 ـ 794)، لتذكر «أدوية أخرى» لعلاج الحالات التى جاء ذكرها فى إيبرز 789. وهذه الأدوية تؤخذ عن طريق الفم أو تدُهن على منطقة العانة أو فوق سرة البطن أو لتبخير المهبل، أو تجلس عليها المرأة، أو تدعك بها الأطراف. ولا تعطى مكونات هذه الأدوية معلومات حول دواعى استخدامها.

وهناك بعض الوصفات «لتبريد الرحم» و«التخلص من السخونة»، وقد تشير هذه العبارات إلى نوع من **الالتهابات**، لكن التفاصيل المرضية غير واضحة[2].

---

(1) هناك مشاكل لفظية فى فهم هذا الموضوع، ففقرتا إيبرز 789 و 795 تستخدمان كلمة (ها ha) التى تعبر عادة عن كلمة ينزل، وهذه الكلمة لا تدل على المعنى المقصود وهو ارتداد السقوط، ولكن الفقرتان تضيفان بعد كلمة ينزل عبارة رجوع الرحم إلى مكانه. كذلك تستخدم بردية إيبرز 795 كلمة «هيمت» للدلالة على الرحم، وتستخدم إيبرز 789 عبارة «مت رى متج mut remetj» أيضًا بمعنى الرحم، ومعناها الحرفى «أم البشرية»، وهى تعنى المشيمة (الموسوعة).

(2) يمكن أن يشير «تبريد الرحم» و«التخلص من السخونة» والتى تشبهها عبارة «أن بطنها يحترق» الواردة فى إيبرز 833 (والمذكورة فى الفقرة التالية) إلى أن هذه الوصفات لعلاج متلازمة انقطاع الطمث menaepaual syndrome ـ (المترجم)

وهناك إشارة فى كل من بردية كاهون 24 وإيبرز 812 إلى «سى تت setet» الرحم. وهناك لبس حول معنى كلمة «سى تت»؛ هل هو **المُخاط أم الآلام الممتدة**، ويؤيد الرأى الأخير الرمز الذى يضاف إلى الكلمة وهو رسم السهم الذى يخترق جلد الحيوان (انظر: الفصل الثالث). وهنا أيضًا لا تعطى الأدوية أى دلائل عن طبيعة الحالة.

وانقطاع الطمث يظهر جليًّا فى بردية إيبرز 833:

«**إذا قمت بفحص امرأة غاب عنها الطمث (هس من hesmen) لسنوات عديدة، ووجدتها تبصق شيئًا شبيهًا بالـ «هى بب hebeb»، وبطنها كما لو كان يحترق.. وتتوقف المعاناة بعد أن تتقيأ: فى هذه الحالة عليك أن تقول عنها إن المرأة توقف (أخت) الدم من رحمها**».

ويعقب ذلك وصف لعلاج معقد (لكن غير ضار) لكى تشربه المرأة لمدة أربعة أيام.

ولم يأت ذكر النزف الزائد بوضوح، لكن يذكر أن هناك أدوية «**التدفع للخارج (إى ته iteh) دم المرأة**» (إيبرز 828 ـ 830)، حيث كان يُعتقد أن التخلص من الدم النازف يجفف الدم فى الداخل، وبذلك يتوقف النزف.

أما كاهون 9، فيبدو أنها تعطى تعليمات لإحدى **ضحايا الاغتصاب**:

«**تعليمات للمرأة التى تعانى من مهبلها، كما تؤلمها جميع أطرافها أيضًا؛ لأنها ضُربت. عليك أن تقول عن هذه الحالة «إن رحمها «تهدل» (فخ fekh)، وعليك أن تحضر لها الزيت لكى تأكله حتى تتحسن حالتها**».

الإفـرازات

نجد فى بردية كاهون 3 ، و7، و 10: «**عندئذ عليك أن تقول إن هذه الحالة «خا آو khaau الرحم»**. والفعل «خا khaa» له معنى عام وهو يقذف أو يفرز، ومنه اسم الجمع «خا آو»، الذى قد يُترجم إلى إفرازات أو غائط أو سيلان، ويدل على المعنى الموضع الذى جاءت فيه الكلمة. ولعلاج هذه الإفرازات توصف مشروبات خفيفة، ودهان القدمين وسمانة الرجلين بالطين.

مشاكل الجهاز البولى فى النساء

انظر إلى هذه المشكلة الطبية التى جاءت فى بردية كاهون 34:

«علاج للمرأة التى يأتى بولها من مكان (ست set) غير طبيعى (كى سن qesen): إذا جاء البول ... وهى تحس به.. فإن ذلك سيستمر للأبد».

وفصل الخطاب فى معنى هذه الفقرة يعتمد على ترجمة كلمة «ست»، والتى معناها الشائع (مكان)، بذلك تدل الجملة على حالة **ناصور بين المثانة والمهبل**، وقد تم اكتشافه فى العديد من البقايا البشرية. وتفسر الموسوعة هذه الجملة (.. البول فى حالة سيئة).. وهو لغويًا تفسير منطقى أيضًا، يُشَخِّص الحالة باعتبارها **«التهاب المثانة»**.

الثدى

نجد العديد من الوصفات الطبية الخاصة بالثدى داخل الجزء الخاص بأمراض النساء فى بردية إيبرز (الفقرات 808 - 811)، غير أن ترتيب هذا الجزء لا يبدو مترابطًا بالنسبة لنا. ففى الفقرة (808) نجد:

«الوصفات الطبية لمنع الثدى من النمو إلى أسفل (الثدى البندولى أو المُهَدَّل)».

والعلاج المقترح هو أن تدهن الثديين والبطن والفخذين بدم (سى نف senef) امرأة فى بداية الحيض، ومن الواضح أن هذا العلاج نفسى، ولا تجد أى علاج آخر للثدى المُهَدَّل. ثم يستمر السرد ونقرأ «**الجيسو gesu لن يظهر لها**». وفى 809 نجد «لكى نمنع الجيسو عن المرأة». ونجد فى إيبرز 810 علاجًا آخر للثدى فى حالة إصابته بمرض «مير mer» مع عدم وجود شواهد عن المرض.

ثم أخيرًا نجد فى 811 **تعزيمة** من أجل الثدى، تقول «**لا تُكَوِّن أية إفرازات** (وى سش wesesh)، **لا تسمح بأى تآكل** (وى شو weshau)، **ولا تسمح بالدم**» وإذا كانت كلمة تآكل تدل **على مرض السرطان**، فإن هذه الأعراض الثلاثة تشير بوضوح إلى سرطان الثدى الذى يظهر فى القنوات اللبنية.

أمراض العيون

للعيون منزلة كبيرة فى الأساطير المصرية القديمة. فنجد **عين حورس** التى مزقها ست ثم أُعيدت كما كانت بقوة السحر (انظر: الفصل الخامس)، وأصبحت العين المستردة السليمة صحيًّا رمزًا للحماية والشفاء، واستُخدمت فى عدد لا يحصى من التمائم، تستعمل أجزاؤها للتعبير عن الكسور بين $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{64}$ (انظر: شكل 7 : 3)، واستخدمت باستمرار عند كتابة **الوصفات الطبية**.

والأطباء المصريون القدماء معروفون بمهاراتهم فى علاج أمراض العيون. وقد كتب **هيرودوت**، أن الملك «سيروس» الفارسى بعث برسالة إلى أحمس الثانى (الأسرة 26) طالبًا منه المساعدة وطالبًا خدمات أمهر أطباء العيون المتوافرين **فى مصر**. وهذه الحادثة (فى رأى هيرودوت) **كان لها دور فى الغزو الفارسى لمصر** عام 525 ق.م.

وكان **أطباء العيون** يُعْرَفون بالـ«سونو إيرتى swnw irty» كما هو مدون بوضوح على حجر «إر إن إختى» (انظر: شكل 8:6). وبالطبع، لا توجد أى بقايا أثرية لأمراض العيون، ذلك لرقة تركيب العين، ولكن كثيرًا ما وُجدت **العيون الاصطناعية** فى المومياوات عِوَضًا عن العيون المفقودة. كما أن هناك الكثير من الرسومات المعبرة عن **العمى**، خاصة بين عازفى الهارب (شكل 3:9).

وتأتينا أهم المعلومات عن أمراض العيون من البرديات الطبية، خاصة الجزء المُركز فى بردية إيبرز (431 ـ 336)، والذى يبدأ بعرض بعض الأدوية ضد الـ«ويخيدو wekhedu» غير المعلوم، والذى ناقشناه فى الفصل الثالث. ويأتى عرض العلاجات الموجهة لأمراض العيون كالآتى:

(أ) ما يجب عمله لورم (رى دت) الويخيدو، مع ظهور الدماء فى العين: (سيا) (صبغة معدنية صفراء تحتوى على ثلاثى كبريتيد الزرنيخ) من صعيد مصر (1)، عسل (1)، سى نن (1)، نى هد (1) [1].

(1) الكلمة «رى ـ دت» التى ترجمتها ورمًا، يمكن أن تشير إلى ظهور الدماء فى العين (كما جاء فى الجملة) نتيجة لإصابة. ولا نعتقد أنها تشير إلى ورم سرطانى فى العين أدى إلى تضخمها، فهذا أمر نادر جدًا ـ (المترجم).



(شكل 9 : 3)

تمثيل للعمى فى عازف الهارب. وهذا النموذج من مقبرة «با ـ أتن ـ إم ـ هب» فى سقارة (عصر العمارنة : الأسرة الثامنة عشرة). (متحف ريجكس فان أودهيدن، ليدن).

(ب) علاج تدميع العين: بخور (سى نت جر) (1)، بخور (إن تيو) (1)، تن تم (1)، أوكر (1).

(ج) علاج النمو (تورم): سيا من صعيد مصر (1)، أوكر أحمر (من شت) (1)، مس العين الأخضر (1)، عسل (1).

(د) ثم يجب أن تحضر له زيتًا أو دهنًا 1.

العلاج بعد ذلك: شمع (1)، جس فن (? شالكو بيريت) (1)، خنى تت من بخور (سى نت جر) (1)، أوكر (1).

تكملة العلاج: (خت آوا) (1)، بخور (سى نت جر) (1)، دهن الإوز (1).

نهاية العلاج: أوكر (1)، مس العين الأسود (1)، زيت أو دهن (1). تضمد العين بهذه الوصفة ولا تُرفع الضمادة لمدة أربعة أيام. (إيبرز 336).

وتشتمل العلاجات المختلفة فى هذا الجزء من بردية إيبرز على الوصفات الموضعية للعين. والعديد من هذه الوصفات يشتمل على **مس العين الأسود والأخضر**، وغالبًا ما يضافان بغرض التأثير النفسى (جدول 9ـ2). والصبغات المستخدمة فى هذه الدهانات، هى الجالينا (كبريتيد الرصاص) فى المس الأسود، والمالاكيت المطحون جيدًا (كربونات وهيدروكسيد النحاس) فى المس الأخضر. وكلاهما له تأثير ميكانيكى مهيج للأغشية المخاطية للعين، كما أن للمس الأخضر تأثيرًا مضادًا للبكتيريا (انظر: الفصل السابع). ولا يوجد أى ذكر للتدخلات الجراحية.

(جدول 9 – 2) مصطلحات غير مؤكدة المعنى لأمراض العيون، والوصفات العلاجية المقترحة

مرض «وى هات wehat»	مس العين الأسود، أوكر، أوكر أحمر، نطرون أحمر ـ توضع خارج العينين (إيبرز 346)
«بدست pedset» بالعين	مس العين الأسود، مس العين الأخضر، خروب، خت أوا، جس فن ـ توضع خارج العينين (إيبرز 355). مس العين الأسود، بلسم سى نن، خت أوا ـ لدهن العينين بها (إيبرز 423، 430).
مرض «نى هات nehat»	عصارة مرارية للسلحفاة، راتنج نبات سستوس ـ يوضع على العينين (إيبرز 350). أوراق الأكاسيا، مسحوق الخروب، جرانيت ـ يطحن الجميع وتضمد به العينان (إيبرز 383). مس العين الأسود، أوكر، أوكر أحمر، نطرون أحمر ـ يطحن الجميع ويوضع خارج العين (إيبرز 407)
مرض «شارو sharu»	شواء كبد الثور ـ يضغط ويوضع فوق العين، مفيد للغاية (إيبرز 351).
خى سى فو khesefu اللحم	مس العين الأخضر، راتنج(سى نت جر)، أوكر أحمر ـ يطحن ويوضع فى العينين (إيبرز 421).
مرض «خى نت khenet» (1)	مس العين الأسود، بلسم سى نن، معدن هى تم، معدن تى جيرو، راتنج إنتيو طازج، معدن (سيا) من مصر العليا ـ يطحن ويوضع داخل العين (إيبرز 367)
مرض «بيد bid»	مس العين الأسود، دهن الإوز، لبن امرأة وضعت جنينًا ذكرًا، راتنج إنتيو ـ تدهن به العينان (إيبرز 368)
إصابة «تى خن tekhen»	براز مجفف من طفل رضيع، عسل، مرق الخضراوات ـ يوضع فوق العينين (إيبرز 349). شاشا مطبوخ (فاليريانا؟)، خروب، عسل ـ يطحن الجميع جيدًا ويوضع كضمادة فوق العينين (إيبرز 381).
إصابة كى نت qenit	مس العين الأخضر، معدن تى جيرو، مس العين الأسود، نطرون، أوكر ـ يطحن فى الماء ويوضع فوق العينين (إيبرز 416). أوكر أحمر، دهن الإوز ـ يدهن بها خارج العينين (إيبرز 417)

انظر: جداول 7 ـ 3، و7 ـ 4، و7 ـ 5، و 7 ـ 6؛ للتعرف إلى الأدوية.

(1) مرض «خى نت» فى الرأس نجده فى بردية إيبرز 391، كما نجده فى الأنف فى إيبرز 418.

وتظهر علاجات أخرى للـ «ويخيدو» الذى يصيب العيون فى بردية إيبرز 341، و 386.

وقد ذكرنا الوصف الباثولوجى لبعض أمراض العيون فى الفصل الثالث.

علاج العمى وضعف الإبصار

الكلمة المصرية القديمة للعمى ـ والمتفق على معناها ـ هى «شى بت shepet». وهناك مجموعة من **العلاجات غير المتخصصة** يعبر عنها بـ «علاج آخر للعمى» أو «للتخلص من العمى» بغير تحديد لأى من المسببات (إيبرز 356 ـ 358، 420).

وتتجه إيبرز 359 لعلاج العمى، بينما تتجه إيبرز 393 **لتقوية حدة الإبصار** فى العينين. وهناك عدة وصفات من أجل فتح (ويبا weba) النظر (ما آ maa)، والتى قد تعنى العين المغلقة **بسبب التورم والصديد الجاف**، بينما تشير بعض اللغات إلى ذلك «بفتح الوجه». وتصف إيبرز 392 من أجل العين التى ظهر بها مرض شيطانى (دجو dju) خلاصة صفراء الخنزير. كما تذكر إيبرز 356 ماء عين الخنزير، لكن من المدهش أن هذا السائل يُصَب فى الأذن، باعتقاد أن الأذن متصلة بالعين كما جاء فى كتاب الأوعية (الميتو). وتضم العلاجات أيضًا مس العين الأسود والأخضر، والعسل، والخزف المطحون. والكثير من الوصفات التى ذكرناها تفتقر إلى التأثير الشفائى.

وجاء فى الفصل السابع استخدام الكبد فى علاج العمى، وقد يكون ذلك موجهًا لعلاج **العشى الليلى** لوجود فيتامين «أ» فى الكبد بكميات كبيرة. أما كاهون 1 فتعرض سياقًا **يجمع بين علاج أمراض العيون وأمراض النساء**:

«تعليمات لامرأة تعانى من مرض يجعلها لا تستطيع الرؤية، مع (أو بسبب) ألم بالرقبة: عليك أن تقول عن هذه الحالة إنها «لاكونا» برحمها وعينيها. وعليك أن تقوم بتبخير مهبلها بالبخور والزيت الطازج، وبخر عينيها بأرجل طائر (جنبو). ثم دعها تتناول كبدًا طازجًا لحمار صغير (جحش)».

والذِكر الثانى لاستخدام الكبد لحالة مرضية بالعين يأتى فى «إيبرز 351»:

«علاج آخر لمرض «شارو sharu» فى العينين: كبد الثور... يشوى ويضغط ويوضع فوق العين.. إنه حقًا مفيد».

والكلمة شارو (المكتوبة شاو shau فى بردية إيبرز 351) تظهر أيضًا فى بردية لندن 34، 36. وقد ترجمت إلى «العشى الليلى»، ربما بسبب استخدام الكبد كعلاج. لكن لا توجد شواهد أخرى تؤكد هذا المعنى، كما أن الرمز المخصص الدال على الليل غير موجود مع الكلمة.

ويجب أن نلاحظ أن استخدام الكبد موضعيًا فوق العين لا يعالج العشى الليلى، كما أن عملية الشَّى تقلل من كمية فيتامين «أ» به؛ لذلك فإن الموسوعة وغليونجى (1987) لم يقتنعا بهذا التشخيص، واكتفيا بقول «مرض بالعين».

عتامات العين والتدميع

تحوى بردية إيبرز 339، 340 وصفات علاجية «للتخلص من العتامة (هاتى hati) فى العين»، بينما توسع الفقرة 415 المجال العلاجى ليشمل الظلام (كى كو keku). واصطلاحا العتامة والظلام يمكن أن يكونا وصفًا **لعتامات القرنية أو عتامات عدسة العين** (المياه البيضاء ـ كاتاراكت). والأدوية المستخدمة ليست واضحة، لكن إيبرز 339 تطرح توصية بأنه «يجب أن تنقطها داخل العين بمساعدة ريشة طائر»، ويلفت غليونجى(1987) النظر إلى إمكانية استخدام نهاية ريشة الطائر الكبيرة المجوفة بمثابة (قطارة) للعين. ولا توجد أى إشارة لتدخل جراحى لعلاج المياه البيضاء (الكاتاراكت).

وفى (إيبرز 376) يجىء ذكر كلمة «دى جف دى إيفت» المشتقة من كلمة «دف دف» ومعناها (ينقط)؛ مما يشير إلى التدميع الشديد، والذى قد يسببه العديد من الأمراض، ومن بينها انسداد القنوات الدمعية[1]. وفى إيبرز 378، نجد علاجًا من أجل «التخلص من المياه فى العين»، والتى قد تقصد نفس المرض. والعلاج يشمل مسحوق حجر اللازورد وتراب (إفرازات) التمساح، وليس لكليهما علاقة حقيقية بعلاج تدميع العيون. وتحوى إيبرز 385 تعزيمه تُستخدم مع وصفات موضعية لنفس المشكلة. أما وستندورف (1992)، فيذهب بعيدًا؛ حيث يشير إلى أن جملة «دى جف دى إيفت» تعنى الملاحة النيلية وفيضان نهر النيل، وما يشكله من عوائق لهذه الملاحة، ويربط بين الكلمة الحديثة لعتامة عدسة العين (كاتاراكت) وبين شلال المياه (كاتاراكت).

(1) لا شك أن أهم أسباب تدميع العين التهابات العين ثم قُرَح القرنية، بينما يعتبر انسداد القنوات الدمعية سببًا غير شائع ـ (المترجم).

التراكوما (التهاب الملتحمة الحُبيبى)

التراكوما التهاب حُبيبى مزمن بملتحمة العين، يسببه ميكروب الكلاميديا تراكوماتس، ويسبب المرض خشونة ملحوظة فى الملتحمة واحتكاكًا بالقرنية؛ مما يشكل خطورة شديدة على النظر. ويبدو أن المرض كان متوطنًا فى مصر القديمة، رغم عدم وجود دلائل عليه فى البقايا الأثرية.

وتشير بردية إيبرز 350، 383 و 407، لما يُدعى مرض «نى هات nehat»، ويمكن ترجمة «نى هات» إلى (الحبيبات الصغيرة) لذلك فإنها تعنى أيضًا التراكوما[1]. والعلاج المقترح كان صفراء السلحفاة، راتنج، ورق الأكاسيا، الخروب، جرانيت مطحون، مس العين الأسود، أوكر أحمر، والنطرون الأحمر.

إصابات العين و الأجسام الغريبة

نجد فى مقبرة «إيب وى» (شكل 3 : 7) رسمًا يبين محاولة استخراج جسم غريب من العين. وتجد فى إيبرز 337 نصائح لعلاج عين أصابها جسم غريب، وتأتى هذه النصائح على أربع مراحل:

- **علاج لإصابة «تى خن tekhen» فى العين**

ـ اليوم الأول: ماء المستنقع.

ـ اليوم الثانى: عسل (1)، مس العين الأسود (1).... لمدة يوم واحد.

ـ إذا كانت تدمى: عسل (1)، مس العين الأسود (1).... وتضمد العين بهما لمدة يومين.

ـ أما إذا زادت الدموع المنهمرة من العين، فيجب عليك أن تحضر لها كعلاج: «إياو iau» (1)، مس العين الأخضر (1)، بخور (سى نت جر) (1)، قمة نبات هيدن.. تطبخ معًا.

وتظهر إصابة «تى خن» أيضًا فى بردية إيبرز 349، وقد أدت إلى التصاق (تى جس)

(1) كلمة «نى ها» (المستخدمة فى مواضع أخرى) لها معانٍ كثيرة، مثل غير مستوٍ، قلق، يعانى، متاعب، يرتعد، مذعور، وتحمل الكلمة اليونانية «تراكوما» المعانى نفسها.

بالعين. وتشرح إيبرز 381 إصابة (تى خن) خارج (هيرسا) العين. وتهتم إيبرز 416 ـ 417 بإصابة «كى نت qenit» وهى كلمة تُستخدم فى مجال إصابة عين حورس.

اعوجاج أهداب العين

اهتمت بردية إيبرز بمشكلة أهداب (رموش) العين التى تنمو إلى الداخل، مسببة احتكاكًا وتهيجًا وقُرَحًا بقرنية العين، فجاء فى (إيبرز 424):

«علاج آخر لإزالة اعوجاج أهداب العين: بخار (إنتيو) (1)، دم سحلية (1)، دم خفاش (1) ـ انزع الشعرة، ثم ضع المزيج على العين».

وفى إيبرز 425:

«علاج آخر لمنع نمو أهداب العين إلى الداخل بعد أن يتم انتزاعها.... يوضع فوق مكان ذلك الهدب... سوف لا ينمو مرة أخرى».

وهذه الوصفة مقاربة للأولى، لكن تضم أيضًا دم الثور والجحش والخنزير وكلب الصيد والماعز.

بقع العين

توجد الكثير من الوصفات للتخلص من «سى هد جو sehedju» التى تظهر فى العيون. وتُترجم كلمة «سى هد جو» فى الموسوعة إلى «بقع بيضاء»، لكن ليس من الواضح ما إذا كان المقصود بهذه البقع عتامات القرنية (corneal opacity) أم بقع صفراء لحمية تظهر فى ملتحمة العين وقد تصل إلى حافة القرنية (ظفره pterygium)، أم شحيمة دهنية (Pinguecula) وهى أيضًا نقط صفراء تظهر على جانبى القرنية وتبدو كما لو كانت دهنية، ونجدها فى كبار السن. ويبدو أن هذا النوع الثالث هو ما تقصده إيبرز 354، 431؛ لذلك تضم وصفات طبية للتخلص من الدهون التى توجد فى العين. وتظهر الأدوية من أجل «سى هد جو» فى إيبرز 347، 382، 402 ـ 406 . وإيبرز 360 عبارة عن تعزيمة تتلى فوق صفراء السلحفاة الممزوجة بالعسل قبل أن توضع فوق الجفن العلوى.

ومن أكثر أنواع الحبيبات ما جاء فى إيبرز 355 حول «بدست pedset» العين، ومعنى

الكلمة هو كريات صغيرة، ويوجد شبه اتفاق على أنها تعنى فى هذا السياق دمل الجفن stye كما يمكن أن ينطبق ذلك الوصف على «حويصلة ميبوميان ـ Meibomian cyst»(1).

نزيف العين

يأتى فى إيبرز 348، 352، 384، علاج للتخلص من «دم العينين». وتصف إيبرز 387 علاجًا آخر للتخلص من الأوعية (الميتو) الدموية من العينين، ويمكن أن يكون المقصود منها نزيفًا دمويًا تحت ملتحمة العين.

الالتهابات

تتحدث البرديات عن السخونة «تجاو tjau» داخل العين، وقد تعنى الالتهاب، أو تهيج العين. والعلاج الموصوف عبارة عن مس العين الأسود، وضرس جحش تم طحنه، وواضح أن الوصفة بعيدة تمامًا عن أن تكون مهدئة أو ملطفة للعين.

أمراض العين غير المحددة

يبقى العديد من الكلمات المصرية القديمة التى تتحدث عن أنواع أخرى من أمراض العيون ولا يمكن ترجمتها (جدول 9 ـ 2). وعلى العكس، لا بد أن هناك العديد من أمراض العيون التى انتشرت أيام الفراعنة، ولا نعرف الكلمات المصرية المعبرة عنها.

أمراض الأســـنان

تعطينا الثروة الكبيرة من الجماجم التى بقيت عبر الزمن صورة واضحة عن صحة أسنان المصريين القدماء، منذ ما قبل الأسرات إلى العصر الرومانى. فالأسنان وعظام الفك لهما قدرة كبيرة على مقاومة التحلل، خاصة فى هذا المناخ الجاف الذى تتمتع به أجواء مصر. كما أنها ـ بخلاف الأنسجة الرخوة ـ لا تتأثر بعملية التحنيط. كما تعطينا صور الأشعة لهذه الجماجم تفاصيل لا تقل عن تلك التى نحصل عليها من المرضى الأحياء.

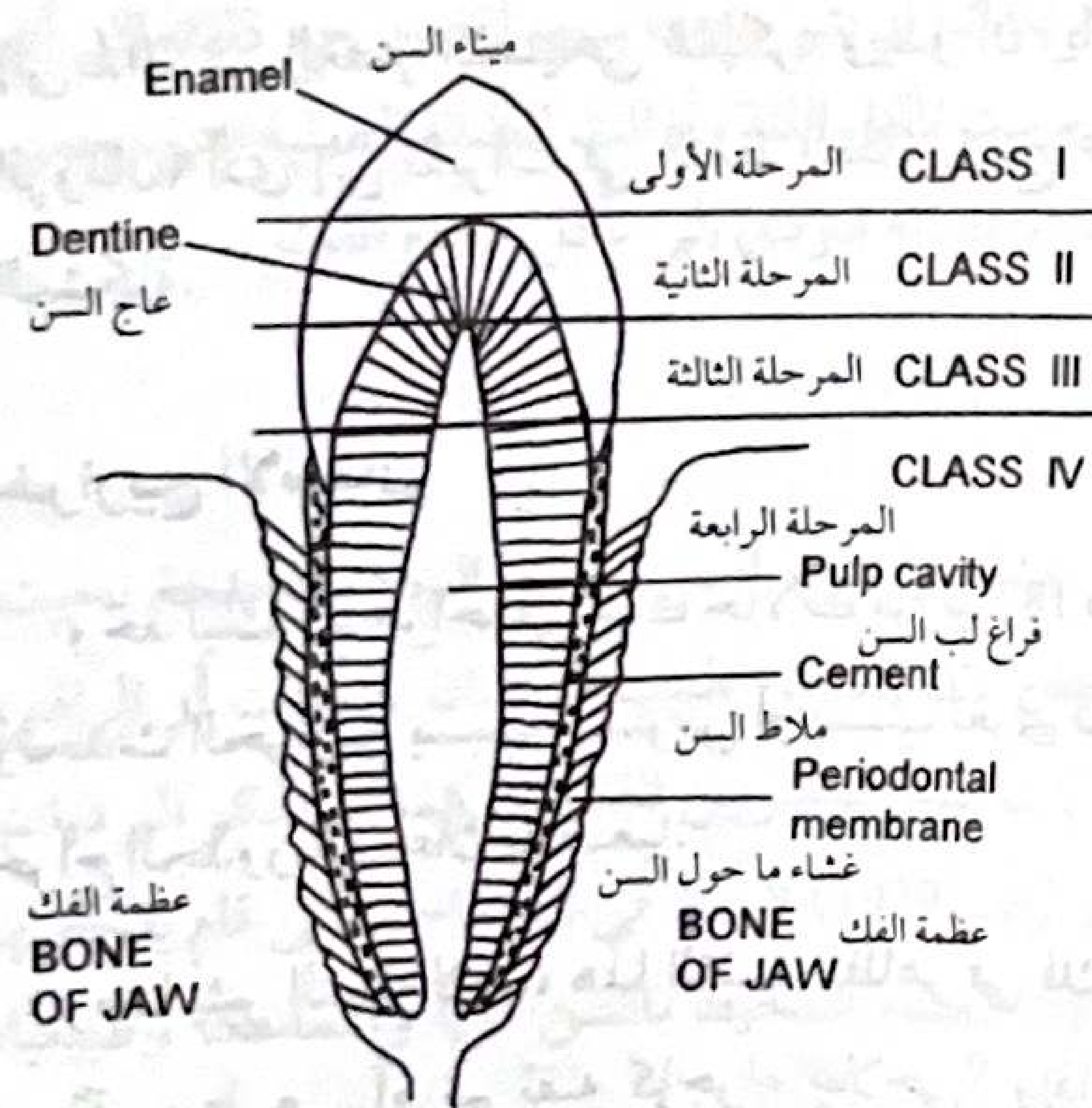
والعناية بالأسنان كانت مشكلة كبيرة فى ذلك الوقت، وكان يطلق على من يعمل فى هذا المجال «إيب هى ibhy» والبعض منهم كان طبيبًا (سونو)، وكان هسى رع أول من يُسجَّل اسمه كطبيب وطبيب أسنان. ولسوء الحظ أن البقايا الآدمية لا تبين التدخلات الطبية العملية التى قام بها الـ «إيب هى»، حتى نفهم طبيعة العناية الباهرة التى أدت إلى بقاء أسنان المصريين بحالة جيدة.

(1) كيس صغير يحمل مادة دهنية يظهر فى حافة الجفون ـ (المترجم).

تآكل الأسنان

عانت أسنان معظم البالغين فى العصر القديم من تآكل الأسنان بدرجات متفاوتة، وذلك بسبب احتواء بعض الأطعمة على مواد صلبة، مثل حبوب الذرة المختلطة ببقايا حجر الطحن، وأيضًا اختلاط الحبوب بالرمال المثارة من الرياح والزوابع.

ويشرح ليك (1979) أربع مراحل لتطور هذه الحالة (شكل 9: 4)؛ **فالمرحلة الأولى** هى تآكل ميناء الأسنان، ولا يصحبها شكوى. وفى **المرحلة الثانية** ينكشف عاج السن ويكون مصحوبًا ببعض الآلام، وتكون سرعة تآكل العاج الأساسى أسرع من عملية بناء العاج الثانوى؛ مما يسفر عنه انكشاف فراغ اللب وهى **المرحلة الثالثة**، وفيها تتعرض أعصاب الأسنان إلى المؤثرات الميكانيكية أثناء المضغ وأيضًا المؤثرات الحرارية والكيميائية والأزموزية، وهنا يعانى المريض متاعب جمة. أما **المرحلة الرابعة** فتتميز بتلف جسم الضرس أو السن ذاتها.



(شكل 9: 4)

التركيب الداخلى للسن مع توضيح مراحل التآكل، كما وصفها ليك (1979). المرحلة الثالثة والرابعة تسبب آلامًا مبرحة.

وقد وجد «ليك» أن المرحلتين الثانية والثالثة من التآكل موجودتان فى جميع المومياوات والجماجم التى فحصها، والتى تنتمى إلى الفترة ما بين الأسرتين الثانية عشرة والخامسة والعشرين. وكان التآكل شديدًا فى كل الجماجم الأربعين التى تنتمى إلى الفترة من عام 1069 ق.م إلى 715 ق.م. وقد حدث **انخفاض بسيط** فى نسبة حدوث هذه المشكلة ما بين 4000 عام ق.م وعام 1000 ميلاديًّا، وربما يرجع ذلك إلى تطوير عملية طحن الغلال.

نخر (تَسَوُّس) الأسنان

توصل الباحثون إلى أن نسبة حدوث التسوس كانت قليلة للغاية فى مصر القديمة، منذ بداية التاريخ وحتى الألفية الأولى قبل الميلاد، ويرجع ذلك إلى **غياب السكر** من طعام الأقدمين، وقلة استخدام **عسل النحل**، الذى كانت قيمته مرتفعه. كذلك كان وجود التراسيكلين فى الطعام وفى الجعة (انظر: الفصل السابع) سببًا فى حماية الأسنان من التسوس.

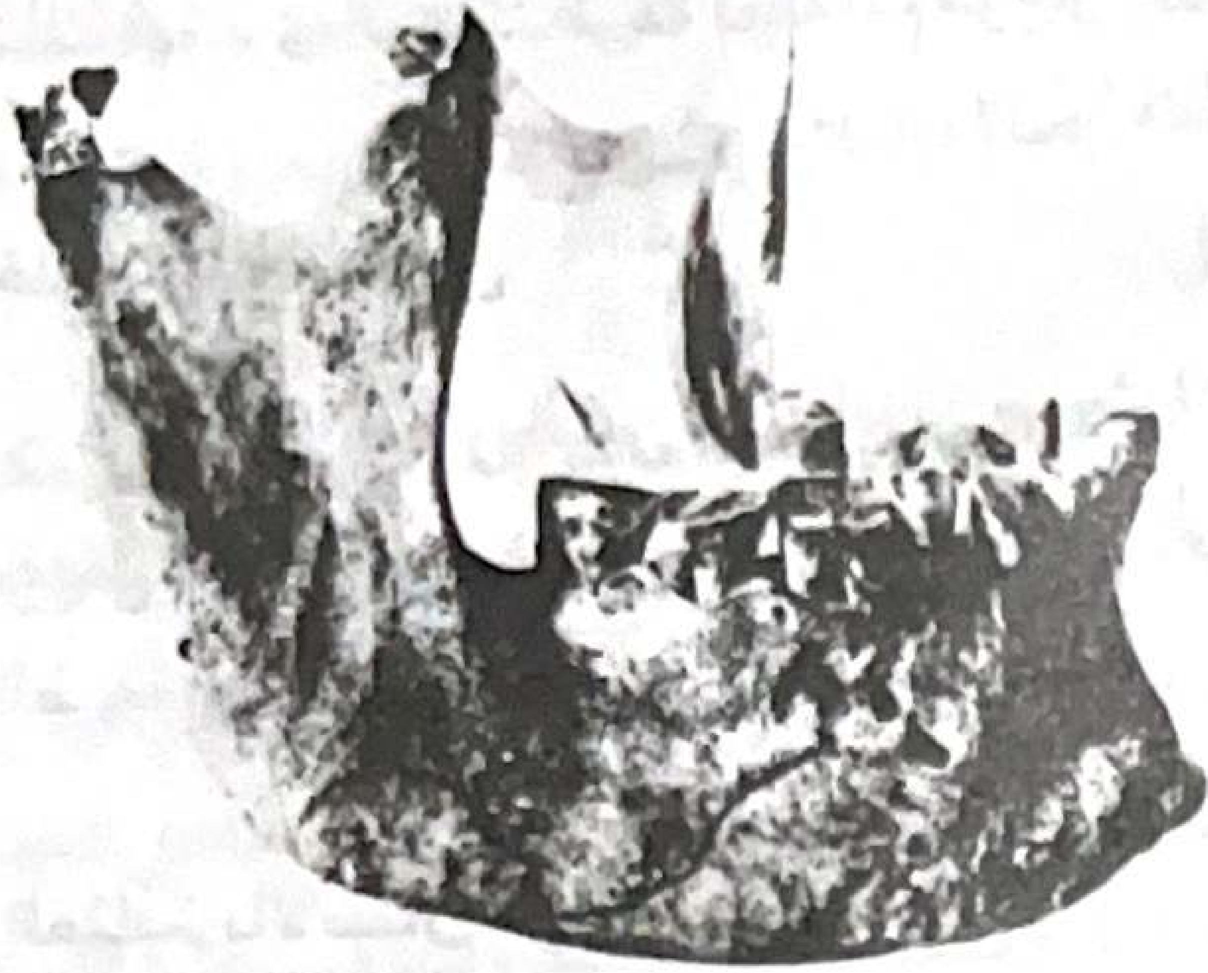
وقد توصل ليك (1979) إلى حالة **تكهف صغير تعود إلى ألف عام** قبل الميلاد، كما لم يُعثر سوى على 6.9٪ من حالات التسوس فى عينة فحص شملت 691 سِنًّا ترجع إلى هذه الفترة. وقد سُجلت زيادة كبيرة فى **معدل حدوث التسوس** من 3٪ فى فترة ما قبل الأسرات إلى 20٪ فى العصر المسيحى المبكر. ويبدو أن زيادة نفوذ القوى الخارجية (اليونان ثم الرومان) أدى إلى تغيرات فى النمط الغذائى، نتج عنها تشجيع حدوث التسوس وتفاقم المشكلة.

خراريج الأسنان

وجد ليك 25 خُرَّاجًا فى ست حالات من بين 18 مومياء بالغة وجمجمة قام بفحصها. وتحدث الخراريج بسبب التسوس أو بسبب تعرى لب السن نتيجة للتآكل. ولا شك أن خراج الجذور كان علاجه صعبًا.

ومما يثير التساؤلات، هذا **الثقب الظاهر فى فك المريض** فى شكل (9 : 5)، هل هو ثقب طبيعى أم تم ثقبه كإجراء عِلاجى؟ وإذا تمت عملية الثَّقب بالإمكانيات

الموجودة آنذاك وفى غياب التخدير، فلنا أن نتصور الألم الذى لا يطاق، والذى يجعل من الصعب القيام بذلك الإجراء. وإذا كانت عملية فتح الخراريج عن طريق الثقب ممارسة معتادة ـ نظرًا لتفشى هذه الخراريج ـ كان من المتوقع الحصول على نماذج أكثر لهذه الحُفَر فى هذا العدد الكبير من عظام الفك المحفوظة إلى الآن.



(شكل 9 : 5)

فك سفى يُظهر جيبين ملاصقين بجذور ضرس طاحن (على جانبى خط الشرخ الموجود)، قد يكون الجيبان طبيعيين أو تم ثقبهما لعلاج خراج فى جذر الضرس. نلاحظ أمامهما ثُقْبًا طبيعيًّا فى الفك يمر من خلاله العصب الذقنى لينقل الإحساس من الذقن والشفاه السفلية. (المملكة القديمة ـ الحالة مقدمة من برستيد، 1930).

أمراض الغشاء حول السن (اللثة)

سجل ليك عددًا كبيرًا من حالات أمراض الغشاء المحيط بالأسنان، التى قد تؤدى إلى أن تصبح السِّن متلخلخة، فتسقط تلقائيًّا أو يتم خلعها بسهولة. ويرجع ذلك إلى أن المواد التى تسببت فى تآكل السن قد سببت **تآكل اللثة** وأزالت الطبقة الصلبة التى تحمى السن من حدوث الخراريج، وقد تتفاقم الحالة فتؤدى إلى تآكل عظام الفك.

خلع الأسنان

فى الحالات المتأخرة من تآكل غشاء ما حول السن تصبح **السن متلخلخة** بحيث يمكن خلعها بالأصابع فقط، أو تحتاج لأن يستعين طبيب الأسنان بالجفت أو الرافع، ولم يكن هناك وجود لمثل هذه الآلات عند المصريين القدماء. كما لم تذكر البرديات الطبية شيئًا عن خلع الأسنان، إلا أن ليك (1979) لاحظ فى الجماجم التى قام بفحصها أن بعض الأسنان تم نزعها بينما كان الغشاء المحيط بالسن قويًّا ومتماسكًا وطبيعيًّا؛

لذلك فهو يرى أن هناك طريقة فعالة (لم نتوصل إليها) لخلع الأسنان فى ذلك الوقت.

خلع الفك السفلى

عرضنا فى الفصل الثامن بردية إدوين سميث (25) التى قدمت وصفًا مُسهبًا لخلع مفصل الفك، مع عرض طريقة إرجاع المفصل إلى وضعه الطبيعى، وهى تشبه كثيرًا الطريقة المستخدمة الآن.

العناية بالأسنان فى البرديات الطبية

لم يأتِ فى البرديات ذكر لممارسات جراحية لمشاكل الأسنان، كما لم يُعثر على أى شواهد تشير إلى التدخل اليدوى لطبيب الأسنان من خلال فحص 6000 مومياء وجمجمة من حقب عديدة تضمها المقابر النوبية. وقد ذُكرت بعض الأدوية الخاصة بمتاعب الأسنان، وكالعادة كان التعرف إلى المصطلحات المرضية وترجمتها أمرًا يتسم بالصعوبة.

وهناك خمس وصفات طبية لتثبيت أو تقوية الأسنان. وللتعبير عن ذلك استخدمت إيبرز 739، 743 الفعل «سمين smen»، بينما استخدمت إيبرز 748 الفعل «سى رودج serudj». وليس من الواضح إذا كانت هذه الوصفات موجهة لعلاج سِن متلخلخة بسبب ضمور اللثة، أم لعلاج السن التى تعانى التسوس. وعلى العموم لم تصبح مشكلة تسوس الأسنان مشكلة محسوسة إلا بعد زمن كتابة البردية؛ لذلك يمكن التكهن بأن المقصود بهذه الوصفات علاج ضمور اللثة. وتضم هذه الوصفات الطبية بعض **المساحيق الحجرية** (بغرض نفسى)[1] **والمالاكيت** الذى له دور فى مقاومة الالتهابات البكتيرية (انظر: الفصل السابع). وفى وصفتين؛ نجد **العسل** كأحد المكونات، وهو بعيد كل البعد عن علاج التسوس.

والعلاج فى إيبرز 553 موجه لقرحة الأسنان، وفى إيبرز 554 نجد وصفة للتخلص

(1) تُستخدم حديثًا المساحيق الحجرية لتلميع الأسنان ولإزالة ما يترسب عليها من مواد ضارة، وتضاف هذه المساحيق إلى معاجين الأسنان التى تُستخدم بشكل روتينى ـ (المترجم).

من قرح الأسنان وتقوية اللثة. وليس من الواضح إذا كان اصطلاح «قرحة الأسنان» يعنى التسوس، أم يشمل أمراض اللثة أيضًا؟ والعلاج يضم نباتات غير معروفة تستخدم موضعيًا بالإضافة للخروب والعسل.

وفى إيبرز 741 علاج للتخلص من مرض «ويخيدو»، وهو المرض الذى لم يمكن معرفة هويته (كما جاء فى الفصل الثالث). وإيبرز 745 تنصح بمعالجة تآكل الأسنان بمضغ «خى بو khepau» (اللبان؟). وفى إيبرز 742، علاج لسِن تأكل أنسجة الفم، ويشير ذلك إلى وجود نتوء حاد فى إحدى الأسنان؛ مما يسبب تقرحات باللسان وداخل الخد. والعلاج المقترح: بخور (سى نت جر)، وكذلك الكمون والخروب، ويستخدم الدواء موضعيًا كمسحوق.

الفصل العاشر



الخاتمة

ثم ماذا بعد...؟(*)

(*) عنوان هذا الفصل فى الأصل الإنجليزى Epilogue (الخاتمة). لكننا أضفنا إلى العنوان (ثم ماذا بعد..؟) إذ رأينا أن المؤلف قد أفردها لذكر مناقب الطب اليونانى، خاصة إنجازات هيروفيلوس (من باب التعصب للحضارة الإغريقية على حساب الحضارة المصرية)، بالرغم من أن (الخاتمة) ينبغى أن تكون تعليقًا على الطب المصرى القديم، كما ينص عنوان الكتاب ـ (المترجم).

لا توجد شواهد تفيد حدوث تغييرات شاملة فى أسلوب أو محتوى العلاج الطبى القديم فى الفترة ما بين المملكة القديمة وبين نهاية الأسرة السادسة والعشرين؛ الفترة التى تغطى الحقبة التاريخية الواسعة من عام 2600 ق.م، إلى 525 ق.م. ويمكن إرجاع ذلك إلى طبيعة المصريين القدماء التحفظية، وعزلتهم الجغرافية، والحرية التى تمتعوا بها؛ مما لم يسمح بوجود تأثيرات أجنبية.

أما التغيرات الكبيرة فقد بدأت مع الغزو الفارسى عام 525 ق.م، عندما احتك المصريون بشعب له خصائصه وعاداته البعيدة عن تلك التى يتميزون بها. وفى الوقت نفسه بزغ إلى الوجود الطب الإغريقى الذى استطاع أن يصل إلى العالمية منافسًا بذلك تفوق الطب المصرى الذى أشار إليه هوميروس فى الأوديسا وتحدث عنه هيرودوت.

وخلال الأسرة السابعة والعشرين، كانت مصر تحت سيطرة **ملوك فارس**، الذين كتبوا أسماءهم فى المعابد داخل الخراطيش بغرض تخليد أنفسهم، مقلدين بذلك فراعنة مصر. وكان «**ودجا هور رسنت**» هو الطبيب المصرى الوحيد الذى بقى اسمه من تلك الحقبة. وقد تقلد هذا الطبيب سلطات واسعة أيام **حكم قمبيز**، ورغم مناصبه الإدارية الرفيعة إلا أنه تمسك بلقب «كبير الأطباء». ثم جاء ثانى ملوك الفرس، **داريوس الأول**، الذى طلب من «ودجا هور رسنت» إعادة بناء «بيت الحياة ـ بير أنخ» مع إشارة واضحة إلى «استخدام الخبرة والفن لشفاء كل مريض». وفى هذه الحقبة، زار **هيرودوت** مصر، وخلد بكتاباته ممارسات الطب المصرى، مؤكدًا على تحفظهم تجاه إدخال ما هو أجنبى على أساليبهم العلاجية[1].

---

(1) لم يفت هيرودوت أن يلمز المصريين ليظهر تفوق مواطنيه اليونانيين عليهم، فحكي أن داريوس الأول أصابه خلع فى مفصل الكاحل وفشل أطباؤه المصريون فى علاجه وتخفيف آلامه؛ لذلك كُلف طبيبٌ يونانى مقبوض عليه يدعى ديموسيدس بمعالجته، ونجح الرجل ونال التقدير والمكافأة، ولم يكتف هيرودوت بذلك، بل ذكر أن ديموسيدس استطاع أن يقنع داريوس بعدم عقاب الأطباء المصريين والإطاحة بهم ـ (المترجم).

وقد قام **التجار الإغريق** بتأسس **مدينة «نوكراتوس»** فى شمال الدلتا أثناء الأسرة السادسة والعشرين (664 ـ 525 ق.م)، وهى الحقبة التى ظهرت فيها العلوم الطبية والفلسفة اليونانية، فكانت هذه المدينة أحد مصادر تأثر الفكر اليونانى بالحضارة المصرية. ولم يصل **الطب الإغريقى** إلى مستوى ذى بال فى مصر إلا فى **عهد البطالمة** (305 ـ 30 ق.م) بعد أن فتح الإسكندر الأكبر مصر عام 332 ق.م. وقد تأثر البطالمة بعقائد المصريين القدماء وأعجبوا بمعابدهم وأقاموا مثلها، لكنهم فى الوقت نفسه تمسكوا بحضارتهم وثقافتهم الهيلينية وحافظوا على لغتهم ومظهرهم العام. وفى النهاية، استطاعت الحضارة المصرية النفاذ والتأثير فى الحضارة الهيلينية، حتى تحدثت الملكة **كليوباترا السابعة** (آخر البطالمة) اللغة المصرية.

وعندما قام **الإسكندر الأكبر** ببناء المدينة الجديدة **(الإسكندرية)** عام 331 ق.م، أصبحت فى وقت قصير مركزًا ثقافيًا عظيمًا ومنارة للعلوم وقبلة العالم الهيلينى. وقد شيد **بطليموس الأول** (305 ـ 282 ق.م) **وبطليموس الثانى** (284 ـ 246 ق.م) «بيت التأمل ـ House of Muses»[1]، وشيدا **المكتبة العظيمة بالإسكندرية** التى ضمت مؤلفات مختلف العلوم بمختلف اللغات.

وكانت **الطوائف الإغريقية** التى استوطنت الإسكندرية تضم بعض الأطباء؛ خاصة هؤلاء الذين يتبعون **مدرسة أبو قراط** فى كوس. ويبدو أن الطب المصرى ونظيره الإغريقى اتجها وجهة مختلفة فى أول الأمر، فقد كان **الأطباء اليونانيون** يهتمون بطبقة الحكام الإغريق ويولونهم عنايتهم، بينما اهتم **الأطباء المصريون** بعامة الشعب. وقد قدس الحكام الإغريق **آلهة الشفاء المصرية**، حتى إن بطليموس الثامن بنى ضريحًا لـ «إمحتب» فى الدير البحْرى، وبلغ احتفاؤهم به أن وضعوه فى مرتبة واحدة مع إسكليبيوس (انظر: الفصل السادس).

وقد شكل ذلك كله تربة خصبة ومناخًا جيدًا للبحث العلمى والتجديد، استقطب

(1) Muses: موزس، إحدى تسع إلهات للفنون الأدبية، بنات زيوس ومينموسين، وهن: كاليوب فى الشعر، كليو فى التاريخ، إيراتو فى شعر الحب، يوتيرب للموسيقى وأناشيد الشعر، ملبومين فى التراجيديا، بولى هيمينا فى الأناشيد المقدسة، ترب سيكور للرقص، ثاليا فى الكوميديا، أورايتا فى علم الفلك ـ (المترجم).

اليونانيين من جهات عديدة. وقد كانت مساهمة المصريين فى المراكز العلمية والثقافية فى **الإسكندرية ضئيلة أثناء القرن الثالث قبل الميلاد**[1]، **باستثناء العالم المصرى الكبير «مانتو» من سيبنيتوس**، وهو أول من عُرف بإجادة كتابة اللغة اليونانية، وقد كلفه بطليموس الثانى عام 280 ق.م بكتابة التاريخ المصرى القديم، وقد اعتبرت كتاباته مرجعًا هامًّا، خاصة ما سجله عن طبقات الأطباء المصريين القدماء المشهورين (الفصل السادس).

من غير الواضح إن كان للطب نصيب فى نشاط «**بيت التأمل**»، ولكن من المؤكد أن الإسكندرية فى ذلك الوقت أفرزت مدرسة طبية مرموقة، درس فيها «**جالينوس**» الطب فى القرن الثانى الميلادى، وقبله شجع الدعم الملكى «**هيروفيليس**[2]» على النزوح إلى الإسكندرية فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد لممارسة الطب.

ومن أبرز وأهم **ممارسات هيروفيليس**، أبحاثه فى **علم تشريح الإنسان**، بعد أن تجاوز الثوابت المصرية والإغريقية فى احترام الجثث الآدمية، فقام بتشريحها، بل وقام بتشريح الأحياء بعد أن أمده بطليموس الأول والثانى برجال محكوم عليهم بالإعدام فى قضايا جنائية ليمارس دراسته عليهم. وفى ذلك كتب «سلسوس celsus» :

«**حيث إن الآلام والأمراض المختلفة تنشأ من الأعضاء الداخلية، فلا ينبغى لمن يجهل أجزاء** جسم الإنسان أن يصف دواء؛ لذلك كان من الضرورى التعرف إلى الأحشاء والأمعاء. ويبدو أن «هيروفيليس» و«إراسيستراتوس» قاما بهذا العمل بإجادة تامة، عندما **قاموا بفتح بطون الرجال الأحياء** وهم ما زالوا يتنفسون، لقد كانت تلك عطية الملك من المجرمين المسجونين لهذين العالمين».

وإذا كانت هذه الأعمال قد أدينت بشدة وأُعتبرت **نوعًا من البربرية**، إلا أن هيروفيليس أزال الكثير من الغموض عن علم التشريح، خاصة تشريح **مخ الإنسان**. وقد اكتشف هذا العالِم سبعة أعصاب مخية على الأقل، ولفت الأنظار إلى البطين المخى الرابع الذى يقع بين المخيخ وجذع المخ، كما توصل إلى وظيفة جذع المخ الأساسية كمركز للتحكم

(1) هذا الرأى للمؤلف يؤكد ما ذكرناه فى المقدمة من تحيز المؤلف للفكر والطب اليونانى ـ الرومانى (المترجم).

(2) ولد هيروفيليس عام 325 ق.م، فى خلقدونية على الشاطئ الأسيوى للبسفور، وكان تلميذًا لـ «براكساغورس» من مدينة كوس؛ لذلك كان يتبع مدرسة أبقراط فى الطب.

فى وظائف الإنسان الحيوية كالتنفس، وما زال اسمه يطلق على «مصب هيروفيليس ـ Torcula Herophili» (الجزء الخلفى من الأوردة الصارفة لدماء المخ).

وقد توصل هيروفيليس إلى الوظائف الحسية والحركية **للأعصاب**، إلا أنه كان يخلط بينها وبين الأربطة والأوتار كما فعل المصريون القدماء عند وصفهم للميتو[1] (انظر: الفصل الثالث). وقد أطلق هيروفيليس على الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة اسم «**الإثنا عشر**»؛ عندما لاحظ أن طوله يعادل عرض اثنى عشر إصبعًا. كما حقق تقدمًا كبيرًا فى التعرف إلى **تكوين العين**، وكذلك **الأعضاء التناسلية** للرجل والمرأة.

وفى **علم وظائف الأعضاء**، دعم هيروفيليس وجهة نظر أرسطو بأن النبض فى **الأطراف** يعكس نشاط وأداء القلب[2]، وليس بسبب انقباض ذاتى منتظم للشرايين. بذلك قوض نظرية أستاذه براكسا غورس السائدة. وكان هيروفيليس أول من عد النبض مستخدمًا ساعة مائية، وربطه بأعمار الإنسان المختلفة، وقد يكون بذلك أول من أدخل القياسات فى الفحص الطبى.

ورغم أنه كان بعيدًا عن فهم الدورة الدموية، فقد لاحظ أن جدار الشرايين أسمك ست مرات من جدار الأوردة. وكان يتبنى الاعتقاد السائد فى ذلك الوقت بين المصريين واليونانيين بأن الشرايين تحتوى على هواء فقط، واستمرت هذه الفكرة حتى مجيء جالينوس فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى، وأثبت أن الشرايين تحتوى على الدم.

وكان هيروفيليس **عقلانيًا منطقيًا Ratianalist** إلى حد بعيد؛ لذلك كان هدفًا للهجوم والنقد من **الاختباريين Empiricists** الذين لا يؤمنون إلا بالمشاهدة، دون الاهتمام بالمسببات المرضية. ولم يتبق من كتبه غير قصاصات يستدل بها الآخرون فى كتاباتهم، لكنه ظل المرجع الأساسى للعديد من الأطباء من بعده، خاصة جالينوس.

(1) حدث هذا الخلط بالرغم من قيام هيروفيليس بتشريح الجثث؛ مما يثبت تأثره الشديد بمفهوم الميتو فى الطب المصرى القديم ـ (المترجم)

(2) أشار المصريون إلى ذلك قبل هيروفيليس وأرسطو بأكثر من ألفى عام، عندما ذكروا أن القلب يتكلم فى الأطراف من خلال الميتو. وهذا يثبت مرة أخرى تأثر هيروفيليس بالطب المصرى القديم، مخالفًا بذلك أستاذه اليونانى براكسا غورس ـ (المترجم).

وبعد موت هيروفيليس عام (255 ق. م)، سار على نهجه مجموعة من الأطباء اليونانيين السكندريين وأطلقوا على أنفسهم «**الهيروفيليون**»، وقد نبذوا التشريح الآدمى، لكن أكملوا مسيرته بالاهتمام بدراسة النبض وأمراض النساء والعقاقير الدوائية. وكانت لهم إنجازات مهمة يُرجَع إليها دائمًا، رغم ضياع كتاباتهم الأصلية أثناء حريق مكتبة الإسكندرية عام 47 ق. م، ونهاية هذه المكتبة عام 389م.

وعمومًا، ظل هيروفيليس وأتباعه بعيدين عن البلاط البطلمى ومؤامراته الخطيرة، باستثناء اثنين؛ فقد أصبح أندرياس الطبيب الخاص لبطليموس الرابع (244 ـ 205 ق.م)، وقُتل فى الحرب السورية الرابعة ضد أنتيوخس الثالث. والثانى هو «**ديوسكوريدس فاكاسى**»، الذى كان شديد الصلة ببلاط بطليموس الثانى عشر (80 ـ 51 ق.م) وبطليموس الثالث عشر. ورغم أجواء الدسائس ومؤامرات البلاط فى القصر الملكى، إلا أن أندرياس وديوسكوريدس قاما بأبحاث هامة أشار إليها من جاء بعدهم.

أما «**إراسيست راتوس**» الذى كان معاصرًا لـ «هيروفيليس» (والذى عمل أيضًا فى مدينة الإسكندرية) فقد وصف الصمام الثلاثى الشُّرَف والصمام الميترالى فى القلب البشرى، واقترب أكثر من غيره ـ قبل هارفى ـ من **فهم الدورة الدموية**. والأكثر من ذلك أنه اكتشف **التغذية الثلاثية** لمختلف أعضاء الجسم والأنسجة بالشرايين والأوردة والأعصاب.

وقد اتخذت الممارسة الطبية لدى اليونانيين والمصريين طرقًا مختلفة متباينة مع بداية الحقبة البطلمية، لكن مع مرور الوقت بدأ **النظامان فى التداخل وتبادل المعرفة**. وقد عُثر على «**بردية كروكوديلوبوليس**» (مدينة التماسيح) التى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى (لكن يُظن أن الأصل يرجع إلى بداية العصر البطلمى)، وهى مكتوبة **بلغة ديموطيقية**. وتعرض هذه البردية بعض الممارسات الطبية المصرية فى المملكة الحديثة، وقد ظهر أن 59 من مجموع 201 من الأدوية الواردة فيها لم يستخدم فى العصر الفرعونى، لكن أُدخلت فى العصر البطلمى المتأخر وأُعطيت أسماء مصرية. واللافت للنظر أن بردية كروكوديليوبوليس **تخلو من أى رُقى أو تعازيم سحرية**، على عكس الاعتقاد السائد بتنامى دور السحر فى عالم الطب مع مرور الأيام.

وقد سقطت مصر تحت **الحكم الرومانى** بعد هزيمة مارك أنطونيو على يد أوكتافيوس فى معركة أكتيوم عام 31 ق. م. ورغم ذلك بقيت اللغة اليونانية هى اللغة الحكومية مع استمرار الوجود الثقافى اليونانى القوى، كما لم يستطع **الطب الرومانى** منافسة الطب المصرى ـ اليونانى داخل مصر وخارجها.

ومن القرن الثالث الميلادى وصلت إلينا **برديتا «لندن وليدن الطبيتين»**، وتعد الثانية آخر البرديات التى كُتبت باللغة الديموطيقية. ويضم هذا المرجع العديد من الإضافات والتعليقات اليونانية التى كان لها عظيم الفائدة فى التعرف إلى معانى الكلمات الديموطيقية الطبية الغامضة. وقد كتبت هذه البردية بنفس النمط الذى كتبت به البرديات السابقة، إلا أنه قد أضيفت إليها عدة أدوية حديثة، خاصة مخدر الماندراك الذى يستخدم لعلاج الأرق. وبصفة عامة فإن البردية **تسود فيها وصفات السحر** ولا تحتوى على إضافات جديدة فى علوم الطب، عكس ما كان متوقعًا؛ خاصة مع زمن كتابتها المتأخر والمعاصر لتنامى المعارف الإغريقية.

وقد دخلت **المسيحية** مبكرًا إلى مصر، وأصبحت اللغة القبطية هى السائدة فى البلاد حتى دخول **الإسلام** عام 640 ميلاديًا، وما زالت **اللغة القبطية** لغة المراسم الدينية فى الكنائس القبطية. وقد انبثقت اللغة القبطية من اللغة المصرية القديمة مع تغذيتها ببعض الكلمات اليونانية. وفى القرن الثالث الميلادى أخذت شكلًا آخر؛ حيث أصبحت تكتب باللغة اليونانية مع إضافة سبعة حروف ديموطيقية. ومن أهم التغيرات التى أحدثتها الديانة المسيحية فى القرن الخامس الميلادى، أنها قامت بإغلاق المعابد المصرية القديمة، وكان هذا الإجراء أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى **تدهور المعرفة باللغة المصرية** وبداية انحسارها حتى أصبحت غير متداولة وفى حكم النسيان، حتى بدأ أكربلاد وتوماس يونج، ثم **شامبليون** على الأخص، فى دراستها وإحيائها عام 1822.

وكان **الطب القبطى** يعتمد أساسًا على الطب اليونانى، بالإضافة إلى العديد من الوصفات الطبية المصرية، كما كان العلاج يكتب ويوصف بنفس الأسلوب المصرى التقليدى. وبالتدريج بدأ الطب القبطى يتأثر **بالطب العربى** الذى أخذ فى التنامى حتى وصل إلى قمته مع نهاية الألفية الميلادية الأولى. ومع الانهيار المعرفى للغة المصرية القديمة والحريق الثانى الكبير لمكتبة الإسكندرية عام 389 ميلاديًا، أصبح الطب

المصرى صعب الدراسة. بذلك وصل الطب القبطى إلى نهايته ولم يعد له وجود، بينما ظل الطب المصرى الفرعونى سجين البرديات داخل المقابر حتى تم اكتشافها وترجمتها والكشف عن أسرارها فى القرن التاسع عشر.

وقد انتقلت المعرفة الطبية من اليونان إلى روما، ومنها انتقلت إلى الطب الأوروبى. وكان من أهم القنوات التى نقلت المعرفة هى **خروج النسطوريين من الكنيسة** بعد إدانة رئيسهم فى مجمع أفسس عام 431 ميلاديًا، فقد حمل النسطوريون معارفهم ومخطوطاتهم أثناء فرارهم نحو الشرق، وأصبحوا من العوامل التى ساعدت على تطور **الطب العربى**، خاصة فى بغداد، ثم عادت هذه المعرفة إلى أوروبا مرة أخرى فى **عصر النهضة**[1].

(1) عرضنا فى مقدمة الكتاب دورة الطب من مصر القديمة إلى الطب اليونانى، إلى الطب العربى، إلى أوروبا، ثم إلى مصر مرة أخرى ـ (المترجم).

الملاحق

ملحق A الجدول الزمني، وأهم الأحداث الطبية

فترة ما قبل الأسرات:		
البدارى	5000ـ 4000 ق.م	
نقادة 1	4000ـ 3600 ق.م	
نقادة 2	3600ـ 3100 ق.م	
فترة بداية الأسرات:		
الأسرة الأولى	3100ـ 2890 ق. م	دى جير (اعتبره مانيتو طبيبًا)
الأسرة الثانية	2890ـ 2686 ق. م	
المملكة القديمة:		أصل بردية إدوين سميث
الأسرة الثالثة [1]	2986ـ 2613 ق. م	إمحتب ـ هسى رع (أول طبيب فى التاريخ)
الأسرة الرابعة	2613ـ 2494 ق. م	
الأسرة الخامسة	2494ـ 2345 ق.م	بسى شت (أول طبيبة فى التاريخ)
الأسرة السادسة	2345ـ 2181 ق. م	ميروركا ـ عنخ (طبيب) عنخ ماهور
فترة الاضمحلال الأولى:		
الأسرتان 7 / 8	2181ـ 2125 ق. م	
الأسرتان 9 / 10	2160ـ 2025 ق. م	إير إن آختى (طبيب)
الأسرة 11 (البداية) [2]	2125ـ 2040 ق. م	
المملكة الوسطى:		
الأسرة 11 (متأخرة)	2040ـ 1985 ق. م	جوا ـ سينى (طبيب)
الأسرة 12	1985ـ 1795 ق. م	رف سى نب (طبيب) ـ هرى شف ناخت (طبيب) ـ بردية كاهون
فترة الاضمحلال الثانية:		
الأسر من13 ـ 17	1795ـ 1550 ق. م	بردية الرامسيوم

المملكة الحديثة		
الأسرة 18	1550 ـ 1295 ق. م	برديتا إيبرز وإدوين سميث
الأسرة 19	1295 ـ 1186 ق. م	برديات هرست ولندن وكارلسبرج
الأسرة 20	1186 ـ 1069 ق. م	برديتا شستر بياتى وبرلين
فترة الاضمحلال الثالثة:		
الأسر من 21 ـ 25	1069 ـ 656 ق. م	
الفترة المتأخرة:		
الأسرة 26 السيوطية	664 ـ 525 ق. م	
الأسرة 27 الفارسية	525 ـ 404 ق. م	ودجا ـ هور ـ رسنت (طبيب) هيرودوت فى مصر.
الأسرة 28	404 ـ 399 ق. م	أبوقراط فى كوس
الأسرة 29	399 ـ 380 ق. م	
الأسرة 30	380 ـ 343 ق. م	
الغزو الفارسى	343 ـ 332 ق. م	
الفترة اليونانية ـ الرومانية		
الفترة المقدونية	332 ـ 305 ق. م	
البطالمة	305 ـ 30 ق. م	مجمع الآلهة فى الإسكندرية ـ هيروفيليس، إراسيستراتوس ـ بردية بروكلين (قد تكون الأسرة 30) ـ ديودور الصقلى فى مصر
الرومان	30 ق. م ـ 323م	جالينوس فى الإسكندرية بردية كروكوديلوبوليس
الفترة البيزنطية	323 ـ 642م	
الفتح العربى	642 م	

(1) أحيانًا تنسب الأسرة الثالثة إلى فترة بداية الأسرات.

(2) لا يوجد اتفاق حول نهاية فترة الاضمحلال الأولى، الأرجح أنها تنتهى بالأسرة العاشرة.

ملحق B

الخصائص العلاجية لبعض النباتات التى اُستخدمت فى الطب الفرعونى والتى تم التعرف إليها

شجر (أرز/ صنوبر)	مطهر، مدر للبول، طارد للأرياح
أكاسيا	ملين، ملطف وملطف للجلد
البصل	مضاد حيوى، طارد للبلغم، مدر للبول، يقلل من التصاق الصفائح الدموية ويقلل من كوليستيرول الدم
الكرات	؟
شجر الشاس	؟
الصنوبر	؟
الشبت	طارد للأرياح
الكرفس	مدر للبول، مخفف للآلام الروماتيزمية، طارد للأرياح ومضاد للتقلصات
خشب الدود	طارد للديدان (خاصة النيماتود)، مطهر وخافض للحرارة
البيرس	؟
نبات بريون	مسهل قوى، منبه، مُقيِّئ، طارد للديدان
القنب	مخدر
الخروب	مضاد للإسهال، مضاد للقىء
القرفة	طارد للأرياح، قابض، منبه، مضاد للتقلصات، طارد للديدان، مضاد للبكتيريا ومضاد للإسهال
الراتنج	؟
البطيخ	؟
الكسبرة	منبه، طارد للأرياح

الشمام	؟
الكمون	طارد للأرياح، مضاد للإسهال، منبه
السعادى	؟
البرى	؟
الكونيزا	؟
التين	ملين ـ ملطف للجلد
الجميز	؟
الأرز	مضاد للتقلصات.
الشعير	ملطف للجلد، مادة غذائية، وحامل للعقاقير
العرعر	مطهر، مدر للبول، طارد للأرياح، منبه، قابض للأوعية الدموية ومانع للإفرازات ومسكن للألم
الخس	مهدئ، منوم، ضد السعال
الكتان	مسهل، مضاد للالتهاب، مضاد للبكتيريا، ملين، مضاد للسعال، مسكن للألم، ملطف للجلد
البيرسى	؟
المورنجا	؟
نبات الآس	قابض، مطهر خارجى ويستخدم فى علاج البواسير
اللوتس	مهدئ للرغبة الجنسية، مطهر وقابض
الأفيون	مخدر قوى ومخفف للآلام (مورفين)
البلح	؟
الينسون	طارد للأرياح، طارد للبلغم، مدر للبول، مُسهل ومضاد للتقلصات
الصنوبر	؟
البسلة	؟

الرمان	طارد للديدان، مضاد للبكتيريا (فى لحاء الجذور) مضاد للإسهال، قابض (قشرة الثمرة)
الخروع	مسهل قوى، ويستعمل من الظاهر كقابض
الصفصاف	مسكن، خافض للحرارة، مضاد للالتهابات (اللحاء) (بسبب مادة ساليسين)
التاماريسك	؟
الفينوجريك	طارد للأرياح، مقو عام، ملين، طارد للبلغم وفاتح للشهية
الإمر	؟
البقول	؟
الفيتيس	مهدئ للرغبة الجنسية
العنب	؟
شوكة المسيح	؟
الثوم	مضاد للبكتيريا، طارد للبلغم، خافض لضغط الدم، مخفض لدهنيات الدم، مطهر، مضاد للالتهاب وطارد للديدان

مستحضرات قد تكون استخدمت علاجيًا بغير اسم مصرى معروف:

* Citrellus Colocynthus مسهل قوى.
* Melilotus Officinalis طارد للأرياح، طارد للبلغم، مضاد حيوى.
* Valeriana Officinalis مهدئ، مضاد للتقلصات، طارد للأرياح، مُرخٍ للعضلات، ومخفض للضغط.

طبعة خاصة بمكتبة الأسرة

مكتبة الشروق الدولية

الثقافة العلمية

تعنى بتبسيط المفاهيم العلمية والتكنولوجية، وأسس نشر مبادئ مجتمعية عامة تعتمد التفكير العلمى فى ممارسات الحياة اليومية على الصعيد الاجتماعى والفكرى، وعلى علاقات التفاعل بين العلم والتكنولوجيا والمجتمع والبيئة؛ وصولاً إلى تأسيس كيان علمى يتغلغل داخل نسيج الثقافة السائدة.

الطب المصرى القديم

يحدد هذا الكتاب دور مصر القديمة فى مهنة الطب الذى سبق الدنيا فها هى البرديات الطبية التى تمثل المصدر الرئيسى للمعلومات كل بردية، مصدرها، لغتها، تاريخها، بنائها، محتواها، فيتكشف أن المصريين اعتمدوا على العلوم الطبية الأساسية تماما مثل الطب الحديث، وحددوا أفرع الطب المتخصصة ليصل الأمر إلى الجراحة والإصابات. كما قسموا المرض تارة بناء على أسبابه وأخرى تبعا لأجهزة الجسم وأعضائه التى تصيبها الأمراض والعلاج الوقائى مع المنهج العلمى المتبع، سواء فى أسلوب عرض وفحص المريض أو خطوات علاجه وتحديد دور الأطباء وطريقة تدريبهم والخدمات المعاونة كالصيدلة والتمريض والطب الطبيعى. كل ذلك يجاور الدور القوى للسحر والدين فى داخل المنظومة الطبية القديمة ومدى العلاقة بين مهام كل من الطبيب والساحر والكاهن.

د. عمرو شريف

أستاذ ورئيس قسم الجراحة، كلية الطب، جامعة عين شمس. عضو مؤسس للجمعية الدولية للجراحة والجمعية الدولية لجراحة الكبد والبنكرياس والجهاز المرارى بسويسرا.

من مؤلفاته: "أبى آدم؛ من الطين إلى الإنسان"، "رحلة عبد الوهاب المسيرى الفكرية"، "المخ ذكر أم أنثى"، "رحلة عقل"، و"كيف بدأ الخلق".

د. عادل وديع فلسطين

طبيب من مواليد ١٩٤٠ بالقاهرة، أستاذ ورئيس مجلس أقسام الصدر بالهيئة العامة للمستشفيات والمعاهد التعليمية. زمالة الكلية الأمريكية لأطباء الصدر وعضو الجمعية الأوروبية للجهاز التنفسى. من مؤلفاته: "الجذور التاريخية للصراعات المعاصرة"، "يوميات حرب أكتوبر"، "هموم مواطن مصرى"، "رحلة مع الله والإنسان".

ISBN# 9789772072941



٧جنيهات

